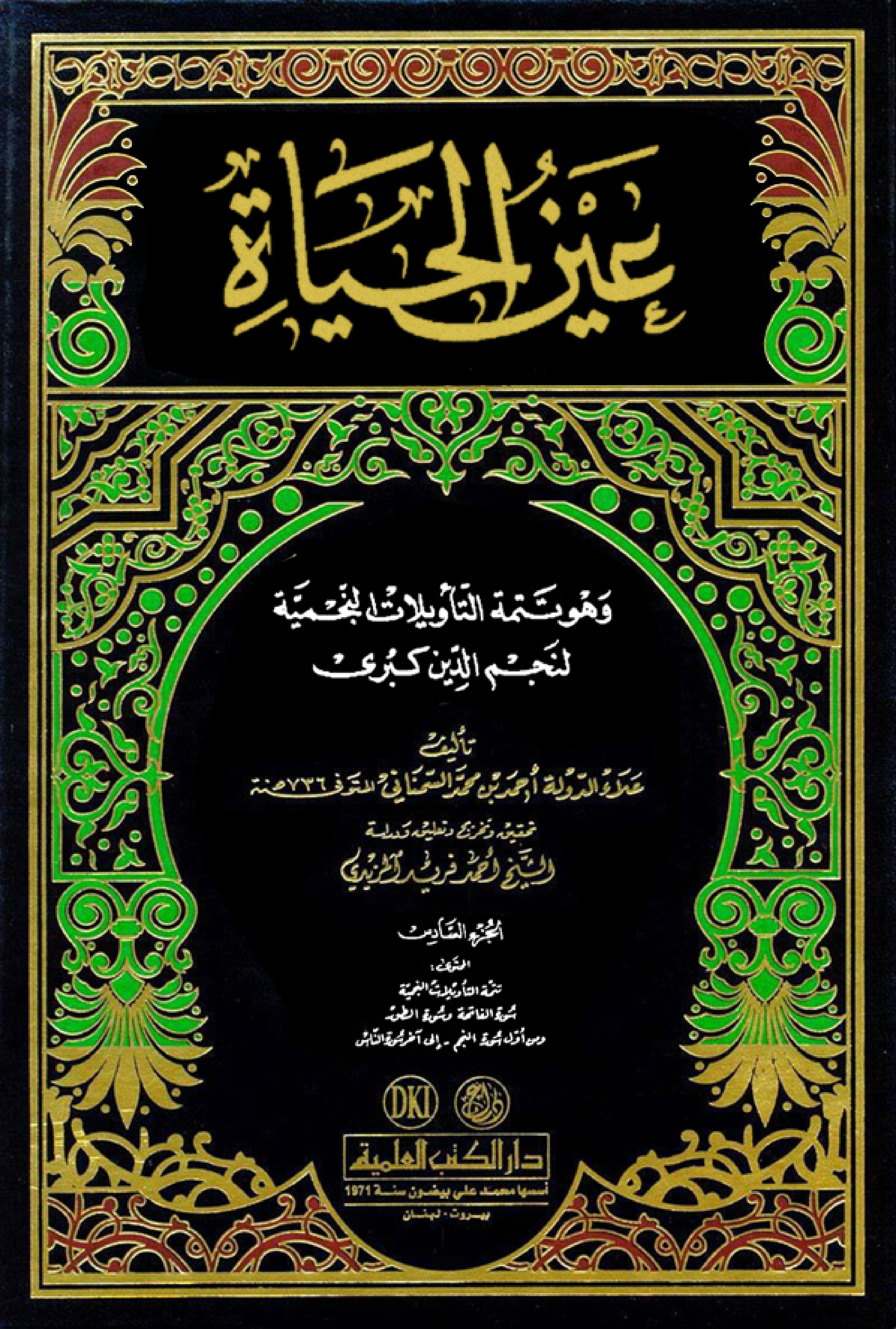

عين الحياة
وهو تتمة التأويلات النجمية
لنجم الدين كبرى
تأليف
علاء الدولة أحمد بن محمد السمناني المتوفى ٧٣٦ هـ
تحقيق وتخريج وتعليق ودراسة
الشيخ أحمد فريد المزيدي
الجزء السادس
المحتوى:
تتمة التأويلات النجمية
سورة الفاتحة وسورة الطور
ومن أول سورة النجم - إلى آخر سورة الناس
DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان



عين الحياة

وهو تتمة التأويلات النجمية
لنجم الدين كبرى

تأليف

علاء الدولة أحمد بن محمد السمناني
المتوفى سنة ٧٣٦ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق ودراسة
الشيخ أحمد فريد المزيدي

الجزء السادس

المحتوى:
تتمة التأويلات النجمية
سورة الفاتحة وسورة الطور
ومن أول سورة النجم - إلى آخر سورة الناس



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title : AL-TA'WĪLĀT AL-NAJMIYYAH
Followed by: ʿAYN AL-ḤAYĀT

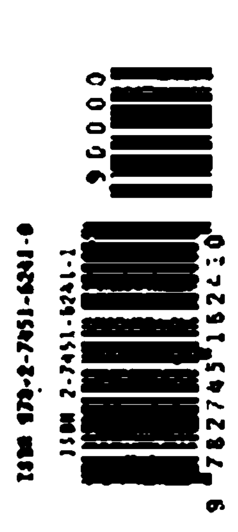
Classification: Exegesis of the Qur'an
Author : Najmuddīn al-Kubrā
and ʿAlā'uddawlah al-Simnānī
Editor : Aḥmad Farīd al-Mizyadi
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 2464 (6 volumes)
Size : 17*24
Year : 2009
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

الكتاب : التأويلات النجمية
ويليه تتمة : عين الحياة

التصنيف : تفسير قرآن
المؤلف : نجم الدين الكبرى
وعلاء الدولة السمناني
المحقق : أحمد فريد المزيدي
الناشر : دار الكتب العلميــة - بيروت
عدد الصفحات : 2464 (6 أجزاء)
قياس الصفحات: 24*17
سنة الطباعة : 2009
بلد الطباعة : لبنـــان
الطبعة : الأولى



Aramoun, al-Quobbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290


ISBN 978-2-7451-6241-0

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العالم القطب، مظهر الحق، سلطان المحققين، سر الله في الأرضين، مستنبط المعاني المودع في الآيات، مستخرج الأسرار المبهمة على البريات، سيد الواصلين، سند السالكين، ركن الحق والدنيا والدين، ناصر الإسلام والمسلمين، أبو المكارم: أحمد بن محمد بن البيابانكي، المعروف بـ: «علاء الدولة السمناني»، دام ظله ومد عمره، الصنف الأول في الاصطلاحات، التي لا بد للمستفيد المرشد من معرفتها واستحضارها؛ لأن تصنيف هذا الكتاب المستطاب هو الواضع الأول المبلغ، وجميع إصاغته وتربيته من العلم الحقيقي بلا واسطة، لولا أنه يشرحه لما يمكن لأحد بعده حل مشكلات اصطلاحاته، وليبقى هذا الكتاب غير منتفع به، وأعوذ بالله من علم لا ينتفع به.

والنبي ﷺ يقول: «ينقطع عمل ابن آدم إلا من ثلاث»[1]، أحدها: علم ينتفع به بعده، وأسأل الله التوفيق لإبقاء علمي ينتفع به بعدي في الدين، مما يزيد لأرباب اليقين بها وعدوا وعد الحق المبين، وعلى آله في كلامه المحكم، الذي هو الحبل المتين المنزل على حبيبه الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين، لهم بإحسان إلى يوم الدين، والموفق إلى عليين.

وها أنا أتبين الاصطلاحات المخصوصة ببطن القرآن في هذا الصنف من هذا الأصل، وأشتغل بعد الفراغ من صنفي هذا الأصل في الفن الثاني من الأصل الرابع، بكتب القدسيات الواردة في حل مشكلات جميع ما أودع في الأصول الأربعة المختصة بهذا الكتاب - إن شاء الله الملك الفتاح الوهاب - على سبيل الإيهان موجزًا.

اعلم يا طالب المناسبة بين الآفاق والأنفس في المخاطبات القدسية مع اللطائف الأنسية، أن اللطيفة القالبية التي خمرها الله بيدي اللطف والقهر بعد التنزل من بطنان

---

(1) أخرجه البخاري (2/ 670، رقم 1795)، ومسلم (2/ 807، رقم 1151)، والنسائي (4/ 164، رقم 2217)، وابن حبان (8/ 205).

العماء إلى الحضرة الأحدية، وتنزل النقطة الأحدية إلى الحضرة الواحدية، واستواء الحقيقة الواحدية على عرش العشر في أربع مراتب من المراتب اللاهوتية الأُحادية، والجبروتية العشراتية، والملكوتية المأتية، والناسوتية الآلافية عشرًا عشرًا، في صباح حاجز بين ظلمة الليل الخلقي ونور النهار الأمري، كما ذكرتها في «الموارد الشوارد» وهي آدم وجودك، ولا تكمل اللطيفة القالبية إلا بعد تكميل اللطائف العشر السلالية وأخواتها كما بيناه في مواضع كثيرة.

واللطيفة النفسية المسلطة عليها أنواع البلاء في دار الابتلاء هي نوح وجودك، واللطيفة القلبية المرباة في طلبها ذرة ذرية حامل صدف وجودها درة اللطيفة الأنانية هي إبراهيم وجودك، واللطيفة السرية المخصوصة بالمناجاة هي موسى وجودك، واللطيفة الروحية المشرفة بخلقة الخلافة هي داود وجودك، واللطيفة الخفية المؤيدة بروح القدس هي عيسى وجودك المبشر لاسم لطائفك، وهي القوى المختصة لكل لطيفة من اللطائف المستودعة في وجودك، بمقدم اللطيفة الخفية وظهور آياتها الجليلة، الجاذبة جميع الحقائق، المستكنة في المفردات العلوية والسفلية، المستجمعة في اللطيفة القالبية ومركباتها الخلقية والأمرية، المستودعة في اللطائف النفسانية والقلبية والسرية والروحية والخفية إلى الحق الواحد الحقيقي، وهو محمد وجودك الحامل صدف وجوده درة اللطيفة الأنانية الكاملة، أصالة المربي في صلب اللطيفة القلبية، التي دعت وسألت من الله تعالى أن يجعل لها لسان صدق في الآخرين.

ولأجل هذا السر أمر الله تعالى حبيبه باتباع أبيه إبراهيم بقوله: ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ [النحل:123]، وقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا واللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:68]، و﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلاَ نَصْرَانِياً﴾ [آل عمران:67]، غالطًا في اللطيفة السرية والخفية مزلزلاً في مغلطها، ﴿وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً﴾ [آل عمران:67]، متوجهًا إلى فاطر السماوات والأرض، متجاوزًا عن المغاليط المختصة بالغيب المخصوص باللطيفة القلبية، وهي: شمُّ نسيم الحق من وجود كل موجود بالذرة المودعة في صلبه، الحامل صدق لطيفة حقيقة ذرة اليتيمة المحمدية، فكلما سمعت في الكتاب ما يخاطب به آدم، فاسمعه بلطيفة قالبيتك، واستعمل لطيفة قالبيتك فيما أمر به

ونهى عنه.

واعتبر بما ضرب مثلاً له، وتيقن أن بطن هذا الخطاب يتعلق بك في الأنفس، كما كان ظهره يتعلق بآدم في الآفاق؛ ليمكن لك الاستفادة من كلام الحق، وتكون ممن يقرأه عصا طريًا؛ لئلا يغويك الشيطان المغوي، ويخرجك من الجنة المخصوصة بلطيفة قالبيتك وينزع عنك لباس التقوى.

وكلما سمعت آيات فيها المخاطب نوع؛ فاسمعها بلفظه بلطيفة نفسيتك، وإذ حق الخطاب لئلا يُبتلى بالبحر المسجور نبيّن أن الشهوة والغضب، ولا تفرق أمم قواك في غمرات الأماني الكاذبة.

وكلما سمعت الآيات المنزلة في حق إبراهيم عليه السلام؛ فاسمعها بلطيفة قلبيتك المستحقة بخلعة الخلة، وتشمر لأداء حق ما خاطبك الخليل الجليل؛ لئلا يقع الخلل في الخلة، ولا ينزع خلعة الخلة بالالتفات إلى ما سوى الخليل الجليل عن وجود الخليل المستدل بالدليل الحسي والعقلي، حتى يكون دليلك خليلك.

وكلما سمعت المكالمات الموسوية ومناجاتها، وما يتعلق بأحوال موسى الناطق به التنزيل؛ فاسمعها بلطيفتك السرية، واشتغل بأداء حق ما في ظن الخطاب؛ لئلا يضل السامري أمم قواك بعجل الهوى.

وكلما سمعت الخطاب المخصوصة بداودة الامتحانات الصادرة عن حضرة صفة الودودية، فاسمعها بلطيفتك الروحية التي عملها صفة لبوس الواردات الودودية في كسوة العبادة؛ لتحصن أمم قواك قواها على سيوف الظنون الكاذبة، ورماح الأوهام الفاسدة، وسهام الشكوك الطارئة عليها الخارجة عن مشي الشبه المخصوصة بالشيطان، وأذعن لجميع ما في ضمن الخطاب؛ لئلا يوحشك عن ربك الودود أنسك الحاصل من الاشتغال بأمر القالب الفاعل فعل الروح الفاعل به.

وكلما سمعت ما فيه من أحوال عيسى والخطاب العتابي، الذي خاطبه ربه في كلامه بقوله: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة:116]، وكان مخصوصًا بأن يغلط أمم قواه الغير المزكاة؛ لأنهم نظروا بعين غير مكتحلة بنور الإيمان الخفي، أن قابليته أم القالب وفاعلية الرب بلا واسطة الروح الصوري الشهادي، وظهور

اللطيفة الخفية؛ فأثبتوا له الأبوة والأمومة والبنونة، وقالوا: ﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:73]، وقالوا: بالاتحاد خلاف الأمم الماضية غير الأمم المخصوصة باللطيفة السرية؛ لأنهم ظنوا بعزير أنه ابن الله، وهذا غلط مخصوص بالواصل الغير الكامل إلى عيني السر والخفى؛ لنزاهتهما عن الكدورات القالبية، وخصوصيتهما بتجلي الروح السري والقدسي، فاسمعه بلطيفتك الخفية وتشمر لإخراج الغرور بظهور النور القدسي في عقلك.

وقد قال في مقام الاعتذار لحسن الأدب الذي كنت قلته فقد علمته، ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:116]؛ لأن غيب الخفى مع كونه محيطًا بالقبوب الخمسة: الروحية، والسرية، والقلبية، والنفسية، والقالبية، محاط غيب الغيوب وهو غيب اللطيفة الخفية.

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ [المائدة:118] بما قالوا لجهلهم بما قالوا، ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المائدة:118] بكشف غطاء سبل الجهل عن بصر بصيرتهم؛ ليتوبوا مما ظنوا ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:118]؛ يعني: أنت غالب على أمرك تقدر أن تغفر لهم مجانًا، ولكن لا يمكن أن يصدر عنك شيء خالٍ عن الحكمة؛ لأن القدرة لا تنبعث إلا بالحكمة، فإذا أراد الله ظهور ما في علم القديم، المقرون بالحكمة يظهر بقدرته، النافذة في أوانه بأمر الإرادة، الصادرة عن حضرة العلم متيقنًا محكمًا.

وكلما سمعت ما فيه خطاب مع حبيبه، والإشارات لأنه هو مخصوص بها؛ فاسمعه بلطيفتك الحقية المخصوصة بالفيض الوجودي الفائض من نهاية حضرة النقطة الواحدية، نيابةً عن حضرة النقطة الذاتية بعد امتزاج الحقوق بعضها ببعض في اللطائف كلها، المستجمعة في بنية بناها الحق ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4]، وهو آخر التراكيب وخواتم المواليد؛ ليكمل البدن المكسب، الذي هو: جنين مشيمة البدن المجعول الفاني، ومشيمة جنين القلب الحقيقي الذي كان الكافر بمعزل عنه، وهو صدق ذرة اللطيفة الأنانية المستحق للمرآتية، الملقى في يم الناسوت.

وبلغ أمتك على حد الأمانة ما خاطبك حبيبك، الذي هو ربك في الكلام المجيد الحميد، ولا تكن فظًا غليظًا بأمم قواك، وكن بهم رءوفًا رحيمًا، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه، واقرأه [تلاوة] غير مستعجل في البيان؛ لأن بيانه علينا ﴿فَإِذَا

﴿قرأناه فاتبع قرآنه﴾ [القيامة:18]، ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ [القيامة:19]، ولا تحرص على هداهم؛ لأنك ﴿لا تهدي من أحببت﴾ [القصص:56].

وتيقن بأن الشقي شقي الأزل والسعيد سعيد لم يزل، ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الأنعام:52] في القوة الحقوقية، المزكاة عن الحظوظ المخصوصة باللطيفة الحقية، ﴿ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء﴾ [الأنعام:52]؛ لأنهم يتبعونك لحبي إياك، ﴿فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ [الأنعام:52] على الحقوق المخصوصة، وامتثل إشاراته النافذة في الشر والغلظة، على أصحاب الحظوظ المكدرة، الذين هم أعداء أرباب الحقوق والدين والرحمة، على أرباب الحقوق المطهرة عن الحظوظ، الذين هم أولياء الحق.

وأمر أمم قواك المزكاة، الذين هم ﴿أمة وسطاً﴾ [البقرة:143] خير الأمم، ﴿شهداء على الناس﴾ [البقرة:143] كلهم، وأنت عليهم شهيدًا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتيقن بأن كل لطيفة من اللطائف السبعة أمة من القوى المخصوصة بها، فكل قوى معتدلة ثابتة على حال اعتدالها فهي الأمة المؤمنة، وكل قوى منحرفة ثابتة على الانحراف فهي الأمة الكافرة، متلونة غير ثابتة على الاعتدال والانحراف؛ فهي الأمة المنافقة، والأمة القريبة الشبيهة في الاعتدال بحقيقة اللطيفة، فهي نبي من الأنبياء والذين كانوا بعد آدم عليه السلام في الآفاق، وهداية الناس إلى دين أبيهم آدم، حتى وصلت نوبة النبوة إلى نوح عليه السلام فأسس أساسًا، وأوضح شريعة قريبة من استعداد أهل زمانه في الفروع فوحي الله تعالى بيِّن من الأول، فكل نبي كان بعده دعا الناس بشريعته إلى الحق إلى أن وصلت نوبة النبوة إلى إبراهيم عليه السلام، فكذلك كان الأنبياء بعده داعين أممهم شريعة إلى الحق إلى أن وصلت نوبة النبوة إلى داود عليه السلام، وخُصَّ بالزبور فدعا عموم الناس بما في التوراة، وخواصهم بما في الزبور.

وكذلك استن الأنبياء بعده سنته في دعوتهم الناس إلى الحق، حتى وصلت نوبة النبوة إلى عيسى، المبشر بقدوم أحمد - خاتم الأنبياء بعد سنته، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين صلاة الله وسلامه عليه - فنسخت شريعته الشرائع، وختمت عليه النبوة، وصار

علم أمته، كأنبياء بني إسرائيل دعوا الناس على وفق شريعة الزهد الحنيفية السمحة السهلة إلى الصراط المستقيم، ويدعوهم خلفاؤهم بعدهم قرنًا بعد قرن إلى آخر الزمان وانقراض العالم؛ لأن دينه الفطري في الكمال كبنية الإنسان الذي هو خاتم المواليد، ولا يمكن أن يزيد عليها أو ينقص منها شيئًا، ولو تزيد أو تنقص لتشوهت الخلقة وتنشأ الصورة وتختل البنية؛ لأن الله تعالى جمع جميع الكمالات فيه، وجعل بوجود نقطته الظاهرة دائرة النبوة متصلة، وأدار دائرة الولاية بنقطته الباطنة الثابتة في المركز عند إدارة دائرة النبوة بعد اتصالها؛ ولأجل هذا قال محمد ﷺ لعلي: «يا علي إن الله قال لي: يا محمد بعثت علينا مع الأنبياء باطنًا ومعك ظاهرًا»، وصرح هذا المعنى في قوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولكن لا نبي بعدي»[1]؛ ليعلموا أن باب النبوة قد ختم وباب الولاية قد فتح.

وإشارة بعث علي مع الأنبياء باطنًا إلى سر الولاية الذي ظهر بعد محمد ﷺ؛ ليكون علم أمته الذين هم الأولياء، داعين الناس في سوادية دائرة الولاية وبياضيها إلى الحق، واللطيفة الخفية أفق الحق المبين لا يمكن التجاوز عنه؛ لأنا بينا أن ليس الممكن أن يصير الممكن واجبًا، فكل واحد يعرف لطيفته الخفية، ويصل بالسلوك والسير والطيران والجذبة إليها، وتطهير قوى لطائفه عن الحظوظ المكدرة بالباطل النسبي، وتحليها بالحقوق الصرفة؛ فهو محمد حقًا، وإلا فلا يغرنك قولك: أشهد أن محمدًا رسول الله، بأنك محمدي.

وعليك بالتيقن بأنك وصلت إلى لطيفة تكون فيها، وتتنعم بالنعيم المخصوص به الأمم من القوى المزكاة المختصة بها، وإن كنت اليوم سالكًا طريق المصطفى على وفق دينه محشورًا تحت لوائه، وإن كنت ما وفقت اليوم لتطهير قواك من الحظوظ؛ لتعذب بعذاب مخصوص بالقوى الغير مزكاة المختصة بتلك اللطيفة، ولا يؤمن أحد بالذي قلته إلا بعد

---

(1) حديث البراء وزيد: أخرجه الطبراني (5/ 203، رقم 5095). وحديث سعد بن أبي وقاص: أخرجه الطيالسي (ص 28، رقم 205)، وأحمد (1/ 179، رقم 1547)، والبخاري (3/ 1359 رقم 3503)، ومسلم (4/ 1870، رقم 2404)، والترمذي (5/ 641، رقم 3731) وقال: حسن. وابن ماجه (1/ 42، رقم 115). وحديث أم سلمة: أخرجه الطبراني (23/ 377، رقم 892)، وأبو يعلى (12/ 310، رقم 6883).

السلوك ومشاهدته من حيث العيان وما سمعه من هذا البيان، والله المستعان وعليه التكلان.

وإياك وإلقاء الشيطان بأن هذه الحكايات طامات؛ لئلا تضل وتشقى، وتيقن بأن من ينكر تفسير القرآن في عالم الآفاق الناسوتي؛ فهو ملحد باطني عينه، ومن ينكر تفسير بطن القرآن في عالم الأنفس الملكوتي بعد إقراره بالظهر؛ فهو جاحد مشبهي بليد، ومن يجمع بين الظاهر والباطن وهو مسلم سنتي سعيد، ومن يعرف حد القرآن في عالم الجبروت فهو مؤمن عارف رشيد، ومن يطلع على مطلع القرآن في عالم اللاهوت؛ فهو محسن كامل شهيد على الأمم مطلع على الغيوب حميد مجيد، وتفسير ظهر القرآن يتعلق بالخلافة، وتفسير بطنه يتعلق بالولاية، وتفسير حده يتعلق بالولاية، وتفسير مطلعه يتعلق بالمحبوبية، التي أشار الحبيب المطلق خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ إليها في زمن إخباره عن ربه أنه تعالى قال: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا..» إلى آخر الحديث[1].

ولا تغلبنك الظنون الفاسدة الكاذبة بأن صاحب اللطيفة القالبية ينبغي أن يكون عاريًا عن حقائق اللطائف الأخرية؛ لئلا يغلط.

واعلم أن حقائق اللطائف محققة في وجود كل صاحب لطيفة إما غالبية، أو مغلوبة، وإما معتدلة؛ فصاحب اللطيفة القالبية المرباة بفيض الكرسي القريب إلى عرش النفس غالبًا، وفيض العرش مغلوبًا بلا واسطة النيران العلوية بعد تكميل البدن، المجعول المستودع فيها اللطائف العشر المرباة بفيض النيران العلوية السماوية، وسفلية العنصرية متجمع لحقائق اللطائف المتسعة.

ولكن حقيقة اللطائف القالبية فيه عالية والأصالة في اللطيفة الغالبية، التي بها يمتاز نوع الإنسان من جنس الحيوان، فظهر في مشية بدنه المجعول جنين البدن المكسَّب الباقي، بعد خراب البدن المجعول الفاني لصاحبها والتبعية لغيره، وكذا صاحب اللطيفة النفسية المرباة بفيض جوهر النفس المسمى بالعرش غالبًا، والعقل مغلوبًا بلا واسطة الكرسي،

(1) تقدم تخريجه.

وبها يمتاز الإنسان المدني بالطبع من الآفاقي بالأصالة فيها والتبعية لغيره، وعلى هذا القياس تكون الأصالة في اللطيفة القلبية المرباة بفيض لوح العقل غالبًا، والمداد النوري مغلوبًا لصاحبها والتبعية لغيره، وبها يمتاز المسلم من الكافر.

وفي اللطيفة السرية المرباة بفيض المداد النوري المحمدي غالبًا، والدواة الروحية الأحمدية مغلوبًا بلا واسطة لوح العقل أيضًا، لصاحبها الأصالة ولغيره التبعية، وبها يمتاز المؤمن الكامل من المسلم الغير الكامل.

وفي اللطيفة الروحية المرباة بفيض الدواة الروحية الأحمدية غالبًا، والعلم الخفي مغلوبًا بلا واسطة المراد النوري، الأصالة لصاحبها والتبعية لغيره، وبها يمتاز المؤمن المكمل من المؤمن الغير المكمل.

وفي اللطيفة الخفية المرباة بفيض العلم الخفي غالبًا، والنقطة الواحدية مغلوبًا بلا واسطة الدواة الروحية، وبها يمتاز النبي المستغني عن أن يكون محتاجًا في التكميل إلى غيره من الولي المفتقر في التكميل إلى غيره، الأصالة لصاحبها والتبعية لغيره.

وفي اللطيفة الحقية المرباة بفيض نقطة الواحدية غالبًا، والنقطة الأحدية مغلوبًا بلا واسطة العلم الخفي، الأصالة لصاحبها والتبعية لغيره، وبها يمتاز الخاتم الذي لا ينقطع فيض تكميله أبد الآباد؛ لإقامته قرابة المسماة بالدرة اليتيمية المرباة في صدق اللطيفة مجازاة الوجه، ويسمى الدرة اليتيمية باللطيفة الأنانية الكاملة، القابلة لفيض الوجود من النقطة الواحدية نيابةً من النقطة الذاتية، والحياة الطيبة من وسطها خلافة من النقطة الأحدية، والنور من بدايتها أصالة غير غالبة ولا مغلوبة.

وبهذه الدرة اليتيمية المسماة بلطيفة الأنانية الكاملة استحق أن يكون صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، والشفاعة يوم الموعود؛ فإذا أفهمت هذه الأسرار الغريبة تيقن بأن للقرآن بطنًا، ولبطنه بطنًا إلى سبعة أبطن، كما نقل عن النبي ﷺ، وها أنا أشير في آية واحدة إلى بطونه السبعة بتوفيق الله تعالى وإلهامه وإذنه؛ ليتمتع المطالع الموصوف مما وصفه من قبل بالبواقي من الآيات قياسًا عليها، وهي قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: 43].

فمعنى الآية في البطن الأول المخصوص باللطيفة القالبية: ينبغي أن يفهم السالك الواصل إلى غيب اللطيفة القالبية، المسمى بغيب الجن من هذه الآية أن الله تعالى ينادي قوى اللطيفة القالبية المؤمنة بفناء الدنيا وبقاء الآخرة، لا يقربوا حضرة ربهم وهم سكارى من خمر محبة الدنيا، حتى يعلموا ما يقولون في مناجاتهم، ولا يغلبنهم خاطر البيع والشراء، والطواف في الأسواق، وعمارة العقار والضياع، ومعاشقة الأزواج والأولاد وقت المناجاة.

ولا جنبًا من مساس حقيقة لطيفتهم القالبية محبة الدنيا الرعناء الغرارة، إلا عابري سبيل في مسجد البدن المجعول، الذي لا بد للسالك في المساس عند أخذ الحظ الذي يقوم به الحق، الذي كان قيام اللطيفة القالبية به، ومن العبور في مسجد البدن المجعول للاغتسال حتى يغتسلوا بماء الذكر الرسمي.

ومعنى الآية في البطن الثاني المخصوص باللطيفة النفسية: ينبغي أن يفهم السالك الواصل إلى غيب النفس أن الله ينادي قوى اللطيفة النفسية المؤمنة بما قال في كتابه الكريم، ونهى النفس عن الهوى ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:41]، وبما قال في آية أخرى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان:43] ألّا يقربوا حضرة الرحيم، وهم سكارى من خمر الهوى، حتى يعلموا ما يقولون في مناجاتهم، ولا يغلبنهم للهوى الميال إلى مخالفة المولى وقت المناجاة.

ولا جُنُبًا من مساس حقيقة لطيفتهم النفسية الصورية المهوية الهوائية، إلا عابري سبيل في مسجد الصدر المبني في غيب النفس للاغتسال، حتى يغتسلوا بماء الذكر التعليمي.

ومعنى الآية في البطن الثالث المخصوص باللطيفة القلبية: ينبغي أن يفهم السائر، الواصل إلى غيب القلب أن الله تعالى ينادي قوى اللطيفة القلبية المؤمنة بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام:165]، ألّا يقربوا حضرة الرحمن وهم سكارى من خمر محبة الحور العين، حتى يعلموا ما يقولون في مناجاتهم ألّا يقربوا حضرة، ولا يغلبنهم التفات خاطرهم الحور وقت الحضور.

ولا جنبًا من مساس حقيقة لطيفتهم القلبية الصور الحورية الخالدة الناعمة

الظاهرة، إلا عابري سبيل في مسجد القلب للاغتسال، حتى تغتسلوا بماء الذكر التلقيني.

ومعناها في البطن الرابع المخصوص باللطيفة السرية: ينبغي أن يفهم السائر الواصل إلى غيب السر أن الله تعالى ينادي قوى اللطيفة السرية المؤمنة بحسن المكاشفات وزيادة المشاهدات، كما نطق القرآن: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:26] ألَّا يقربوا حضرة الله وهم سكارى من خمر المكاشفات السرية، حتى يعلموا ما يقولون في مناجاتهم، ولا يغلبنهم المكاشفات الطارئة عليهم وقت التوجه.

ولا جنبًا من مساس حقيقة لطيفتهم السرية الصورية والنورانية وقت التجلي الصوري، إلا عابري سبيل من مسجد السر للاغتسال، حتى يغتسلوا بماء الذكر المثبت عند الجمهور المنزه عن الاحتياج بنفي الشريك.

ومعناها في البطن الخامس المخصوص باللطيفة الروحية: ينبغي أن يفهم الطائر الواصل إلى غيب الروح، أن الله تعالى ينادي قوى اللطيفة الروحية المؤمنة بما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:17]؛ أي: لا يقربوا حضرة النقطة الواحدية وهم سكارى من خمر ما قرت به عينه، وهو قرة العين المشار إليها في الحديث المشهور: «حتى يعلموا ما يقولون في الصلاة»[1] السدرية السرية، والمناجاة الروحية، ولا يغلبنهم زيغ البصر بالالتفات إلى قرة العين، وطغيان القدم بالإقدام، والإقبال عليها وقت التداني.

ولا جنبًا من مساس حقيقة لطيفتهم الروحية الصور الشهودية وقت التجلي النوري، إلا عابري سبيل في مسجد الروح للاغتسال، حتى يغتسلوا بماء الذكر الهوى بعد الخروج عن روزنة هاء الله.

ومعناها في البطن السادس المخصوص باللطيفة الخفية: ينبغي أن يفهم الطائر الواصل إلى السواد الأعظم في الغيب الخفي، أن الله ينادي قوى لطيفتهم الخفية المؤمنة بما أخبر النبي الأمي الصادق ﷺ عن الله في قوله: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت

---

(1) أخرجه عبد بن حميد (ص 56، رقم 82)، والترمذي (5/ 238، رقم 3026)، وأبو داود (3/ 325، رقم 3671)، والحاكم (4/ 159، رقم 7222)، والضياء (2/ 187، رقم 566).

ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[1]، ألّا يقربوا حضرة النقطة الأحدية وهم سكارى، ومن خمر مشاهدة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وقت التجلي المعنوي خير التللي، حتى يعلموا ما يقولون في مقام قوسين أو أدنى، ولا يغلبنهم خطر أن القرب حال الثناء على الحق.

ولا جنبًا من مساس حقيقة لطيفة خفيتهم الصور القدسية، إلا عابري سبيل في المسجد الخفي للاغتسال، حتى يغتسلوا بماء الذكر القدسي المنزه عن الحرف والصوت المقدس عن الفكر الأنسي.

ومعناها في البطن السابع المخصوص باللطيفة الخفية: ينبغي أن يفهم المجذوب الواصل إلى غيب الحق المحيط بالغيوب، أن الله ينادي قوى لطيفتهم الخفية المؤمنة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:4] ألّا يقربوا حضرة النقطة الذاتية، وهم سكارى من خمر المعية وقت التجلي الذوقي، حتى يعلموا بما يقولون في وقت لا يسعه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا تغلبنهم المعية.. المعية.

ولا جنبًا عند مساس حقيقة لطيفتهم الحقية الرزق الصرف، إلا عابري سبيل في بيت الله الحرام وحوله على من كان معه، ثم في الحظ للاغتسال، حتى يغتسلوا بماء الذكر الأعظم المنور نور نوره بنور النقطة الذاتية المنور لألف الأزل والأبد، ويصح عنهم التوجه في الصلاة الحقيقة إلى قبلة وجه الوحدة في الكثرة، ويؤمنوا في غلظ الاتحاد والحلول، ويؤمنوا بما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ [آل عمران:97]، وبقوله: ﴿وَلِلهِ الْمَشْرِقُ وَالْـمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة:115].

وتيقن بأن القرآن سبعين بطنًا، كما نقل عن النبي ﷺ، وأشير إلى ما يمكن لك تصديقه؛ فاعلم أن اللطائف العشر السلالية وإخوتها ثابتة في كل لطيفة من اللطائف السبع المذكورة، ولكل لطيفة من العشر من القرآن حكم خاص وفهم خاص، فتكون سبعين بطنًا لكل آية من الآيات، بل سبعمائة إذا أيقنت بأن لكل لطيفة سلالية وإخواتها عشر حواس ظاهرة وباطنة إما بالقوة وإما بالفعل، فلكل عشر فهوم مما يتعلق بالبطن

(1) تقدم تخريجه.

فيكون له سبعمائة، والتي قد فتحت باب الاستنباط لأهل الوهب؛ فعليك يا طالب الوصل لماء هذه الغيوب، ليستحق للفيوض المختصة باللطائف السبع أن يظهر ظاهرك بمياه الأحكام الجارية في سواقي الآيات النازلة من حضرة الرب، وترك السكرات الصورية الشهادية؛ لتصلح للمناجاة.

ومن لم يطهر ظاهره بظهر القرآن لا يمكن له اغتراف المياه المطهرة من ينابيع البطون البتة، فالواجب على المسلم الشهادة في الإيمان بالغيب **أولاً**: ثم الاشتغال بالذكر التقليدي.

ثانيًا، حتى يتبدل الذكر التقليدي المأخوذ من أبيه وأستاذه وأهل بلده عادة بالذكر الحميد، الذي يحمد به عواقب صاحبه، ويدخل في غيب اللطيفة القالبية، ويلين جلده البشري ثالثًا؛ ليعلمه شيخه الذكر الكريم رابعًا، ويوصله بالتدريج إلى اللطيفة الخفية، ويجعله عارفًا بالاسم الأعظم ذاكرًا به مستحقًا للإذن بأحوال على الحضرة العظمى، مستجمعًا للخلافة والولاية والوراثة، وما اجتمعت الخلافة المخصوصة بظاهر النبوة، والولاية المختصة بباطن النبوة والوراثة المضمرة في حقيقة النبوة على حد الكمال في أحد، كاجتماعها في علي ﷺ وهو الإمام في المراتب الثلاثة، ومع هذا الغلبة نور ولايته ووراثته صار نور الخلافة معمورًا فيه، ونسيان الولاية معمورًا بسعيه، وسلطان الوراثة منظورًا برائيه.

واجتمعت أيضًا في أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - لكن نور الخلافة والوراثة غالبًا فيهما على نور ولايتهما.

وفي عثمان ﷺ قد اجتمعت وكان نور خلافته أغلب من نور الولاية والوراثة، وكان صاحب هذين النورين على طفيلية الشيخين.

وعلي ﷺ كان صاحب نور الخلافة مستخلفًا عن الملك العلي الولي، وصاحب نور الوراثة - وراثة عن النبي ﷺ - وصاحب أنوار الخلافة نيابة عن الشيخين.

وعمر ﷺ كان صاحب نور الخلافة مستخلفًا عن الصديق الأكبر، وصاحب نور الوراثة من على الأنوار، وصاحب نور الولاية مستفيضًا عن السراج الأقمر والشفيع في المحشر.

وأبو بكر كان صاحب الأنوار الثلاثة مستخلفًا عن حضرة الرسالة، بالاستحقاق

الحاصل في المرتبة الصديقية، وقد صبَّها النبي ﷺ في صدره كما أشار إليه في الحديث المشهور بقوله ﷺ: «ما صبَّ الله في صدري شيئًا إلا وقد صببته في صدر أبي بكر»(1).

ويمكن اجتماعها في ولد من أولاد السيدة فاطمة ﷺ بعدما نطق به الحديث: «ليكون دينًا مهديًا في آخر الزمان»(2)، وليس من العجب اجتماعها في أحد من الناس بعدهم، ولكن الاعتدال فيها لا يمكن إلا للنبي الأمي الذي ختمت النبوة به، وانتظار خروج المهدي، وخاتم الولاية في الكسالة والبطالة ودناءة الهمة؛ فعليكم يا صعاليك المسالك بالاستقامة في الشريعة، والثبات في الطريقين، والتوجه الكلي إلى قبلة توحيد الطلب في الحقيقة؛ ليظهر فيكم القوة الهادية المهدية، وتدفع قوة الدجالية المودعة فيكم عند ظهورها ودعواها الإلهية، وهي قوة من قوى اللطيفة القالبية الغير مستخلصة عن الباطل، تظهر عند رقة حجاب قالبها.

والقوة الهادية المهدية قوة من قوى اللطيفة الخفية المستخلصة عن الحظوظ، تظهر عند وصول ذوق الذكر الأعظم إلى قلب الذاكر السالك، ويهديه إلى الصراط المستقيم، ويدفع عنه كيد الشيطان الرجيم والدجال الذميم، ولا يفيد لأحد يوم القيامة انتظار خروج المهدي وعيسى وخاتم الولاية، وغيرهم ممن ينتظره ضعفاء العقول إلا العمل الصالح الذي هو أثر التوفيق، وكيف يقيدوا النبي الصدوق ﷺ يقول لفاطمة رضي الله عنها: «يا فاطمة أنقذي نفسك من النار لن أغني عنك من الله شيئًا»(3)، ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:56]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾ [الجاثية:19]، فاجتهد اليوم في دار الكسب؛ لتعمل عملاً صالحًا قبل مضي زمانه، واشتغل بالرهان لئلا تخسر رأس مالك، وترجع إلى دارك صفر اليدين ﴿مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ [الإسراء:29].

فإذا تيقنت بما بينه؛ فاعلم أن القرآن المجيد الذي يقرأه الآفاقيون المكتوب على

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (2/ 419).

(2) تقدم تخريجه.

(3) رواه مسلم (1/ 192 ، رقم 204)، والنسائي (6/ 248 ، رقم 3644)، وأحمد (2/ 519 ، رقم 10736)، وإسحاق بن راهويه (1/ 261 ، رقم 228)، وأبو عوانة (1/ 88 ، رقم 268).

اللوح المحفوظ مظهرًا للقرآن الكريم الذي هو مخزون في كتاب مكنون، ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:79]، الذين طهرهم بالمياه المذكورة المخصوصة باللطائف السبع من أم الكدورات الحظوظية، الحاصلة لهم في عالم الكون والفناء، والقرآن الكريم مظهر للقرآن العظيم المخزون في أم الكتاب.

ومن فسر ظهر القرآن برأيه من غير السماع من مفسر، كان إسناده متصلاً بالصحابة ﷺ يكفر لجهله بأكثر أحكامه وأسباب نزوله وأمثاله.

ومن فسر بطن القرآن برأيه من غير إلهام سري أو روحي أو خفي، يكفر بجميع الإشارات الواردات عن حضرة الربوبية على دقائق القوى واللطائف الملكوتية.

ومن فسر ضد القرآن برأيه عن الإذن الصادر عن كعبة الإلوهية، يكفر بها دق دقائق الصفات الجبروتية.

ومن فسر مطلع القرآن برأيه قبل إذنه بالدخول في الحضرة العظمى، وبحصول الطامة الكبرى والاطلاع على كنه اللطيفة الخفية المربية اللطيفة الأنانية، يكفر بحقائق القرآن، فكما أن سلامة حسن السمع الظاهر الناسوتي شرط للمستمع؛ ليمكن له استماع ظهر القرآن، وتلقي تفسيره الظاهر من استناده الشهادي، فكذلك صحة السمع القلبي شرط للملهم في استماع بطن القرآن، وتلقي تفسير بطنه من استناده الغيبي، ومن لم يكن حاسة سمع قلبه الملكوتي سليمة هو الأصم الذي صرح بهم نص الكتاب؛ حيث قال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:171].

وعلى هذا القياس صحة سمع الجبروتي؛ لاستماع حد القرآن وتلقي تفسيره من الحق بلا واسطة اللطيفة السرية والروحية والخفية، شرط وصحة سمع اللاهوتي أيضًا، شرط لاستماع مطلع القرآن وتلقي تفسيره من الحق بلا واسطة اللطيفة الخفية، ومرض حاسة سمع الظهر يحدث لعارضه تألم بتجاويف دماغه، ومادة غريبة تنزل في زاوية صماخه، وتتراكم المواد الفاسدة على دريجة سمعه، حتى شد تلك الشدة باب السمع، وتعزل صاحبه على الاستماع، وتجعله محرومًا عن الفوائد المخصوص بالسمع.

ودواؤه بعد الاحتمال المعين بإرشاد الطبيب الحاذق تنقية باطنه عن المواد الفاسدة؛ لئلا ترتفع البخورات الغريبة إلى قبة الدماغ، ثم تزكية الدماغ عن البخارات المتصاعدة، ثم

لقوة الدماغ المزكي عن الأبخرة؛ ليصح ويمكن له الاستماع، ومرض حاسة سمع الباطن الملكوتي يحدث من استماع الأباطيل، ونزول مادة محبة الدنيا فيه.

ودواؤه احتماؤه عن الدنيا وصحبة أبنائه، واستماع مزخرفات أقاويلهم بإخراج مادة محبتها من القلب مسهل الذكر التعليمي، ومرض حاسة السمع الجبروتي يحدث من وجدان اللذة عن محبة الحور العين والرضوان، وتسبيح الملائكة المقربين الطائفين حول عرش الرحمن.

ودواؤه احتماؤه عن الالتفات إلى غير الله، وأخرج مادة محبة من سواه عن سويداء، بأطراف الذكر التلقيني، ومرض حاسة السمع اللاهوتي يحدث من شعوره بسماعه الحقائق ووجدان الذوق الذوقي منها.

ودواؤه احتماؤه أولاً عن رؤية وجوده، وإخراج مادة الذوق والوجدان ومحبة الوجود عن دماغ حبة قلبه بأياريج الذكر الأعظم المسمى بأيارج الفقراء، وهو أنفع من أيارج الفقراء؛ ليصح ويسمع صاحب السمع الحقيقي اللاهوتي عن الحق بالحق للحق حقائق أسرار الحق، فالمفسر الظاهري يغني النفوس بالتفاسير الثلاثة؛ ليكون من الذين يؤمنون بالغيب، والمفسر الحقيقي المطلع على بطن القرآن وحده، ومطلعه ينبغي أن يتحلى ظاهره بأحكام تفسير ظهر القرآن، ويجتهد في العمل بما علم؛ ليورثه الله علم ما لم يعلم، ويشرفه بالعلوم اللدنية الوهبية الغيبية، ويجعله عالمًا ربانيًا وارث علوم الأنبياء والمرسلين.

وشرط الإخلاص؛ لأن «من أخلص لله أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[1]، والإخلاص في العمل أشد من العمل وأشق على النفس من جميع المجاهدات البدنية، وينبغي لصاحب العمل وطالب الإخلاص المداومة على العمل؛ ليفتح عليه باب الإخلاص يومًا من الأيام، وقد قيل: من قرع بابًا ولجَّ وَلَجَ، ومن طلب وجدَّ وَجَدَ، ونقل عن النبي ﷺ أنه قال: «خير الأعمال أدومها وإن قل»[2]، وإن لم يفتح في الدنيا فعليه أن يضع رأسه على عتبة الإخلاص بالمداومة على صوالح الأعمال، حتى يموت

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه البخاري (5/ 2373، رقم 6100)، ومسلم (1/ 541، رقم783)، وأحمد (6/ 165، رقم 25356)، والبيهقي (2/ 485، رقم 4342).

وعتبة المداومة على الأعمال المسنونة؛ ليفتح الله عليه باب الإخلاص حين كشف الغطاء، ويدخله في دار الرضوان، ويمنحه الحنان المنان بالعطاء الجزيل أمنًا عن المكر والاستدراج، سارحًا في رياض الجنة راضيًا مرضيًا، وهو صاحب العمل الدائم الواضع رأسه على عتبة الإخلاص عند الرحمن.

يا أيها المطالع سلم تسلم، ويا أيها المسلم آمن تؤمن، ويا أيها المؤمن أخلص تخلص، والإخلاص مثل الدهن، والإيمان مثل اللب، والإسلام مثل القشر؛ فإن لم يكن القشر لم يكن اللب إلى كمال يحصل منه الدهن، فتربية القشر في بنان الشهادة بماء الشريعة على وفق قانون الدهقان الشهادي واجبة، وعصر اللب بعد تجرده عن القشر الخارجي والداخلي في ركان الطريقة على وفق رأي الشيخ - الذي هو العقار - الغيبي واجب؛ ليحصل منه الدهن المطلوب من اللب والقشر، وصب الدهن في قنديل الحقيقة بأمر الفراش الحقيقي في حضرة السلطان واجب؛ ليظهر سر تهيئة القشر بأمر الدهقان وتجرد اللب عن القشر الخارجي والداخلي وعصره بأمر الشيخ العقاد وصبه في القنديل بأمر الفراش عند اشتعال النار المباركة المضيئة بيته الخاص عند مطالعة البطلان كتاب جامع الحساب، وثناؤه على نفسه بقوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [غافر: 64]، ويجد الكتاب ذوق ثناء المطالع ويلتذ به أبد الإبادة.

سورة فاتحة الكتاب
وهي سبع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ③ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦﴾ [الفاتحة: 1 - 7].

يا طالب تفسير بطن سورة فاتحة الكتاب، اعلم أولاً أسماءها الأربعة وهي: سورة الحمد، والسبع المثاني، وأم القرآن، وفاتحة الكتاب؛ وتيقن أن الحمد ناسوتي، والسبع المثاني اسم ملكوتي، وأم القرآن جبروتي، وفاتحة الكتاب اسم لاهوتي، فإذا أُطلعت على أساميه، بعد إطلاعك على مطلع النقطة الواقعة تحت باء البسملة في الأصل الأول، وعلى حد البسملة في الأصل الثاني؛ فافهم تفسير بطن البسملة مختصرًا موجزًا مجزءًا عن تفاصيلها، بأن الكتاب الحقيقي يقول ابتداءً بالاسم الناسوتي الأثري، الدال على ذات المسمى اللاهوتي، ألوف بالصفة الجبروتية والفعل الملكوتي في تحرير كتاب جامع الحساب، وتقرير الرطب واليابس المتفرق في مفردات محاسبات ممالك الغيب والشهادة؛ لإظهار الكنز المخفي في الألف المخفي في ﴿بِسْمِ﴾ [الفاتحة:1]، الذي هو مظهر للألف المخفي في ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ [الفاتحة:1]، الذي هو من لام ﴿اللَّهِ﴾ [الفاتحة:1] وهائه، وأتبين بالابتداء بالاسم الأثري أن دار الكسب عالم الناسوت، وبالختم على ﴿الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:1] العقلي أن دار الإقامة والجزاء عالم الملكوتي؛ ليمكن الشقيقة الناسوتية قبول الفيض من الدقائق الجبروتية بواسطة الملكوتي، وللدقيقة الملكوتية قبول الفيض من الحقائق اللاهوتية بواسطة الجبروت، وتشتغل الشقيقة الناسوتية بحمده المسطور في سورة الحمد الناسوتي الموصل لها، لا الحمد المخصوص بالسبع المثاني الشامل فيضه لبياضة دقائق اللطائف السبعة وسواديتها، المنوطة بها الشقيقة الناسوتية المرباة في البدن المجعول.

وفي هذا السر يعرف سبب إطلاق السبع المثاني عليها، ويطلع على معنى السبع ومعنى المثاني، فإذا أحمدته اللطائف السبع في المرتبة البياضية والسوادية مثنى بلسان الإنسان الغيبي، والأنس الشهادي تلهم دقائقها الحمد الجبروتي المخزون في أم القرآن، ثم

تلهم حقائقها الحمد اللاهوتي المستحق للذات المكنون في فاتحة الكتاب، مما أشار إليه صاحب المقام المحمود في حديث الشفاعة بقوله: «**ألهمت بمحامد لا تحضره إلا أن تلحقا بحقائق القرآن المكنونة في هذه السورة**»[1] سميت فاتحة الكتاب؛ لأنها تفتتح كل شيء عالم اللاهوت، ولدقائقه المخزونة فيها سميت أم الكتاب؛ لأن أم الكتاب جبروتي وهو أصل الكتب، ولدقائقه المستورة فيها سميت سبع المثاني؛ لأن اللطائف السبعة غيبية ملكوتية تحدث بلسان البياض والسواد، ولشقائقه المسطورة فيها سميت سورة الحمد الواجب الناسوتي قراءتها في الصلاة، التي هي معراج المؤمن فيها يناجي رب العالمين سميت سورة الحمد؛ فينبغي حينئذٍ أن يعرف معنى بطن هذه السورة يتضح منك القرآن في المعراج وقت المناجاة، وتصلح بأن تكون صلاة مقسومة بينك وبين ربك، كما جاء في الحديث: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، وإذا قال: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أقول: حمدني عبدي إلى أن قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أقول: سألني عبدي، ولعبدي ما سأل**»[2]، وجعل الصلاة قراءة سورة الحمد، وحسبك هذا الحديث في وجود قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة بطنه.

على سبيل الإجمال هو أن يعلم بأن الله الحميد المحمود أراد أن يعلم الخلق بحميده؛ ليحمدوه في عالم الشهادة والغيب، ويجعلوا أنفسهم مستحقين لسلام الحق ورحمته وبركاته، ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:2]، ووصف الله الذي هو المتجلي في العقد الأول الآحادي اللاهوتي للحقائق بصفة الدال عليها اسم الرب، الذي هو المتجلي في العقد الرابع إلا في الناسوتي؛ ليمكن للشقائق الآلافية التمتع بحقائق الحمد والانتفاع بها، وسره قريب من سر الابتداء في البسملة بالاسم الناسوتي، وإفشاء من حد القرآن مما لست مأذونًا في بيانه.

ثم وصف بـ ﴿الرَّحْمَنِ﴾ [الفاتحة:3]، المتجلي بالعقد الثاني المعشراتي الجبروتي للدقائق القائمة بالحقائق؛ ليحمدوه على رحمته العامة الشاملة لجميع الموجودات بعد حمدهم على ربوبيته في الأطوار المختلفة.

---

(1) روى نحوه البُخَارِي 9/ 179(7510) ومسلم 1/ 125 (398).

(2) تقدم تخريجه.

ثم وصف بـ ﴿الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:3]، المتجلي بالعقد الثالث، الماني الملكوتي للدقائق المنوطة بالدقائق القائمة بالحقائق؛ ليحمدوه رحمته الخاصة المحيطة بالمؤمنين في الدار الآخرة، قوله ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب:43]، يدل على صدق هذا البيان، ودعاء النبي ﷺ لهذا التقرير شاهد عدل، وهو قوله: «يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة»[1].

ثم وصف بـ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:4]؛ ليتيقنوا بأن أسماءه أزلية قبل خلق الخلق وظهور العالم، وكان مبدعًا خالقًا قبل الإبداع والخلق، كما أنه مالك يوم الدين قبل إظهاره، ويبالغوا في تحميده بعد تيقنهم بيوم الدين والجزاء، وأنه يدينهم في ذلك اليوم.

ثم أخبرهم بأن الحمد الحقيقي لا يصدر إلا من العبد الحقيقي بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:5]؛ ليعبدوه مخلصين ويحمدوه موقنين بألَّا معبود سواه، وتقديم المفعول على الفعل يفيد الاختصاص؛ ولأجل هذا السر قدم المفعول في العبادة والاستعانة، وكرر بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:5]؛ لئلا يستعينوا إلا بمعبودهم ويتيقنوا بألَّا مستعان إلا هو؛ ليمكن لهم الحمد على معبوديته ومستعانيته، ومن يستعين بغير معبوده يشرك في الحمد غيره، وهذا شرك حقيقي غفل عنه الخواص فضلاً عن العوام، ويقول من يستعين به المستعين بلسان الحال، فاطلب الاستعانة ممن تعبده وتحمده، وما أحسن ما قال صاحب قدم صدق:

استعانة المخلوق بالمخلوق كاستعانة المسجون بالمسجون، اللهم إلا أن المتبعين في المحققين الذين نظروا بعين الوحدة في الكثرة، وعلموا أن الآثار الكثيرة ظاهرة عن الأفعال الصادرة عن الصفات القائمة بالذات، وجعلوا الناس كالبنيان يشد بعضهم بعضًا، ويستعين بأثر الحق الظاهر من فعل الحق الصادر من صفة الحق القائمة بذات الحق بالحق في الحق، ولا يمكن الوصول إلى هذا المقام إلا على سبيل التدريج، وهو بأن يترك الاستعانة من غير الحق مدة مديدة في الوسط، حتى تصح منهم الاستعانة بأثر الحق في الانتهاء، ولا يضرها في مقام الوحدة، فإذا استعنت في حمد الله بالمستعان المعبود المالك

(1) تقدم تخريجه.

الرحيم الرحمن الرب الله المحمود، وحمدته على تعليمه إياك؛ فيزداد في التعليم على قضية ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:7]، ويعلمكم بعد أداء حق الحمد المقدور للبشر سؤال ما كان الناس أحوج إليه في دينهم ودنياهم، وهو: الهداية إلى الصراط المستقيم، والثبات عليه بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6]، وهو أدق من الخط الموهوم بين الظل والضياء والهداية إليه، والثبات عليه لا يمكن إلا بتوفيق الحق.

ثم ينبهكم بأن الصراط المستقيم الذي هدى إليه خواص عباده، وأنعم عليهم بالاستقامة عليه هو الذي ما كان شرقيًا صاحب تفريط وما كان غربيًا، صاحب إفراط بقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:7] بالاستقامة بعد الهداية، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:7] من أهل الإفراط، ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:7] من أهل التفريط؛ ليكونوا خائفين من مكره، راجين من كرمه؛ حتى يجوزوا على الجسر ويدخلوا دار السلام ويشرفوا بالسلام، كما أخبرنا الله الملك السلام في الكلام القديم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر:73].

والخوف والرجاء جناحان للطائر فوق الجسر، إن لم يكن له جناح الخوف لهوى في زمهرير الأمن، فإن لم يكن له جناح الرجاء لهوى في نار اليأس، وهذان الجناحان أثران ظاهران من فعل القهر وفعل اللطف الصادرين من صفة لطيفية وقهارية، وقلب المؤمن بين إصبعي لطفه وقهره يقلبه كيف يشاء، وإلى هذا السر أشار خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ في مناجاته حيث قال: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك»(1)، وهاتان الصفتان ثابتتان لذات الله ذي الجلال والإكرام، فمن يأمن مكر الله وقهره فهو من الخاسرين المفرطين، ومن ييأس من روح الله ولطفه فهو من الكافرين المفرطين، ومن يفرح من لطفه ويخف من قهره من الفائزين الثابتين على الصراط المستقيم في دار التلوين، التي الاستقامة فيها أشد وأشق على النفس من الدخول في النار؛ ولأجل هذا أعدل الخلق مزاجًا «شيبتني سورة هود»(2)، ومراده أمر الله إياه بالاستقامة بقوله ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود:112]، فحق له التشيب؛ رأفةً على من معه، وخوفًا على

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

تقصيرهم في الاستقامة، فإذا علمت هذه الفوائد فخذ نصيبًا من فوائد أسمائه الحسنى المبسوطة في بساط هذه السورة، وهي المنعم الهادي المستعان المعبود المالك الرحيم الرحمن الرب الله المحمود.

وتيقن أنه تعالى ينتبه باسم المحمود لطيفة بغيبة القارئ، وباسم الله لطيفة طفلية، وباسم الرب لطيفة جنينية، وباسم الرحمن لطيفة خلقية، وباسم الرحيم لطيفة لحمية، وباسم المالك لطيفة عظمية، وباسم المعبود لطيفة حط مضغية، وباسم المستعان لطيفة علقية، وباسم الهادي لطيفة نطفية، وباسم المنعم لطيفة سلالية عن سر النقطة الأحدية، التي هي مظهر للنقطة الذاتية، وعن سر الحياتية والسمعية والبصرية والمتكلمية والعلمية والمريدية والقديرية والحكيمية والواحدية، والأسماء المطهرة في هذه السورة دالة على حضرة النقطة الأحدية وحضرات صفاتها الأربع، فمن يطلع على أسرار هذه الأسامي العشرة المظهرة والمضمرة، المدرجة في درج فاتحة الكتاب، المخصوص بالنبي الأمي صاحب لواء الحمد في المقام المحمود، ويعبده حق عبادته في الشهادة والغيب بحمده، حق حمده باللطائف السبع على وفق الشرع، مخالفًا للطبع بقدر الوسع يؤذن بالدخول في الحضرة العظمى، التي هي منتهى مأرب الحجاج في المعراج، والداخل فيها إن شرف بالطهارة الكبرى يكون آمنًا من المكر والاستدراج.

وحمد اللطيفة القالبية: اشتغال جوارحها وأعضائها في عبودية الحق.

وحمد اللطيفة النفسية: ترك هواها بالإعراض عن الدنيا، والإقبال على المولى في النعماء والبلوى؛ بحيث لا يمكن للشيطان إلقاء خاطر في ردعها من الخواطر، التي كانت فيها مخالفة لله تعالى.

وحمد اللطيفة القلبية: حفظ المرآة عن إفشاء سر ما يشاء، في هذه المرآة.

وحمد اللطيفة الروحية: ترك غيرتها على اللطيفة القلبية؛ لقلة التفاتها إليها لكثرة اشتغالها بمراقبة المرآة، وإقامتها محاذاة الوجه.

وحمد اللطيفة الخفية: حيرتها في مشاهدة ما في المرآة من الآيات البينات.

وحمد اللطيفة الحقيقة طالعة سوى الحق في الكتاب المسطور بقاف قلم؛ فإنه صاحب المقام المحمود، الآخذ من دال ذوات روحانية أحمدية ميم مداد نورانية محمدية؛

ليظهر على لام لوح قدمه صور ما في كنز القدم وصورها، يأخذ الفيض من الاسم المحمود الشامل للمعارف محمدًا مفصلاً، الحاوي وولايته بدال الدوائر الأربع في الموقف الأعظم، ومن اسم الله بألوهيته في عالم اللاهوت، ومن اسم الرب بربوبيته في عالم الناسوت، ومن اسم الرحمن برحمته في عالم الجبروت، ومن اسم الرحيم برحمته الخاصة في عالم الملكوت، ومن اسم المالك بعزته في المواقف الآثارية، ومن المعبودية بسلطنته في المواقف الأفعالية، ومن اسم المستعان بقيوميته في المواقف الصفاتية، ومن اسم الهادي برأفته في المواقف الذاتية، ومن اسم المنعم بمنعميته في المواقف النقطية وسرها، بقبول المعبود المحمود هدية الحمد منها في الخواص والمحاضر والحضرات يتبين في سيماء حاله، وعلامة قبول الإذن بالدخول في الحضرة العظمى: حصول الطهارة الكبرى.

ولولا ملالة طبعي من الكتابة؛ لبينت بطون القرآن من أوله إلى آخره في هذه السورة الواحدة، الجامعة لمفرقات الأحكام السياسية والطهارية والعبادية الشاملة للمواعظ، والأمثال والحكم المخصوصة باللطائف السبع، وتربيتها في أطوارها المختلفة، وسبب ظهور الملالة مطايا الهمم عن السير في طلب معاني الأمور، وأخذ فيض ضياء العلم من منبع النور، وعدم من يفهم ما كتبته منذ عشرين سنة، وقلة التفات الناس الناسي مبدأه ومعاده إلى المعارف الرحمانية، وكثرة اشتغال الخلق بمزخرفات المتفلسفين وطامات المتصوفين وترهات الحسوميين مما يستنكف منه، مقتفو آثار [الفلاسفة] عن متابعي سنن السنن الإسلامية من علماء الربانية، وقصور همة الفقهاء والحكماء والمشايخ، هداهم إلى الصراط المستقيم على الذات العاجلة والطلاب والسُّلاك، أعلى الله همتهم على المكاشفات السرية والمشاهدات الروحية والتجليات الصورية والنورية.

اللهم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:6-7]، نعمة الإيمان الغيبي، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:7]، ممن حرم نعمة الإيمان الشهودي، آمين يا رب العالمين؛ أي: استجب دعائي ولا تخيب رجائي، وصلى الله على خير خلقه سيدنا وقرة أعيننا: محمد وآله وصحبه أجمعين.

هذا أول المجلد الرابع والعشرين من كتاب «مطلع النقط ومجمع اللفظ»، ومن الطور المجلد العشرون منه، وعدد مجلدات «مطلع النقط» من غير تفسير موافقة ثماني

وعشرون، و«تفسير المواقف» وهي مائة وإحدى وثلاثون ألفًا ومائة وإحدى وثلاثون، وقد كتبت بإلهام شرح موقفين منها إن ورد علي قياسًا عليهما يكون ثلاثة آلاف وأربعمائة وخمسة وستين مجلدًا كل مجلد أربعون كراسًا عشرة أوراق كل ورقة أربعون سطرًا.

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥﴾ [الطور: 1 -15].

اعلم يا طالب النور على الطور والعلم في الكتاب المسطور، والحكمة على الرق المنشور، والحقيقة في البيت المعمور، والحق على السقف المرفوع، وسر الباطن في البحر المسجور، أن هذه لطائف أودعها الله في وجودك؛ لتعرف أسرارها، ويحصل لك بها السرور والحبور في القبور، ويتنعم بتلك اللطائف بعد النشور في مرر الحور، المنكبة على أريكة المعرفة فوق القصور، ويتقن بأن قالبك هو الطور، وسرك هو الكتاب المسطور، وقلبك هو الرق المنشور، وروحك هو البيت المعمور، وصفتك هي السقف المرفوع، ونفسك هي البحر المسجور في عالم الأنفس.

والله تعالى أقسم بها في الآفاق، كما فسره المفسرون بقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[1].

---

(1) قال روزبهان: أقسم الله ههنا بذاته وصفاته وفعله، الطور ذاته القديم، والكتاب المسطور صفاته القديمة، والرق المنشور أفعاله اللطيفة، وأيضًا الطور قلب محمد ﷺ، والكتاب المسطور رموز ما أوحى، والرق المنشور أسراره المنقوشة بأنوار وحيه وإلهامه وغرائب علومه اللدنية، ظاهر قسمه على الطور الذي تجلى له الحق، فإذا كان ذلك محل قسمه بتجلٍ واحدٍ فما تقول في طور لا تنفكُّ أنوار تجليه منه، وهو قلب محمد ﷺ، سماه طور العظمة واستقامته في موازاة سطوات عزته، وسمى قلب غيره من الأنبياء والأولياء بالبيت المعمور، الذي عمَّره بنور القربة والمشاهدة والعلم والحكمة والمعرفة والوجد والحال والمكاشفة، ويمكن أنه تعالى أراد به صورة محمد ﷺ وصورة أبيه آدم، الذي خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وجعله مرآة ظهوره، وجعل روحه ورق أسرار علومه التي ذكرها بقوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ روح محمد ﷺ الذي رفعه الحق إليه، ومقام عنديته أرفع من كل

[الطور:1-6]، وعالم الآفاق ملك عالم الأنفس مظهر لصفة باطنية الحق، كما أن عالم الآفاق مظهر لصفة ظاهرية الحق تعالى، وهو تعالى عالم الغيب والشهادة، ويجوز أن يقسم بمظاهر ظاهريته وباطنيته، ولكن الطور الآفاقي لا يتعلق بك، وكل ما هو كائن في الآفاق إذا أخرجت من عالم بَذْلِك الآفاقي بقي في عالمه، ويكون بينك وبين ما فيه بعد المشرقين؛ فاطلب طورًا يكون معك بعد خروجك من عالم الآفاق، وهو طور قالبك الباقي بعد الحشر معك إما متنعمًا في الجنة وإما متألمًا في النار، واجتهد اليوم أن تجعله نورًا لا ظلمانيًا؛ ليكون قبرك منورًا لا مظلمًا مكدرًا في البرزخ، ويكون مأواك الجنة لا جهنم بعد خلاصك من البرزخ، وإن لم تنوِّر طورك اليوم، ولم تسكن البحر المسجور الذي سجر بنيران الشهوة والغضب والكبر، بماء الذكر وثلج الرياضة وبرد الأخلاق الحميدة.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور:7]، ولكل لطيفة عذاب يختص بها دون غيرها، وأشد العذاب ذل الحجاب وهو أن ليس له واقع بعد الوقوع، كما يقول: ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾

- رفيع من العرش إلى الثرى، وأيضًا يمكن أنه أراد به العرش.

﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾: بحر سر محمد ﷺ؛ لأن ذلك البحر ملأته أنهار قاموس علومه القديمة، وأسرار كلماته الباقية، وأيضًا الطور طور سيناء الذي هو موضع التجلي والكلام.

والكتاب المسطور ما كلَّم الله به موسى، فصار منقوشًا في ورق قلبه، أقسم بالطور وبقلبه وبما فيه مما سمع من كلامه. ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾: أيضًا ما كتبه بيده على ألواح موسى.

﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾: أيضًا قلبه كان معمورًا بنور مشاهدته؛ ولذلك خاطب الله موسى بقوله: فرغ بيتًا لي أسكن، فلما سكن في بيت قلبه عمَّره بنور قربه. ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾: كنايةٌ عن ذاته القديم الذي امتنع بعزته عن تناول الحدثان، ألا ترى كيفما بلغ أماني موسى، فقال: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ بعد قوله: ﴿أَرِنِيٓ﴾. ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾: صدر موسى الذي هو مملوءٌ من نيران شوقه وحزنه، حين لم يدرك حقائق جلال الألوهية الذي استحال وجود الحدث عن إدراكه بوصف الإحاطة والحقيقة، وأيضًا عم في هذه الأقسام جميع العارفين والصديقين، الطور أرواحهم، والكتاب المسطور إلهامهم، والرق المنشور عقولهم، والبيت المعمور قلوبهم، والسقف المرفوع أسرارهم، والبحر المسجور صدورهم، أقسم بأرواحهم؛ لأنها مواضع تجليه، وأقسم بما خاطبهم من الوحي والإلهام، وأقسم بعقولهم؛ إذ هي ألواح علومه الغيبية، وأقسم بقلوبهم؛ إذ هي مساكن المعارف ومساقط أنوار الكواشف، وأقسم بأسرارهم؛ إذ هي تصعد إلى مصاعد الملكوت ومعارج الجبروت، وأقسم بصدورهم؛ إذ هي مملوءةٌ من سناء العرفان وضياء الإيمان وأنوار الإسلام.

[الطور:8]، ولا حيلة للسالك في دفعة خاصته.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ﴾ [الطور:9]، سماء الصدر ﴿مَوْراً﴾، ﴿وَتَسِيرُ الجِبَالُ﴾ [الطور: 10]، جبال قوى معدنيته ﴿سَيْراً﴾ [الطور:10]، عند مشاهدته قوته القابضة النازعة، التي هي عزرائيل تقبض قوى روحانيته السارية في عودته، وينزع من ذرات وجوده اللطيفة الحيوانية، التي هي من خصائص صفات روحانيته.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ [الطور:11-12]؛ أي: يخوضون في غمرات البحر اللجي الدنيوي، ويلعبون فيها يزيدها الباطل ومتاعها القليل، ويكذبون اللطائف المستخلصة عن الأكدار المتحلية بالأنوار المرسلة إليهم بالإنذار والإيثار؛ لاشتغالهم بالدنيا الفانية، ومتاع الغرور وغفلتهم عن الآخرة الباقية، التي هي دار السرور.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور:13-14]؛ أي: تكذبون اللطائف المرسلة إليكم الداعية لكم إلى الحق، فهذه النار التي كانت فيكم، وأنتم أشعلتموها في وجودكم، وأوقدتموها بنيران الحسد والحقد والكبر والغضب والبغض، وجمعتم لها حطب الحطام الدنيوي من الدراهم والدنانير والأموال والأملاك والمواشي، فصار المجموع حطمتكم مما تكوي بها جباهكم وجنوبكم.

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ [الطور:15]، الذي يدفعكم خزنة نيرانكم إليها دفعًا، ويقولون معكم: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور:14] دار الكسب خلف الأستار، وتنكرون اللطائف المنذرة غاية الإنكار، وستهزئون بالإنذار، فسحر هذا الذي تبصرونه اليوم، الذي كشفنا عنكم فيه الغطاء ورفعنا الأستار، أتظنون أن الذي تشاهدونه ليس حقيقة أم سحر أعينكم، ﴿أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الطور:15]، حقيقة.

﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾

وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور: 16 - 23].

﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:16]؛ يعني: صلوا النار التي أنتم أوقدتموها، وأشعلتم حطب الحطام بنيرانها، ﴿فَاصْبِرُوا﴾ وهو أمر على طريق الظن والاستهزاء بهم، ﴿أَوْ لاَ تَصْبِرُوا﴾ وهو كلام يتكلم المتكلم به على طريق عدم الالتفات إلى حال المجرمين، ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أن تصبروا على هذه النار ﴿أَوْ لاَ تَصْبِرُوا﴾؛ لأن إخراجكم من هذه النار التي أنتم أشعلتموها في دار الكسب محال غير ممكن، هذا جزاؤكم على ما كسبتم من حطب الحطام، واجتهدتم في إيقاد النار، وبالغتم في اشتعالها بريح القوى.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الطور:17] الذين اتقوا متاع الدنيا، وهو ما عده الله تعالى في كلامه؛ حيث بيَّن ما زينه الشيطان للإنسان بقوله ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:14]، ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [آل عمران:15] عن هذه الأمتعة التي ذكرناها، وعن نيران الشهوة والغضب والكبر والحسد عند ربهم جنات، كما يقول في هذه السورة ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الطور:17-18]، من العلم النافع، الذي حملهم على التقوى من متابعة الهوى والاشتغال باللعب واللهو في جميع أمتعة الدنيا، التي هي الحطمة في العقبى.

﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الطور:18]؛ يعني: بعد أن يلهيهم الله بالعلم النافع وقاهم من العذاب بالتوفيق الذي أعطاهم الله؛ ليجتهدوا في إطفاء نيران الشهوة والغضب والكبر، وإخمادها بالماء والثلج والبرد.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:19]؛ يعني: ﴿كُلُوا﴾ من ثمرات المعارف المختصة باللطيفة النفسية، ﴿وَاشْرَبُوا﴾ من العيون المختصة باللطيفة القلبية، ﴿هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال الصالحة الظاهرة على الجوارح، والإخلاص والصدق الباطن المختص بالقلب.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور:20] بما صفوا أسرارهم مستريحين بمشاهدة أنوارهم، ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور:20]، بما تركوا في البحر المسجور وهو النفوس، زوجنا لطيفة حورية روحانيتهم بمعاينة صورة الذكر الخالص عن الخواطر الودية.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الطور:21]، من قوى لطائفهم باللطيفة المرسلة الخفية، وما مضى عليهم من الأمور الغيبية، ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [الطور:21]؛ أي: قوى قالبيتهم ونفسيتهم ﴿بِإِيمَانٍ﴾ [الطور:21]؛ يعني: ما عملوا بالجوارح الظاهرة والقوى الباطنة شيئًا ينقص حقيقة إيمانهم، من ارتكاب المناهي والاشتغال بالملاهي، والاجتراء على المعاصي مما يؤخذ صاحبه وقت كشف الغطاء بالنواهي، ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: 21]؛ يعني: ألحقنا باللطائف قواهم المزكاة في التمتع بالأكل والشرب وما تشتهي أنفسهم، ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور:21]؛ أي: ما نقصنا من آبائهم بما أعطينا ذرياتهم، ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:21]، هذه إشارة إلى أن اللطائف أجور خاصة مما يليق بحالها من معارف الحقيقة الإلهية، وللقوة المذكورة أجورًا خاصة من المعارف الحقيقية والروحية والسرية والقلبية، وللجوارح أجورًا خاصة مما يليق بها من التنعم بالنعيم المقيم، والحور العين، وما اشتهت أنفسهم في الجنة، فكل جارحة من الجوارح أو قوة من القوى أو لطيفة من اللطائف بحسب سعيها في طاعة الله تعالى في دار الكسب، يجزيها الله في دار الجزاء بمثل ما كسبت وسعت وادخرت لنفسها، كما يقول تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم:39]، ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ [النجم: 40] خيرًا كان أو شرًا.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور:22]، هذه أيضًا لقوى نفوسهم الباطنة، وجوارحهم الظاهرة المتحلية بالطاعة، ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ﴾ [الطور:23]؛ يعني: يكون كؤوس استعدادات اللطائف مملوءة من شراب المشاهدة، منزهًا من كل باطل من كل شيء يأثم به شاربه، وهذه مدخرة لهم في دار الجزاء، ينظرهم كؤوس استعداداتهم من اللغو والتأثيم والرفث والكذب والغيبة والكبر والحسد وأمثالها في دار الكسب، يتناولون في دار الجزاء كؤوس استعداداتهم المطهرة المملوءة من

شراب المعرفة.

﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الطور: 24 - 31].

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ [الطور:24]؛ أي: غلمان أخلاقهم الكريمة الشريفة، ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور:24] في اللطافة مصورة عن أن يصل إليه غبار عالم الحدوث، وكدورة دخان الهوى.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الطور:25] عن هذا النعيم كيف يستحقها، ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور:26]؛ يعني: كنا نشفق على قوانا وجوارحنا المستعملة في دار الكسب، ونمنعها عن التورط في غمرة، والاشتغال باللهو واللعب، والاشتغال بنيران الشهوة والغضب، ﴿فَمَنَّ الله عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور:27]، يعني منَّ الله علينا بالتوفيق في دار الكسب للإشفاق على الأهل والتوخي عن متاع الزور وادخار هذه النعمة في دار الجزاء، بأعمالنا الصالحة التي عملناها بتوفيقه، ووقانا أيضًا من عذاب السموم، الذي هو نتيجة ريح الهوى ونار الشهوة بمنِّه وتوفيقه، الذي أعطاناه لتسكين ريح الهوى وإخماد نار الشهوة في الدنيا.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور:28]؛ يعني: أنبأتنا اللطيفة المرسلة بأنه هو البر الرحيم، إننا بلطائفنا دعوناه بأسمائه الحسنى وعرفناه بصفاته المثلى، وعلمناه بأنه كان تاب علينا حين أوجدنا وأبدعنا أولاً، ثم رحيمًا علينا بإرساله اللطائف المرسلة إلينا، وتنبيهها إيانا بأن فيها النيران وقتل الحيات والعقارب، وتعليمها لنا كيفية إخماد النيران وقتل الحيات والعقارب، وكيفية تبديل هذه الصفات الذميمة بالصفات الكريمة، التي هي الغلمان والولدان، التي نحن نتنعم بمشاهدتهم اليوم صورها؛ ﴿ فَذَكِّرْ﴾ [الطور:29]؛ يعني: ذكري أيتها اللطيفة الخفية قواك وأمتك ما علمناك

بالوارد، وبصرناك بكشف الغطاء ليشاهد ما في الغيب، ولا تخافي من أسن القوى المنكرة المنافقة المشركة بأنهم يقولون: إنك كاهن يلقي إليه الشيطان هذه المعاني، أو مجنون خلط عقله من كثرة المجاهدة، وضعف دماغه من خشونة الرياضة؛ ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ﴾ [الطور:29]، والذي دعاني إلى كتب هذه الإشارات أو الرموز، وهداني إلى إبراز هذه الجواهر النفيسة من الكنوز هو أمره الجازم المطاع، ولست ممن يخاف لومة لائم، ولا ممن يبالي بأن يقال له: إنك كاهن أو مجنون.

وأقول حقًا وأعرف صدقًا بأن ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ [الأنعام:125]، ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [البقرة:26-27].

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ﴾ [الطور:30]؛ يعني: تقول القوة المنكرة المنافقة: إنه شاعر مثل الشعراء الماضين، فعن قريب يموت ولا يبقى له تبعًا؛ فنهي ألّا يلتفت إلى قوله، ولا نترك هوانا ومشهياتنا ودين آبائنا، وهو متابعة الهوى على وفق مراد النفس.

قولي أيتها النفس اللطيفة الخفية ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ [الطور:31]؛ أي: انتظروا الموت، ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ المُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور:31]؛ يعني: إني أيضا منتظر، حتى يأتيكم الموت بغتة والأمر فجاءة، ويكشف عنكم الأغطية، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا....﴾ [السجدة:12] الآية، ويجيبكم القدر بقوله: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:108].

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الطور: 32 - 41].

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا﴾ [الطور:32]؛ يعني: أيتها القوى المنكرة المكذبة،

أتأمركم عقولكم بالإنكار على أهل الحق والتكذيب؛ لما يقولون صدقًا حقًا، ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطور:32]، أم هذه القوى المنكرة الطاغية قوم طردهم الله عن حضرته؛ لما عرف من طغيان قواهم المكدرة بالهوى، المتلوثة بالحظوظ الباطلة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ [الطور:33]؛ يعني: أم تقول هذه القوى المنكرة: إنك تنشدت بفصاحتك، ويختلف هذا الوارد من عند نفسك، وتسحر قلوب المستمعين ببيانك؛ ليكونوا تبعًا لك، ﴿بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [الطور:33]، بما يقول أهل الحق من الحق بحكم الوارد الخفي الجلي.

قل لهم: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور:34]، يعني: أيتها القوى القالبية والنفسية الغير مزكاة: إن كنتم تدعون أن اللطيفة الخفية تقول من عند نفسها مما تخبر من حقيقة الطور، وبقاء النقش المسطور في الرق المنشور، والتنعم في البيت المعمور والسقف المرفوع، والمعالم في البحر المسجور بعد البعث من القبور، فلتأتوا أنتم أيضًا من عند أنفسكم ﴿بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في هذا الحديث.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطور:35]، يعني: أيتها القوى المنكرة أنتم تظنون أنكم خلقتم من غير خالق، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:35]؛ يعني: أم أنتم خلقتم أنفسكم، ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [الطور:36]؛ يعني: آأنتم خلقتم سماوات روحانيتكم وأرض بشريتكم، وأنتم عاجزون عن جذب نفع أنفسكم، ودفع ضر عن أنفسكم، فكيف تقدرون على خلق أنفسكم وخلق سماوات روحانيتكم وأرض بشريتكم؟! ﴿بَل لاَّ يُوقِنُونَ﴾ [الطور:36]، بهذه المعارف لغلظة غلظاء غفلتهم، وكثافة حجاب جهلهم، ولا تعلمون أن هذه المعارف من مواهب الحق، لا يمكن لأحد من المخلوقين أن يتكلم بها إلا بإلهامه.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ﴾ [الطور:37] رحمة ﴿رَبِّكَ﴾ [الطور:37]، يعطونها لمن يشاءون ويمنعونها ممن يشاءون، ﴿أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [الطور:37]، أم هم المسلطون على خزائن مواهب الرب ودفائن معارفه، يعملون بها ما يشاءون، ويتصرفون فيها كما يريدون.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور:38]؛ يعني: أم لهم استعداد الإشراف على

[الوحي] ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الطور:38]؛ يعني: لم يكن لأحد أن يجعل من استعداده سلمًا باختياره وقوته، ويسمع من الحق تعالى الحقيقة أو من أهل الغيب اللطائف الغيبية، ويقدر إتيان مثل هذه الحكمة التي نحن نلهم اللطيفة الخفية.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ [الطور:39]؛ يعني: تقول القوى الروحية الأنسية بالهوى المدنية بالنفس أن القوى الفاعلة منهم والقوى القابلة من اللطائف، لا يعرفون أن جميع القوى من اللطيفة الفائضة من الحق صدرت، ووصلت إلى كل ذرة من ذرات الموجودات وقت مد بحرها في عالم التفرقة، ثم جمعتها عند الجزر في عالم الجمع، فالقوى التي أنتم تجدون في نفوسكم، هي: القوى المودعة فيكم وقت المد الذي أنتم بها قائمون باقون.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور:40]؛ أي: تسألهم اللطيفة المرسلة أجرًا بإرسالها إليكم المعاني الواردة الهادية لكم إلى الصراط المستقيم، فيثقل عنكم من الأجر، فأنتم تنكرونها ولا تقبلون هديها.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور:41]، يعني: أم تعلم القوى الروحية المدنسة بشهوات النفس، المستأنسة بطبيعة الهوى علم الغيب؛ فيكتبون ما يجري في الغيب بأن يحكموا على أن اللطيفة المرسلة تحتهم على هذا الطريق من تلقاء نفسها، وتهديكم إلى سبيل الرشاد؛ ليكثر أتباعها.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) وَإِن يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (٤٤) فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)﴾ [الطور: 42 - 49].

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً﴾ [الطور:42]، يعني: بكيد القوى الروحية الدنسية الأنسية لغاية حسدها للطيفة الفائضة من الحق، وجهلها باشتقاق اللطيفة عليه؛ لقصور علمهم على شهواتهم العاجلة وينكرون اللطيفة، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [الطور:42]؛ يعني: إذا خرجوا من عالم الخيال وعاينوا ما وعدتهم اللطيفة، وأوعدتهم في الغيب تحسروا

من إنكارهم وكفرهم، ولا ينفعهم إلا العذاب الأليم الدائم؛ فكانوا في الحقيقة مكيدين بإعطاء اختيارهم وقوتهم التي بها كادوا اللطيفة وبإمهالهم زمان الإنكار.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللهِ﴾ [الطور:43]؛ أي: هم يقولون: إن إله اللطيفة إله آخر، وإلهنا إله آخر يأمرنا إلهنا بما نحن فيه، ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور:43]، إن الله منزه عن الشرك مقدس عن النظير والشبيه، متعالٍ عن أن يكون له ضد ولا ند في الملك والملكوت، وله فيهما ملكًا وطلقًا وملكًا حقًا من الشقائق والدقائق المتصلة بدقائق الجبروت، المربوطة بحقائق اللاهوت.

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً﴾ [الطور:44]؛ أي: عذابًا من سماء الصدر، نازلاً عن القوى الروحية المنوطة في النفس والقالب، يقولون قبل أن يصل إليهم أنهم ﴿يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور:44] بعضه ببعض؛ لتسقينا من مطر الرحمة.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور:45]؛ يعني: اتركهم حتى يلاقوا، ويعاينوا يوم كشف الغطاء العذاب الواصل إليهم بعين العيان، ويصعقون من هيبة العذاب ولا صراخ لهم ﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور:46]؛ لأنهم ضيعوا الاستعدادات التي أعطيناهم من الآلات والأدوات الجسمانية والروحانية عارية؛ ليكتسبوا بها في دار الكسب النعيم الأخروي الباقي، واستعملوها في تحصيل نعيمهم الدنيوي الفاني، وحصلوا بتلك الآلات والأوقات والإنكار والأغلال والعذاب الأليم الدائم، فليس لهم صريخ، ولا نصير.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الطور:47]؛ أي: القوى التي ظلمت على اللطيفة الخفيفة، يمنعها عنها حقها من الحظوظ النفسانية المزكاة، ﴿عَذَاباً دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور:47]، وهو عذاب يحصل لهم من عملهم بأن اللطيفة كانت معهم في جميع الأحوال، رقيبة لهم مطلعة عليهم، وهم قصروا في خدمتها وكادوا بها كيدًا عظيمًا، وظلموا عليها بمنع الخلق الحظي عنها، وهذا من أشد العذاب، وفي دار المقام للقوى الظالمة الكافرة الباقية العارفة بما ضيعت وقصرت، ولا سبيل لها إلى الرجوع للتدارك، ولا تنسى أبد الدهر تقصيرها.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الطور:47]؛ يعني: لا يعلم أكثر الخلق اليوم ما يدخر لهم من مكتسباتهم غدًا في دار المقامة؛ لكثافة حجب جهلهم بأجر الآخرة، وقصور

نظرهم عن اللذات الآجلة، مقصورة همتهم على الشهوة العاجلة، وغلظ أستار ظلمهم من ظلام وجودهم.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور:48] يا صاحب اللطيفة الخفية، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(1) [الطور:48]؛ أي: بحفظنا [وأمننا] وأنت عزيز عندنا، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الطور: 48]؛ أي: نزهه عن الشريك، وتيقن أن تنزيهك وتسبيحك له من توفيقه، واحمده حمد العاجز عن أداء حق حمده؛ ليكون هذا العجز منك محمودًا عند ربك ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور:48]، مقام العبودية على عتبة العبدية.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾[الطور:49]، يعني: فسبحه عند نزول السكينة عليك؛ ليدخلك في دار الحرية ويجلسك على سرير الكرامة، ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور:49]؛ أي: إدبار نجوم اللطائف عند ظهور نجم اللطيفة الخفية، وأيضًا وقت هلاك النجوم عند ظهور قوى شمس الوجه، كما بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:88].

فينبغي أن يسبح السالك له عند ظهور نور الوجه بلسانه، ويتحرز عن إثبات وجود غير وجوده؛ لأنه شرك مطلق في ذلك المقام، ويدوّ نجوم القوى الروحانية أيضًا دليل قاطع على طلوع شمس الوجه على سبيل الجذبة والسر، الذي به صارت اللطائف القالبية والنفسية والقلبية والسرية والروحية والخفية محلاً للقسم.

وذكر البحر المسجور بعد ذكر اللطائف القالبية والقلبية والسرية والروحية والخفية في القسم الملكوتي والسر، الذي سلك القلب في سلك السر في القسم، وإن القسم بقاف القلب مدرج في قاف والقرآن، والخصوصية التي بها ما أقسم بين قسمه باللطائف

(1) أي: بأعيننا ترانا. قال سهل: ما نظهره عليك من فعل وقدرة تتولى جلتك بالرعاية والكلاءة بالرضا والمحبة والحراسة من الأعداء. وقال ابن عطاء: فإنك بأعيننا أي: مغمور في حفظنا، وغريق في فضلنا، ومستور بحفظنا، ومن اختصّ بالله كان في حفظه، ومن كان في حفظه كان في مشاهدته، ومن كان في مشاهدته استقام معه ووصل إليه، ومن وصل إليه انقطع عما سواه، ومن انقطع عما سواه عاش معه عيش الربانيين. وقال الحسين: اصبر؛ فإن صبرك بتوفيقنا وبشهود عيوننا؛ فلذلك حصلت العيون منك عيونًا؛ إذ أنت الناظر إلينا بنا، ولم تنظر إلينا بما لنا وعنا، فتكون بذلك محجوبًا عن واجبنا. وقال جعفر: عند هذا الخطاب سهّل عليه معالجة الصبر واحتمال مؤنه، وكذلك كل حال يرد على العبد في حال المشاهدة.

الخمسة، باللطيفة القلبية والخفية، وأقسم منهما منفردًا في سورة قاف والنجم، وسورة النجم مكية وهي اثنا وثلاثون آية من حدود القرآن، ولا يمكن لأحد أن يفسر حد القرآن برأيه الملكوتي؛ لأنه يتعلق بأسرار عالم الجبروت، ومطلع القرآن يتعلق بأسرار عالم اللاهوت، فأما بطن القرآن من أسرار عالم الملكوت، والذي أشرت إليه في تفسير هذه السورة كان من بطن القرين مما ينبغي للسالك أن يعرفه؛ ليمكن له السلوك ويصح له التوجه إلى مالك الملوك، فالواجب على مفسر ظاهر القرآن ألَّا يفسر إلا بالسماع، وعلى المحقق ألَّا يفسر البطن إلا بإلهام، وعلى الموحد ألَّا يفسر الحد إلا بإذن، وعلى المطلع على سر الذات أن يصير ألكن، وأبكم في مطلع القرآن؛ ليكون هو المبين، والله المستعان وعليه التكلان.

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: 1 - 15]. أيها المسبح بأعداد النجوم سبح عند نزول النجم الحقيقي الذي صار محلاً للقسم، حيث قال في كتابه المحكم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[1] [النجم: 1]؛ يعني: بحق اللطيفة الخفية النازلة على محمد المصطفى ﷺ، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: 2]؛ يعني: ما ضل محمد ﷺ فيما اختار طاعة الله وعبادته، وما غوى فيما يأمركم به وينهاكم عنه، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: 3]، وما يتكلم عن هوى نفسه أبدًا، ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 4]؛ يعني: ليس نطقه وكلامه إلا وحيًا من الله تعالى يوحي إليه، ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: 5]؛ يعني: علمه جبرائيل الذي هو أمين الوحي، وحظك منه أيها السالك في عالم الأنفس أن تعلم أن الله أودع فيك اللطيفة الخفية؛ وهي داعية إلى الحق اللطائف القالبية

---

(1) أقسم الله بالنجم، وذلك النجم إلهام قلوب الملهمين حين يسقط من صحائف الغيوب إلى معادن القلوب، وأيضًا أي: بأنوار تجلي جماله وجلاله إذا وقع على أرواح العاشقين، وأيضًا بألحان بلابل علومه اللدنية التي تترنم بحقائق ما كنز الحق في كنوز القدم إذا جلست على أغصان ورد بساتين أسرار العارفين، فتكلموا، وأخبروا بها من مكنون غرائب علوم الصفات والذات، وأيضًا أي: بواردات الجذبية التي تبدو بأنوارها من الغيوب لفهوم المحبين، وتسقط على أسرار الواصلين، وتزعجها إلى مشاهدة رب العالمين حقائقها المواجيد والحالات والكشف والمشاهدات وأيضًا أي: بالأرواح العاشقة الشائقة إذا صعدت إلى ملكوت الغيب، وتسقط إلى بحر جبروت الرب، وتحمل مياه حياة القدم من بحر البقاء، وتأتي سكرى إلى معادن الأشباح، وتضوع نفحاتها في بساتين العقول ورياض القلوب، وأيضًا بما نبت في بساتين قلوب الأولياء من عجائب أصناف أزهار الحكم والمعارف والعلوم والفهوم، أي: بهذه المقسمات الشريفة والنيرات الواضحة ما ضلَّ حبيبي عني لمحة وما احتجب بشيء دوني لحظة، وما اعوجَّ عن طريق استقامته قط.

والنفسية، والقلبية والسرية، والروحية والخفية، وقواها والوارد الذي يرد عليك عند التصفية والتزكية كان من عند الله، علمتك القوة الروحانية الشديدة على الشيطان.

﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم:6]؛ يعني: ذي قوة معتدلة بأمر الحق عند اللطيفة الخفية، ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [النجم:7]؛ يعني: محمد كان بالأفق الأعلى حين ذي قوة استواء جبرائيل والأفق الأعلى كان لمحمد ولروحانيته؛ لأن أفقه كان أعلى الأفق، ولكل لطيفة أفق إلى ما فوقه وأفق إلى ما تحته، فلمحمد أفقان:

أفق الفوق إلى الحق: وهو الأفق المبين.

وأفق التحت إلى الخلق، والأفق الأعلى؛ أي: أفقه أعلى الأفق ومنتهى وصول اللطائف إليه، فكذلك للطيفتك الخفية أفقان فاطلب أفقها، واجتهد أن تأخذ من الحق في الأفق المبين؛ يعني: بلا واسطة ولا تقنع بالستور؛ لئلا تكون ممن أكل من تحته، وكن عالي الهمة لتأكل من الفوق والتحت ومن جميع الجهات، ثم لا تقنع بهذا حتى تصل إلى مقام تأكل منه، ولا يمكن لأحد أن يأكل من ذاته إلا بعد وصوله إلى الذات الواحدة وهلاكه فيها، وبيان سر الهلاك في الذات يقرع باب الطلع، وأما مأمور شدة فأعبر وأعتبر.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم:8]؛ يعني: نزل شديد القوة على اللطيفة ودنا منها فكان دنوه، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم:9] مقدار قوسين أو أدنى، افهم يا سالك أن اللطيفة الخفية دنت من الحق، فتدلت بنزولها من أفق الأزل إلى أفق الأبد حتى تصل أفق الأزل بالأبد، وهو عبارة عن ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[1] [النجم:9]، إشارة إلى: اتصال

---

(1) قال البقلي: أي: بيني وبينه قوس الحدوثية وقوس الأفعالية، فبقي بين القوسين عن إدراك العين بالحقيقة بالعين والقلب، وأيضًا ظن أنه وصل؛ إذ لا فصل هناك ولا وصل ولا قرب ولا بعد، فإن ساحة الكبرياء منزَّهةٌ عن هذه العلل، فبيَّن له الحق أن بينه وبين الحق قوسين: قوس الأزل، وقوس الأبد، ومن يصل إلى من بعد منه من الأزل إلى الأبد أي: الحدث بعيدٌ مني بقدر الأزل والأبد؛ إذ لا قدر في الأزل والأبد، وكيف يصل إلى من تنزيهه أبعده بالأزل والأبد من ذاته وصفاته، فإذا كان كذلك استحال قرب الحدث من ذاته وصفاته من حيث المسافة، وأيضًا رمى الحق سهم الدنو من قوس الأزل، ورمى سهم التدلي من قوس الأبد من كناية الذات والصفات إلى قلب حبيبه ﷺ، فجرحه بسهم المحبة وسهم المعرفة، فكان في تلك الليلة مطروحًا في ميدان الأزل، مجروحًا في ميدان الأبد. قال جعفر: انقطعت الكيفية عن الدنو، ألا ترى أن الله حجب جبريل من دنوه ودنو ربه منه.

طرفي القوس عند غاية النزع، وهذه العبارة والإشارة يدلان على وصول اللطيفة الخفية إلى الحق على حد ما كان لأحد أن يتجاوز ذلك الحد، والذي أشار إليه المفسرون: إن النبي ﷺ رأى جبرائيل بحيث سد الأفق قول صدق وكلام حق، ولكن ينبغي أن يعرف اللطيفة الجبرائيلية والأفق، ويعلم أن صورته كيف سرقت الأفق وما يعني سد الأفق، وحقائق هذه الأشياء متعلقة بحد القرآن مما لا يؤذن تفسيره، خذ من تفسير بطنه نصيب باطنك، وخذ من ظهره حظ ظاهرك؛ وهو الإيمان والإقرار مما قال الله تعالى، وقال رسول الله ﷺ ما أرادوا أراد رسول الله بذلك القول.

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم:10]؛ يعني: أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ في ذلك المقام أعلى مقام الزلفى والقربى جهرًا، ما أوحى إلى سره قبل ذلك الوقت سرًا، وهذا السر كشوفي ثم شهودي؛ يعني: ألهم الرب سر السالك من حيث الكشف في البداية سرًا، ثم يلهمه بعد إيصاله إلى حضرة المشاهدة جهرًا؛ ليتفق بالإلهام الكشفي أنه كان من الحق سبب الوحي الجهري حالة الشهود، وهذه طريقة مبناه واضحة عند أصحاب الوصول في السير والسلوك.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:11]؛ يعني: في الوحي الشهودي لا يمكن للقوة المدركة أن تكذب ما رأى فؤادها، غير أنها في عالم الكشف كانت دخيلة نظرًا عليها الشبهة بإلقاء الشيطان في روعها، ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ [النجم:12] في المشاهدة؛ يعني: خاطبي قواك، أتنكرون على اللطيفة ما رأت في عالم الشهود؟ ويجادلها﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾(1) [النجم:13]؛ يعني: اللطيفة الخفية، رأى الحق بعد نزوله من الأفق الأعلى

وقال القاسم: وقعت المواصلة فأشرف، والإشراف هو المشاهدة، وقاب قوسين موضع الإشكال، إشكال ليتبين العارف ويهلك الجاحد. وقال الواسطي: من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثَمَّ مسافة، إنما التدلي أنه كلما قربه من نفسه بعده من المعرفة؛ إذ لا دنو للحق ولا بعد، فكلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدًا، فانقلب في الحقيقة خاسئًا وهو حسير؛ إذ لا سبيل إلى مطالعة الحقيقة.

وأما الإخبار عن الفضل أنه أخذه من إياه وأشهده إياه فكان في الحقيقة ذا نفسه مشاهدًا ذاته، وفي الأخبار أن محمدًا ﷺ شهده. وقال جعفر: أدناه منه حتى كان منه كقاب قوسين، والدنو من الله لا حدَّ له، والدنو من العبد بالحدود.

(1) قال البقلي: ما الرؤية الثانية أقل كشفًا من الرؤية الأولى، وما الرؤية الأولى بأكشف من الرؤية الثانية أين

إلى سدرة المنتهى وسدرة المنتهى ووحيه، كما أن الأفق الأعلى خفي، فيها جنة المأوى كما قال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم:14-15]، وكل ما ذكره أهل الظاهر في تفسير سدرة المنتهى حق، فينبغي أن يشاهد السالك في معراجه مثل ما ذكروه، وجنة المأوى اليوم موجودة بل هي معك، فإن كنت عمرتها وزرعت فيها البذور الطيبة صارت جنة المأوى، والنار موجودة وهي معك، فإن كنت عمرتها وزرعت فيها البذور الفاسدة صارت جهنم وهي أيضًا معك، وكلاهما في المنتهى، ولكل أحد من الناس سدرة المنتهى حاصلة؛ لأن منتهى سره يكون إليها ولا يمكن التجاوز عنها، فأما المخصوصون المجذوبون فإنهم جذبوا عنها بجذبات اللطف، كما أخبرنا الصادق الصدوق ﷺ بقوله: «جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين»[1]؛ لأن العامل يصل بعمله إلى سدرة منتهاه، ولا يمكن التجاوز عنها بعمله؛ لأن العمل يتعلق بالعامل، ولا يصل أحد إلى الله بعمله إلا بتوفيقه وجذبته، ولكن يصل بعمله المخلوق إلى سدرة منتهاه؛ وهي أيضًا مخلوقة، فاجتهد في أن تصل إلى سدرة منتهى استعدادك اليوم، وتشاهد ما هيئت نفسك في سدرتك، ولا تلتفت إليه وتوجه بالكلية شطر جناب الجبروت؛ لأن

أنت؟ لو كنت أهلاً لقلت لك أنه عليه الصلاة والسلام رأى ربه في لحافه بعد أن رجع من الحضرة أيضًا في تلك الساعة، وما غاب قلبه من تلك الرؤية لمحة، وما ذكر سبحانه بيان أن ما رأى في الأول في الإمكان، وما رأى عند سدرة المنتهى كان واحدًا لأن ظهوره هناك ظهور القدم والجلال، وليس ظهوره يتعلق بالمكان ولا بالزمان؛ إذ القدم منزَّهٌ عن المكان والجهات، كان العبد في مكان والرب فيما لا مكان، وهذا غاية كمال تنزيهه وعظيم لطفه؛ إذ يتجلى من نفسه لقلب عبده، وهو في لا مكان والعبد في مكان، والعقل هاهنا مضمحلٌ، والعلم متلاشٍ، والأفهام عاجزةٌ، والأوهام متحيرةٌ، والقلوب والهةٌ، والأرواح حائرةٌ، والأسرار فانيةٌ، وفي هذه الآية بيان كمال شرف حبيبه عليه الصلاة والسلام؛ إذ رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، ظن عليه الصلاة والسلام أن ما رآه في الأول لا يكون في الكون لكمال علمه بتنزيه الحق، فلما رآه ثانيًا علم أنه لا يحجبه شيءٌ من الحدثان، وعادة الكبراء إذا زارهم أحدٌ يأتون معه إلى باب الدار إذا كان كريمًا، فهذا من الله سبحانه إظهار كمال حبه لحبيبه ﷺ، وحقيقة الإشارة أنه سبحانه أراد أن يعرف حبيبه مقام الالتباس، فلبس الأمر، وظهر المكر، وبان الحق من شجرة سدرة المنتهى كما بان من شجرة العناب لموسى؛ ليعرفه حبيبه عليه الصلاة والسلام بكمال المعرفة؛ إذ ليس بعارف من لم يعرف حبيبه في لباس مختلفة، وبيان ذلك.

(1) تقدم تخريجه.

السدرة وما فيها ملكوتية.

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۝ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۝ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ۝ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ۝ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ۝ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ۝ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ۝ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ۝﴾ [النجم: 16 - 26].

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم:16] من نور العزة تهتدي إلى جناب الجبروت، فإذا كنت ملتفتًا على نعيم السدرة وتفرجاتها، مشتغلاً بمتنزهاتها، تحرم عما في عالم الجبروت مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فارفع الهمة كما رفع نبيك حين وصل إليها، ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم:17]؛ أي: ما زاغ بصر النبي ﷺ وما التفت إلى الجنة ومزخرفاتها، ولا إلى الجحيم وتبعاتها شاخصًا ببصره إلى الحق وما طغى قدمه عن الصراط المستقيم، ومازال في سيره إلى الله تعالى حتى صادقته الجذبة وأوصلته إلى عالم الجبروت.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾(1) [النجم:18]، روى علقمة عن عبد الله؛ يعني: رأى رفرفًا خضرًا أفق السماء، وهذا أقرب إلى مرادنا؛ لأن قرب يتلون بالجذبة، واللون الأخضر أخص الألوان بسر غيب الغيوب، وأشار به إلى أنه سد الأفق صحيحة في عالم المشاهدة، ومن تشرف بالجذبة يعلم صحة قول عبد الله ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم:19-20]؛ يعني: أفرأيتم أيتها القوى اللات القالبية، والعزى النفسية، ومناة المنى الهوائية، إنها بنات الله؛ يعني: تظنون أن هذه

(1) قال سيدي عبد الله التستري: يعني ما يبدي من صفاته من آياته رآها، ولم يذهب بذلك عن مشهوده، ولم يفارق مجاورة معبوده، وما زاده إلا محبة وشوقاً وقوة، أعطاه الله قوة احتمال التجلي والأنوار العظيمة، وكان ذلك تفضيلاً له على غيره من الأنبياء؛ ألا ترى أن موسى صعق عند التجلي، ففي الضعف جابه النبي ﷺ في مشاهدته كفاحاً ببصر قلبه، فثبت لقوة حاله وعلو مقامه ودرجته. تفسير التستري (86/2).

اللطائف الغير المستخلصة، روائح حقيقية ونتائج إلهية وتنسبونها إلى الله بالبنية؛ لأنكم تشاهدونها بأنها لطائف، وتنظرون إلى صورتها وتظنون من حيث الصورة بأنها آيات؛ لقصور علمكم بذات الحق.

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى﴾ [النجم:21] أيتها الغفلة الجاهلة، وإذ قد نسبتم اللطائف إلى الله، فكيف لبستم نسبته البنات؟ ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى * تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم:21-22]؛ أي: قسمة جائرة ناقصة غير معتدلة، أن تنسبوا إلى خالقكم ما تكرهون لأنفسكم.

﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ [النجم:23] ليس هذه ﴿اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ [النجم:19-20] من اللطائف الخفية، بل هي أباطيل أنتم كسبتموها في دار الكسب وسميتموها بهذه الأسماء، وآباؤكم كسبوا هذه الاستعدادات الباطلة؛ يعني: أنفسكم الأمارة وأرواحكم المتدنسة بتربية القالب الغير المزكى عن الأخلاق الردية، كسبوا هذه اللطائف الباطلة وسموها آلهة ﴿مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [النجم:23] ما أنزل بهذه الاستعدادات من قوة حقيقة يكون لكم حجة وبرهانًا على أنها ذات حظ من القوى الخفية، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾ [النجم:23]؛ يعني: القوى القالبية والنفسية الكاذبة الفاجرة الأمارة بالسوء، لا يقولون هذا القول إلا بالظن وليس لهم برهان على ما يزعمون إلا هوى أنفسهم، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم:23]؛ يعني: بيان طريق الحق على لسان اللطيفة الخفية، واللطائف الخفية وأخواتها المستخلصة عن الأباطيل المزكاة عن الأضاليل.

﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ [النجم:24]؛ يعني: أيظن الإنسان الغافل الجاهل أن ينفعه التوجه إلى آلهة هواه غدًا عنده مولاه، ﴿فَلِلهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ [النجم:25]؛ أي: ليس كما نطق الغافل الجاهل أن عبادة آلهة هواه تنفعه في الآخرة بنعيم الباقي، وفي الأولى يذوق ثمرات المعرفة؛ التي هي ﴿لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:33]؛ لأن الآخرة والأولى ملكًا وملكًا، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [النجم:26]؛ أي: كم قوى في سماوات أطوار القلب ﴿لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ﴾ [النجم:26] في الشفاعة، ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم:26] في العلم القديم به خير، ويرضى عن عمله الصالح في

الدنيا، فما ظنكم بالقوى القالبية والنفسية أنها مع كدوراتها يقدر على شفاعتكم من غير الإذن من الله، وحصول الإذن لا يمكن لأحد إلا لمن يشاء ويرضى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: 27 - 31].

﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَى﴾ [النجم:27]، لكن نظرهم مقصورًا على صورها وقلة عقلهم بمعناها، يزعمون أن القوى واللطائف بنات الله، ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ [النجم:28]؛ أي: غير متيقن بما يزعمون ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ [النجم:28]؛ يعني: لا يصل الظن إلى حد يحكم عليه بخفية الشيء المظنون؛ لأن فوق الظن العلم، وفوق العلم الصحيح السماعي علم اليقين المكاشفي، وفوق علم اليقين المكاشفي عين اليقين وهو العلم المشاهدي، وفوق عين اليقين المشاهدي حق اليقين مما يتعلق بالوصول، وفوقه حقيقة حق اليقين مما يتعلق بالذوق، ومثاله في عالم الشهادة علمك بأن هذه الشجرة تحمل رمانًا فيه حياة مثل العسل، ولكل حبة نبت خاص وطعم حلو كأنه سكر معقود وشراب مروق، والشجرة كانت شجرة رمان، فاعتقادك بما يخرج عن هذه كما سمعت عن الدهقان؛ هو اعتقاد صحيح علمي، فإذا أخضرت الشجرة وأزهرت فشاهدتها زاد علمك السماعي وتبدل بعلم اليقين، وإذا انتشرت الزهرات خرج منها درج الرمان، وشاهدته تبدل علمك علم اليقين الكشفي بعين اليقين، كمال حده واقتطفته وشققته وشاهدت حباته، والبيوت التي وصفها الدهقان لكل حبة صار عين اليقين، فإذا أكلته وذقته ووصل إلى حلقك حلاوته، واختلط بوجودك شرابه، وصار هو أنت ولطيفتك المدركة هو، فصار حق اليقين في هذا المقام حقيقة حق اليقين.

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم:29]؛ يعني: لا يصل إلى مرتبة علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وحقيقة حق اليقين أحد إلا بذكرنا، فمن كان معرضًا عن

ذكرنا فهو صاحب ظن وتخمين، فأعرض عنه ولا تسمع كلامه؛ لأنه لا يقول إلا ظنًا و﴿الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً﴾ [يونس:36]، وإعراضه عن ذكرها فأعرض عن قولي: ﴿عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا* ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ العِلْمِ﴾ [النجم:29-30]؛ لأنهم ما وصلوا إلى حقيقة العلم لكون نظرهم مقصورًا على ظاهر الحياة الدنيا؛ التي هي متاع قليل من الحياة الأخروية التي هي الحياة بالحقيقة؛ لأنها دائمة ليس لحالها ماض ولا مستقبل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ [النجم:30]؛ يعني: هو أعلم بالقوة الضالة عن سبيل الهدى، وأعلم بالقوة المهتدية إلى الصراط المستقيم، وهو يجازيهم بما عملوا في دار الكسب، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [النجم:31] من القوى القالبية والنفسية، والقلبية والروحية، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ [النجم:31]؛ يعني: بالقوة السفلية العاجزة القالبية والنفسية، والقلبية والروحية يجزيهم الله بالقوى الأرضية الدركات وما فيها، ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:31]؛ أي: يجزي القوى العلوية بما أحسنوا من الإيمان بالله وبرسوله وبآياته البينات بالحسنى؛ التي هي جزاء أعمالهم الحسنة، التي هم كسبوها.

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم: 32 - 39].

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ [النجم:32] يحذرون من الكفر بالله والشرك به؛ لأنها من الكبائر، وترك طاعته كسالة ورجاء المغفرة وهو من الفواحش، إلا اللمم إذ الإنسان خلق من الأضداد فلا يمكن له الاحتراز عن اللمم، وهو لمة تلم به من تلك الأضداد عند انبعاث قوتها، ونرجو من الله أن يعفو عنا كل ما يطرأ علينا من غير انخرام النية على إباحته خاصة على ما ندم صاحبه من الملامة به، ومن ارتكابه تلك اللمة، وهو الغفور العفو الرءوف يغفر ويعفو ويرأف على عبده المبتلي

بالأضداد في دار الابتلاء، النادم بقلبه على ذنبه المستغفر من ربه، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:32]، واسمه الغفور يدل على أنه واسع المغفرة، وبه يغفر الذنوب الذاتية جميعها، كما يغفر باسم غافريته الذنوب الصفاتية، وبغفاريته الذنوب الأفعالية، وبعفويته الذنوب الآثارية، وإن لم يتب من نسيان وغفلة منها فباسم غفوريته يغفر إذا تاب من الفواحش، وشرح غفوريته بما يتعلق بمطلع القرآن، ومما يطوي سره لا مما يروي حقيقة، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ [النجم:32]؛ يعني: بما حصل لكم من القوى المعدنية السفلية الخبيثة، ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم:32]؛ يعني: بما لكم من القوى النباتية والحيوانية الفاسدة التابعة للهوى، المقبلة على الرديء المعرضة عن المولى، ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم:32]، إذ نفسكم غير زكية بما حصل لها من القوى المعدنية الأرضية، والقوى النباتية والحيوانية، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم:32]؛ يعني: الله أعلم بمن وفق؛ لأن يبقى في القوى التابعة للهوى، ويجتهد في تزكية نفسه من الأخلاق الردية الحاصلة له من السفليات.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ [النجم:33] عن الحق، ﴿وَأَعْطَى﴾ [النجم:34] الحظ للقوى السفلية، ﴿قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾ [النجم:34] على القوى العلوية حقها؛ يعني: منع الحق عنها، ﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ [النجم:35]؛ أي: عنده علم ما أودعناه يوم الجزاء لمن يعطي الحظ للقوى السفلية، ويمنع الحق عن القوى العلوية، فهو يرى ذلك الجزاء.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[1] [النجم:36-37]؛ أي: أم لم يخبر بما في الصحف اللطيفة السرية والقلبية المبلغة لطائفها إلى أمم القوى بالتمام والكمال، ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم:38]؛ يعني: لا يحمل وزر قوة نفسية على

(1) إشارة إلى أن في جبلة الإنسان معرفة لله مركوزة وذلك لأن الله تعالى ذرأ ذريات بني آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم بخطاب ﴿ألست بربكم﴾ فأسمعهم خطابه وعرفهم ربوبيته ووفقهم لإجابته حتى قالوا بلى فصار ذلك الإقرار بذر ثمرة إقرارهم بخالقية الله تعالى في هذا العالم لكن الله تعالى لعزته لا يهتدي إلى سرادقات عزته إلا من أعزه الله تعالى بجذبات عنايته وهو العليم الذي يعلم حيث يجعل رسالاته. تفسير حقي (13/ 145).

قوة قالية، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم:39]؛ يعني: أبلغي أيتها اللطيفة الخفية إليهم أن ليس في الدار الآخرة لأحد إلا ما سعى في دار دنياه خيرًا كان أم شرًا.

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۝ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝ ﴾ [النجم: 40 – 46].

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ [النجم:40]؛ أي: إن كل أحد سوف يرى ما سعى؛ لأن الدنيا مزرعة الآخرة، وهو يزرع اليوم فلا بد أن يحصد ما يزرع غدًا، ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ [النجم:41]؛ وهو جزاء يتفضل عليهم بفضله فوق ما يكسبونه من الوصول إلى حضرته، وقرارة عيونهم بمشاهدته، ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ [النجم:42]؛ يعني: نهاية الأمر رجوعه إلى ربه، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[1] [النجم:43]؛ يعني: إنه خلق فيك موجبات البسط والقبض، والسرور والحزن، والآثار الناسوتية التي هي الضحك والبكاء اللذان هما من أفعاله الملكوتية التي هي متصلة بالصفات الجبروتية مجتمعة في الذات اللاهوتية، وبعبارة أخرى أنه أضحك القوى الأرضية بإنبات أشجار المعرفة، وأبكى سماء الصدور بمطر الرحمة، وفي حقيقة هذا البيان رمز يتعلق بحد القرآن ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم:44]؛ يعني: أمات القوى السماوية العاجزة عن الحياة الحقيقة الطيبة، وأحيى القوى الصالحة الأرضية بمطر الرحمة النازلة من سماء الربوبية، المنبتة أشجار المعرفة الآمنة على شوك الشك والوهم والقلق.

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾ [النجم:45]؛ أي: القوى الفاعلية

---

(1) وصف نفسه تعالى بأنه أضحك وأبكى بطلوع صبح جماله العاشقين، وأبكى بظهور شمس ذاته العارفين، يكون عليه منه بفقدان الكل؛ لأنهم يعرفونه بامتناعه عن إدراكهم وعن تقصيرهم أيضًا في طلب معرفتهم بربهم وقلة معرفتهم بوجود ربهم، وذلك عند كشف المعاينة، أضحك المستأنسين بنرجس مودته وياسمين قربته وطيب شمال جماله، وأبكى المشتاقين بظهور عظمته وجلاله، وأمات العارفين بنعت الفناء في سطوات ديمومیته وظهور صدمات أنوار ذاته، وأحيى العاشقين بكشف صفاته، فالأولون فنوا فيه، والآخرون بقوا به، وأيضًا أمات المريدين بالحجاب، وأحيى المحبين بكشف النقاب.

الروحانية السماوية، والقوة القابلة النفسية الأرضية ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النجم:46]؛ أي: من نطفة العلم إذا تمنى بأمر المولى.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: 47 - 62].

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم:47]؛ يعني: النشأة الثانية الإرادية وهي بأن يقذف نور الإرادة في قلبها، فإذا شاء انشربا من قبر قالبها.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم:48]؛ يعني: هو المغني أحياه بأموال المعرفة، والمقني أولياءه بالأحوال السنية والأخلاق الرضية، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ [النجم: 49]؛ يعني: هو رب الشعور الذي يحصل للإنسان على أطوار القلب من القوى الكوكبية، وعلى ما في أطباق وأرض القالب من القوى العنصرية.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ [النجم:50]؛ يعني: هو أهلك قوى العادية المعتدلة، ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾ [النجم:51]؛ يعني: القوى الباغية الذين هم عقروا ناقة الشوق، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [النجم:52]؛ لأنهم من قوى النفس أخذوا قوة أوفى من هؤلاء القوى القالبية، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [النجم:53]؛ وهم قوم لوط؛ أي: القوى النجسة الغير المطهرة، التي أهواهم ربهم في هاوية الهوى، ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم:54]؛ أي: ألبسها الله ما ألبس؛ ليكونوا محجوبين فـ﴿أَهْوَىٰ﴾ [النجم: 53]؛ أي: أسقطت القوة الشديدة الجبرائيلية بلذة قالبها وقلبها بما فيها من القوى النجسة المنتنة، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم:55] أيتها القوى الإنسانية الباقية، بأي نعمة ربك تشك؟ أما تعلمي أن هذه القوى المعاونة لك هو من آثار فعله؟

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ [النجم:56]؛ يعني: هذا الذي قرأناه عليك هي آيات الله الواردة على لطيفتك الخفية بالحق واللطيفة المنذرة لك، كما كانت اللطائف المنذرة

من قبل، ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ [النجم:57]؛ أي: دنت القيامة الخفية، والآزفة هي القيامة الخفية[1]، ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ الله كَاشِفَةٌ﴾ [النجم:58]؛ يعني: ليس لهذه القيامة الخفية كاشفة غير الله عن أهوالها وشدائدها، وهي أقرب القيامات إلى حضرة الله، وأقرب إليك منك، حتى أنت لفرط قربها إليك لم تقدر على مشاهدتها وأنت في وسطها، بل هي محيطة بجميع أجزاء وجودك، وشرها يتعلق بحد القرآن.

﴿أَفَمِنْ هَذَا الحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ [النجم:59]؛ أي: من الوارد الجديد، ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ [النجم:60]؛ يعني: يستهزئون، ويقولون العجب كيف تكون هذه الآزفة محيطة بنا ونحن لا نشاهدها؟ ﴿وَلاَ تَبْكُونَ﴾ [النجم:60] مما تسمعون من اللطيفة المبلغة ما يخبركم عن أحوال الآزفة، ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم:61]؛ أي: غافلون لاهون مشتغلون بسماع اللهو، مستهزئون بالوارد باللطيفة المبلغة، ﴿فَاسْجُدُوا للهِ﴾ [النجم:62] أيتها القوى المتكبرة في مقام المذلة؛ ليقربكم الله إلى نفسه، ﴿وَاعْبُدُوا﴾ [النجم:62]، أيتها القوى العابدة لآلهة هواكم الله المعبود الحق ﴿الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [الحشر:22]؛ لأن رؤيتك وجودك ذنب لا يقاس به ذنب، فيا أيها السالك: اقى وطرك من هذه السورة، وخذ حظك من معراجك، وأعط حق في رجوعك، وهذا الذي كتبت بتوفيق الله وإلهامه مما ورد على قلبه دفعة واحدة من تفسير بطن القرآن، وأما تفسير جهره لا يمكن كتابته ولو صارت الأشجار أقلامًا، والسموات قرطاسًا، والبحار مدادًا، اللهم ثبت قلبي على دينك، وقوني على استعمال سنة نبيك الموصل إلى حضرتك، ووفقني لما تحب وترضى من القول والعمل والنسبة، وأعذني من الخطأ والخبل، والسهو والذل بحق محمد المبعوث إلى أهل السهل والجبل ﷺ وعلى آله وصحبته والتابعين لهم وسلم تسليمًا.

---

(1) في قوله: ﴿أزفت الآزفة﴾ أي: قربت ساعة الفتح حين توجهت وانقطعت عنك العلائق، ووجدتَ مَن يُدخلك بحرَ الحقائق، ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾، لا يكشف لك هذه الحقائق إلا الذي منَّ عليك بصحبة مَن يدلك عليه. البحر المديد (6/ 186).

سورة القمر

وهي خمس وخمسون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (3) وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (6) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (7) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8) ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9)﴾ [القمر: 1 - 9].

أيتها القوة العلوية الساجدة، وأيتها القوة السفلية العابدة اعلما أن الساعة قد قربت، وافهما ما يقول الله تعالى في كلامه حيث يقول: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1]؛ يعني: قيامة القلب دنت، وعلامة دنوها انشقاق قمر القلب، كما يقول بعده: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1] لهيبة الوارد القهري.

﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً﴾ [القمر: 2]؛ يعني: القوى الكافرة القالبية والمشركة والمنافقة النفسية، آية انشقاق قمر القلب أو غيرهما من الآيات البينات الأنفسية ﴿يُعْرِضُوا﴾ [القمر: 2] عن الآيات لبينة، ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: 2]؛ يعني: سحر بأعيننا واستمر فينا، وليست لهذه الآيات حقيقة، واستدلوا بعلمهم الحاصل من قبيل العقل أن الخرق والالتئام محال في الفلكيات، وما فطنوا أنه إن لم يكن هذا الأمر محالاً عند العقل، فكيف يكون إظهاره على يد البشر؟ ومعنى المعجزة أن الأناسي يعجزون عن إتيان مثل ما يأتي به صاحب المعجزة الذي هو إنس من الأناسي، فحملتهم شقاوتهم على إنكار المعجزة، وقدرهم إنكارهم سلاسل الاستكبار حتى لا يقبلوا الحق فأوردتهم شقاوتهم النار.

﴿وَكَذَّبُوا﴾ [القمر: 3] اللطيفة الخفية المرسلة إلى جميع قوى اللطائف؛ ليدعوهم إلى الحق بالمعجزات القاطعة والآيات الساطعة، ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القمر: 3] المردية ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: 3] بأهله من الخير والشر، فالخير مستقر بأهله في الجنة، كما

يقول تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس:26]، والشر مستقر بأهله في النار، كما يقول تعالى للذين أساءوا السوء؛ لأن كل أحد من الناس يعمل على شاكلته، ويختم له في نهايته على ما قدره الله له في بدايته من سعادته وشقاوته.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم﴾ [القمر:4]؛ يعني: أهل مكة، وجودهم الكافرة بالواد الخفي والبيان الجلي ﴿مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ [القمر:4]؛ يعني: من أخبار القوى المكذبة للطائف السالفة، ومما حان معهم من العذاب ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر:4] من الزجر والوعظ؛ ليزدجروا عن التكذيب والإنكار.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [القمر:5]، تامة بلغت منتهاها في الوعظ والزجر، ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر:5]؛ يعني: ليست موعظة النذر بالحكمة البالغة الواردة للقوى الكافرة المشركة المستكبرة الناطقة، ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [القمر:6] أيتها اللطيفة الخفية؛ لأنهم جبلوا على الشقاوة ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر:6]؛ يعني: يوم يدعو داعي الأماني لقطع الأمنية وهو أنكر الأشياء؛ لأن قطع الرجاء عن المستغيث والبلاء أشد من البلاء، وأنكر العناء نريهم، ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ [القمر:7]، في تلك الأشياء؛ لأن قطع الحالة المنكرة؛ أي: دليله خاضعة ناظرة إلى كل من يمر عليهم بالذل والمسكنة ليرحم عليهم المار، ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ [القمر:7]؛ يعني: حين يدعوهم الداعي خرجوا من قبور قوالبهم شاءوا أو أبوا، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر:7] فتفرق، ويكون صور قواهم المكتسبة في البدن المجعول مثل الجراد المتفرق حيارى متفرقين، ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ [القمر:8] مسرعين مقبلين ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ [القمر:8]؛ وهو قواه أسرا قبليتهم المسلطة عليهم، ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ [القمر:8] بالحق المنكرون آياته، المكذبون لطائفه المرسلة إليهم بالمعجزات الواضحة الآيات البينة، ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر:8] صعب شديد، لا قدرة لنا على دفع الداعي المسلط علينا، ولا يسمع منا عذر ولا تنفعنا شفاعة، والله ما ذلك اليوم إلا يوم عسر عبوس، فالسعيد من أيقظ بهذه المواعظ وأقبل على الحق وأدبر عن الباطل، وترك الهوى واشتغل بعبادة المولى، وعلم أن الخروج من الدنيا والدخول في العقبى حتى كتبه الله على اللطيفة الإنسانية وتنعمها وتأملها أبد الآباد، سبب كسب البدن المكسب الباقي في هذا البدن المجعول الفاني من جواهر المفردات السفلية، ولطائف

المفردات العلوية الحقيقة فيها وقت الإيجاد صدق لا شك فيه، كما أن الفرخ المستكن في البيضة إذا تمت مودته الفرخية كيف يُقَشِّر قشر البيضة، والمجعول بتربية دجاجة الروح الإنسية ويطير في هوى الهوية، ويسرح في رياض الجنة القلبية، ويأكل من ثمار معرفة الربوبية، ويشرب من شراب الألوهية، وكل هذا يحصل للسالك في الدنيا بالموت الاختياري، كما يقول الحكيم السني السيد المسمى بالسمناني - رحمه الله - بالفارسية بيت شريف:

بمير؛ أي: روست بيش أزمرك اكرمي نزندكي خواهي كه ادريس ازجنين مردن بهشتي كشت بيش أزماه.

وإشارة النبي ﷺ في قوله: «موتوا قبل أن تموتوا»[1]، كانت إلى هذه الحقيقة ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [القمر:9]؛ يعني: القوى القالبية والنفسية كذبت اللطيفة النفسية المستخلصة عن الكدورات المطهرة عن القاذورات، المرسلة بالآيات البينات، ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ [القمر:9]؛ يعني: تلك القوى كذبوا اللطيفة المأمورة المطهرة النفسية بما بلغت إليهم من الأيات البينات الأنفسية في بداية السلوك، ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: 9]؛ يعني: ازدجر بين عشيرته القريبة؛ وهي القوى النفسية، فصار مجنونًا، وشاهدت هذا الحال في بداية أمري؛ إذ نسبني إلى الجنون والدي وعمي وجميع أقربائي وأحبائي، فلما اشتغلت بالذكر الخفي القوي ظهرت لي في الليلة الأولى شرارات نيران منورة من صدري حتى لحقت بالسماء، فلما فتحت العين وأبصرتها معاينة قلت في نفسي: إن الذين يقولون في حقي صدق، ما هذه المعاينة للشرارات في ظلمة الليل في جوف البيت المظلم إلا من فساد جذب في الدماغ؟ والقوى المكذبة النفسية يخوفوني ويمنعونني عن الذكر، والقوى الشيطانية يشككونني في مشاهدة الأية البينة وقلبي كان غير ملتفت إلى أقوالهم، مشتغلاً بالذكر حتى طلع الصبح، فلما خرجت من البيت ودخلت المسجد لصلاة الجماعة ظهر فوق سجادتي وعن يميني، وعن قبلتي كواكب درّية لا تحصى، فخفت عنها في الظاهر وأنست بها في الباطن، والقوى المشكلة الشيطانية والقوى المكذبة النفسية أيضا

---

(1) تقدم تخريجه.

يشوشونني ويأمرونني بترك الذكر، وأنا روعان من ألسن الناس أن أقفوه بيا أشهده وأعاينه، وهذه المشاهدة حصلت لي أول ليلة اشتغالي بالذكر الخفي القوي، على وفق مذهب مشايخنا - قدس الله أرواحهم - وكنت قبل هذه الليلة مشتغلاً بكثرة الأوراد المأثورة، والأذكار اللسانية من أنواع التسبيحات والتهليلات، والتكبيرات والتحميدات، والصلاة والسلام، وكثرة الركعات والسجدات في الصلاة، وبالمجاهدات والرياضات، على وفق ما يعجبني مما حكي من المشايخ المتقدمة، ففي هذه الآية أخذت هذا الذكر القوي الخفي بشرط النفي والإثبات من أخ لي في الدين - رحمه الله - وكان من مريدي شيخنا - أطال الله بقاءه - فلما اشتغلت بالذكر ظهرت لي هذه الحالات، وما قلت له معه لخوفي عما يقولون، فلما ظننت الإشراق وظهرت لي الكواكب الدرّية، بحيث لا يحصى عددها ولا يوصف ضياؤها، قلت مع أخي شرف الدين: هذه الأقوال، فاستبشر وتبسّم وقال: الحمد لله الذي هداك إلى هذه المشاهدة الغيبية والآيات الأنفسية، وإنا قد سلكنا سنة واحدة في حرم بيت الله الحرام، فبعد ذلك حصلت لنا هذه الشرارات على جبل عرفات، فأحسن الله إليك ووفقك لمشاهدة هذه الآيات في مدة قريبة، فالواجب عليك القيام بشكر الحق، والقيام بشكره هو أن تعتزل الناس وتشتغل بهذا الذكر على هذه الشريطة، فيفتح عليك باب القلب إن شاء الله تعالى، فاسترحت من القوى المكذبة والمتفككة.

واشتغلت بعد ذلك بالذكر، واخترت العزلة والخلوة سنتين متتابعتين حتى جلت بعد هذه المدة في خلق الأربعين الموسوية، وفتح الله بلفظ على قلبي ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وسلكت الطريق على الترتيب من العبور على قوى القالبية على وفق دعوة اللطيفة الآدمية، ثم على القوى النفسية على وفق دعوة اللطيفة النوحية، ثم على القوى القلبية على وفق اللطيفة الإبراهيمية، ثم على القوى السرية على وفق دعوة اللطيفة الموسوية، ثم على القوى الروحية على وفق دعوة اللطيفة الداودية، ثم على القوى الخفية على وفق دعوة اللطيفة العيسوية، ثم على القوة الخفية المودعة في جميع القوى على وفق دعوة اللطيفة الخفية؛ وهي الدعوة المحمدية، دعا الناس بها ﷺ وسمعت من جميع القوى من التكذيب والتشكيك في أمر اللطائف وإنكارهم دعوتهم وكفرهم

بربهم ما لا يمكن كتابة عشر عشره في المجلدات.

ومقصودي من كتابة هذه الحالة الواحدة التي تظهر في البداية للسالك؛ هو أن يعلم الرجل المطالع هذا الكتاب المسمى بـ«نجم القرآن»؛ وهو المزيل للتفسير النجمي الذي كتبه الموفق نجم الدين داية الأسدي الرازي - شكر الله سعيه - من أول القرآن إلى سورة النجم، فلما وصل إلى سورة النجم قال: يكون عجب أن يأذن الله لي في الشروع في النجم وإتمامه، فإذا وصل إلى النجم وشرع ومرض وعرج بنجمه المنير من أرض البشرية إلى سماء الربوبية وألهمنا الله تعالى إتمام تفسيره، والتفسير المكتوب بخطه الشريف تسع مجلدات، وهذا المزيل مجلد واحد؛ ليكون معشرة كاملة خفية، ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «إن للقرآن ظهرًا وبطنًا...»(1)، ويؤمن ببطنه كما آمن بظهره، ولا يشك فيما أشرنا إلى تكذيب القوى للآيات الأنفسية وإنكارهم اللطائف المرسلة وآياتهم الخفية؛ لئلا يشقى عند مطالعة هذا الكتاب بإنكاره الآيات البينات التي شاهدها كاتبها مرارًا، غير معدودة من بداية اشتغاله بالسلوك إلى هذا الوقت الذي ألهم كتابة هذه الآيات ومقدار زمان اشتغاله بالذكر، هذا الذي وصفته لك، فقس بواقي الآيات عليها؛ لأن الخبير يقنعه القليل من الكثير، ولا يزيد للبليد إظهار الآيات إلا الإنكار بالتقليد.

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ ﴾ [القمر: 10 - 18].

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر:10]؛ يعني اللطيفة النفسية دعت ربه: إني مغلوب من غلبة القوى المكذبة والمنكرة، فانصرني بالوارد القهري، ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ [القمر:11] الصدر ﴿بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر:11] بماء الوارد القهري منصبًا على أرض البشرية، ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ﴾ [القمر:12]؛ يعني: غلب ماء سماء الصدر على ماء عنصرية أرض البشرية ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:12] على حد

(1) تقدم تخريجه.

قدرناه وأمرناه ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر:13]؛ يعني: حملنا اللطيفة النوحية على سفينة شريعتها، التي هي ذات ألواح سرية ودسر خفية؛ والدسر المسامير، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:14]؛ أي: بحفظنا ومرأى منا على وجه الماء، وأغرقنا القوى المكذبة المنكرة لآياتنا في ماء الوارد الظاهر ﴿جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر:14]، وهو الاستعداد المخصوص بالنفس كفر باللطيفة النفسية، النفس قدر جوهرها؛وهي نعمة من الله تعالى كفر بها وبآياتنا وكذب اللطيفة المرسلة.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً﴾ [القمر:15]؛ يعني: هذه الحالة تركناها في النفوس علامة بعينه للسالكين طريقتنا، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:15]؛ أي: متعظ متذكر في نفسه بأن هذه الحالة كيف وقعت لي؟ وما معنى هذه الواقعة، وكنت في بداية وصولي إلى هذه الواقعة؟

حكيت لأحد من خلاني: إني رأيت اليوم واقعة مثل واقعة نوح ﷺ، ورأيت أيضًا قيام القيامة، فضحك وقال: القيامة الموعودة المستقبلة، والواقعة النوحية الماضية كيف يجتمعان في حالة واحدة؟ فلما تفرست منه قلة علمه بالطريق وإنكاره للآية سكت، وقلت في نفسي: كما يقول:أين المدكر ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:16]؛ يعني: أين من يتذكر كيفية العذاب الواقع؟ ويتفكر في إنزال النذر والمواعظ ويتعظ به.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر:17]؛ يعني: سهلنا لمن لم يكن أهلاً لورود عليه قراءة القرآن على اللطيفة المرسلة المبلغة؛ ليذكروا الآيات التي بيَّنا فيه ويتعظوا بها وينتفعوا بها، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:17]؛ أي: من متعظ بآيات القرآن الذي سيرنا عليها قراءته، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ [القمر:18]؛ يعني: قوى العادية الفانية القالبية كذبت اللطيفة المستخلصة من كدورات الهوى المرسلة، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:18] انظر كيف وصل إليهم عذابي وإنذاري؟.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا

مِّنَ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾ [القمر: 19 - 27].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ [القمر:19] شديدة الهبوب من ريح هواهم المكدرة ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ [القمر:19] ريحية من أيام عنصره ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر:19] دائم بنحوسيته، ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ [القمر:20]؛ أي: تقلع القوى الريحية الهوائية شجرة القوى الناسية التناسية مع أغصان إنسانيتها، وترمي بها على رقبة روحانيتهم ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر:20]، منقطع من مكانه ساقط أرض البشرية لميلانه إلى الهوى، وإشارته إلى النخل في هذا المقام كانت لحكمه؛ وهي أن النخل أفق النباتات القريبة إلى حد الحيوان.

واعلم أن الأيام سبعة، فبإزاء كل مفردة سفلية وعلوية، فالسبت يوم التراب، والأحد يوم الماء، والاثنين يوم الهواء، والثلاثاء يوم النار، والأربعاء يوم النور، والخميس يوم الحياة، والجمعة يوم الوجود، وبياضية جوهرية صور هذه المفردات يومها، وسوادية مادية قابلية هذه المفردات إليها، وكشف سر أيامها ولياليها بتعلق بحد القرآن.

واعلم لطيفة أخرى في خصوصية كل يوم من الأيام بلطيفة من اللطائف السبع، فالسبت مختص باللطيفة القالبية الآدمية، والأحد مختص باللطيفة النفسية النوحية، والاثنين مخصوص باللطيفة القلبية الإبراهيمية، والثلاثاء مخصوص باللطيفة السرية الموسوية، والأربعاء مخصوص باللطيفة الروحية الداودية، والخميس مخصوص باللطيفة الخفية العيسوية، والجمعة مخصوص باللطيفة الخفية المحمدية؛ ولأجل هذا استوى الرحمن على عرش الجمعة، واستوت الأيام الستة على عرش الجمعة.

كما أشار إلى هذا السر في كلامه المجيد، حيث قال: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:54]، واعلم أن عرش حكمته القالب الشهادي، وعرش قدرته اللطيفة القالبية، وعرش إرادته اللطيفة النفسية، وعرش علمه اللطيفة القلبية، وعرش كلامه اللطيفة السرية، وعرش بصره اللطيفة الروحية، وعرش علمه اللطيفة الخفية، وعرش حياته اللطيفة الخفية التي كانت اللطائف بها قائمة، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:21]؛ يعني: تفكر أيها القارئ في كيفية عذابي وتذكر أيها المتذكر إجابة دعاء النذر، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:22]؛

يعني: سهلنا قراءة كلامنا على الألسنة، فهل من يتذكر بالقلب من الآيات التي يقرأها باللسان.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر:23]؛ يعني: القوى القالبية المكذبة، كذبت اللطيفة المطهرة المرسلة إليها، وإنذارها بالآيات البينة القهرية المنزلة على القوى القالبية المكذبة السالفة، ﴿فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر:24]؛ يعني: هذا المنذر بشر مثلنا واحد منا، كيف نتبعه ونترك آلهة هدانا؟ ولو نترك دين طبيعتنا المستقيمة التي صارت عادتنا، إنا إذا لفي خطأ وبعد عن الحق، ولا يكون هذا إلا من قلة عقلنا وهيمانا في أمرنا، ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [القمر:25] وحده مع أن فينا من كان أحسن منه وجهًا، وأنظف ثيابًا وأكثر أموالاً وتبعًا، ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: 25] متكبر بطر يريد أن يتفوق علينا ويتخذنا هزوًا، ويستخدمنا فيما يشاء.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾ [القمر:26]؛ يعني: سوف يعلم القوي المكذب إذا نزل عذابنا من الكذاب الأشر البطر المتكبر، ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ [القمر:27]؛ يعني: أرسلنا ناقة الشوق والواردات الوجدية فتنة واختبارًا وابتلاءً للقوى القالبية المكذبة للطيفة المستخلصة عن الكدورات، ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ [القمر:27] أيتها اللطيفة المرسلة، ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ [القمر:27] على إيذائهم لك عند ورود الواردات الوجدية حالة السماع على القوى القالبية المكذبة، بحيث يقولون: إنه مرائي يريد بإظهارها منه حالة أن يسخر قلوب الحاضرين.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ۝ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ۝ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ۝ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۝ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۝﴾ [القمر: 28 - 37].

﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ [القمر:28]؛ أي: أخبرهم ﴿أَنَّ الْمَاءَ﴾ [القمر:28]؛ أي: ماء الحياة ﴿قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ [القمر:28] وبين الناقة الشوقية، ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر:28]؛

يعني: كل نصيب محضرة من كان يشرب الماء نصيبه، وحظ السالك من هذه الآية أن يجعل شرب حياته نصيب الناقة شوقه عند ورود واردات الوجد، وهو الحضور المطلق، وترك الأعمال البدنية عند ورود واردات الوجدية، ونصيب الجوارح الظاهرة لاستعمالها في الأعمال البدنية، ولو أهمل هذا الشرط عذب لعقره ناقة شوقه بالمنع لها عن شرب الوارد الوجدي، ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر:29]؛ يعني: نادت القوى المكذبة القالبية قوتهم الجاهلية الطالبة للرئاسة، المحبة للدنيا، العابدة للهوى، فتناولت الناقة الشوقية بسيف استعدادها الحاصلة من القوى العلوية، فعسرت ناقة الشوق، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:30] بالقوى القالبية المانعة لناقة الشوق عن استيفاء الحظ عن مشرب السماع، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [القمر:31] من صيحات قولهم الجبرائيلية المسلطة عليهم، ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر:31]؛ يعني: صارت القوى التي جمعتها قوة النفسية لاحتضار غنم الأخلاق الحميدة القالبية المكتسبة الغير المزكاة بنور اللطيفة، مثل الشجرة البالية التي ذرتها الريح العاصفة.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر:32]؛ يعني: سهلنا قراءة القرآن الذي فيه آيات وموعظة وأخبار، وعن حال من ظلم على القوة النفسية المزكاة القهرية إلى اللطيفة النفسية بعقر الناقة الشوقية التي فيها الاستعداد الموصل له إلى كعبة قلبه، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:32]؛ أي: هل من قارئ يذكر هذه الآيات ويتعظ بها؟ ويتفكر في نفسه ليعرف ناقته ومشربها ونصيبها، ويعرف القوى الظالمة المانعة لناقته عن الشرب العاقرة لها بسيف الاستعداد العلوي، ويخاف من الصيحة الجبرائيلية التي هي مسلطة عليه من بدء فطرته إلى حين رحلته من محلة هذا البدن المجعول؛ لينزل ناقته ويتعهدها عند الشرب، ويركبها وينتفع بها في السلوك في بيداء النفس؛ ليصل إلى كعبة القلب ويشرف بمعاهدة رب البيت .

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر:33]؛ يعني: كذبت القوى المتلونة بالهوى اللطيفة المطهرة المرسلة، وإنذارها بالنذر السالفة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً﴾ [القمر: 34] حاصلاً من كدورات أفعالهم الخبيثة الأرضية، والبخارات الهوائية الصاعدة إلى الهوى، المنجدة تحت سماء الصدر، الممطرة عليهم من الفوق، المدبرة لهم تدبيرًا، ﴿إِلاَّ آلَ

لُوطٍ﴾ [القمر:34]؛ يعني: إلا القوى المؤمنة المطهرة المصدقة باللطيفة المطهرة المرسلة الآمنة عن الحاصب، ﴿نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [القمر:34 – 35]؛ يعني: أنجيناهم بتسحرهم في التطهر وقت المناجاة، وكان بسحرهم ﴿نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [القمر: 35]، وشكرهم على نعمتنا أنجيناهم، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ [القمر:35] نعمتنا.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ [القمر:36] البطشة ثلاث بطشات، مثل: الطامة، والنار كبرى ووسطى وصغرى، فالبطشة الكبرى، والطامة الكبرى، والنار الكبرى، إذا أخذت المرء فلا يمكن الخلاص منها، وأما الوسطى فيمكن بالشفاعة وبعض الأعمال الصالحة وإن كانت مغلوبة، وأما الصغرى فإذا ظهرت للسالك يزيد إيقانه ويظهر له نشاطًا في سلوك الطريقة، وتحرضه على التوجه الكلي إلى الله يشرف بالتجليات بعد هذه الحالات، ولله بطشة خفية في كل لمحة، وطامة جلية في كل بطشة، ونار مضيئة مشرقة في كل طامة، وساعة وقائمة في كل نار، وواقعة خافضة في كل ساعة لا يشاهدها إلا الأقطاب الأربعة؛ وهم: العالم العلوي والسفلي، ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ [القمر:36]؛ يعني: أنذرت اللطيفة المتطهرة للقوى الملونة عذابنا وبطشنا لهم بأفعالهم الخبيثة، فشكوا بالنذر؛ أي: بالإنذار، وكذبوها ولم يصدقوا إرسال الحاصب عليهم.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾ [القمر:37]؛ يعني: طالب القوى المتلونة القربان بضيف الوارد القهري النازل على اللطيفة المتطهرة؛ ليعذب القوى المتلونة في صور اللطف، ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر:37]؛ يعني: صيرنا أعينهم مطموسة من كدورات أفعالهم الخبيثة، وأرسلنا عليهم صاحب أفعالهم، وقلنا: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: 37]؛ أي: هذا العذاب الذي كنتم به تكذبون، وحظ السالك من هذه الآية أن لا يأذن للقوى المشككة المكذبة بالدخول على ضيف الوارد القدسي بحال البتة.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (38) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (39) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (40) وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (41) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (42) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (44) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45)﴾ [القمر: 38 – 45].

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:38]؛ يعني: عند طلوع صبح النفس

اللوامة في بكرة الملهمة، استقر العذاب بالقوى المشككة والمتلونة ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:39]؛ يعني: عذاب الحاصب الحاصل من أعمالكم الخبيثة ونياتكم المتلونة، مما أنذركم به اللطيفة المتطهرة المرسلة.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر:40]؛ يعني: سهلنا على الألسنة قراءة القرآن الذي فيه هذه الآيات المذكرة لهم من العذاب الواقع بالأعمال الخبيثة على القوى المتلونة العامل للخبائث: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:40]؛ يعني: هل أحد يتعظ بهذه المواعظ بقلبه مما يتلوه بلسانه؛ والمراد من إنزال القرآن وتيسير قراءته على اللسان وكشفه بالبيان؛ تذكرة آياته والاتعاظ بمواعظه، والتفكر في عجائبه بالجنان، لا قراءته بصوت حسن؛ طلبًا للدراهم والدنيا من الأعوان ووعظ العوام والارتفاق بالنسوان، وهذا القارئ يكون داعيًا من دعاة الشيطان، والاحتراز من قراءته ووعظه واجب على أهل الإسلام والإيمان.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ [القمر: 41 - 42]؛ يعني: كذب القوى الفرعونية من القوى القالبية اللطائف السرية والعقلية المنزلة بالآيات الأنفسية والآفاقية لهم، فما أظهرت اللطيفة السرية الموسوية بالآيات الأنفسية والعقلية الهارونية الآفاقية، ما زادهم المنذرين إلا طغيانًا، واللطيفة السرية أنفسية، واللطيفة العقلية آفاقية، كما شرحناها في حمل الصنايع المعاينة، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:42]؛ يعني: أخذناهم بالعذاب أخذ من يكون غالبًا على أمره، قادرًا على شوق ما في علمه على حسب إرادته.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ﴾ [القمر:43]؛ يعني: أيتها القوى الملائكية الوجودية الغير المستخلصة، قواكم الكافرة خير واجب إلى الله من قوى الأمم التي كفرت باللطائف المرسلة السالفة؛ لئلا يعذبكم بما عذبهم بكفرهم، ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر:43]؛ يعني: لكم براءة في كتاب الله تعالى بأنكم تسلمون ولا تعذبون بكفركم، ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر:44]؛ يعني: يظنون أن بجمعية قواكم تغلبون على حكم الحق والوارد القاهر، ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر:45] سوف يهزم جمعكم بالوارد الذكري القهري، ويفرون مدبرين وعليهم الدمار والرماد؛ لإدبارهم عن الواقع وإقبالهم على الهوى.

﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١ ﴾ [القمر: 46 - 51].

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر:46]؛ يعني: إذا دخلت قيمة القلب يكون أعظم هيبة وأشد مرارة للقوى المدبرة من عذاب أرسلنا عليهم بالوارد الذكري القهري، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر:47] عند حلول الساعة تسعر على المجرمين نيرانهم المشتعلة في جهنم قالبهم من نيران الحسد والحقد، والبغض والغضب، والكبر والشهوة، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وَجُوهِهِمْ﴾ [القمر:48]؛ لاستنكافهم عن وضع الوجه لله على أرض التواضع، واستكبارهم على الحق بالقوة الباطلة، يقول لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر:48]؛ يعني: ذوقوا مساس سقر قالبكم بأخذكم المعارف من الوارد، واشترائكم متاع الحياة الدنيا بها في دار الكسب، هذه ﴿سَقَرَ﴾ [القمر:48] جزاءكم اليوم في دار الجزاء.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49]؛ يعني: لكل شيء قدر معين وأجل معلوم مكتوب في اللوح المحفوظ، كما كان في أم الكتاب لا يتأخر ولا يتقدم مما قدر.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر:50]؛ يعني: لشيء إذا أردنا وقوعه حين انقضاء أجله المعلوم، ودخول وقته المقدر أن ﴿يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:117] في الحال من غير تأخير، ويشبه سرعة نفاذ الأجر بالكلمة الواحدة بلمح البصر، وهو أقرب عند أهل البصيرة؛ لأنهم يسمعون الكلمة في كل ساعة، ويشاهدون الساعة في كل نفس، ويتنعمون بمعارف الآيات في كل حال، وكشف سر هذا الحال من حد القرآن مما يجب إخفاؤه ويحرم إفشاؤه، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ [القمر:51] أيتها القوى الكاذبة المكذبة المستكبرة، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:51]؛ أي: هل أحد يتذكر من قراءة القرآن واستماع الآيات ويتعظ بهذه المواعظ، ويعرض عن قواه الكافرة المكذبة ويقبل على قواه المؤمنة المصدقة، ويؤمن بلطائف القالبية الحسية، والقلبية والسرية والروحية والخفية.

﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: 52 - 55].

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر:52]؛ يعني: مكتوب في كتبنا كل ما عمل شخص من الأشخاص، وتلك الكتب الموجودة مع كل أحد من بني آدم؛ ولكنهم لكثافة حجبهم الظلمانية لا يستطيعون قراءتها، أما ترى أيها الجاهل الغافل إذا صريع مصروع، عامي أمي كيف يقرأ القرآن، والزبور، والتوراة، والإنجيل؟ وكيف يتكلم المصروع العجمي بالعربي، والعربي بالعجمي، والمغولي بالهندي، والهندي بالمغولي؟ فلولا أن تلك الكتب المكتوبة على الألواح موجودة فكيف يقدر بعد الإغماء عليه لخرق حجابه على قراءة تلك الكتب؟ ولأجل هذا ضرب به المثل ابن الفارض وهو من محققي هذه الأمة في قصيدته التائية، غير أنه رجع القهقرى حتى مال إلى الإيجاد، قال رحمه الله تعالى:

مسائلَ مُحِقٌّ والحقيقةُ عُمْدتي ... وأُثبِتُ بالبُرهانِ قَوليَ ضاربًا

على فَمِها في مَسِّها حيثُ جُنَّتِ ... بِمَتْبوعةٍ يُنبيكَ في الصَّرعِ غيرُها

عليهِ براهينُ الأدلَّةِ صَحَّت ... ومِنْ لُغَةٍ تبدو بِغَيرِ لسانها

وهذا شيء شاهدناه مرارًا ثم شاهدنا في سلوك الطريقة أن السالك الأمي يقرأ جميع القرآن في طرفة عين وإلى هذه الحقيقة أشار ابن الفارض حيث قال رحمه الله:

وقُلْ ليَ مَن ألقى إليكَ عُلُومَهُ ... وقد ركَدتْ منكَ الحواسُ بغَفْوَة

وما كنتَ تدري قبل يومكَ ما جرَى ... بأمسِكَ أو ما سوفَ يجري بغُدوة

فأصبحتَ ذا عِلْمٍ بأخبار مَن مَضى ... وأسرارِ من يأتي مُدِلاً بخِبْرَة

أتحسبُ من جاراكَ في سِنَةِ الكَرَى ... سِواكَ بأنواعِ العُلُومِ الجليلة

وما هِيَ إلاّ النّفسُ عند اشتِغالها ... بعالَمِها عن مَظهَرِ البَشَرِيّة

تجلّتْ لها بالغَيبِ في شكلِ عالِمٍ ... هَداها إلى فَهْمِ المَعاني الغريبة

وقد طُبِعَتْ فيها العُلُومُ وأُعلِنَتْ ... بأسمائها قِدْماً بوَحْيِ الأُبُوّة

فاجتهدوا أيها الغافلون في تطهير لوح الباطن عن الغبار الواقع على وجهه من عالم الجذب، سبب ريح الهوى بالذكر الكريم؛ ليقرؤوا جميع الكتب المنزلة وغير المنزلة، وتطّلعوا على أم الكتاب الذي هو مخزون في عالم الجبروت عند الرب، وفصيح لسانك

بجميع اللغات وقت الغدر عن مشاهدة الصغائر والكبائر المكتوبة على ألواحكم، كما يقول الله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:53]؛ يعني: صغائر أعمالكم وكبائرها من الخير والشر، مكتوبة على ألواحكم.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر:54]؛ يعني: الذين اتقوا عن غبار تراب الطبيعة، وريح الهوى في جنات قلوبهم ونهر معارفهم الجبروتية، مستريحون ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر:55] وهو موضع الحكمة ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:55]؛ يعني: موضع الحكمة عند القدرة وفيه أسرار رحمته، أشرح لك نبذة نستفيد منها ما يهز به عطف إرادتك للطلب.

اعلم أن مفاتيح الغيب، ومقعد الصدق، وأم الكتاب عنده في عالم الجبروت، وهي مظاهر جبروتية لصفات لاهوتية؛ وهي: الحياة، والسمع، والبصر، والكلام، والعلم، والقدرة، والإرادة، والحكمة، وجواهر الملائكة الأربع، والعناصر الأربعة في الملكوت، مظاهر لمظاهر الصفات الجبروتية، وقال الإنسان المنفوخ فيه الروح مظهر لمظاهر الصفات الملكوتية؛ التي هي مظهر لمظاهر الصفات الجبروتية؛ التي هي مظاهر الصفات اللاهوتية، وقال الإنسان ناسوتي، وبه يتم أمر الحكمة وهو أنت، فانظر إلى نفسك لترى آيات أفعال الحق، وادخل في نفسك تشاهد آيات صفات الحق، واصقل مرآة نفسك لتشرف بمشاهدة جمال الحق، وارحم نفسك بنفسك في نفسك ولا تضع قدمك خارجًا من حرم نفسك؛ لأنها البيت الحرام وكعبة الأمان ودار السلام، وفيها الجنة والرضوان والروح والريحان؛ لئلا تضل في بادية الجريان بالخيبة والخسران، فالعالم بأسره ملكه وملكوته، وغيبته وشهادته، وأنفسه وآفاقه إنسان صغير، والإنسان عالم كبير، فالويل لمن ترك الكبير للصغير، وحقير من يقنع بالقليل من الكثير.

اللهم ارفع همتنا بطلب الملك القدير، ووفقنا لمتابعة حبيبك المنير، البشير النذير للخير والشر به ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

سورة الرحمن

وهي ثمان وسبعون آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ⑤ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ⑥ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑦ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ⑪ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ⑫ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⑬﴾ [الرحمن: 1 - 13].

قدسية رحمانية إسلام أبادية مختومة بختام المسك مما ينافسه المتنافسون وفيه يرغب الراغبون، وله يزهد الزاهدون، وإليه يتوجه المتوجهون، وبه يسلك السالكون، ومعه يطرب المطربون ويرقص الراقصون، ومنه يستريح المستريحون، طوبى لمن نظر فيها بعين العبرة وانتفع منه الخير، وحمل على جند النفس حمله أهل الغيرة؛ ليخلص من بيداء الحساب ويخرج من نية الحيرة، ويخلص نفسه من رق الشيطان ويدخله في زمرة عباد الرحمن، ويقرأ سورة الرحمن ويتدبر في هذا البيان الذي جاء من حضرة القرآن، ونقش على صحيفة الجنان؛ ليشاهد حقيقة بعين العيان، ويعرف حقيقة بحق الإيقان، والله المستعان وعليه التكلان .

يا طالب علم الرحمن في القرآن: اعلم أن الله تعالى يقول: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن:1-2]؛ يعني: الرحمن إذا استوى على عرش الروحانية علم القرآن للأرواح الطيبة بما نقش بالقلم الخفي على ألواحهم الساذجة من علم القديم، فلما تصاعد غبار عالم الحدوث ووقع على ألواحهم خفي النقش، وما هم بقادرين على بقي الغبار ولا على غسل الألواح.

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ [الرحمن:3] الجامع، وجمع فيه المفردات العلوية والسفلية؛ ليحصل له استعداد يزيل الغبار عن وجه ألواح، ويغسل الصور المنقوشة ليلوح فيها

المعاني، كما يقول تعالى بعد ذكر خلق الإنسان: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن:4]؛ ولهذا السر قال الله تعالى مع حبيبه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة:18-19]؛ لأن البيان تفصيلي والقرآن إجمالي، وليس للمخلوقات في تفاصيل المعرفة حظ إلا للإنسان، لقوة لها حصلت من امتزاج مفردات العلويات والسفليات، واختلاط الأنوار والظلمات، وهو مزاج معتدل في اللطافة والكثافة؛ ولأجل هذا صار مظهر صفات الذات.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:5]؛ يعني: شمس النبوة وقمر الولاية على فلك وجود الإنسان، يدور بالحساب في الدائرة الأزلية والأبدية على قطب نقطة نون الرحمن، ولا يكشف هذا السر حتى يفهم قوسيته صورة في البياض والسواد، وإيصال دائرة الأزل إلى الأبد عند نزعة بواسطة وتروا، والولاية القائمة بألف الاسم الأعظم، وسر سين السهم الأسمى الذي لأجله ظهر قوس النون، ووتر الواو، وألف الاسم؛ وهو آخر حروف القوس وبه تتصل دائرة الأزل بالأبد، وبه يتم التدبير وحكمه الرجوع وحصول الصيد المقصود من إيجاد وجود كل موجود، والشروع في تحقيقه يلزم الشروع في بيان حد القرآن مما لست مأذونًا في إفشائه.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:6]؛ يعني: نجم أمر التدبير، وشجر سر التدبير عند عروجها على مدبرها يسجدان له ويتذللان بين يديه بالرجوع عليه، والنجم استعداد علوي نزل وقت التدبير لتربية الشجر، وهو القوة السفلية ليظهر فيعرج ثم يعرج إلى ربه، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن:7]؛ يعني: سماء الصدر رفعها فوق البشرية ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:7]؛ يعني: وضع القوة المميزة العاقلة بين القوى السمائية وإعطاء الحقوق العلوية، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن:9]؛ يعني: لسان الميزان عند البيان، ينبغي أن يكون قائمًا بالعدل لا يميل على جانب الإفراط والتفريط بالهوى؛ لأن النبي ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[1]، ﴿وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:9]، إشارة إلى التفريط، كما أن قوله: ﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن:8]

(1) أخرجه الديلمي (1/ 398، رقم 1611).

كان إشارة إلى الإفراط.

﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾ [الرحمن:10]؛ يعني: أرض البشرية وضعها وفرشها وبسطها للقوى الإنسانية، ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ [الرحمن:11] من فواكه معرفة الصفات الفعلية، ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ﴾ [الرحمن:11]، إشارة إلى الشجرة التي هي مظهر لمعارف الصفات الذاتية؛ ولأجل هذا قال: ﴿ذَاتُ الأَكْمَامِ﴾ [الرحمن:11]؛ لأن شجرة الإنسان ذات الأطوار، كما أن النخل ذات الأكمام، كل طورها مستور بطور آخر؛ ولأجل هذا قال ﷺ: «النخلة عمتكم»[1]، وهي أفق النباتات ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن:12]؛ يعني: حب الحب المزروع في أرض البشرية؛ يعني: ذو أوراق من المكاشفات، ﴿ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن:12] من المشاهدات؛ وهو الورق الحسن الذي يخرج من الحب، والعصف هو الورق الذي يحفظه، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:13]، إشارة إلى القوتين: العلوية والسفلية؛ يعني: بأي نعم ربكما أيها القوتان تكذبان، أبنعمة رفع السماء، أم بنعمة وضع الأرض تكذبان؟ أبإنزال النجم التدبيري، أم بتفريج الشجر الحكمي تكذبان؟

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرحمن: 14 - 25].

﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: 14-15]، خلق القوة الإنسانية من العناصر السفلية المتأثرة بالعناصر العلوية، وخلق القوة الجنية من العناصر العلوية المكتسبة بسبب الهوى ألوان العناصر السفلية، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:16]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة استعداد قبول الأثر من

---

(1) أخرجه أبو يعلى (1/ 353 ، رقم 455)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (3/ 118)، والعقيلي مختصرًا (4/ 256)، وابن عدي (6/ 431)، وأبو نعيم في الحلية (6/ 123)، وابن عساكر (7/ 382).

العناصر العلوية، أم بنعمة قوة الاكتساب من العناصر السفلية تكذبان؟

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:17]؛ يعني: رب مشرق شمس النبوة ومشرق قمر الولاية في العالم الجسماني، ورب مغرب شمس النبوة ومغرب قمر الولاية في العلم الروحاني، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:18]؛ يعني: أبنعمة إشراقهما لأجل الكسب، أم بنعمة إغرابهما لأجل الاستراحة تكذبان أيتها القوتان؟

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:19-20]؛ يعني: مرج البحرين: الروحاني، والجسماني ﴿يَلْتَقِيَانِ* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ [الرحمن:19-20] الإنسان؛ أي: حاجز يمنعهما أن يتغيرا؛ يعني: إن لم يكن حاجز القلب بين القوى العلوية والسفلية لتغير مزاج القوى النورانية العلوية من دخان القوى الظلمانية السفلية، ويصل أيضًا حاصبات القوى السفلية من غلبات أنوار القوى العلوية؛ لأن القوى السفلية ضعيفة عاجزة عن حمل الأنوار العلوية إن لم يكن بينهما واسطة اللطف من القوى السفلية وأكثر من القوى العلوية، كما أن - القصرون- ألين من العظم وأخشن من اللحم، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:21] أيتها القوتان، أبنعمة مرج البحرين، أم بنعمة الحاجز الذي إن لم يكن هو بطل ومتغير استعدادكما تكذبان؟

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:22]؛ يعني: من البحر العلوي يخرج لؤلؤ أنوار الأسرار السري، ومن البحر السفلي يخرج مرجان نيران العشق القلبي، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:23] أيتها القوتان تكذبان؟

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ [الرحمن:24]؛ يعني: له بيض الخواطر المسخرة في بحر الإنسان الذي فيه البحران يلتقيان، ﴿كَالأَعْلامِ﴾ [الرحمن:24]؛ ليقطع بعلامتها ويميز الخاطر العلوي من السفلي وإلا شيء من الجني، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:25]، أفبنعمة تسخير السفن، أم بنعمة الأعلام أيها القوتان تكذبان؟

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾ [الرحمن: 26 - 34].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:26-27]؛ يعني: من يكون على أرض البشرية فانٍ، والفناء إشارة إلى فناء المركبات، كما أن الهلاك إشارة إلى هلاك المفردات، ولأجل هذا إشارة في الفناء إلى تجلي الصفات، وفي الهلاك إلى تجلي الذات، وأطلق الهلاك على كل شيء حيث قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:88]، وأضاف الوجه إلى هويته، وأطلق الفناء على من على وجه الأرض البشرية من المركبات بقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:26]، وأضاف الوجه إلى الصفة حيث قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:27]؛ يعني: صاحب تجلي الجمال والجلال؛ يعني: بتجلي الجلال الصور الكثيفة، ويبقى بتجلي الجمال المعاني المكتسبة اللطيفة من الصورة الكثيفة، والفرق بين الهلاك والفناء بين فناء نور القمر عند حجاب الأرض له عند أخذ النور من الشمس وهلاك أنوار الكواكب عند طلوع الشمس، وأبين لك فرق أظهر من هذا في صورة النبات، إذا وضعته في قدح فيه ماء يفني تركيب الصورة النباتية القائمة ثلاثة قوائم، ويهلك معنى حلاوة في الماء؛ لغلبة الماء عليه، وفي الهلاك والفناء أسرار سوى هذا يتعلق بعضها بمجد القرآن وبعضها بمطلع القرآن، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:28]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة إفناء الصور الكثيفة، أم بنعمة إبقاء المعاني اللطيفة المكتسبة من الصور الكثيفة في دار الكسب تكذبان؟

﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الرحمن:29]؛ يعني: القوة العلوية والسفلية تسأله حظوظهم وحقوقهم، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:29]؛ يعني: يحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع لحكمته وقدرته على وفق إرادته، يمحو ما يشاء عن الألواح، ويثبت ما يشاء على الألواح في يوم الحال الحاجز بين الأزل والأبد، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:30]، أبنعمة محو السيئات، أم بنعمة إثبات الجنان أيتها القوتان تكذبان؟

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ [الرحمن:31]؛ يعني: سوف نفرغ من استعمالكم في دار الكسب أيها القربان الثقيلان العظيمان برفعان قدر، كما لأنكما ثقلان الأرض البشرية والسماء الروحانية، ويشتغل بالإعطاء جزاء أعمالكم في دار الجزاء، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:32]، أبنعمة الاستعمال في دار الكسب في الأعمال الصالحة، أم بنعمة إعطاء الجزاء في دار الجزاء أيتها القوتان تكذبان؟

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن:33]؛ يعني: أيتها القوى العلوية والسفلية، إن كنتم تستطيعون أن تتفرقوا أو ترجعوا إلى سماء الروحانية وأرض الجسمانية فتفرقوا، وما كنتم على التفرق والرجوع إلى كلياتكم إلا بسلطاننا وحكمنا وبياننا، وبعبارة أخرى إن كنتم تستطيعون على تحصيل المعارف العلوية والسفلية بغير سلطان الوارد فاسعوا في الطلب، ولا يمكن تحصيل المعارف بسعيكم إلا عند نزول سلطان الوارد، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:34]؛ يعني: أيتها القوتان العلوية والسفلية، أبنعمة اجتماعكما لكسب الحسنات الباقيات في دار الكسب، أم بنعمة تفريقكما وإدخالكما في دار الجزاء لاستراحتكما عن الشغل، وتنعمكما بالأعمال الصالحة المكتسبة تكذبان؟

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَٰصِى وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ [الرحمن: 35 - 45].

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن:35]؛ يعني: يرسل عليكما أيتها القوتان شواظ من نار علوية، وهو لهب النار الأخضر واستعداد النحاسية من العناصر السفلية، فلا يمنعان صاحبهما عن العذاب إن يشأ عذابهما، وفي هذا أسرار رحمة أشير إلى بعضها لك يفطن له الخبير.

اعلم أن الله تعالى خلق قالب إنسان مستعدًا مثل النحاس المستعد للتربية والتصعيد إلى حد يطرح عليه الكيمياء ويقلبه عينًا روحانيًا، وخلق فيه من نار القوة الفاعلية قوة إذا زكى النحاس من الظلمة المنطبعة فيه من أركان الأرضيات، وظهر النار من لهب الهوى، وقيل صاحب التزكية والتطهير كثير الإيمان وطرح على نحاس القالب واشتعل فيه النار

المطهرة عن لهب الهوى، فجعل قالبية الظلماني نورانيًا، ويصير نحاسية الجسماني عينًا باقيًا روحانيًا، وإن لم تزك النحاس من ظلمات الطبيعة ولم تظهر النار نورانيًا من لهب الهوى، تذيب النار التي هي ذات لهب هوائية نحاس استعداد القوة المكدرة الجسمانية في جحيم قالبه التي عمرها في دار الكسب، وتغذيه أبد الآباد تارة بالإذابة والإحراق في جحيم اغتراره بنور النار، وتارة بإدخاله النحاس المذاب في زمهرير إنكاره؛ ليخمد ويصلح للإذابة تارة أخرى في دار القرار؛ لإعراضه عن طاعة الملك الواحد القهّار، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:36]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة إعطاء آثار الخضراء العلوية، أم بنعمة إعطاء الاستعداد النحاسي السفلي تكذبان؟

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن:37]؛ يعني: إذا فرجت سماء الصدور، وتنزلت القوى الملكية على القالب، ويكون لون السماء المنشقة مثل دهق الزيت إذا وصل إليه حرارة النارية، لون كل ساعة بلون آخر، فكذلك سماء الصدر تتلون من حرارة شموس القوى الملكية بلون آخر على حسب قوى ملك من الملائكة المنزلة، كما قيل: لون ماء لون إنائه من ينصركما أيتها القوتان؟ ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 38]، أبنعمة انشقاق السماء، أم بنعمة إنزال القوى الملكية يكذبان؟

﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ* فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 39-40]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة الخلاص من الذنب في دار الكسب، أم بنعمة غفران ذنبكما تكذبان؟

واعلم أن الملائكة النازلة يعرفونهم بسيماهم، فتؤخذ بنواصي نياتهم السيئة وأقدام أعمالهم الفاسدة، ويلقون في جهنم قالبهم الذي عمروها في دار الكسب يطوف من نار عنصرهم الغير المستخلصة عن لهب الهوى، وحميم عنصرية مائهم المكدرة بتراب الطبيعة، كما ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ* فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ* يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن:41-44]، والآن وادٍ من أودية جهنم مثل الويل، فأما الويل حصل من شره، والآن من الهوى إلا من ستره الله بستر ستاريته فإن الملائكة لا يعرفونه، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:45] أيتها القوتان، أبنعمة الخلاص عن الجزاء لستره، أم بنعمة المغفرة عن الذنب بغفرانه

تكذبان؟

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۝﴾ [الرحمن: 46 - 56].

وهذه المواعظ جاءت لتتعظ بها القوتان من آلاء الرب ونعمائه؛ ولأجل هذا يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾(1) [الرحمن:46] جنة عن يمين لقوة روحانيتهم فيها المعارف، وجنة عن شمال لقوى جسمانيتهم فيها فيما اشتهت أنفسهم، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:47]؛ يعني: أيتها القوتان الخائفتان من مقامكما عند ربكما يوم الحساب، المشتغلتان بكسب الأعمال الصالحة المدخر لكم جزاءها في يوم المآب، أبنعمة جنة اليمين، أم بنعمة جنة الشمال تكذبان؟ ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن:48]؛ يعني: جنتكما ذواتا أغصان من المعارف الجلالية والجمالية، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:49]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة المعارف الجلالية، أم بنعمة المعارف الجمالية تكذبان؟ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن:50]؛ يعني: في جنتكما تجريان عين المكاشفة وعين المشاهدة، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:51] أيتها القوتان؟ ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:52]؛ يعني: من كل فاكهة معرفة صورتان خالدتان من صورة الأعمال الروحانية والجسمانية، التي عملها في دار الكسب صاحبها ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 53]؛ يعني: أيتها القوتان، بنعمة أي صورة من الصورتين الخالدتين تكذبان؟

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:54-55]؛ يعني: الصورة الخالدة متكئين على بساط البسط المفروش؛ الذي بطائن الفرش من إستبرق اللطف، وظواهرها من نور الفضل مما ليس له نظير في الدنيا، كما قال في وصفه النبي ﷺ: «جزاء عن الملك العلام، فيها مالا عين رأت، ولا أذن

(1) تقدم تخريجه.

سمعت، ولا خطر على قلب بشر»(1)، ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ [الرحمن:54]؛ يعني: اجتناء ما يجتني صاحب الجنتين يكون عليه سهلاً قريبًا على أية حالة شاء يجتني ثمارها من غير تحول عن مقام إلى مقام آخر، ومن غير حركة بالقيام والقعود، ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ﴾ [الرحمن:56]؛ يعني: في هذه الجنان صور حسنة خالدة من صور الأعمال الصالحة، يقصر طرفهن على صاحبها ولا يقدر أن ينظرن إلى غير صاحبها، وكل ما ينظر إلى صاحبها يريد في عينها جمال صاحبها، لم يمسهن يد قوة علوية ولا سفلية قبل يد صاحبها، وحسنهن من حسن الأعمال، وزيادة حسنهن في كل نظرة من حسن النية والصدق والإخلاص في العمل.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمن: 57 - 70].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:57]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة قصر طرفهن عليكما، أم بنعمة حفظهن عن مسام يد غيركما تكذبان؟ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:58]؛ يعني: قوة قلبها كالياقوت وقوة نفسها كالمرجان؛ وهو أفق المعارف، وللياقوت القوة القلبية، أم بنعمة خاصة تفريح القلب وتقويته؟ ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:59]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة ياقوت القوة القلبية، أم بنعمة مرجان القوة النفسية تكذبان؟

﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:60]؛ يعني: هل جزاء الأعمال الحسنة التي عملها صاحبها في دار الكسب إلا الإحسان في دار الجزاء؟ وهل يخرج من الشجرة الطيبة إلا الثمرة الطيبة؟ ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:61]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة التوفيق التي أعطيتكم في دار الكسب، أم بنعمة الجزاء التي ادخرت لكم

(1) تقدم تخريجه.

في دار الجزاء، بأي هذين الإحسانين تكذبان؟.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:62]؛ يعني: أيتها القوتان أبالجنة السرية، أم بالجنة الخفية تكذبان؟ ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن:64]؛ يعني: سوداوان مثل سواد العين التي فيها عين الإنسان، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:65]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة سواد العين في عين الإنسان، أم بنعمة عين الإنسان في سواد العين تكذبان؟ ولهذا السواد من يتعلق بحد القرآن، وقد أشرنا إلى بعض أسراره في موارد الشوارد، ومدارج المعارج، وسواطع القواطع.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن:66]؛ يعني: نوارتان بماء المعارف الذي إذا شربه صاحبه تقر عينه بمشاهدة جمال محبوبه لا ينقطعان أبد الآباد، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:67]؛ أي: بأية عين من هاتين العينين تكذبان؟ ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:68]؛ يعني: في هذه الجنتين فاكهة الإرادة، ونخل الولاية، ورمان النبوة، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:69]؛ يعني: أيتها القوتان، بأية جنتين من هذه الجنان الأربع تكذبان؟ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:70]؛ يعني: في الجنان الأربع ضوء الأخلاق الحسنة والأعمال الخيرة، ﴿خَيْرَاتٌ﴾ [الرحمن:70] وجوهها ﴿حِسَانٌ﴾ [الرحمن:70] أخلاقها.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: 71 - 78].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:71]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة الأعمال الصالحة، أم بنعمة الأخلاق الحسنة تكذبان؟ ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: 72]؛ يعني: صورة عمل روحي محبوسة في خيام لطيفة جسمانية، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:73]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة صورة العمل الروحي، أم بنعمة حبسها في خيام القوة الجسمانية تكذبان؟ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ﴾ [الرحمن: 74]؛ لأنهن محبوسات في الخيام الجسمانية، مأمونات عن ملامسة يد قوة علوية مكدرة بدخان الهوى، وسفلية ملوثة بقاذورات الطبع، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:

75]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة حفظ هذه الأمور الخالدة عن مساس يد قوة مكدرة علوية، أم بنعمة صونها عن ملامسة يد قوة ملوثة سفلية تكذبان؟

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:76]؛ يعني: تلك الصورة الحسنة الخيرة الخالدة، متكئين على بسط الرفرف الخضر الذي يوصلها الجذبة إليها، ولحاف الألحاف الخفية المنقوشة عليها معارف سر الربوبية المودع في تراب الطبيعة، وسر الخلافة المدرج في نار الروحانية، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:77]؛ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة بسط الرفرف الخضر، أم بنعمة لحاف العبقري المنقوش عليه أسرار الربوبية والخلافة تكذبان؟

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:78]؛ يعني: تبارك وتعالى اسم ربك الذي لجلالته وإكرامه، وكمال قدرته وإعظامه يحصل لقائله هذه الجنان التي وصفناها في سورة الرحمن، فأبشروا يا صعاليك الذاكرين أن جميع الحسنات والطيبات مدرجات في الكلمة الطيبة الحسنة؛ وهي ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الصافات:35].

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ﴾ [الرحمن:60]؛ يعني: هل جزاء من يقول: لا إله إلا الله من صدق القلب إلى الجنة المضافة إلى الرب، والجنان التي فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين هي صور الأعمال الحسنة، فاجتهدوا في تطهير مجاري ذكركم الكريم، وفي نفي الخواطر عند اشتغالكم بالذكر لتدخلوا جناتكم، وتجالسوا رضوانكم، وتشاهدوا رحمانكم، وتعرفوا إنسانكم، وتطَّلعوا على سر ما قال نبيكم ﷺ: «إن الله تعالى خلق الإنسان على صورة الرحمن»[1]، ومن قرأ سورة الرحمن وعرفها حق المعرفة اطَّلع على كمال معرفته ﷺ، وإشاراته اللطيفة المدرجة في كلماته الشريفة، وعلم أنه صدوق فيما قال: «أوتيت جوامع الكلام»[2] ﷺ.

---

(1) أخرجه الدارقطني في الصفات (1/ 36، رقم 48)، وعبد الله بن أحمد في السنة (1/ 268، رقم 498)، واللالكائي (3/ 423، رقم 716)، والديلمي (5/ 16، رقم 7309).

(2) تقدم تخريجه.

اللهم ثبتنا على متابعته، وعرفنا إشاراته، ولا تحرمنا من بركاته، ووفقنا للصلاة عليه، وأشركنا في تحياته وصلاته بحقه ﷺ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم يفرق بين المسيء والمحسن، يسوق المسيء على جهنم بسوط سيئاته، ويسوق المحسن إلى الجنة بسوط حسناته.

سورة الواقعة

وهي ست وتسعون آية مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦﴾ [الواقعة: 1 - 16].

يا طالب معرفة الواقعة الرافعة، اعلم أن الواقعة اسم لقيامة الروح، كما أن الآزفة اسم لقيامة الخفي، والحاقة لقيامة السر، والساعة لقيامة القلب، والواقعة إذا وقعت ترفع صاحبها طورًا وتخفض طورًا، وتسير من هواها ﴿الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور:10]، وتمور الأرض مورًا، وتفور نيران الشوق والعشق من هبوب رياح اللطف من شمال الجمال فورًا، وتشتعل نيران الشدة والغيرة من نفخ ريح سموم الجلال اشتعالاً، وتفجر حينًا أنهار المعرفة تفجيرًا، وتجعل ماء الحكمة غورًا.

واقرأ سورة الواقعة من كتاب الحق حيث يقول: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة:1 -2] متدبرًا؛ لتفهم أن الواقعة أمر جزم لا شك في وقوعها، والسالك إذا اشتغل بالسلوك والتصفية ووصل ذكره إلى الروح يشاهد الواقعة وهي في البداية، مثل ستر أسود يجيء من فوق الرأس عند غلبة الذكر، وكلما تدبر في النزول يقع على الذكر هيبة وسكينة، وربما في البداية يغمى عليه، فأما في الوسط فإذا نزل برأسه حتى يقع على عينيه يشاهد عوالم الغيب وما فيه كما شاء الله أن يريه في تلك الواقعة، ويكشف عليه العلوم الروحانية في تلك الواقعة، ويرى السالك عجائب وغرائب ما لا يعد ولا يحصى، فإذا أفاق من واقعته يكون كالحيوان يحكها السلكة، ويرشده مسلكه إلى ما فيه مصلحة وقته، ويصير ما هو مناسب لحوصلته، ويقوى قلبه ويأمره بالذكر والتوجه الكلي حتى يصفو سر الواقعة فيكون سرًا منورًا، فكلما ينزل يجد السالك منها طمأنينة وذوقًا، وربما يصل إلى حد

حتى أن السالك بعد نزولها يفتح عينه في عالم الشهادة ويشاهد مآله في الواقعة؛ وهي حالة سنية معتبرة عند أرباب السلوك.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة:2]، بل هي صادقة؛ لأن الشيطان يفر من ظل الواقعة، ولا تقدر النفس أن تشكل صاحب الواقعة أصلاً؛ لأنها أظهر من أن يمكن للنفس والشيطان أن يلبسا حالها على السالك، وعندي أنها حالة حقيقة؛ وهي النقطة الحقيقية، والذي تشاهده في عالم الشهادة بالنسبة إليها حالة النوم، وفي الحقيقة كل ما يشاهده في العالم الخيالي لا حقيقة له؛ ولأجل هذا قال النبي ﷺ: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»(1)، فكن أيها النائم في نومك على حذر من حقائق الحيات والعقارب المنبثة بصور أفلاكك لكن تنتبه فتشكر الله على أنك خلصت من النوم، ولا تتنعم بصورها المزينة المزخرفة الدنيوية، لكن تنتبه بحزنك الانتباه لما رأيت الصور المزينة الملتبسة في النوم، ولا بد من الانتباه من مشاهدة حقائق الصور المكتسبة بالأخلاق والصفات، فاجتهد في أن تحد بصرك وتكشف غطاءك في اليوم لتشاهد حقائق الصور؛ لئلا تلتفت إلى الصور المزخرفة، وتشاهد وراء الصور حقائق المعاني العقربية والنارية، والحطمة في صورة مزينة بالشهوات؛ ليتيقن بها أطفال الطبيعة وجهال قوى القالبية والنفسية، ويعاين في الصور الهائلة المزخرفة الدنيوية حقائق الحورية والخلدية والنعم الباقية، لكن يتنبه بشكر الله على خلاصك من الصور الهائلة، ووصولك إلى حقائقها وتنعمك بها أبد الآباد؛ ولأجل هذا قال النبي ﷺ: «إن الجنة حفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات»(2)، والذي يقول الله تعالى في صفة الواقعة: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة:3] تدل على هذه المعاني؛ لأنها تخفض أهل الشهوات وترفع درجات الذين تركوا الشهوات، ونظروا بعين التحقيق إلى معاني الصمد المزخرفة لا إلى صورتها، وأعرضوا عن الباطل وأقبلوا على الحق.

﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجاًّ﴾ [الواقعة:4]؛ يعني: زلزلت أرض البشرية من غلبة ريح الذِّكر الروحي، ﴿وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَساًّ﴾ [الواقعة:5]؛ يعني: فتت القوى المعدنية فتًا من صدمات سلطان الذِّكر الروحي، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثاًّ﴾ [الواقعة:6]؛ يعني: غبارًا متفرقًا

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

بقوة النفي بالذِّكر الروحي، ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً﴾ [الواقعة:7]، أيتها القوى القالبية والنفسية، والقلبية والسرية، والروحية والخفية: إنكم في تلك الحالة تتفرقون على ثلاثة فرق: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون كما يصفهم الله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة:8]، هم أصحاب اليمن والبركة من المتيقظين في نومة الدنيا، المشاهدين حقائق الصور بعين الإيمان، ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة:8] ما أحسن حال أصحاب الميمنة بعد الخلاص من النوم، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة:9]، وهم أصحاب الشؤم والمنقصة من الجاهلين النائمين بنومة الغفلة في الدنيا، القاصرين نظرهم على الصور المزخرفة المزينة العاجلة، الغافلين عن حقائقها ومعانيها، ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة:9]؛ يعني: ما أقبح حال أصحاب المشأمة بعد الانتباه من نومة الدنيا، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة:10]؛ يعني: السابقون الذين سبقت لهم منا الحسنى، ما زاغ بصرهم وما طغى، قدمهم عن الصراط يمينًا وشمالاً؛ هم السابقون بتوجههم الصادق إلى الله تعالى، ﴿أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:11] من الله، ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: 12]؛ أي: في حقائق ما يشاهدونها في صور الكراهة في الدنيا من المجاهدة والرياضة وترك الشهوات وما شاكلها.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة:13]؛ يعني: يكون السابق قليلاً من القوى القالبية والنفسية، والقلبية والسرية، والروحية والخفية، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ [الواقعة:14]؛ يعني: أيضًا هم قليلون من القوى الخفية، كما يقول تعالى في موضع آخر: ﴿وقليل ما هم﴾ ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة:15-16]؛ يعني: سرر السر متواصلة من الصفات منسوجة بجوهر الوفاء وذهب الرضاء.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الواقعة: 17 - 29].

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة:17]؛ يعني: يطوف عليهم صور أعمالهم

القلبية وأخلاقهم الروحية الحميدة، ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ [الواقعة:18]؛ أي: باستعدادات علوية، ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ [الواقعة:18]؛ أي: باستعدادات سفلية، ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: 18]؛ أي: باستعداد معتدل من امتزاج الاستعدادات العلوية والسفلية المطهرة مملوءًا من خمر المعاينة، ﴿لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ [الواقعة:19]؛ يعني: لا يؤلم دماغهم الروحاني عن شربها، ﴿وَلاَ يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة:19]؛ أي: لا يغني شرابهم، ولا ينفد ذوقهم، وهم لا يسأمون من شربها، وكلما يشربون كأسًا تزيد رغبتهم في شرب كأس أخرى، بذوق يحصل لهم من الشرب الأول إلى ما لا يتناهى، وهم خالدون في هذه الأذواق الحاصلة من الذوق الروحي، ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقعة:20]؛ يعني: لهم الفواكه المطرفة مما يختارون، ولهم ﴿لَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:21]؛ يعني: لهم قوة طرية حاصلة من الذِّكر الروحي يطيرون بها إلى حيث يشتهونه، ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: 22-23] يعني: لهم حور عين من القوى القابلة القالبية والنفسية المزكاة المطهرة تفنيهم على أفعالهم كما يريدون، وهذه القوى المزكاة كانت أمثال اللؤلؤ المخزون في أصداف القالب والنفس في بحر الدنيا، لا يصل إلى تلك القوى غبار الهوى ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة:24] في دار الكسب من محافظة القوى الحقوقية المستكنة في أصداف القالب والنفس عن غبار الحظوظ الباطلة العاجلة.

﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً﴾ [الواقعة:25]؛ يعني: في جنتهم النباتية والمعدنية، المزكاة عن غطاء الكذب وشوك الشرك، لا يسمعون من صور أعمالهم الصالحة ﴿إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً﴾ [الواقعة:26]؛ يعني: سلامة عن اللغو وسلامة عن التأثيم في دار النعيم، ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة:27]؛ يعني: أحسن أحوالهم ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة:28]؛ يعني: ثمرة تعلقه منقاة من الشوك من الثمار، معرفة الصفات الفعلية الحاصلة من بذر الذكر القالبي والنفس في طلح ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة:29]؛ يعني: من أصلها إلى فرعها ثمرة لطيفة من غير أن يكون لها قشر يجب طرحه، وهذه ثمرة حاصلة من بذر الذِّكر القلبي.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٌ مِّنَ

ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: 30 - 44].

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:30]؛ أي: في راحة ممدودة غير متناهية حاصلة من ظل الذِّكر السري، ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة:31]؛ أي: مصبوب على أرض جنتهم وتراب طبيعتهم الكافورية من ماء الذِّكر الدائم الروحي، ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ* لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:32-33]؛ يعني: معارف متناهية وغير ممتنعة عنهم يأكلونها متى شاءوا، حاصلة من بذور أذكار القوى العلوية والسفلية، ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: 34]؛ يعني: بسط مبسوطة على بساط البسط في العالم الخفي، مرفوعة فرش استعداداتهم المزكاة السفلية بالقوة الخفية من أثر الذكر الخفي.

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [الواقعة:35]؛ يعني: جددنا لهم كل ساعة صور أذكارهم القالبية والنفسية، ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً* عُرُباً﴾ [الواقعة:36-37] لا يمسها أحد قبلهم ﴿عُرُباً﴾ [الواقعة:37]؛ يعني: يعرب تلك الصور المحببة إلى القوة الفاعلية العلوية، لهم المعاني بأحسن كلام، وأبين نظام، وأفصح بيان، وأوضع برهان بلا ترجمان، ﴿أَتْرَاباً﴾ [الواقعة:37]؛ يعني: مستويات في القدر والرفعة ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة:38]: يعني: هذا الذي ذكرناه مدخر ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة:38] في دار الإقامة بما عملوا من الصالحات في دار الكسب، وأصحاب اليمين أيضًا يقولون قليلون، كما يقولون: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ* وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ* وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ [الواقعة:39-41]؛ يعني: ما أقبح حال أصحاب الشمال ﴿فِي سَمُومٍ﴾ [الواقعة:42]؛ وهي ريح حارة هوائية ممزوجة بنيران الشيطانية، ﴿وَحَمِيمٍ﴾ [الواقعة:42]؛ وهو ماء عنصريتهم الحار مما أسخن بنيران الشهوية، ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة:43]؛ وهو نار عنصريتهم المدنسة بتراب الطبيعية، كثيرة الدخان من الحظوظ الباطلة الطبيعية، وأشار به إلى الظل؛ لأن نارهم دست في تراب طبيعتهم وارتفعت عن وجه أرض البشرية، وصعدت إلى دماغ روحانيتهم، وصارت مثل الظلمة، ﴿لاَّ بَارِدٍ﴾ [الواقعة:44] ظلال الظلمة المتصاعدة من أبخرة الهوى يمنع صاحبه عن الحرارة المفرطة الشيطانية والشهوانية، ﴿وَلاَ كَرِيمٍ﴾ [الواقعة:44] حر نارها بحيث يدفع ما يجد من برودة الجهل

والظلم الترابي.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ۝٤٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝٤٨ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝٥٣ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝٥٥ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ۝٥٦﴾ [الواقعة: 45 - 56].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة:45]؛ يعني: في دار الفرار بالصور المزينة المزخرفة، المتلبسة في أكيسة عناصرهم متنعمين، ﴿وَكَانُوا﴾ [الواقعة:46] قبل ﴿يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:46]؛ لكثافة حجبهم وغلظ أستارهم يصرون على تكذيب اللطائف، والشرك بالله والكفر بذاته، ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة:47-48] على سبيل الاستهزاء إنكارًا بالبعث لقلة علمهم بالله، يبعثهم كل ساعة كما يقول: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الروم:56]؛ لكثافة حجبكم،﴿قُلْ﴾ [الواقعة:49] يا أيتها اللطيفة الخفية ﴿إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ﴾ [الواقعة:49]؛ يعني: القوى البسيطة والمركبة ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة:50]؛ يعني: صور قواكم المتحللة من المفردات الأولى والمركبات الأخيرة، لمجموعون في يوم البعث من قبر القالب ،﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ﴾ [الواقعة: 51] في تية الظنون﴿الْمُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:51] بالوارد، وتقولون لصاحب الوارد: إنك لمجنون.

﴿لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة:52]؛ يعني: نثرتم بالقوة الخبيثة بذر الكلمة الخبيثة في أرض بشريتكم الخبيثة، ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الواقعة:53] لغلظتها، ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ [الواقعة:54]، وهو ماء عنصريتكم المسخن بنار الشهوات، ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة:55] لهيمان إبل قوة حيواناتكم في بيداء الشكوك، وشدة عطشكم لحرمانكم عن ينابيع الذكر ومصانع الوارد، ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة:56]؛ يعني: هذا ما قدمتم في دار الكسب لأنفسكم، فجعلنا منه نزلكم في

دار الجزاء.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۝٦٤﴾ [الواقعة: 57 - 64].

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ﴾ [الواقعة:57] بالبعث بعد الخلق، فانظروا إلى مبدأ خلقكم لتعلموا أنّا خلقناكم بالوسائط، ولا تحسبوا أن الوسائط مختارة بنفسها؛ لئلا تشركوا بالخالق؟

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ* أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ﴾ [الواقعة:58-59]؛ يعني: في عالم الأنفس، ﴿أَفَرَأَيْتُم﴾ [الواقعة:58] أيها السالكون إلا مَني الإرادة، أنتم تخلقونه أم نحن خلقناه في ظهر القوة الفاعلة؟ ونحن صببناه في رحم القوة القابلة.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ﴾ [الواقعة:60]؛ يعني: موت الجهل في بداية الأمر؛ ليكسب القوة الفاعلة العلوية من القوى القابلة السفلية استعدادًا؛ فإما كاملاً لتستعمله في التزود لدار المعاد، ويجعل له مطية ليركبها يوم الرجوع إلى رب الأرباب، وبعبارة أخرى؛ يعني: نحن قدرنا الموت اللطيفة الحاصلة مَني الإرادة بأنها تبلغ مبلغ الرجال، أو تموت صبية، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ* عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ [الواقعة:60-61]؛ يعني: ما نحن بمغلوبين عاجزين عن إفناء مركباتكم وإهلاك مفرداتكم وإبدال قوى أمثال قواكم المتحللة الفانية الهالكة ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة:61] من تبديل قواكم، وصفاتكم الحاصلة من تلك القوى، كما يشاهد الرجل أنه يتورط في أمر الدنيا تورطًا عظيمًا، بحيث لا يذكر الله تعالى طرفة عين مشتغلاً بهواه مقبلاً على شهواته مربيًا قوى سبعية وبهيمية، فيبدل الله قواه وصفاته بحيث لا يفتر عن ذكر الله ساعة، ولا يشتغل بالدنيا ولو يضربونه ضربًا شديدًا، ويترك هواه ويقبل على مولاه ويعرض عن شهواته، ويستمر في مجاهداته ورياضاته، أليس هذه نشأة معينة وتبديلاً مبينًا ظاهرًا؟ فمالكم أيها العمي لا تؤمنون بخالقكم، ومنشئكم وباعثكم من قبول أقوالكم؟ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى﴾ [الواقعة:62] التي هي من مَني النطفة المودعة في ظهر القوة الفاعلة، المصبوب

في قبورهم رحم القوة القابلة، ﴿فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة:62] إني قادر على بعثكم من قبور قوالبكم، وأنشئكم النشأة الثانية بصب نطفة العناية؛ وهي ماء الحياة في ظهر قوة الولاية في رحم الإرادة، وإبدال قوتكم الفاسدة بالقوة الصالحة، وتغيير صفاتكم القبيحة بصفاتكم الحسنة.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة:63] من بذور الأعمال في أرض البشرية، ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة:64]؛ أي: أنتم تنبتون، أم نحن المربون؟.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝﴾ [الواقعة: 65 - 76].

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً﴾ [الواقعة:65]؛ يعني: لو نشأ لجعلنا بذور أعمالكم حطمة ليعذبوا بها ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة:65]؛ أي: تتعجبون مما ينبت من بذوركم لا حب فيه، وهذا يكون من شؤم الغفلة عن الإخلاص في النيَّة وقت العمل، فاحذروا أيها السالكون من الأذكار المصحوبة بالغفلة والأعمال الغير الخالصة؛ لئلا تكون أعمالكم وأذكاركم حطمتكم في دار الجزاء - نعوذ بالله من تلك الحالة - بل نحن محرومون من كسبنا وزرعنا.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ المَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ أَمْ نَحْنُ المُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: 68-69]؛ يعني: أفرأيتم ماء الوارد العرفاني الذي تشربون؟ أيتها القوى الذاكرة ﴿أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ﴾ [الواقعة:69] الخفي ﴿ أَمْ نَحْنُ المُنزِلُونَ* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً﴾ [الواقعة:69-70]؛ يعني: جعلنا ماء الوارد نكرانيا، ﴿فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة:70] نعمتنا وتؤمنون بقدرتنا بأنَّا قادرون على بعثكم في النشأة الأخرى، كما كنا قادرين على خلقكم في النشأة الأولى.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة:71] في نداء الذكر وحجر القلب من نار

العشق، ﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ [الواقعة:72]؛ يعني: شجرة نار العشق، ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾ [الواقعة:72-73]؛ يعني: شجرة نار العشق، ﴿تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة:73] لنار الحق، ﴿وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة:73]؛ يعني: استعدادًا للمسافرين الذين دخلوا دار القربة؛ ليتاجروا برأس مالهم ويربحوا أضعاف ما في أيديهم، لكن يأخذ صاحب المال منهم ماله، فيبقى لهم ما اكتسبوا برأس مالهم وتنعموا بمكاسبهم إذا رجعوا إلى مواطنهم الأصلية، فمن خسر برأس ماله فقد أورى من زند ذكره الدنيوي نار الشهوة؛ التي هي تذكرة للنار الكبرى، التي هي الموقدة في صدور أهل الهوى، وإذا رجع إلى وطنه يأخذ صاحب المال رأس ماله ويبقي معه مكتسباته، وتكون مكتسباته حطمه تتصرف فيها النار الموقدة المطّلعة على الأفئدة، ويحرق الحطمة ويشتعل النار الكبرى من إحراق الحطمة، وتعذب صاحبها في دار الجزاء أبد الآباد بالنار الموقدة، وحطمته المجتمعة في دار الكسب نعوذ بالله منه.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:74]؛ يعني: نزه مجاري ذكر الحق الباطل باسم ربك العظيم؛ وهو الله الحق، ثم سبح ذاته عن الشريك والنظير المعين، وتيقن أنه الفاعل المختار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ونحن المستعملون المضطرون المخزون الفقراء، ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة:75]؛ يعني: أقسم باللطائف الحقوقية المطهرة عن الأباطيل، هي مواقع نجوم الواردات القدسية الخفية من السماء، الجبروتية اللاهوتية، ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:76]؛ لأنه يعظم اللطائف التي هي مظاهر ذاته وصفاته بالقسم، وفي العظيم سر عظيم يتعلق بمطلع القرآن.

﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: 77 - 85].

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة:77]؛ يعني: كلام رب كريم؛ وهي صفة ذاتية له فانظر فيه وافتكر، وبشر وجودك بأنه صار مظهر الصفات الذاتية، ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة:78]؛ أي: محفوظ مصون عند الله أن يمسه محدث؛ لأنه صفة قديمة، ﴿لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:79]؛ يعني: لا يمس ذلك الكتاب إلا الذين طهرهم الله عن

قاذورات الحدث، وصيرهم ربانيين إلهين، ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة:80]؛ يعني: ينزل من عند رب العالمين نزول الفعل الصادر عن الصفة الفاعلية لظهر الأثر لا من قبيل نزول الشيء من الأعلى إلى الأسفل، تعالت حضرة الملك المتعال من أن ينزل منها شيء أو يصعد إليها شيء، كنزول الجسمانيات وصعودها، وكشف هذا السر يتعلق ببطن القرآن.

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة:81]؛ يعني: بهذا الذي ذكرناه أيها القوى القالبية والنفسية الكاذبة المكذبة تكذبون ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: 82]؛ يعني: تجعلون شكر رزقكم وحظكم من الوارد التكذيب.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة:83]؛ يعني: الحياة التي هي رأس مالكم، ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة:84] إليها مشاهدون ما ينزع عنكم، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة:85]، وهذا سر عظيم كشفه الله في ظاهر القرآن، أعرضوا عنه ما زين عليه كل يوم مرارًا كثيرة، فلولا غيرتي على هذه الحكمة المدرجة في هذه الآية، وخوفي من أن يسبك قلوب الغفلة لبسطت هذا السر؛ لأنه من بطن القرآن، وأذكره - إن شاء الله - في قدسية أخرى، بحيث يكون تمام القدسية مشحونًا ببيانها ﴿وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:85]؛ أي: لا تشاهدون إلا قريبة وتظنون بالله القريب الظنون الكاذبة.

﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة: 86 - 96].

﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة:86]؛ يعني: هلّا إن كنتم غير مملوكين مسخرين، ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ [الواقعة:87]؛ يعني: تردون الروح التي بلغت الحلقوم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة:87] بأنكم قادرون غير عاجزين، مالكون غير مملوكين، فإذا أعلمتم عجزكم فاعلموا أن الله الذي خلقكم بقدرته وأحياكم بإرادته وأماتكم بحكمته، قادر على أن يبعثكم من قبر قالبكم بعد موتكم، محط للسالك أن يتعين في حالة القبض، أن

الله هو القابض لا يقدر على ترديد حياة البسط إذا نزعها الله عنه وتفوض أمره إلى مالكه الذي في قبضته متردد، كما يقول النبي ﷺ: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فإن شاء أماته بالقبض، وإن شاء أحياه بالبسط، وإن شاء أماته بالنكرة، وإن شاء أحياه بالمعرفة»[1]، بترك اختيار نفسه إلى مسلكه ليوصله إلى مرتبة، بترك اختياره للحق ويكون كالميت بين يدي الغسال في الحضرة يمشون على وجه الأرض مقصورين، كما قال ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الآخرة يمشي على وجه الأرض، فلينظر إلى هذا»[2]، وأشار إلى أبي بكر ﷺ؛ لأنه شاهد في هذا اليوم أن الأمر لله، كما يشاهد الآخرون في الآخرة، ويقولون: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار:19]، ولو لم يترك السالك اختياره بالتفويض جميع أموره إليه لم يصل إلى مطلوبه البتة.

﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:88-89]؛ يعني: روح من روح الذِّكر الروحي، وريحان من نسيم الذِّكر السري، وجنة نعيم من ذوق الذِّكر القلبي، ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ* فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة 90-91]؛ يعني: سلامة لك من شؤم العقوبة والعذاب الدائم؛ لسلامة جوارحك وأعضائك عن ارتكاب المنهيات، وسلامة صدرك عن الغل والحقد والحسد، إنك من أصحاب اليمين، ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ [الواقعة:92]؛ يعني: المكذبين باللطيفة الضالين في بيداء الشبه، فهم أصحاب المشأمة لشؤم تكذيبهم وتضليلهم مما كسبوه في دار الكسب من الحميم والجحيم؛ ولأجل هذا يجزيهم الله في الآخرة بمثل ما كسبوه لأنفسهم في دار الكسب، وبقوله تعالى: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة:93-94]؛ يعني: حميم عنصر مائية المستحق بنار الشهوات وجحيم عنصر نارية المشتعلة بريح الهوى المحملة بتراب الطبيعة المكدرة، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: 95]؛ يعني: إن هذا البيان لهو الحق؛ لأنه كلام الحق وبيانه عن عالم اليقين، وإما تخرب قواك بثلاثة أخراب، وجزاءهم بما كسبوا في دار الكسب من الأعمال الصالحة والفاسدة المدخرة لهم في دار الجزاء، فاعلم أن اللطائف المرسلة والحقائق الحقوقية المسكنة في جميع

---

(1) تقدم بنحوه.

(2) تقدم.

القوى العلوية والسفلية؛ هم المقربون السابقون، والقوى المؤمنة باللطائف المرسلة من القوى القالبية والنفسية، والقلبية والسرية، والروحية والخفية والحقية؛ هي من أصحاب اليمين السالمين من العقاب يوم المآب، المتنعمين بأعمالهم الصالحة الباقية لهم في دار الثواب، والقوى الكافرة القالبية والمشركة النفسية والمنافقة والقلبية والجاحدة السرية والمستكبرة الروحية والضالة الخفية ممن لم يؤمنوا باللطيفة الخفية؛ هي من أصحاب المشأمة المشئومين المكذبون الضالون، فأبشر أيها المحمدي إنك لست من أصحاب المشأمة إن كنت دخلت في دار التصديق وهو شهادتك بأن «لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» ومن وفق لهذه الشهادة من إخلاص وتصديق يكون من أصحاب اليمين ويكون رفيقه التوفيق، ولا يمكن للشيطان أن يقطع عليه الطريق، وإلى هذا أشار النبي الصادق الصدوق: «من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة»[1]، وهذا التشريف يصل إلى أمة الحبيب الشريف صاحب الخلق اللطيف، والخلق الظريف، والقلب النظيف - عليه أفضل التحية والسلام - لشرفه فطوبى لمن تبعه في الشريعة، وطوبى ثم طوبى لمن تبعه في الشريعة والطريقة، وطوبى ثم طوبى لمن تبعه في الشريعة ووصل إلى عالم اليقين بصورة الذكر، ثم تبعه في الطريقة ووصل إلى عين اليقين؛ يعني: الذكر، ثم تبعه في الحقيقة ووصل إلى حق اليقين بحقيقة الذكر، ثم نزه مجاري الذكر الخفي عن صورة الذكر ومعناه وحقيقته؛ ليستحق أن يجري عليه الذكر الخفي ويكون محلاً للقسم، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة:75] بعد وصول الذاكر بصورة الذكر إلى علم اليقين، فأمره أن ينزه مجاري ذكره من صورة الذكر؛ ليستحق أن يجري عليه الذكر المعنوي بقول ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة:96] مجاري الذكر الخفي عن صورة الذكر الموصل، فهكذا يقول بعد وصوله إلى عين اليقين وحق اليقين: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 96]؛ يعني: نزه باسم ربك العظيم مجاري الذكر الخفي عن صورة الذكر الموصل إلى علم اليقين؛ ومعنى الذكر الموصل إلى عين اليقين وحقيقة الذكر الموصل إلى الحق اليقين؛ ليستحق أن يجري عليه الذكر الخفي الموصل للذاكر إلى حقيقة حق اليقين؛ ليصير الذاكر

---

(1) تقدم تخريجه.

مذكورًا ويصل القاصد إلى المقصود، ويكون الشاهد هو المشهود، وسر هذه اللطيفة في حد القرآن فاقتصر على رَمز رُمز به إليه واجتهد في الذكر الصوري برعاية شرائطه، وهو أن يذكر الله بالقوة الخفية بالشرط والإثبات؛ ليصل إلى الذكر المعنوي، ثم اجتهد في الذكر المعنوي برعاية المتحد في الذكر مع الذاكر؛ لتصل إلى الذكر الحقيقي، ثم اجتهد في الذكر الحقيقي بنفي قوة ذاكرتك وإثبات القوة المذكورية؛ لتصل إلى الذكر الخفي، فإذا وصلت إليه وقت ما في ذاتك بذاتك لذاتك، وصرت ملكًا حيًا باقيًا، ويكون عنوان منشور ملكيتك في دار البقاء من الملك الحي الذي لا يموت إلى الملك الحي الذي لا يموت، فاجتهد في ألَّا تفوت هذه المرتبة في الحال ولا تغرنك الآمال الصادقة لك عن الاجتهاد بالإرجاء بأنك تصل إليها في المال؛ لأن ترك النقد بالوعد للوصل إلى الفقد المتروك لا يكون إلا في قلة العقل وهي من أقبح الخصال.

اللهم ارزقنا الوصال في الحال وأذقنا بكأس مشاهدة الجمال زلال رحيق الجلال بحق صاحب الكمال ﷺ وعلى آله وصحبه خير صحب وآل التابعين لهم بإحسان من أهل اللطف والنوال.

سورة الحديد

تسع وعشرون آية وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4)﴾ [الحديد: 1 - 4].

يا أيها السباح، في بحر التسبيح بالاستعداد الظاهر الكامل اللطائف الظاهرة والباطنة، القلبية والنفسية، والقلبية والسرية، والروحية والخفية، اعلم أن الله ذكر المسبحين في كتابه المبين وكلامه المتين على فواتح السور ثلاث مرات بصيغة الماضي، ومرتين بصيغة المستقبل، ومرة واحدة بصيغة الأمر؛ ليطَّلع السالك على أن تسبيح اللطائف الظاهرة بلسان النبوة في بحر الأزل كان لصفات ذاته، وتسبيح اللطائف المطهرة الباطنة بلسان الولاية في بحر الأبد كان لصفات فعله، وتسبيح اللطيفة الخفية بلسان اللطيفة الأنانية في بحر الجمال كان لذاته بذاته؛ ليتوجه السالك المحقق إلى كعبة الحال لا إلى الماضي ولا إلى المستقبل؛ لأن التوجه إلى الماضي في توبة اللطيفة يكدر وجه الجمال، والتوجه إلى المستقبل بعد طلوع شمس الحال يشق قلب الحال، والسر الذي ذكر بصيغة الماضي ثلاث مرات إشارة إلى نور النبوة؛ لأنها قائمة بواو الولاية، وواو الولاية قائمة بألف الألوهية، فما له مرتبتان وله ثلاث مراتب، والسر الذي ذكر بصيغة المستقبل مرتين؛ لأن واو الولاية قائمة بألف الألوهية وله مرتبتان، والحكمة في أنه ذكر بصيغة الأمر مرة واحدة؛ لأن اللطيفة الأنانية ظهرت في مرتبة الألف، وكشف هذه الأسرار زيادة على ما ذكرته بفرع باب مطلع القرآن، فارجع من المطلع إلى الحد، ومن الحد إلى البطن، ومن البطن إلى الظهر.

وافهم ما يقول الله تعالى في كلامه حيث يقول ﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الحديد:1]؛ يعني: نزه له أهل السماوات الروحانية وأهل الأرض

البشرية عن معرفتهم له؛ لأن جناب عزته له أعلى من أن يصل فهم المخلوق إلى أفق معرفته، وسرادقات حكمته أرفع من أن يقدر رفعها المخلوق المحدث بقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد:2] ملكًا مطلقًا، ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الحديد:2] يحيي المفردات عند التركيب بحكمته، ويميت المركبات بإفناء صورها بعد التركيب بعزته، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد:2]؛ يعني: على إحياء الموتى وإماتة الإحياء، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(1) [الحديد:3]؛ يعني: هو الأول في

(1) قال الشيخ البيطار: قال أبو يزيد البسطامي ﷺ: حظوظ كرامات الأولياء على اختلافها تكون من أربعة أسماء: ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:3] وكل فريق له اسم منها، فمن فنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام، فأصحاب اسمه الظاهر يلاحظون عجائب قدرته، وأصحاب اسمه الباطن يلاحظون ما يجري في الأسرار والسرائر، وأصحاب اسمه الأول يلاحظون بها سبق، وأصحاب اسمه الآخر متربصون بها يستقبلهم، فكل يكاشف على قدر طاقته إلا من تولى الحق تعالى تدبيره. انتهى كلامه ﷺ.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن هذه الأسماء الأربعة هي الأب العلوي للعالم والأم السفلية، فالاسم الأول كالعقل الأول، والاسم الآخر كالنفس المنفعلة عن العقل انفعال الآخر عن الأول، كما انفعلت حواء عن آدم، ثم توجه الأول إلى الآخر توجهًا باطنًا يسمى بالنكاح المعنوي، ويسمى بالنكاح الإلهي بين الأسماء الإلهية، فكان الاسم الباطن محل الحمل، وهو الكنز المخفي في ظهر الاسم الأول، فاستقر في الاسم الآخر بطونًا كباطن رحم الأنثى، فظهر العالم بحكم الاسم الظاهر، فهو المولود، فلهذا السر ما صدر كل أمر في العالم إلا عن تثليث.

ألا ترى أن محبته تعالى اقتضت أن يعرف محبًا ومحبوبًا ومحبة، وهكذا كل أمر في الوجود، ولذا قالوا: إن ظهور العالم عن الاسم الفرد وأول الأفراد الثلاثة فكانت البسملة فاتحة الفاتحة وإنما كان هذا النكاح إلهيًا لسر «فأحببت أن أعرف»(1)، فتوجَّه توجهًا نفسيًا من نفسه لنفسه في نفسه، فظهر العالم على صورته، فكان هو المظهر اسم فاعل، والظاهر والمعروف العارف، وهذا التوجه مقدّس الحضرة عن الزمان «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: 6]، فهو عليم بنفسه؛ لأنه العليم، والعلم والمعلوم ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:63]، ومن سر التثليث صدر قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق:12]، فالسماء أب كجبريل، والأرض أم كمريم، والإمداد السماوي للأرض بمنزلة النفخ الجبريلي في مريم عليها السلام، والأمر المتنزل بينهما كالمولود وهو عيسى ﷺ، فلو فسّرها ابن عباس وتكلم على سر التثليث فلربما يُنسب إليه ما نسب لأصحاب الإنجيل.

ولولا أن أخي في الله أحمد بن بكري الفواخيري ـ فتح الله عليه ـ سألني عن سبب قول ابن عباس ﷺ في حق هذه الآية: لو فسرتها لقلتم: إني كافر أو لرجمتموني، ما كشفت هذا السر، وهذا السر من حكم

-

عالم لاهوته، والآخر في عالم ملكوته، والظاهر في عالم ناسوته، والباطن في عالم جبروته، وهو إشارة إلى وحدانية ذاته المحيط بالكل؛ ولأجل هذا يبدأ به ويختم عليه في قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:3] من الحقائق اللاهوتية، والحقائق الجبروتية، والدقائق الملكوتية، والشقائق الناسوتية عليم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد:4]؛ يعني: هو الذي خلق السماوات الروحانية والأرض البشرية في ستة أيام، النقطات البياضية والسوادية المدرجة في الخط الإلهي ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد:4]؛ أي: على عرش النقطة الحكمية في الجمعة المباركة الألفية؛ لأنها مجمع النقطات العلمية والإرادية، والقدرية والحكمية، وبها تمت الأسبوع وعليه مدار أشهر الحروف وأباجاد السنين، وأعياد الكلمات الكاملات التامات الباقيات، وفهم هذه الأسرار ليس يفسرها الأعجمي فأدرج، فاعلم أنه تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [الحديد:4]؛ لأنه أودع فيها قوة الولوج واستعداد الإخراج وقت التخمير، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد:4]؛ لأنه أدرج فيها سر النزول وحكمة العروج وقت التدبير، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:4]؛ يعني: وجودكم مستفاد من نظر وجوديته، وكيف نيتكم موجودة به؟ ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:4]؛ لأنه مستعملكم.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد: 5 - 9].

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد:5] الآفاقي والأنفسي، ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ

الأسماء الإلهية، ونكاحها المعنوي المقدّس لا من حكم الذات، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، فالذات لها سورة الإخلاص؛ يعني: إن الأحدية له تعالى خالصة من شرك السوى، فلله الأمر من قبل ومن بعد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

﴿الْأُمُورُ﴾ [الحديد:5] الروحانية بعد النزول إلى الأرض وجذب اللطائف الأمرية المستكنة في الأرض، وعروجه سماء الروحانية ليكتسب المعارف العلوية بالاستعداد الحاصل من جذب اللطائف الأرضية، ويرجع إلى حضرة ربه مع حصول المعارف التفصيلية من العلوية والسفلية والصفاتية.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ [الحديد:6] بتجلي صفة جلاله، ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحديد:6] بتجلي صفة جماله، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد:6] يعلم ما يليق بحال السالك يرتبه طورًا في القبض وطورًا في البسط، وطورًا في النكرة وطورًا في المعرفة.

﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحديد:7] أيتها القوى القالبية النفسية، ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:7] من الاستعدادات العلوية والسفلية والاختيار العاري؛ ليمكن لكم العروج في درجات جناتكم والخلاص من أسفل دركاتكم، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد:7]؛ يعني: من آمن باللطيفة الخفية، وأنفق من استعداداتها الحاصلة في عالم الكسب وقت تدبير الأمر العلوي من السماء الروحانية إلى الأرض البشرية في طاعة الله له أجر كبير من إعطاء الاستعدادات الباقية الوهبية المتنعمة أبد الآباد بما كسبوا من إنفاق استعداداتهم من الأعمال الصالحة.

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد:8]؛ يعني: أيتها القوى القالبية والنفسية مالكم لا تؤمنون بالله بعد أن اللطيفة الخفية دعتكم إلى الحق وأطلعتكم على الآيات البينات النفسية، بحيث أنكم شاهدتموها وأخذتم ميثاقكم وقت مشاهدة الآيات البينات بأن لا تنكروا الحق بعد ظهور الآيات البينات ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد:8] بالحق يجب عليكم ألَّا ترتدوا على أعقابكم، ولا تنقضوا ميثاقكم، ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الحديد:9]؛ يعني: على اللطيفة الخفية المستحقة لاسم العبدية آيات أنفسية بينة بحيث شاهدتموها، ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الحديد:9]؛ يعني: ليخرجكم من ظلمات القالب إلى النور الروحاني من ظلمات الحجب الروحانية المكتسبة من ظلمات القالب إلى النور الروحاني، ﴿وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد:9]؛ أي: بإرسال اللطيفة الخفية إليكم؛ ليخرجكم من ظلمات الكفر والشرك والظنون إلى نور الإيمان والإيقان والعرفان.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: 10 - 12].

﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ الله﴾ [الحديد:10]؛ أي: استعدادكم في طاعته، ﴿وَلله مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد:10]؛ أي: تعلمون أن لله ميراث السماوات الروحانية والأرض البشرية، يتحلون باستعدادكم الذي هو أعطاكم من القوى العلوية والسفلية، ولا تنفقون في طاعة من يرث الاستعدادات بعد إفنائكم ونفديكم بتركتكم المكدرة، وإن تنفقوا يرث هو أيضًا استعداداتكم العلوية ويدخلكم في جنات تركاتكم المطهرة المزكاة عن الكدورات بالنفقة، فيما يغركم إلى خالق الأرض ووارث التركات والمعذب لتارك التركات المزكاة بنعيم الجنان الموصل له إلى أعلى الدرجات، ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُم﴾ [الحديد:10]، أيتها القوى المؤمنة: ﴿مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ﴾ [الحديد:10]؛ يعني: جاهد في سبيل الله قبل اطلاعه على الآيات البينات، وفتح مكة وجوده بجند الذكر وحزب الخواطر وحزب الروحانية، ﴿وَقَاتَلَ﴾ [الحديد:10] الأعداء من القوى القالبية والنفسية والشيطانية مع من يجاهد في السلوك، بعد طلوع شمس الحقيقة ووصل نور الجذبة، ﴿أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ [الحديد:10] لمجاهدتكم من غير المشاهدة ﴿مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد:10] بقوة نور الجذبة، ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ الله الحُسْنَى﴾ [الحديد:10] الباقية بحسنى أعمالهم باستعداداتهم الفانية في دار الكسب.

أبشر أيها السالك المجاهد؛ لأن الله تعالى عظم أجرك ودرجتك على المجذوب، ولا تبال بالمشاهدة وبالغ في المجاهدة في الكسب؛ لأن المشاهدة أخروية موعودة في دار الجزاء على قدر هممكم، فمن كان همته الأكل والشرب والجماع مشتهيات النفس فيعطي له ما اشتهت نفسه من النعيم المقيم، ومن كان همته عبودية الحق خالصًا مخلصًا يريد وجهه بنور وجهه العظيم، وتقرعينه بمشاهدة جماله الكريم، ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً

﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ [الحديد:11] أضعافًا مضاعفة بواحدة عشرًا وبواحدة سبعمائة، ويزيد عليه لمن يشاء، ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد:11] من مشاهدة وجهه الكريم ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ [الحديد:12]؛ يعني: يوم يكشف الغطاء الظلماني ترى القوى المؤمنة من القوى الفاعلة والقابلة نور ذكرهم ونور عناصرهم المطهرة بنور الذكر، ونور روحانيتهم المنورة بنور اللطيفة الخفية بين أيديهم بتوجههم الخالص إلى الحق، ﴿وَبِأَيْمَانِهِم﴾ [الحديد:12]؛ أي: بأعمالهم الصالحة للحق يسعى ويهديه إلى حضرة الحق، ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الحديد:12]، أيها السالكون بشرناكم يوم كشف الغطاء بجنات قربنا نيتكم المطهرة، وأنهار المعرفة الجارية غير المنقطعة الخالدة تتنعمون بإثمار أعمالكم الصالحة، وتشربون من أنهار معرفتكم الجارية أبد الآباد ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:12-13]؛ يعني: يوم كشف الغطاء تقول القوى المنافقة الفاعلة والقابلة للقوى المؤمنة: أمهلونا نقتبس من ضياء نوركم نور نهتدي به في ظلمات وجودنا.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14) فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15) * أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)﴾ [الحديد: 13 - 16].

﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾ [الحديد:13]؛ يعني: ارجعوا إلى عالم الكسب واكسبوا النور باستعدادكم، ولا يمكن لكم الرجوع؛ لأنكم أقبلتم على ظلمات الطبيعة وأعرضتم عن نور اللطيفة الخفية، خلفتم النور وراءكم وقدمتم الظلمات أمامكم، ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ﴾ [الحديد:13]؛ يعني: بين القوى المؤمنة والمنافقة، يضرب الله بسور قوى القالبية الظلماني له باب من رابطة كانت بين القالب والروح ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ

الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد:13]؛ يعني: باطن قوى القالب المطهرة رحمة للمؤمنين، وظاهر قوى القالب المكدرة عذاب للمنافقين.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الحديد:14] في دار الكسب، ﴿قَالُوا﴾ [الحديد:14]؛ يعني: القوى المؤمنة ﴿بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحديد:14] بالشهوات العاجلة واتباع الهوى، وإنكار الحق والإقبال على الباطل، والغفلة عن ذكر المولى، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ [الحديد:14] بهلاك اللطيفة بالخفية، ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ [الحديد:14]؛ أي: شككتم بالسرائر، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ﴾ [الحديد:14] والآمال الكاذبة، ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ [الحديد:14]؛ يعني: حتى جاء أمر الحق بكشف الغطاء وشاهدتم وتيقنتم، ولا سبيل لكم إلى الرجوع إلى دار الكسب، ﴿وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد:14]؛ يعني: غركم الشيطان بتسويله وتسويفه وخداعه ومكره حتى أوردكم النار.

﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحديد:15]؛ لأن الأمر بيد غيركم، والآلات والأدوات بها يمكن الكسب متنزعة عنكم، وهي كانت عادية عنكم والعادية مردودة لا محالة، وما كسبتم بتلك الآلات لأنفسكم قالوا ما لكم بتضييع الأوقات ونزع الآلات والأدوات، ثم ويل بعد ويل بكسب الشقاوة الأبدية بتلك الاستعدادات، ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ [الحديد:15] التي أنتم أشعلتموها في دار الكسب، ﴿هِيَ مَوْلاَكُمْ﴾ في دار الجزاء، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد:15]؛ يعني: بئس مرجعكم وبئس مولاكم.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: 17 - 20].

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد:17]؛ لئلا يقنطوا من رحمته

وبترك الاشتغال بمداومة القلب الميت؛ لأن الله يحيي الأرض البشرية بعد موتها بداء الغفلة عن الذكر بمطر ذكر الحق، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد:17]، كما أريكم في أنفسكم آيات الأحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد:17] أنه هو المحيي، فترجعوا إلى حضرته وتشتغلوا بذكره حتى يحيي بمطر الذكر أرضكم الميتة، ويخرج منها نباتات المعارف لتتمتعوا بها.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ [الحديد:18]؛ يعني: القوى الفاعلة والقابلة المؤمنة المصدقة اللطيفة الخفية، ﴿وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [الحديد:18] من استعداداتهم وتصديقهم على القوى القالبية والنفسية بأوقاتهم الشريفة؛ ليتمتعوا من الذكر اللساني، ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ [الحديد:18]؛ يعني: يضاعف الله لهم المعرفة بإنفاقهم وقتهم على القوى القالبية والنفسية المؤمنة المبتدئة في السلوك، وحظ المسلك أن يؤثر أوقاته على مريديه، والقوى القالبية والسرية، والروحية والخفية، أن يختاروا ذكر اللسان على أذكارهم للقوى المبتدئة في السلوك من القوى القالبية والنفسية، وأن يدفعوا بهم ويداووهم ولا يأمرهم بالمجاهدة فوق طاقتهم، ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد:18] من النظر إلى جمال الرب الرءوف الرحيم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: 19]؛ يعني: من آمن بالله وبلطيفته الخفية أولئك من الصديقين الذين مرتبتهم قريبة من النبيين والشهداء؛ يعني: المقربين إلى الحضرة شهداء الله على جميع الأمم، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [الحديد:19]؛ يعني: أجر أعمالهم، ﴿وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد:19]؛ يعني: نور ذكرهم، به يعبرون الصراط، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الحديد:19]، يعني من القوى القالبية والنفسية الكافرة بالله المكذبة باللطيفة الخفية والآيات الأنفسية ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد:19]؛ لأنهم عمروا في دار الكسب جحيم أنفسهم بإشعال نيران الحقد والحسد والكبر والشهوة ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد:20] لمن اشتغل بمتاع الحياة الدنيا الدنية الفانية التي هي لعب ولهو لا حقيقة لها، وزينة عاجلة وتفاخر بينكم بالجهل، وتكاثر في الاستعدادات

أو النتائج الفكرية؛ ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد:20]؛ ليربي النبات فترى النبات ﴿مُصْفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾ [الحديد:20] يعني: منكسرًا وحصول الحطمة من هذا الحكم؛ فلأجل هذا يكون للقوى الكافرة المنافقة ﴿فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: 20] من جميع الحطام الذي هو حطمته في دار البقاء ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ﴾ [الحديد: 20] للقوى المؤمنة في دار البقاء لإعراضها عن الحياة الدنيوية التي هي اللعب واللهو بترك الاشتغال بالشهوات العاجلة على وفق الهوى، ويعلمها أن الدنيا مرحلة لا دار إقامة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد:20] يعني: حياة الدنيا مدرجة في إناء الماضي والمستقبل مثل: متاع الذي يبقى على حواشي الإناء بعد أكل صاحبه وإضافته إلى الغرور.

إشارة إلى سرعة نفادها لا يتوقف نفس إلا وقد يخرج، فالنفس الذي يخرج ولا يرجع؛ فهو ميت، والنفس الداخل لو لم يخرج؛ فهو ميت فليس له حظ في الحياة إلا القليل الذي يصحب النفس الداخل والخارج ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:64] لأنه حال مجرد عارض لباس الماضي والمستقبل.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد: 21 - 24].

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد:21] أيتها القوى المؤمنة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد:21] وهي جنة طور من أطوار قلبكم ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد:21] يعني: القوى المؤمنة بجميع اللطائف ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(1) [الحديد:21] فحظ السالك أن يعرف هذه الآية

(1) يقول القشيري في تفسيره: وفي ذلك ردٌّ على من يقول: «إن الجنة مُسْتَحقَّةٌ على الطاعات، ويجب على الله إيصالُ العبدِ إليها». لأن الفضلَ لا يكون واجباً. ويقال: لمّا سمعت أسرار المؤمنين هذا الخطاب ابتدرت الأرواحُ مُقْتَضِيةً المسارعة من الجوارح، وصارت الجوارحُ مستجيبةً للمُطالَبةِ، مُستبشرة برعاية

أن الجنة موجودة اليوم، وهي لا في السماء في كتابه بعين اليقين إن شاء الله ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد:22] يعني: ينبغي للسالك أن يعلم أن كل شيء يصيبه في الشهادة والغيب في الآفاق والأنفس كان في كتابه المبين في عالم الجبروت من قبل خلق الآفاق والأنفس ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:22] ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد:23] يعني: لكيلا تأسى على الماضي ولا تفرح بالمستقبل على ما يأتيك، ويكون أين الوقت مراتب النفس صاحب الحال ليكون من أولياء الله ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:277] من المستقبل ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:277] على الماضي للتمتع بالحياة الأخروية الطيبة، ويطلع على حقيقة الحياة الدنيوية بأنها ﴿مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ [الحديد:20] ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:23] فسبيل السالك ألا يفرح بالبسط ولا يحزن على القبض ولا يكون مختالاً متكبرًا بالمعارف الوهبية مفتخرًا بها متفوقًا على الأقران ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [الحديد:24] يعني: يأمرون القوى الخفية والسرية والروحية والقلبية ببخل المعارف والأذكار للقوى المبتدئة المؤمنة المسترشدة النفسية والقالبية، والقوى القالبية والنفسية بالبخل بالأعمال الصالحة الظاهرة إن الله غني عن أعمالهم وأذكارهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ [الحديد:24] يعني: عن الحق وعن ذكر الحق ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ [الحديد:24] يعني: غني عن أعمال الخلق حميد في ذاته من غير أن يحمده أحد.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (26)﴾ [الحديد: 25 - 26].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد:25] يعني: لطائفها بالآيات البينات الأنفسية ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ﴾ [الحديد:25] يعني: وارد الذي فيه أمر العبادة

-

حقوق الله؛ لأنها علمت أن هذا الاستدعاء من جانب الحقّ سبحانه. تفسير القشيري (7/ 391).

﴿وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد:25] يعني: القوة المميزة العاقلة وفيه سر الطهارة ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1] [الحديد:25] لتقوم القوى القالبية والنفسية والقلبية والسرية والروحية والخفية بالعدل، لا يظلم بعضهم بعضًا ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد:25] لأجل السياسة أنزلنا حديد الذكر اللساني، ولأجل الطهارة أنزلنا الميزان، وهو الذكر السري ولأجل العبادة أنزلنا الكتاب، وهو الذكر الخفي ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد:25] أي: في ذكر اللسان ينتفعون به في العاجل والآجل بأن يدعوا منه بالبيان البرهاني الميزاني وبالبيان الجدلي الحديدي ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد:25] يعني: أنزلنا هذه الأشياء؛ لنعلم من يؤمن بالغيب وينصر الله اللطائف ﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:25] يعني: قوي في حكمته متميز في ذاته ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الحديد:26] يعني: أرسلنا اللطيفة النفسية المزكاة، واللطيفة القلبية المطهرة ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد:26] يعني: في القوى المتولدة من هذه اللطائف جعلنا الحكمة والحكم ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾ [الحديد:26] يعني: من القوى النفسية والقلبية ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:26] بتكذيبهم اللطائف المطهرة المزكاة.

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي

---

(1) يقول حقي في تفسيره (15/ 147): أي ليتعاملوا بينهم بالعدل إيفاء واستيفاء ولا يظلم أحد أحدا في ذلك، وإنزاله إنزال أسبابه والأمر بإعداده وإلا فالميزان من مصنوعات البشر وليس بمنزل من السماء روي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان بنفسه فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال: مر قومك يزنوا به، وقال الإمام الغزالي رحمه الله أتظن أن الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة أم تتوهم أنه هو الطيار والقبان ما أبعد هذا الحسبان وأعظم هذا البهتان فاتق الله ولا تتعسف في التأويل واعلم يقينا أن هذا الميزان هو ميزان معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته ليتعلم كيفية الوزن به من أنبيائه كما تعلموا من ملائكته فالله هو المعلم الأول والثاني جبرائيل والثالث الرسول والخلق كلهم يتعلمون من الرسول ما لهم طريق في المعرفة سواه والكل عبارته بلا تغيير وليت شعري ما دليله على ما ذهب إليه من العدول عن الظاهر كذا في بحر العلوم . يقول الفقير: لعل دليله قوله تعالى: ﴿شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط﴾ أي حاكما بالعدل أو مقيما للعدل في جميع أموره، فإذا كان الله قائما بالعدل في جميع الأمور كان الواجب على العباد أن يقوموا به أيضا ولن يقوموا به حقيقة إلا بعد العلم الشامل والمعرفة الكاملة وهي معرفة الله فهي الميزان الكلي وما عداه من جميع الأمور مبني عليه وموزون به.

قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد: 27].

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد:27] من اللطائف النفسية والقلبية المطهرة المزكاة عند نسيان القوى المؤمنة ذكر الله وأحكامه، وغفلتهم عن الحق، وإقبالهم على الباطل، واتخاذهم العبادة عادة ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الحديد:27] يعني: اتبعنا اللطائف المرسلة باللطيفة الخفية المؤيدة بروح القدس لمجيء اللطيفة الخفية ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ﴾ [الحديد:27] يعني: الوارد القدسي ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد:27] يعني: جعلنا في القوى التابعة للطيفة الخفية رأفة بقواهم ورحمة على استعدادهم ورهبانية يعني: زهدًا في الدنيا وخشية من المولى، وتركًا للهوى ابتدعوها من أنفسهم محبة الله بمجاهدة أنفسهم ما كتبناها عليهم يعني: هذه الرهبانية ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد:27] بل هم اختاروها ابتغاء رضوان الله عليهم؛ لعلمهم بأن رضى المولى في تركهم الهوى، وما اختاروها ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:27] بعد اختيارها لوجه الله ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ [الحديد:27] برعايتهم رهبانيتهم التي ابتدعوها؛ ابتغاء لوجه الله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:27] بترك رعايتهم ما ابتدعوها من الرهبانية؛ ابتغاء لوجهه، فحفظ السالك من هذه الآيات [واجب] على نفسه، ويرعى حق الرعاية كل شيء أوجب على نفسه في البداية من المجاهدات أو العبادات النافلة، ولا يرخص لنفسه أن يترك شيئًا مما باشرته في بداية أمره وعنفوان حاله وشرح إراداته؛ ليكون من المحفوظين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد: 28 - 29].

﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ [الحديد:28] يا أيتها القوى المؤمنة اتقوا الله عن التكاسل في الذكر، ومحافظة الأوقات ومراقبة الأنفاس ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ [الحديد:28] يعني: آمنوا باللطيفة الخفية بعد أن آمنتم باللطائف المرسلة من قبيل أن ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن

رَّحْمَتِهِ﴾(1) [الحديد:28] يعني: نصيبين: نصيبًا من معارف الصفات الفعلية، ونصيبًا من معارف الصفات الذاتية ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً﴾ [الحديد:28] من نور ذاته ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد:28] بين القوى القالبية والنفسية والقلبية والسرية والروحية والخفية والحقية ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد:28] مما سلف من عصيانكم ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد:28] ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد:29] من القوى السرية والخفية المجاهدة اللطيفة الخفية ﴿أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللهِ﴾ [الحديد:29] وهو النور الذاتية الذي يعطى للمؤمن باللطيفة الخفية بعد إيمانه باللطائف المرسلة ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ﴾ [الحديد:29] يعني: الفضل على الأجر المستحق به على عمله بيد لطف الله ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:29] لأنه خلقنا من لا شيء، وهدانا إلى الإيمان وأرسل إلينا اللطائف وعلمنا سلوك سبيل الرشاد، وقوانا على السلوك في طريق السلوك، ثم يؤتينا أجر العمل التي يقومه علمنا وبهدايته علمنا الحق من الباطل، ثم يؤتينا نور ذاته فضلاً على الأجور لنمشي بنوره بين الخلق، وليس هذا الأفضل عظيم اللهم لا تحرمنا من فضلك العظيم ولطفك العميم وثبتنا على متابعة حبيبك الكريم ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان الثابتين على الصراط المستقيم.

---

(1) قال النيسابوري في تفسيره (1/ 205): عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بعيسى ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فله أجران، ورجل أدّب أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران، ورجل أطاع الله وأطاع سيده فله أجران » فإن قيل: لو كان الأمر كما قلتم، فكيف يجوز من جماعتهم جحده صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا: إما لأن هذا العلم به صلى الله عليه وسلم كان حاصلاً عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه صلى الله عليه وسلم، وإما لأن ذلك النص كان نصًا خفيًا لعدم تعيين الزمان والمكان بحيث يعرفه كل أحد، فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه. جاء في الفصل التاسع من السفر الأول من التوراة: أن هاجر لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك لله تعالى قال لها: يا هاجر أين تريدين؟ قالت: أهرب من سيدتي سارة. فقال: ارجعي إلى سيدتك واخفضي لها فإن الله سيكثر زرعك وذريتك، وستحبلين وتلدين ابناً تسميه إسماعيل، من أجل أن الله سمع خشوعك، وهو يكون عيناً بين الناس وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع. فقيل: هذا الكلام خرج مخرج البشارة لأنهم كانوا قبل الإسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول في أوائل العراق وأوائل الشام إلا على أتم خوف، فلما جاء الإسلام استولوا على الخافقين بالإسلام ومازجوا الأمم ووطئوا بلادهم ومازجتهم الأمم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة.

سورة المجادلة

وهي اثني وعشرون آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [المجادلة: 1 – 3].

أيتها القوى القابلة المجادلة مع القوة الفاعلة المماثلة بشكل العلم أن الله يسمع تحاوركما في وجود المحارث على وفق ما يعلم بعلم القدم، والعلم يظهر ما في القدم على القدم من الحكم ولا تحسبي أن ما يقول الله تعالى في كتابه المحكم ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(1) [المجادلة: 1] يكون سمعه مثل سمعك، وتجدد له العلم في استماع تحاوركما مما لم يكن به عالم، أو لم

(1) يقول ابن عجيبة في البحر المديد (6 / 261): هي خولة، (في زوجها) أوس، أي: تُراجعك الكلام في شأنه، وفيما صدر منه في حقها مِن الظِّهار، أو تسألك وتستفتيك. وقال الكواشي: « قد سمع » أي: عَلِمَ وأجاب قولها، أي: دعاءها. وفي « قد » هنا معنى التوقُّع؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرأة كانا يتوقعان أن يُنزل اللهُ في مجادلتها ما يفرج الله به عنها. انتهى.

وقال الفخر: هذه الواقعة تدل على أنّ مَن انقطع رجاؤه من الخلق، ولم يبقَ له في مُهمه أحدٌ إلاَّ الخالق، كفاه الله ذلك المُهم. وقال القشيري: لمّا صدقت في شكواها إلى الله، وأيسَتْ مِن كشف ضُرّها من غير الله، أنزل الله في شأنها: (قد سمع الله...) ويقال: صارت قصتها فرجةً ورحمةً للمؤمنين إلى يوم القيامة، في قضية الظهار، ليعلم العالمون أنه لا يخسر على الله أحد. ولمّا نزلت السورة بإثر الشكوى، قالت عائشة رضي الله عنها: « ما أسمع الله » تعجُّباً من سرعة نزولها.

الإشارة: قد سمع الله قولَ الروح، التي تُجادل في شأن القلب؛ لأنه مقرها ومسكنها، إن صلح صلحت، وإن فسد بحب الدنيا ومتابعة الهوى، فسدت، فهي تُجادل رسولَ الإلهام وتشتكي إلى الله من القلب الفاسد، والله يسمع تحاورهما وتضرعَها إن صدقت في طلب الحق، فيُجيب دعاءها، ويُقيض لها طبيباً يُعالجه، حتى ترجع لأصلها منه، إنّ الله سميعٌ بصير.

يكن لتحاوركما سميعًا لئلا تكفري بذات الله وصفاته تعالى وتقدس عما يصفه الكافرون والمشتهون والمعطلون.

واعلم أيها السالك أن القوة الفاعلة الروحانية ربما تسأم من القوة القابلة الجسمانية عند إيصال الذكر إلى وجوده باشتغالها بالوارد الجديد وضبطه، وجعل القوة القابلة كظهر أمها وهي اللوح فتشكو القوة القابلة إلى ربها من القوة الفاعلة المعرضة عنها، فيرحم الله على شدة حرصها على ذوق الذكر، وأوحى اللطيفة الخفية بأني سمعت تحاوركما يعني: مراجعتكما الكلام في مراجعة القوة القابلة، وإني سميع بصير أسمع مناجاة من يناجني، ويتضرع إلي وأبصر أحوال المشتكي والمشتكى عنه، وأقول ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة:2] يعني: ليس الظاهرة في حساب؛ لأنه كلام كذب تكلم به الرجل على وفق هواه من غير أن يكون له حقيقة، وليست القوة القابلة الجسمية مثل القوة القابلة الروحية في المرتبة، فكيف يكون حرامًا على القوى الفاعلة الروحية، والقوى الفاعلة الروحية ليست مثل قوة العلم الفاعل؛ لأنه في قبضته تعالى وتقدس، فالواجب للقوة الفاعلة المراجعة للقوة القابلة والاشتغال بالذكر اللساني؛ ليوصل الحرارة إلى القلب الصنبوري الشكل؛ لأن هذا القلب الصنبوري الشكل مثل الفرج للقوة القابلة، واللسان مثل الذكر للقوة الفاعلة وحرارته وريحه مثل القوة التي تظهر للذكر عند النهوض في العالم الجسماني، فإن في العالم الروحاني يكون صورة الذكر التلقيني مثل الذكر والقلب الحقيقي الذي هو معدن الفقه مثل الفرج، وهلم جرا إلى أن يصل إلى اللوح والقلم ومعرفة مماثلة اللسان والذكر والقلم والألف وآدم من حد القرآن مما لا يؤذن إفشاؤه.

فاعلم أن المظاهر ليست بشيء والمراجعة واجبة للقوة الفعلية؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً﴾ [المجادلة:2] يعني: منكرًا لإيمان القابل في مقام النكرة اضطر إلى هذا القول المنكر لا في مقام المعرفة؛ لأن المعرفة تمنعه عن ترك الذكر اللساني ولو كان واصلاً كاملاً؛ لأن القوة ما دامت المرابطة واصلة بين الروح والبدن الاشتغال بالعبادة البدنية واجب، وتركها لصار متروكًا نعوذ بالله منه وزورًا؛ لأن القوة القابلة تحت القلم وبعبارة أخرى يسمونه العقل ﴿وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة:2]

يعني: يعفو ويغفر ذنب الجاهل تحقيقه فعله إثر الذنب ويتوب بعد علمه بأن تلك الفعلة كانت ذنبًا، ويكفر عن قوله كما أوجب عليه الحق كفارة لذلك القول الزور عقوبة لقائله؛ لئلا يكلم بتلك الكلمة بعد.

ثم يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة:3] فالواجب على السالك أن يرجع إلى الذكر اللساني ولا يلتفت إلى ما قال وقت اشتغاله بالوارد القدسي، وعليه أن يعتق رقبة مما أسر من القوى النفسية وأسلمت على يده.

والإشارة إلى تحرير الرقبة هي أن تركه الذكر اللساني كان من أثر تلك القوة النفسية المسلمة على يد القوة الفاعلة الروحية، ولا يعرف هذه الإشارة إلا سالك واصل إلى حقائق القوى النفسية بالذكر اللساني، وإن لم يستطع السالك تحرير الرقبة.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة: 4 - 6].

﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة:4] يعني: إطعام الخواطر دخلت عليه من السكينة بطعام الذكر القالبي والنفسي والقلبي والسري والروحي والخفي عشرًا عشرًا عدد السنين، والمراد من العشر في كل مقام أن الحواس الظاهرة والباطنة ينبغي أن تكون حاضرة وقت الذكر، فإن كانت [متغافلة] لا يحاسب به، ولا يقبل منه ولا يخرج من عهده الكفارة ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:3] يعني: هذا الحكم أوجب عليكم ليكون لكم موعظة وعبرة وتذكرة؛ لئلا ترجعوا إلى قول الزور والمنكر الذي يلوث مجاري الذكر ويظهر فيه الضعف حتى يترك الذكر اللسان، وهذا الضعف من شؤم ما يجري على لسان السالك من الفحش، ومما لا يعنيه في دينه ودنياه ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [المجادلة:4] الرقبة والطعام لفاقته ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة:4] وهو السكوت عن غير الذكر القالبي والنفسي والقلبي والسري والروحي

والخفي في شهرين الجسماني والروحاني من غير فترة ليظهر بذلك مجاري الذكر الكريم ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ [المجادلة:4] الصوم والإطعام لمساكين خواطر السكينة بأذكار اللطائف الستة مع حضور الحواس العشرة الظاهرة والباطنة وتحرير الرقبة ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾ [المجادلة:4] من مساكين حرم [الصدر] وهم أهل الصفة من نزاع القبائل اجتمعوا للذكر من قبائل قوى العناصر الأربعة والصورة والمادة الجامعة في مسجد [قبالة] الدماغ، فيجب على السالك أن يطعمهم من طعام الذكر اللساني حتى يشبعوا ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [المجادلة:4] يعني: ذلك الحكم حكمنا به ليصدقوا أمر الحق، واللطيفة الخفية ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ [المجادلة:4] يعني: تحرير الرقبة وإطعام المساكين والقوم ولا تحسب أيها السالك أن تكرار لفظ إطعام المساكين في عالم الأنفس بلا معنى؛ لأن الله لا يكرر لفظًا إلا وله في تكراره حكمة خاصة، وأشرنا إلى بعض تلك الحكمة من قبل فاجتهد أن تفهمها ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة:4] يعني: من يكفر بحدودنا ولم يصدق نبينا، ولم يؤمن بواردنا من القوى القالبية والنفسية المعاندة الكافرة يعذب بها عذابًا أليمًا وقت كشف الغطاء بأن يطلع على حكمتنا المودعة في تلك الأحكام المنتجة للمؤتمر بها تعم المعارف وتجعلها سبب إنزاع الآلات والأدوات عنها بالائتمار بها عذاب خسرة الفوت، وهو أشد العذاب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1] [المجادلة:5] يعني: الكافرة والمشركة القالبية والنفسية يحادون الله واللطيفة المرسلة الخفية، ويخالفون أمر الوارد ويتعدون حدود الله ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة:5] يعني: أذلوا وأهلكوا وكبوا على وجوههم لاستكبارهم وإبائهم الحق، كما أذل وأهلك من القوى المستكبرة على اللطائف المرسلة ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [المجادلة:5] أنفسية على

---

(1) قال حقي في تفسيره (15 / 169): أي يعادونهما ويشاقونهما وكذا أولياء الله فان من عادى أولياء الله فقد عادى الله وذلك لأن كلا من المتعاديين كما أنه يكون في عدوة وشق غيره عدوه الأخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة في أثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه، وقال بعضهم: المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقابلة بالحديد سواء كان في ذلك حديد حقيقة أو كان ذلك منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد وقال بعضهم في معنى الآية (يحادُّون) أي يضعون أو يختارون حدودًا غير حدودهما ففيه وعيد عظيم للملوك والأمراء السوء الذين وضعوا أمورا خلاف ما حده الشرع وسموها القانون ونحوه.

السالك، فإذا لم يؤمن بها، ويكفر بنعمة الآيات النعمة الأنفسية ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:14].

كما يقول تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة:5] والعذاب المهين: هو أن يكون السالك في أعين أهل الحق مهينًا ذليلاً [كثيف] على قلوبهم ثقيلاً وللقوى الكافرة أن تكون مدركة بعد اطلاعها على إهانتها على تضييع أوقات كسبها لعزة الدائمة لنفسها ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة:6] يوم يكشف الغطاء ويبعثهم من قبور القوالب المظلمة؛ فيجزيهم الله بأعمالهم التي أحصاها وحفظها حين نسيها عاملوها ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة:6] يعني: عليم مطلع على جميع ما يصدر منهم حاضر معهم، ولكنهم لكثافة حجبهم وظلام وجودهم كانوا غافلين عنه، جاهلين بحضوره وسر معانيه، كافرين بأحكامه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٨﴾ [المجادلة: 7 – 8].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [المجادلة:7] يعني: يعلم ما في قوى الروحانية والجسمانية والاستعدادات العلوية والسفلية التي هي ودائعه، وهو بيده خمرها في طينة، ونفخ فيها من روحه ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾[1] [المجادلة:7] أي: نجوى قوة معدنية ونباتية وحيوانية وسفلية أرضية، ومن نجوى قوة جنية وملكية وعقلية علوية سماوية ﴿إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:7] يعني: بالنقطة الحكمية المتفننة يتم أمر نجوى النقطات الثلاث العلمية والإرادية والقدرية ﴿وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾

(1) النجوى من تزيين الشيطان ليحزن الذين آمنوا. وإذا كانت المشاهدةُ غالبةً، والقلوبُ حاضرةً، والتوكلُ صحيحاً، والنظرُ من موضعه صائباً فلا تأثير لمثل هذه الحالات، وإنما هذا للضعفاء، تفسير القشيري (7 / 399).

[المجادلة:7] يعني: ولا نجوى حواسهم الخمسة إلا هو سادسهم بالإظهار، وهذا سر عظيم أشير إليه إن كنت حديد السمع شهيد القلب تفطن له إن شاء الله تعالى.

اعلم أن الله خلق الحواس الخمسة؛ لأن تكون آلات الإدراك ونفس الإدراك يتعلق به فكيف يمكن المستعملة حركة من غير شعور المستعمل لها بها، والمبالغة في الكشف في هذا المقام يقرع باب مطلع القرآن فسددناه ﴿وَلاَ أَدْنَى مِن ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:7] هذه إشارة إلى: نظرة وجودية إلى الأشياء إن كانت الوسائط أكثر والروابط أدنى من الثلاثة والخمسة هو معهم أينما كانوا، وسر هذا لا يعرف إلا بعد معرفة الذات الواحد، ثم معرفة الواحدة في الكثرة مقدسة عن الحلول والاتحاد والأثقال من حيث الصورة والانفعال من حيث الحقيقة منزهة عن أن يكون لها مثل وشريك بل أقول: ولا أخاف من جحود الأوداء وإنكار الأخلاء، قول الحق هو: الحق وما تدعون من دونه هو: الباطل، والباطل معدوم، والمعدوم ليس شيء، وحق ما قال جنيد البغدادي -قدس الله سره- ليس في الوجود إلا الله، وهو الوجود المحض تعالى الله عما يصفه الظالمون علوًا كبيرًا ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [المجادلة:7] يعني: يوم يكشف الغطاء عنهم الغطاء القالبي بجرهم، ولكنهم موتى في قبور قوالبهم لا يسمعون، كما يقول اللطيفة الخفية: و﴿ إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ دعهم حتى أجزهم يوم النشور يعلمون في ذلك اليوم ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:7] ويستحيون من أعمالهم من اطلاعنا على أحوالهم حتى يعرفوا في عرف خجالتهم، ولا ينفعهم الخجالة بعد كشف الحجاب، وانتزاع الآلات، والأدوات وسد باب التوبة، والإنابة إلى رب الأرباب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ [المجادلة:8] النجوى يعني: ألم تر إلى القوة السرية الجاحدة، والقوة النفسية المنافقة الذين يتناجون، ويستهزئون بالقوى المؤمنة ويتغامزون بأعينهم، فأمرناهم بترك النجوى بما تركوا ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ﴾ [المجادلة:8] أي: بالكفر الوارد ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ [المجادلة:8] أي: معاداة القوى المؤمنة ﴿وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة:8] أي: معصية أمر اللطيفة الخفية ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ﴾ [المجادلة:8] يعني: القوى السرية الجاحدة والنفسية المنافقة يسلمون عليك من حيث باطنهم وإضمارهم إن رعاهم لك نصرك ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا

﴿يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ﴾[1] [المجادلة:8] يعني: يمتحونك بهذا الدعاء عليك لو كنت مرسلاً من عند ربك للحقهم العذاب، ولا يعلمون أن الله يمهلهم؛ ليزدادوا في جميع حطب الخواطر الردية وإشعال نيران الحسد والحقد والبغض والكبر؛ ليعذبهم عذابًا شديدًا ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة:8] يعني: حسبهم جهنم قالبهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: 9 - 11].

﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة:9] يعني: أيتها القوة المؤمنة إذا تناجيتم لا تتناجوا بالشك في الواردات ومعاداة بعضكم بعضًا ومعصية أمر اللطيفة الخفية وحظ السالك من هذه الآية ألا يتناجى في مجلس شيخه، لا في الظاهر ولا في الباطن بالشك في المعرفة التي ترد على الشيخ أهي مثل ما ترد علينا من سبيل الفكر والنتائج العقلية؟ ولا في معاداة الأصحاب حسدًا عليهم، وعلى أحوالهم، وعلى قلوبهم ومكانتهم عند الشيخ، ولا في العصيان ما يأمره الشيخ به وحظ القوى المؤمنة ألا تأذن للنفس أن يناجي الشيطان في الخلوة، ولا وارد النفس أن يدخل عليها الشيطان، ويلقي في روعها من الشك في الذات والصفات، وفي أنها صارت واصلاً غير محتاجة إلى أمر اللطيفة في الترقي بنفي الخواطر بالذكر والقوى الخفي، ولاشتغل السالك في خلوته بتميز الخواطر بل يشتغل بنفي جميع الخواطر شرًا كان أو خيرًا ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المجادلة:9] يعني: يجوز للقوى المؤمنة أن تناجي القوة القلبية

---

(1) قال ابن عجيبة في البحر المديد (6 / 268): ألم ترَ إلى الذين نُهوا عن الوقوع في أهل الخصوصية، والتناجي بما يسوؤهم ثم يعودون لما نُهوا عنه، ويتناجون بالإثم والعدوان، وما فيه فساد البين وتشتيت القلوب، ومعصية الرسول بمخالفة سنته، وإذا جاءوك أيها العارف، الخليفة للرسول، حيّوك بما لم يُحيك به الله، أي: خاطبوك بما لم يأمر الله أن تُخاطَب به من التعظيم، ويقولون في أنفسهم، لولا يُعذبنا الله بما نفعل من تصغيرهم، حسبهم نار القطيعة والبُعد، مُخلّدون فيها، فبئس المصير.

والسرية والروحية والخفية بالبر، وهو ترك محبة الدنيا والتقوى، وهو الاجتناب عن الهوى ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة:9] يعني: اتقوا من الذي يحشر إليه أعمالكم الظاهرة والباطنة ولا تضمروا خلاف ما تظهرونه ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة: 10] يعني: من تزيين الشيطان في قلوبكم ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المجادلة:10] يعني: ليحزن القوى المؤمنة ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا﴾ [المجادلة:10] يعني: لا يضر القوى المؤمنة بنجواكم ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة:10] لأن القوى المؤمنة آمنوا بأن الضار والنافع هو الله توكلوا عليه، وتيقنوا بأن لا مانع ولا معطي إلا هو، لا يلتفتون إلى نجوى الشياطين، والنفس المنافقة، والقوى السرية الجاحدة ﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾ [المجادلة:11] يعني: أيتها القوى المؤمنة؛ إذ قيل لكم بالخاطر الإلهامي: أن أفسحوا في خلوتكم على قواكم بترك المجاهدة الشاقة فافسحوا، يفسح الله لكم بالمشاهدات والمكاشفات الوهبية، وإذا قيل لكم: انهضوا من مقامكم بدخولكم على أحوالكم للترقي من مقام، فانهضوا ولا تعسروا بما وجدتم في ذلك المقام؛ لأن في ذلك المقام لا في مقام أعلى منه تجدون معارف أفضل مما وجدتم في مقامكم هذا ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ [المجادلة:11] يعني: يرفع الله ذكر القوة المؤمنة القائمة بأمر اللطيفة الخفية عن مقام السر، ودخولها في حظ الأحوال التي تتعلق بالروح الخفي ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:11] يعني: لمن وصل إلى عالم الحق وشرف العلم اللدني درجات غير متناهية ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:11] من القيام عن حظوظكم وترك شهواتكم، واختياركم أمر اللطيفة الخفية، وحظ هذا السالك من هذه الآية أن يترك جميع معارفه بأمر مسلكه، وينفي الكرامات العيانية والبيانية باشتغاله بذكر حقه، ولا يطلب من الحق شيئًا غيره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ

عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المجادلة: 12 - 14].

﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة:12] يعني: أيتها القوى المؤمنة إذا أردتم أن تذكروا الذكر الخفي وتناجوا اللطيفة الخفية، فقدموا الذكر القلبي والسري والروحي والخفي تصدقًا عن الأيتام والمساكين والفقراء ﴿ذَٰلِكَ﴾ [المجادلة:12] يعني: هذه الأذكار التي تتصدق بها عن القوى القلبية والسرية والروحية والخفية ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة:12] لقلوبكم ولمجاري ذكركم ليذكروا الذكر الخفي وتناجوا اللطيفة الخفية بطهارة تامة قلبية ولسانية: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ [المجادلة:12] الفرصة والاستطاعة لنزول سلطان الذكر الخفي ودنو اللطيفة الخفية ﴿فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة:12] يعني: يغفر لكم ترك التصدق بالذكر؛ لضيق الوقت، ويرحم على عجزكم ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ [المجادلة:13] يعني: خفتم من الفقر بالتصدق على القوى القلبية والسرية والروحية والخفية؛ لتركم الاكتساب بالأعمال الظاهرة ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ [المجادلة:13] ما أمرتم به لخوفكم على ترك أعمالكم الظاهرة، فأنتم معفوون؛ لأنه تعالى ﴿وَتَابَ الله عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة:13]؛ لقلة عملكم بالتصدق، وبأن الاشتغال بالذكر القلبي والسري والروحي والخفي أفضل من اشتغالكم بالأعمال الظاهرة ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة:13] يعني: اشتغلوا بالطاعات الظاهرة وأطيعوا أمر الله الحق واللطيفة في مراعاة أحوالكم وأعمالكم في الظاهر والباطن إن لم تكونوا من أولي العلم اللدني ومن أصحاب الذكر القلبي والسري والروحي والخفي، وهذه آية مبشرة للضعفة والعجزة من القوى المؤمنة النفسية إذا آمنت باللطيفة، وما قدرت على التجاوز عن مقاماتهم، وأذكارهم القالبية والنفسية إن الله يرحمهم، ويتوب عليهم، ويدخلهم في زمرتهم؛ لقول النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»[1] بشرطين: لا تكون منكرًا للواصلين أهل

(1) تقدم تخريجه.

القوة والعزيمة لقصورهم عن مرتبتهم حسدًا وجهلاً؛ بل يتواضعون لهم ويتقربون إليهم ويدرون همهم لئلا يحرمهم الله عما رزقهم، ولا يحرم إن شاء الله الصادقين من المستضعفين ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة:13] يعني: مطلع على الاستعدادات المودعة فيكم، وعلى قواكم المعطية لكم مما بها تطيقون العمل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً﴾ [المجادلة: 14] يعني: تولت القوى النفسية المنافقة عن اللطيفة الخفية، وعصوا أمرها بأن اتخذت القوى السرية الجاحدة أولياء ﴿غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة:14] يعني: اتفاقهم وإظهارهم خلاف ما في ضمائرهم ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ [المجادلة:14] لأنهم تولوا عن اللطيفة وأتوا أمره في الظاهر والباطن ﴿وَلاَ مِنْهُمْ﴾ [المجادلة:14] يعني: لا من القوى الكافرة القالبية أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار؛ لزيادة شعور حصل لهم من نفاقهم في مقام التلوين ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة:14] أنهم يكذبون في حلفهم.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)﴾ [المجادلة: 15 - 19].

﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ [المجادلة:15] لشتمهم اللطيفة الخفية بأنها جاءت، وشوشت معارفنا، وسدت علينا باب مشاهدة هذه الأنوار الملوثة ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة:15] يعني: الشتم أولاً ثم أطلع الله اللطيفة الخفية على ضمائرهم وأخبرتهم حلفهم بالكذب وتورية الحال على اللطيفة، وجهلهم بالوارد المخبر للطيفة الخفية ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾(1) [المجادلة:16] يعني: إيمانهم الكاذب سترًا لأنفسهم لئلا

(1) يقول القشيري في تفسيره (7 / 401): مَنْ استتر بجُنَّةِ طاعته لتَسْلَم له دنياه فإنَّ سهامَ التقدير من ورائه تكشفه من حيث لا يشعر.. فلا دِينُه يبقى، ولا دنياه تَسْلَم.

ينقطع اللطيفة الخفية حقوقهم من الذكر السري ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ [المجادلة:16] بالإعراض عن أمر اللطيفة الخفية والإقبال على الهوى ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: 16] وقت كشف الغطاء أجلاً وهوائهم على قلوب المشايخ عاجلاً نعوذ بالله ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئاً﴾ [المجادلة:17] يعني: لن تغني عنهم يوم كشف الغطاء عن قهر الله استعداداتهم العارية ولا نتائج أفكارهم الردية ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المجادلة:17] لأنهم ما كسبوا في دار الكسب بالاستعدادات العارية الآثار الحسد والحقد والبغض والغضب والكبر واللطيفة الباقية المكدرة القالبية.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً﴾ [المجادلة:18] بعد كشف الغطاء لرسوخ نقش يمين الكذب ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ [المجادلة:18] يعني: يحلفون لله وقت كشف الغطاء، كما يحلفون للمؤمنين بظنهم أنهم نجوا كما كانوا نجوا منكم في الدنيا، وتعطى لهم الحقوق كما يعطيهم اللطيفة الخفية قبل كشف الغطاء ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة:18] رسخ الكذب والاعوجاج في صور لطيفتهم الباقية الخالدة المكدرة المظلمة المعوجة ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾[1] [المجادلة: 19] يعني: غلب واستولى لاتباع محاربه في وجود لطيفتهم المدركة الباقية ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ﴾ [المجادلة:19] لغلبة ذكر الدنيا عليهم وكثر محبة متاعها في عروقهم مثل: سريان الماء في عروق الأشجار ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾

(1) قال البقلي: إذ رأى الشيطان أن ينبت في سبخة أرض النفس الأمّارة حنظل الشهوة يثبت إليها، ويغريها إلى إنفاذ مرادها، فتكون النفس مركبة، فيهجم على بلد القلب ويخربه، بأن يُدْخل فيه ظلمات الطبيعة وظلمات الشيطان، ولا يرى من القلب مسلك الذكر وصفاته، فلمّا احتجب عن الذكر صار وطن إبليس وجنوده، غلب الملعون عليه، وهذا يكون بإرادة الله سبحانه، وسببه اشتراء غرور الملعون وتزيينه، بأنْ يلابس أمر الدين بأمر الدنيا، ويغويه من طريق العلم، فإذا لم يعرف دقائقه صار فريسة الشيطان.

قال شاه الكرماني: علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس، ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمه عليه، والقيام بشكره، ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان، ويشغل قلبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها، ويمنعه أكل الحلال ويرزقه الحرام.

[المجادلة:19] اعتبروا أيها السالكون بهذه الآية، ولا تغفلوا عن ذكر الله، ولو لم يقدروا على السلوك كما هو حقه، لئلا تكونوا من حزب الشيطان؛ لأن حزب الشيطان هم الغافلون عن ذكر الرحمن ولهم الخسران، وأي خسران خسارة رأس مالهم بلا ربح وخسارة كسب العذاب الملكي الباقي برأس مالهم العاري الفاني.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢١ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾ [المجادلة: 20 - 22].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة:20] يعني: يخالفون أمر الحق واللطيفة الخفية في هذه الأحكام التي ذكرناها ﴿أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة:20] ذل الدنيا بمذلتهم عند العارفين، وذل العقبى بإدراكهم مذلتهم، وعدم الاستعداد للتدارك لها ﴿كَتَبَ اللهُ﴾ [المجادلة:21] أي: أوجب الله بكتابته بالقلم الخفي على لوح العقل ﴿لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة:21] على أمري وعلى تعذيب من يخالف اللطيفة الخفية ﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:21] يعني: قوي على حجته غالب على أمره؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة.

﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:22] يعني: القوى المؤمنة بالله وباللطيفة الخفية، وبيوم يكشف فيه الغطاء ينبغي ألا يلتفتوا إلى القوى العلوية التي هي بمنزلة آبائهم ولا إلى المعارف التي كانت نتائج أفكارهم وعقولهم التي هي بمنزلة أبنائهم ولا إلى القوى القلبية المكدرة بالهوى التي هي بمنزلة إخوانهم، ولا إلى القوى العنصرية التي هي بمنزلة عشائرهم التفات المودة والمحبة ﴿أُوْلَئِكَ﴾ [المجادلة:22] يعني: القوى المؤمنة التي لا يلتفتون إليهم يعني: المودة ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ [المجادلة:22] أي: أثبت بحيث رسخ الإيمان في قلوبهم وبما يشاهد السالك في بداية تصفية القلب في الواقعة

أن لوح قلبه مسود من نقوش مختلفة ثم تشاهده أنه قد محي، وظهر عن التقوى ثم تشاهده أنه منقوش من كلمة الله الله من الأول إلى الآخر، ثم تشاهده أنه مقل عن النقوش، وبقي فيه الله وحده، ثم تشاهده بأن هذا الاسم مكتوب بمداد النور الأحمر، ثم بالنور الأبيض، ثم بالنور الأخضر، ثم تشاهده لوحًا نورانيًا لا لون له، ولا نقش عليه، وعند هذا يظهر عليه نقوش العلم اللدني ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾(1) [المجادلة:22] يعني: أيد كتابته بمداد الروح القدسي ليظهر فيه العلم الذاتي بحيث لا يبقى وجود اللوح والقلم والكتابة والمداد والنقش وهذا كشف العلم مقام لمجهول مما أشار إليه المشايخ في مقاماتهم ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [المجادلة:22] يعني: بعد رجوعهم عن غلبة تلك الحال يدخلهم في المساكن الطيبة المعدنية المطهرة وجنات القوى النباتية المزكاة المرباة بماء الإيمان بحيث تجري من تحتهم أنهار المعارف التصيلية بحكم التصرف لهم على تلك المعارف خالدًا مخلدًا ﴿رَضِيَ الله عَنْهُمْ﴾ [المجادلة:22] باشتغالهم بالذكر بعد إيمانهم باللطيفة الخفية ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة:22] بإنجاز الوعد، وهو وعد لقاء الحق ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله﴾ [المجادلة:22] يعني: القوة المؤمنة الذاكرة الراضية بقضاء الله وقدره أولئك حزب الله ﴿أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(2) [المجادلة:22] من الحجاب الرافع

---

(1) هو الصدق في الطلب وحسن الإرادة المنتجة من بذر ﴿يحبهم ويحبونه﴾ و﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ وإلا فمن خصوصية طبيعة الإنسان أن يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية وان كانوا يصلون ويصومون ويزعمون أنهم مسلمون؛ ولكن بالتقليد لا بالتحقيق، اللهم إلا من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه انتهى. تفسير حقي (14/ 263).

(2) حزب الله أهل معرفته ومحبته وأهل توحيده الفائزون بنصرة الله من مهالك القربان ومصارع الامتحانات، وجدوا الله بالله، إذا ظهر واحدٌ منهم ينهزم المبطلون وينكسر المغالطون؛ لأن الله ألبس على وجوههم نور هيبته، وأعلى لهم أعلام عظمته، يفر منهم الأساد، وتخضع عندهم الشامخات، كلأهم بحسن رعايتهم، ونوَّرهم بسنا قربه، ورفع لهم أذكارهم في العالمين، وعظَّم أقدارهم، وكتم أسرارهم.
قال الحسين: حزب الله الذين إذا نطقوا بهروا، وإنْ سكنوا ظهروا، وإن غابوا حضروا، وإن ناموا سهروا، وإن كمَّلوا فكملوا، وإن نجت عنهم علل التخليط فطهروا، أولئك حزب الله إلى آخره.
قال أبو سعيد الخراز: حزب الله قوم علاهم البهاء والبهجة، فنعموا، ولم يحتملوا الأذى، وصاروا في
-

بينهم وبين ربهم، اللهم اجعلنا من حزبك الراضي بقضائك وقدرك المفلح بحبيبك بمحمد ﷺ.

حرزه وحماه، فغلب نورهم الأنوار أجمع، وغلب مقامهم المقامات أجمع وهمومهم الهِمَم أجمع، فكانوا في عين الجمع مع الحق أبدًا.

وقال ابن عطاء: إن لله عبادًا اتصالهم به دائمٌ، وأعينهم به قريرةٌ أبدًا لا حياة لهم إلا به؛ لاتصال قلوبهم به والنظر إليه بصفاء اليقين، فحياتهم بحياته موصولة لا موت لهم أبدًا، ولا صبر لهم عنه لا قدّس أرواحهم، فعلّقها عنده، فثمّ مأواها قد غشى قلوبهم من النور ما أضاءت به، فأشرقت ونما زيادتها على الجوارح، وصاروا في حرزه وحماه أولئك حزب الله إلخ.

قال رويم: صفتهم أنهم اطمأنوا إلى الله، وهم أولياء الله وخاصته، وأمان بلاده فأعين قلوبهم ناظرة إلى ربهم، وآذان قلوبهم سامعة منه، وهم الذين اصطفاهم الله واختارهم وهداهم إلى نفسه، وسترهم عن خلقه أولئك حزب الله إلخ. [عرائس البيان].

سورة الحشر

وهي أربع وعشرون آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (3)﴾ [الحشر: 1 – 3].

أيها المسبح المفلح المجمح: اسبح في بحر التسبيح؛ كالحوت تسمع تسبيح أهل السماوات والأرض للحي الذي لا يموت، ومتى مادمت تتعلق بكل حشيش وتخاف من الفرق، وتدور حول السواحل فما أنت من المسبحين، فإذا دخلت البحر وصرت بحريا تأمن من الفرق وتستريح من الحرق، فافهم ما يقول الله تعالى في سورة الحشر ﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الحشر:1] أي: في سماوات دماغك ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [الحشر:1] بعزته أي: في أرض بدنك من القوى المخزونة في الدماغ، ومن القوى المدفونة في البدن ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر:1] بعزته حذف القوة الحافظة والذاكرة والمتفكرة والمتخلية وأخواتها في سماوات الدماغ لئلا يصل إليها أبخرة المعدة وقاذوراتها وبحكمه أودع القوى الجارية والعارية والهاضمة والدافعة، وأخواتها من أرض البدن لبريتها ويدفع منها ما يضرها ويجذب إليها ما ينفعها؛ ليصل كل جزء إلى كلها، ويلحق كل فرع بأصلها في السفل والترقي وكشف هذا السر من حد القرآن ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر:2] يعني: هو الحق الذي سبحه أهل السماوات والأرض بالحق وأخرج القوة الكافرة من أهل الكتاب السري من ديارهم القالبية لأول حشر في وادي المقدس الخفي حشر الخواطر الخفية ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ [الحشر:2] من حصون إيمانهم الذين تحصنوا بها وقت ظهور اللطيفة السرية ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ الله﴾ [الحشر:2] يعني: أن حصون إيمانهم باللطيفة السرية يمنعهم من جند

خواطر اللطيفة الخفية، وإن لم يؤمنوا باللطيفة الخفية، ولم يخرجوا من حصون إيمانهم التقليدي الذي صار لهم عادة، وورثوا عن آبائهم تقليدًا لا تحقيقًا عادةً لا عبادةً ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ﴾ [الحشر:2] يعني: أتى حزب الله، وهو الخواطر الخفية من حيث ﴿لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر:2] يعني: من حقوقهم التي كانت مدفونة مستكنة فيهم وقت التخمير ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر:2] بقتل خواطر الهوى وهو سيد خواطرهم ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الحشر:2] يعني: أي يخربون القوى الكافرة الجاحدة باستعدادهم الحاصل من إيمانهم باللطيفة السرية حيث أبدانهم بالمجاهدة ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر:2] أي: باستعداد الخواطر الخفية، وهذه حالة نظر أعلى السالك عند اشتغاله بالمنكر الخفي واشتغال القوى الثابتة للطيفة السرية بالذكر السري؛ ليصد السالك عن الذكر الخفي، فلا يلتفت السالك إلى ذكركم، ويشتغل بذكره، فهم بالذكر السري يخربون بيوت البدن، والسالك يخرب بيت البدن بمعول الذكر الخفي؛ لينقض جدار البيت المظلم، وينور بنور الشمس الطالعة الحقيقية ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2] حكمة الملك الغفار، وعزة الواحد القهار، كيف هدى اللطيفة الخفية وقواها على الثبات على ذكرها بحكمته وكيف قذف الرعب والخوف في قلوب القوى الثابتة اللطيفة السرية الجاحدة اللطيفة الخفية من حقوقهم التي كانت مستكنة فيهم بعزته ﴿وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ﴾ [الحشر:3] يعني: الخروج من حصونهم بما قذف في قلوبهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ [الحشر:3] بالعذاب العاجل، وهو سد المعرفة السرية والأنوار النفسية ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [الحشر:3] التي أوقدتها القوى الجاحدة من نيران الحسد والبغض في قوالبها.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحشر: 4 – 6].

﴿ذَلِكَ﴾ [الحشر:4] العذاب ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾، يعني: خالفوا أمر الحق

وأمر الوارد الذي ورد على اللطيفة الخفية ﴿وَمَن يُشَاقِّ الله﴾ [الحشر:4] أي: يخالف أمر الله ﴿فَإِنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الحشر:4] ومن شدة عقابه تخريب بيوتهم بأيديهم ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ(1)﴾ [الحشر:5] يعني: ما قطعتم من نخلة وجودهم التي وصلت إلى أفق مرتبة النباتية ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ الله وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ﴾(2) [الحشر: 5] بإخراجهم عن أوطانهم، وتخريب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وقطع نخلاتهم التي وصلت إلى حد الأفقية ﴿وَمَا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ [الحشر:6] أي: على اللطيفة الخفية في هذا الجهاد من استعدادات القوى السرية ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ﴾ [الحشر:6] يعني: أيتها القوى المؤمنة المتابعة للطيفة الخفية ما أوجفتم على القوى السرية خيل هممكم، ولا ركاب أشواقكم ﴿وَلَكِنَّ الله يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾ [الحشر:6] من القوى ﴿وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:6] فجعلنا استعدادات القوى السرية خاصة للطيفة الخفية؛ ليتصرف فيها كيف يشاء، ومالكم فيها حصة وحق.

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ [الحشر: 7 – 9].

---

(1) كلُّ نوعٍ من النخيل ما عدا العجوة والبَرْنِيّ.

(2) قال القشيري (7 / 405): لمَّا أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقَطْعِ بعض نخيل بني النضير قالت اليهود: ما فائدة هذا؟! فسكت المسلمون عن الجواب، فأنزل الله تعالى هذه الآية ليوضِّح أن ذلك بإذن الله... فانقطعَ الكلامُ. وفي هذا دليلٌ على أن الشريعةَ غيرُ مُعَلَّلةٍ، وأنَّ الأمرَ الشرعيَّ إذا جاء بَطَلَ التعليلُ، وسَكَتَتْ الألسنةُ عن المطالبة بـ «لِمَ؟» وخُطُورُ الاعتراضِ أو الاستقباحِ خروجٌ عن حَدِّ العرفان. والشيوخُ قالوا: مَنْ قال لأستاذِه وشيخه: « لِمَ؟ » لا يفلح. وكلُّ مريدٍ يكون لأمثالِ هذه الخواطر في قلبِه جَوَلان لا يجيءُ منه شيءٌ. ومَنْ لم يتجرَّدْ قلبُه من طَلَبِ التعليل، ولم يباشِرْ حُسْنَ الرضا بكلِّ ما يجري واستحسانَ ما يبدو من الغيب لِسِرِّه وقلبِه – فليس من الله في شيء.

﴿مَا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [الحشر:7] يعني: ما أعطى الله من الفيء في هذا الجهاد من أهل القرى وغنائم معارفهم السرية للطيفة الخفية ﴿فَلله﴾ [الحشر:7] يعني: أسرار منها خاصة لله لا نصيب لأحد فيها ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر:7] أي: للطيفة الخفية من غنائم معارف الصفات الذاتية ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ [الحشر:7] يعني: للقوى اللطيفة الخفية مما كانت مستكنة في الوجود وقت التخمير من غنائم معارف الصفات الفعلية ﴿وَالْيَتَامَى﴾ [الحشر:7] يعني: للقوى القلبية من معارف الآثار وهي الآيات البينات الأنفسية ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ [الحشر:7] يعني: لخواطر السكينة من لطائف الذكر السري ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر:7] يعني: للخواطر الواردة من الروح الخفي من شراب المحبة، وطعام الذكر، وثمرات المعارف القالبية والنفسية والعنصرية والمعدنية والنباتية ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر:7] يعني: لا يكون عليه لأغنيائكم العارفين على الفقراء والضعفاء والسالكين المبتدئين ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:7] من المعارف والاستعدادات الحاصلة في الجهاد ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:7] يعني: انتهوا من الغلول والسرقة ولا تسرقوا الأسرار بغير إذن المسلك ﴿وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:7] فحظ السالك من هذه الآيات ألا يشتغل بالمعارف الحاصلة له في الجهاد إلا بإذن مسلكه ولو أمره المسلك بنفي تلك المعارف يجب عليه تركها، وهذه مجاهدة من أشد المجاهدات جربناها كثيرًا، ولو لم ينفها السالك وأخفى في نفسه معناها سرقة ينسد عليه الباب ويعاقبه بأشد العقاب وهو أن يسقط من عين الشيخ نعوذ بالله منه؛ لأن اللحم إذا فسد صلح بالملح، فكيف فسد.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ [الحشر:8] يعني: للحقوق التي كانت مستكنة في القوى القالبية والنفسية وقت التخمير، فإن انبعثت اللطيفة الخفية وهاجرت أوطان أبدانها، وخرجت من ديار هواها وأموال استعداداتها القالبية والنفسية والشهوية اتبعت بها فضل الله ورضوانه، ونصرة الله واللطيفة الخفية، وهي الصادقة كما يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:8] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر:9] يعني: القوة الناصرة السرية المؤمنة للطيفة الخفية في مدينة السر توطنت القوة المهاجرة الحقوقية،

وآمنت باللطيفة الخفية قبل دخولها في مدينة السر بنور الحق ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر:9] من القوى الحقوقية المستكنة في القالب وقت التخمير ﴿وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر:9] يعني: القوى الناصرة السرية يحبون المهاجرين ويوطنونهم في مدينتهم من غير حرارة وتبطؤ ولا طلب مكافأة ولا مجازاة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(1) [الحشر:9] يعني: يختارون الحقوق المهاجرة على أنفسهم بطعام الذكر السري وشرابه وثمرات المعارف الآثارية والفعلية، ولو كانوا محتاجين إليها مفتقرين إلى طعام الذكر السري وشرابه ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:9] يعني: يتصدق ويؤثر على إخوانه وأصحابه من القوى الحقوقية، وهو محتاج إليها ويمنع له شيخ نفسه أن يتصدق، وهو على خلاف هوى نفسه يتصدق، فهو المفلح لتزكيته عن رذيلة صفة البخل والشح.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر: 10 - 12].

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر:10] من القوى المؤمنة النفسية والقالبية، وإن لم يدركهم في المرتبة والمنزلة، ولكن ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:10] هم أيضًا يكونون من المفلحين لدعائهم لإخوانهم السابقين ومسألتهم من الله ألا يجعل في

---

(1) تقول العرب: فلان مخصوص إذا كان فقيراً، فيؤثرون رضا الله على هواهم، والإيثار شاهد الحب. وقد حكي عن وهيب بن الورد أنه قال: يقول الله: «وعزتي وعظمتي وجلالي، ما من عبد آثر هواي على هواه إلا قللت همومه وجمعت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر، وعزتي وجلالي، ما من عبد آثر هواه على هواي إلا كثرت همومه، وفرقت عليه ضيعته، ونزعت الغنى من قلبه، وجعلت الفقر بين عينيه، ثم لا أبالي في أي واد هلك». تفسير التستري (2/ 136).

قلوبهم غلاً وحسدًا على ما آتاهم الله بفضله وسعة رحمته، فحظ العامة من الأمة المحمدية ألا يظنوا من أصحاب الرسول رضي الله عنهم، ويدعوا لهم بالخير؛ فيرفعوا قدرهم على أنفسهم ولا يفتروا بكثرة مجاهداتهم التي يشتغلون بها؛ لأن السابقين جاهدوا مجاهدة، لو أنا جاهدنا بأموالنا وأنفسنا وقاتلنا في معركة العدو أشد مقاتلة حتى قتلنا لا نصل بأدنى مجاهدة السابقين، وينبغي أن يفضلوهم على أنفسهم، وحظ السالك من هذه الآية أن يتواضع لأصحاب شيخه المتقدمين عليه، ويفضلهم على نفسه، ويدعو لهم بالخير، وحظ القوى النفسية والغالبية المؤمنة أن يؤثروا خواطر السرية وحظوظ القوى الحقوقية على أنفسهم، ويزكون الأعمال البدنية والذكر اللساني إذا أراد القوى الحقوقية والسرية أن يتنعموا بالوارد والذكر السري والقلبي أو الروحي أو الخفي، ويصبروا على ترك حظه من الأعمال البدنية، والأذكار اللسانية؛ لأن الله يرأف ويرحم بهم ويوصلهم إلى مرتبة لا يمكن الوصول إليها بالأعمال البدنية، والأذكار اللسانية بجذبته ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ [الحشر:11] من القوى النفسية ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الحشر:11] أي: من القوى السرية الجاحدة ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر:11] لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وإذا قذف الله الرعب من الحقوق التي كانت مستكنة في طينتهم؛ ليخرجوا بيوتهم بأيديهم صاروا متملقين ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لاَ يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾ [الحشر:12] لإدبارهم واشتغالهم بشهواتهم وضعف نياتهم خلاف أهل الكتاب؛ لأنهم كسبوا قوة من إيمانهم باللطيفة السرية من قبل إرسال اللطيفة الخفية.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: 13 - 17].

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللهِ﴾ [الحشر:13] يعني: أيتها القوة المؤمنة هم يرهبون منكم أشد رهبة من الله لجهلهم بالله وقصور نظرهم عن الحق ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الحشر: 13] بنظرهم إلى الباطن ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر:13] أي: ليس لهم قلب يعرف صفات الله من بطشه وقهره ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [الحشر:14] القوى السرية الجاحدة ﴿جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ [الحشر:14] يعني: لا يبرزون ليحاربوكم مواجهة؛ بل يدخلون في حصون إيمانهم الحاصلة باللطيفة السرية ولا تمنعهم من جنود اللطيفة الخفية؛ لأن هذه الجنود تجيء من أعلاها والحصن تمنع من يكون أسفلها مثل جند الشيطان والهوى ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر:14] يعني: وراء الخواطر السرية ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ [الحشر:14] يعني: ما داموا في حصونهم يكون بأسهم شديدًا، ولكن ليس الحصول بها نعتهم عن جنود الخواطر الخفية ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً﴾ [الحشر:14] في حصن واحد في الصورة ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾(1) [الحشر:14] لأنهم متفرقون في طلب شهواتهم لا يتحصنوا بهذا الحصن من تحقيق ولأجل الله، بل لعادتهم ولاستيفاء حظوظهم من القوى السرية الضعيفة الجاهلة الجاحدة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:14] حقيقة التحصن بإيمانهم مثلهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر:15] بظنهم حصونهم مانعتهم عن ضرب الرحمن، ومثل المنافقين ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر:16] يعني: إذا قالت القوة المستكبرة الشيطانية للقوة المستعجلة الإنسانية بعد طول مجاهدتها في طريق الكشف، واطلاعها على بعض أسرار المكاشفات اكفري بنعمة الله التي أنعم في حقك، وهو بأن تباشر مع القوة النفسية على وفق الهوى بالشهوة الحظيّة بقول القوة الشيطانية، ويطلعها على أسرار مكاشفاتها، ثم يقتلها بالمجاهدات لحظها الهوى، فلما فعلت هذه الفعلة القبيحة

(1) وصف الله قلوب المخالفين بالتشتت والتفرق في نياتهم وقصودهم وآرائهم، بأنهم لا يرشدون طرق المآب إلى الله، ولا يتوافقون بقلوبهم، وإن توافقوا بأبدانهم، وتلك التفرقة من عبنهم عن رؤية محل الصواب.

قال سهل: أهل الحق مجتمعين أبدًا موافقين، وإن تفرّقوا بالأبدان، وتباينوا بالظواهر، وأهل الباطل متفرّقين أبدًا، وإن اجتمعوا بالأبدان، ووافقوا في الظواهر. [العرائس].

لشؤم عجبها قالت لها القوة الشيطانية ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر:16-17] لأن القوة المستكبرة أبت من أخذ الحق والقوة المعجبة أعجبت بنفسها ونسيت توفيق ربها، وغفلت عن ذكره الحق، وكفرت بنعمة المكاشفة، وقبلت كلام العدو ﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:18] يعني: أيتها القوة المؤمنة اعتبري من هذه الآيات، ومما جرى على القوة المستكبرة والمعجبة، واكتسبي لنفسك اليوم ما ينفعك غدًا بعد كشف الغطاء وطي عالم الكسب ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ [الحشر:18] يعني: اتقوا عن الله عن عبادتكم، وتمسكوا بأذيال رحمته بأيدي عجزكم ومسكنكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: 18 – 21].

﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:18] سرًا وجهرًا نيةً أو عملاً، فأخلصوا نياتكم؛ لأن الله لا ينظر إلى أعمالكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم وانظروا بعين المنقصة إلى نفوسكم وبعين الفضيلة إلى إخوانكم ولا تطاولوا على القوة النفسية والقالبية المؤمنة بعدكم؛ لأن النبي ﷺ قال: مثل أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:19] يعني: مثل القوى التي آمنت باللطائف، ثم نسوا ذكر الله واشتغلوا بمشتهيات أنفسهم، وجعلوا دين الله عادة وميراثًا، وغفلوا عن حقيقة الدين ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [الحشر:19] لا يشادهم حظوظ أنفسهم على الحقوق، ووقفوهم على صور الأعمال العارية غير الدخول في معناها ﴿لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر:20] يعني: لا يستوي من زكى قوى نباتية لتكون له بستانًا كمن يشعل نيران الحقد والحسد ﴿لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [الحشر:21] يعني: لو أنزلنا الوارد على جبل القوة المعدنية لرأيتها خاشعة متصدعة من قوة الوارد وخشية ما أودع الله في الوارد، ولا تخشع هذه القلوب، فيدل على

أن قلوب المنافقين والكافرين والاستعدادات المميزة للقوة الكافرة المنافقة النفسية والقلبية أشد وأصلب من جبل قوى معدنيته، ولأجل هذا السر يتمنى مقام الترابية بعد حصول الاستعدادات ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21] فينبغي أن يتفكر القارئ في هذه الآية لئلا يشتغل طول عمره بتصحيح مخرجه بلا تفكر يومًا واحدًا في عجائب أمثاله وحكمه ويفهم الظاهري؛ أن الله يضرب الأمثال؛ ليتفكروا فيها ويفهموا ما في ضمن هذه الأمثال ولا يفقهون على ظاهر الجبل الذي ضرب به المثل، ويعلم أن مراد الله من إرسال الرسل، وإنزال الكتب تطهير القلب، وتزكية النفس، والتوجه إلى كعبة الوحدة لا حفظ الكتب، والغلبة على الأمم وجمع الدراهم والدنانير والأملاك والعقار والدواب والأنعام والجارية والأزواج والأولاد والتنعم بالنعم والتفوق على الأنام والارتكاب على الآثام أيها الغفلة الجهلة العجزة عن أيدي الشهوة والقوى تظنون أن قراءة الكلام وعلم الحلال والحرام مع الاشتغال بالشهوة على وفق الهوى يجتمعان لا والله لو لم يتصدع قلبك من القراءة، ولم يخشع من الوعظ، ولم يخرج منه حب الرئاسة والجاه؛ لا ينفعك قراءة الكلام، وعملك بالحلال والحرام بل يكون عليك حجة ووبالاً، ويزيد عليك عذابًا ونكالاً وسلاسلاً وأغلالاً.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر: 22 - 24].

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: 22] يعلم ما في ضميركم بعلمه الغيبي، ويعلم ما تكسب جوارحكم بعمله الشهاوي ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22] بصفة رحمانيته استوى على العرش وسوى عليه أمور عالم الغيب الروحاني ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ﴾[1] [الحشر: 23] يعني: هو الله الملك لا ملك إلا هو ولا ملك إلا له، ولا ملك إلا

---

(1) قال سيدي ابن برجان الإشبيلي في «شرح الأسماء الحسنى»: وأرى ـ والله أعلم ـ أن معنى القدس جامع =

بيده ولا الملك إلا خلقه القدوس بمعنى مقدس منزه عما تحط به الأفكار والعقول ﴿السَّلامُ﴾ [الحشر: 23] يعني: مسلم عن صفات العجز والنقص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: 23] يعني: يأمن من عذابه من يؤمن به وبرسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره منه ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾(1) [الحشر: 23] يعني: شهيد على الكل حفيظ للكل ﴿الْعَزِيزُ﴾ [الحشر: 23]

-

لمعاني الطهارة والطيب والزكاة والعدل والحمد كله والتنزيه عن الطبع والظلم والمعايب مما لا يليق به سبحانه وتعالى، وإن الفرق بينه وبين اسم السبوح أن معنى السبوح تنزيه لوجوده العَليّ عن المثل والنظير والكفء، وبحمده عن حوادث المخلوقين ونقائص المحدثين، فآية التسبيح الأول التوبة المفروضة والطهارة، وآية التسبيح الثاني الحمد كالصلاة والأعمال التي يصعد بها عاملها في درجات الشكر، والسبوح اسم للمسبح بهذه السبحات كلها ﷻ، ومبالغة في المراد المقصود بالتسبيح، ثم اسم القدوس عبارة عن هذا كله مع اقترانه بالملك وتوابعه، وأنه لا يجوز في تدبيره الظلم ولا في قضائه الحيف، ولذلك - وهو أعلم- أتبع الاسمين قوله: ﴿السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ﴾ [الحشر: 23]، يقال: سبحت الله وسبحت لله وقدست الله، أي: وصفته بالقدس والطهارة والطيب، وقدست لله بمعنى قدست لله عباده، قالت الملائكة عليهم السلام: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة: 30] أي: عبادك، وقال عزّ من قائل: ﴿يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ [الجمعة: 1]، وقد يعبر بالتقديس عن الصلاة، ثم عن سواها من الأعمال من ذلك قولهم: إن أرضًا لا تقدس صاحبها، إنما يقدس الإنسان عمله، وهذان اسمان جمعا ذكر المحامد كلها، والله أعلم، فقول القائل: سبوح قدوس رب الملائكة والروح شبيهة بقوله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2].

(1) قال سيدي ابن برجان الإشبيلي في «شرح الأسماء الحسنى»: فخاصة اسم المهيمن الحق ﷻ - والله أعلم - المبالغة والعلو على كل اسم تسمى به العباد معاني مجاز حقيقة أسمائه العلا فهو المهيمن عليه، أي: هو العَليّ عليه والرقيب والشهيد والحفيظ والأمين بمعنى أنه واهبه له ومتممه وممسكه له، وهو العَليّ عليه، أي أن له حقيقته، وكل متسم به سواه له منه مجازه، وهو تعالى المتصف به، وله تمامه الأقصى وكماله الأرفع دون غاية ولا نهاية.

هو المؤمن المهيمن على كل مؤمن، وهو الكريم والرحيم المهيمن على كل كريم، والرحيم المهيمن على كل رحيم، والحليم المهيمن على كل حليم، والبر والصادق هكذا في سائر الأسماء والصفات، هذا في حق المهيمن الحق عزّ جلاله، وأما حقيقته في العبد فهي الحيرة والهيوم على ما تقدم من ذكر معنى ذلك في الحروف المنتظمة في بنائه، فالأوهام هامت، أي: تحيرت في مهيمنيته، أي: في حقيقة أسمائه وصفاته وكنه مزيد حقيقتها على مجاز أسماء عباده، وهامت الألباب إلى معرفة رفعة درجاته في فضائل نعوت جلاله، أي: عطشت هيومًا فهي مهيومة وهيمانة، وهو ﷻ المهيمن لها، وهي هامت تهيم هيومًا وهيامًا، وهو المهيمن عليها، من هامت تهيم فهي هيمانة، خفيت النون في الفعل وظهرت في الاسم.

يعني: غالب على أمره في لطفه وقهره الجبار؛ يعني: يجبر قلوب المجاهدين له والمهاجرين إليه بإطلاعهم على معارف عالم جبروته المتكبر يعني: الممتنع جنابه عن أن يلج عليه متكبر من خلقه مستكبر على اللطيفة المبلغة ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:23] يعني: هو منزه عن أن يشرك به أحد بالنظر إلى اختيار نفسه والالتجاء إلى غير ربه وقت القبض والابتلاء والنكرة ﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ [الحشر:24] يعني: هو القدر المقلب للشيء كما يريده طورًا فطورًا، وهو البارئ المنشئ بعد التقدير، والتقليب أعيان المقدور، والقلوب وهو المصور بعد الخلق والإنشاء في أي صورة يشاء.

الأسماء الحسنى[1] يعني: أسماء لأفعاله الحسنة وافهم أنه ابتداء بالاسم الذاتي، ثم

---

(1) اعلم أن (الأسماء لحُسْنَى) هي الدلائل مصدر وصف به، أو مؤنث أحسن، فأفرد؛ لأنه وصف جمع ما لا يعقل، فيجوز فيه الإفراد والجمع، وحسن أسمائه تعالى هو بتحسين إطلاقها شرعًا، مع تضمنها معانٍ حسانٍ شريعةً من المدح والتعظيم والتحميد، قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: 180].

قال القاضي - رحمه الله تعالى: لأنها دلالة على معان هي أحسن المعاني، والمراد بها الألفاظ، وقيل الصفات: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:180]، وسموه بتلك الصفات، ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:180]، واتركوا تسمية الزائفين فيها الذين يسمونه بما لا توفيق فيه؛ إذ ربما يوهم معنى فاسدًا كقولهم: ما نعرف إلا رحيم اليمامة، أو ذروهم واتخاذهم فيها بإطلاقها على الأصنام، واشتقاق أسمائها منهم: كاللات من الله، والعزى من العزيز، ولا توافقوهم عليه، أو اعرضوا عنهم، فإن الله مجازيهم، كما قال: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:180]، انتهى.

ويحتمل أنه أراد التسعة والتسعين، المشار إليها بحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة»، «إنه وتر يحب الوتر»، وفي رواية: «من حفظها»، وقد استخرجها بعض العلماء من القرآن العظيم، وبعضهم من السنة. وخرج الترمذي ـ رحمه الله تعالى ـ في «جامعه» تعيين هذه الأسماء، فروى عن إبراهيم بن يعقوب عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لله تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ الغَفَّارُ القَهَّارُ الوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الفَتَّاحُ العَلِيمُ القَابِضُ البَاسِطُ الخَافِضُ الرَّافِعُ المُعِزُّ المُذِلُّ السَّمِيعُ البَصِيرُ الحَكَمُ العَدْلُ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ الحَلِيمُ العَظِيمُ الغَفُورُ الشَّكُورُ العَلِيُّ الكَبِيرُ الحَفِيظُ المُقِيتُ الحَسِيبُ الجَلِيلُ الكَرِيمُ

-

الرَّقِيبُ الْـمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْـحَكِيمُ الْوَدُودُ الْـمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْـحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْـمَتِينُ الْوَلِيُّ الْـحَمِيدُ الْـمُحْصِي الْـمُبْدِئُ الْـمُعِيدُ الْـمُحْيِي الْـمُمِيتُ الْـحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْـمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْـمُقْتَدِرُ الْـمُقَدِّمُ الْـمُؤَخِّرُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِي الْـمُتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْـمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْـمُلْكِ ذُو الْـجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْـمُقْسِطُ الْـجَامِعُ الْغَنِيُّ الْـمُغْنِي الْـمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْـهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ». وفي رواية أبي الشيخ وابن مردويه معًا في التفسير والحاكم وأبي نعيم عنه أيضًا بعض زيادات ونقص في سردها، وكذلك وقع في رواية ابن ماجه عنه أيضًا. قال بعض العلماء: ويحتمل أن يكون ذلك مدرجًا من كلام أبي هريرة، سمعها آحادًا فنسقها، فحصل بعض اختلافات في الروايات من تقديم وتأخير، وزيادة ونقص.

قال شارح «الدلائل»، وقال الخطابي على قوله في أول الحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة»، في هذا الحديث الكريم من الأحكام إثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد، وليس فيه ما يدل على نفي ما عداها، وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء؛ لأنها أشرف الأسماء، وأبينها معانٍ وأظهرها.

قال: فجملة قوله قضية واحدة لا قضيتان، ويكون تمام الفائدة خبر إنَّ، وهو قوله: «من أحصاها دخل الجنة»، لا في قوله: «تسعة وتسعين اسمًا» وهو بمنزلة قولك: إن لزيد تسعة وتسعين درهمًا، أعدها للصدقة، أو: من زاره أعطاه إياها، فهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم غيرها، ولا أكثر منها، وإنما يدل على أن الذي أعدَّه زيد من الدراهم للصدقة أو للعطية من ذلك العدد المذكور.

قال: ويؤيد هذا التأويل ما ذكر في حديث ابن مسعود في دعائه: «أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك» الحديث، قال غيره، ويؤيد قوله ﷺ: «وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم»، وقوله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، وقوله في حديث الشفاعة: «فيفتح علي من خافه وحسْن الثناء عليه، ما لا أقدر عليه إلا أن يلهمنيه الله ﷻ»، أو كما قال ﷺ.

وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:110]، «ثم الإحصاء صادق بالعدّ والحفظ، والعلم والفهم، والتعبد والتعلق، والتخلق والتحقق، ووجوه ذلك لا تنحصر من حيث التحقق تفصيلاً، فتتفاوت رتب المعارف من أجل ذلك تفاوتًا خارجًا عن الإحاطة والضبط، وكان الكلام على الأسماء من العلوم المكنونة، والأسرار المصونة التي ضنَّ بها عن غير أهلها، وأعطيت لمن جعل نفسه أقل مهرها»، قاله بعض العارفين، انتهى.

وقال سيدي محمد القونوي ؓ في مقدمة «شرح الأسماء»: وصح عن المخبر الصادق ﷺ «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»، وقوله: «مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة»، وقوله: «مائة إلا واحدًا» على وجه التأكيد، كقوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ [البقرة: 196] فقيده على التأكيد عند أكثر العلماء، وهو أبعد عن

بأسمائه الحسنى الناسوتية مطلقًا مجملاً مفصلاً، ثم ذكر تفصيله على سبيل الإجمال في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الحشر:24] يعني: بعزته سر أسماء شقائق ناسوتية، وبحكمته أودع سره في بحر تسبيحه، وإشارته إلى ما في السماوات والأرض لتفطن لها الخبير، ويطلع على أسراره المودعة في الشقائق الناسوتية المقصودة من الكل التي هي آخر العمل، وكل ما تقدم عليه مطلوب لظهور الشقيقة الكاملة المستحقة للمرائية، وهي مطلوبة لذات الله تعالى، ولهذا السر رجع في نهاية هذه السورة إلى بدايتها، وختم على قوله: ﴿يُسَبِّحَ لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الحشر:24] وهذا السر مخصوص بحد القرآن، وأما السر الذي افتتح السورة بصيغة الماضي واختتمها بصيغة المستقبل من مطلع القرآن كلاهما منتهي إفشاؤهما، فاطلب في صفة العزة سر الابتداء، وفي صفة الحكمة سر الانتهاء، واعلم أن عين العزة عين العلم وحاء الحكمة حاء الحياة المحيطة بالكل يحيي بأوليته، ويتقن الأمر المحكم بآخريته، وهو الحي الحكيم، والله أتى في تفسير بطن هذه السورة لقد أسمعت لو ناديت حيًا، ولكن لا حياة لمن أنادي اللهم اجعلنا عارفين بأسمائك الحسنى بمحمد المصطفى ﷺ، وعلى آله المجتبين وأصحابه المرتضين.

التصحيف في الكتابة؛ لأن التسعة والتسعين تشبه في الكتابة السبعة والسبعين، فما زال الالتباس بالقيد، وأما قوله ﷺ: «من أحصاها» عند علماء الظاهر هو بمعنى: العلم، وهو معرفة ألفاظها ومعانيها، والعثور على حقائق نتائجها، وآثارها، وعند أهل الله: هو الاتصاف بها، والظهور بحقائقها والعثور على مدارج نتائجها، بحيث يصدق عليهم إطلاق أعيانها، كما أنه تعالى وصف نفسه بأنه خير الناصرين، وخير الحاكمين، وخير الحافظين، وخير الرازقين، وأحسن الخالقين، وأخبر عن نبيه أنه رؤوف رحيم، ففي أمثال هذه التنبيهات مجال متسع لأهل العناية من أرباب القلوب، وأصحاب الكشف والشهود، فيتصفون بما نعتها لهم وبهم، وينصبغون بصبغ آثارها في سلوكهم على مناهج السنن المشروعة، وبسيرهم على مدارج طريقة أهل الولاية، والتخلق بالأخلاق الإلهية، ويصير ذلك قربة لهم إليه، ووسيلة لديه، نسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من أهله، فإنه ولي ذلك؛ لأنه ما أولى من ولي إلا من هو من ذوي الأهلية.

سورة الممتحنة

ثلاثة عشر آية وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

[الممتحنة: 1 – 3].

يا أيها المتخذون أعداء الله أولياء أنفسكم، أما تقرءون كلام رب العالمين، ولا تفهمون ما يقول تعالى: ﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:1] يعني: يا أيتها القوى المؤمنة لا تتخذوا القوة الكافرة القالبية والمشركة المنافقة النفسية، وإن كانت عشائركم أولياء؛ لأنهم يريدون أن تشتغلوا بالشهوات العاجلة ليتمتعوا بحظوظهم من اشتغالكم بالشهوات العاجلة، ويعذبكم ربكم في الآخرة، ولا تلقوا لهم من أسرار الوارد، وأخبار اللطيفة الخفية بمودة أصلية كانت بينكم وبينهم؛ لأن السالك يريد أن يعارضهم ويدخلهم في ميدان الخلوة، ويجاهدهم ولو ألقت القوة المؤمنة إلى القوة الكافرة خبر إدخالهم في الخلوة أبوا واعتدوا وجعلوا يمكرون مكرًا ويكيدون كيدًا ليضروا اللطيفة الخفية إلى حد شاهدنا أنها تمرض الوجود وتظهر الآلام الشديدة والأوجاع المؤلمة في وجود السالك، لئلا يدخل في الخلوة ولا يشتغل بالعزلة، فإن كان السالك صادقًا لا يضره كيدهم، بل يحرضه ويبالغ في المجاهدة مع وجود الآلام والأوجاع، وهذا الابتلاء يتفق كثيرًا عند غيبة السالك عن حضرة مسلكه إني أردت في بداية أمري أن أدخل الخلوة في أربعين [موسوية] ففطنت القوى القالبية والنفسية الكافرة المشركة لأخبارهم القوى المؤمنة اللائمة فأمرضوني، وكان لي أخ في الدين من سلاك الطريقة رحمه الله قال لي: اترك الخلق في العشر الأول وداو

نفسك حتى تصح، ثم ادخل في الخلوة على سنة المصطفى ﷺ وتمم ثلاثين يومًا، فأطعت أمره فلما دخل ليلة أول أربعين وهيئوا لي مشروبًا سهلاً لأشرب صبيحة تلك الليلة، فجاء الخادم، وقال: إن أحدًا من المغنين جاء مسافرًا من جانب خراسان، ويستأذن أن يدخل عليك، ويزمزم لكم فقلت: ائذنوا فدخل وقعد وزمزم، وقال في أول اشتغاله بالزمزمة: هذه الفارسية المهيجة، وهي هذه شعر [.....](1) فغلب علي الوقت لأني سمعت هذا الكلام من الحق ذرفت ورقصت، وهيج في باطني أشواقًا عظيمة، فلما فرغت من السماع دخلت الخلوة، وجلست وما ضرني المرض، وفتح الله علي في تلك الخلوة فتوحات عظيمة لا حرمنا الله من أمثالها، فالمقصود من إيراد هذه الحكاية أن يعرف السالك كيد القوى ومكرها، ولا يلتفت إليها، ولو تمرض يقول لها: الدخول في الخلوة وقت المرض، وكثرة الطاعة في هذه الحالة أجود والمرض مبشر رسول الموت، فينبغي أن تدخل الخلوة، وتشتغل بذكر الحق لتموت فيها مستريحًا، فإذا رأت القوة الكافرة صدق السالك خافت من صدقه وهربت عنه ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة:1] الواو واو الحال يعني: القوى الكافرة كفروا بالوارد الذي جاءكم من الحق أيتها القوى المؤمنة ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة:1] يعني: يخرجون اللطيفة المرسلة من بلدة الوجود القالبي إلى مدينة السر فبعد إخراجكم عن بلدة قالبهم فلا تتخذوها أولياء لأنفسكم ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:1] مهاجرين إلى الله وإلى رسوله.

واعلم أن في بداية الأمر للقوى المؤمنة نزاعًا إلى بلدة قالبها واشتياقها إلى عشيرتها، وهي القوى الكافرة والمشركة النفسية والقالبية، ويجهلون أمر الحق وأحكام الوارد، ولكنهم متبعون اللطيفة باذلين جهدهم في خدمتها مع هذا يجزون القوى القالبية والنفسية بالنصيحة لهم أن الأمر على خلاف ما أضمرتم، وقوة حزب الخواطر الخفية غالبة أطيعوا أمر ربكم والقوى الكافرة العاصية لا يلتفتون إلى نصائحهم ويجهزون جيوشهم، ويمدون من الشيطان جنود خواطره؛ ليحاربوا اللطيفة فأعلمهم الله تعالى بأن القوى الكافرة لا

(1) كلام فارسي.

يقبلون نصيحتكم، فأخرجوا مودتهم عن القلوب ولا تجزوهم بأسرار الحق وأخبار اللطيفة، ويقول ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ [الممتحنة:1] من النزاع إلى عشائركم ومن النصيحة التي تنصحهم، ومن استقامتكم في متابعة اللطيفة الخفية، فمن بعد ذلك لا تنصحوا القوى الكافرة؛ لأنهم مردودون عن الحضرة لا ينفعهم نصحكم ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ [الممتحنة:1] بعد إعلامكم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:1] يعني: أخطاء الطريقة النقية الصفية المنسوبة إلى الصوفية ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ [الممتحنة:2] ويظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الممتحنة:2] بالضرب والقتل والأسر ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ [الممتحنة:2] يبسطوا ألسنتهم بالشتم والفحش ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة:2] كما كفروا حتى يقتلوكم ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الممتحنة:3] يعني: القوى القالبية والنفسية والخواطر الردية التي هي نتائج قواكم لن تنفعكم يوم القيامة؛ بل يفرون منكم وأنتم تفرون منهم، ويقولون فبئس القرين يمنعونا عن ذكر الله وطاعته، فلا تلتفتوا إلى أرحامكم ولا أولادكم وأعرضوا عنهم وأقبلوا على اللطيفة الخفية لتنجوا من العذاب الأليم ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة:3] بقوله: فريق: في الجنة المزكاة قوة نباتية من الأباطيل والخبائث، وفريق: في السعير المشتعلة فيها نيران الحقد والحسد والشهوة والغضب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة:3] يعني: إن يشتغلوا بتزكية جنتكم أو باشتعال نيرانكم في سعير قالبكم يبصر الله أعمالكم، ويعلم نياتكم وضمائركم.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة: 4 - 6].

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة:4] لأن اللطيفة القلبية ﴿إِذْ قَالُوا﴾ [الممتحنة:4] لآبائهم ﴿لِقَوْمِهِمْ﴾ [الممتحنة:4] بعد أن ظهر لهم

شركهم ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ﴾ [الممتحنة:4] فينبغي أن يتبعوا أثر اللطيفة القلبية، وإنا أمرنا اللطيفة الخفية بأن تتبع ملة أبيها إبراهيم، وهو اللطيفة القلبية، وهذا سر عظيم أشير إليه؛ لئلا تغلظ في نسبة الأبوة.

اعلم أن الله تعالى أودع اللطيفة الخفية في جميع الأشياء، ولكنها مستكنة مستورة بأستار وحجب مما لا يجب ردها ورباها في أطوار التراكيب حتى وصلت إلى تركيب هو أعدل التراكيب، وهو القلب فصارت نطفة اللطيفة الخفية في طهر اللطيفة القلبية مستعدة، إذا وجدت لطيفة قابلة لها يدع فيها؛ فأرسل الله الإرادية لتكون قابلة لتلك النطفة، فإذا شاهدت اللطيفة القلبية استعداد قابليتها أودعت فيها النطفة ورباها الله في رحم الإرادة مدة مديدة ورقاها برقاها حتى وصلت إلى حضرة الحق فأمرها بالرجوع إلى العوالم التي عبرت عليها لتنذر أهلها وتبشر أمها فهو خاتم اللطائف والمقصود من إيجاد الكل ولأجل هذا أشار إليه أن﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفًا﴾ ﴿وما كان من المشركين﴾ والزيادة على هذا الكشف منتهي لأن سره من أسرار مطلع القرآن ﴿إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم﴾ يعني: أنتم إذا دخلتم في متابعة اللطيفة ينبغي ألا تلتفتوا إلى أرحامكم وأولادكم ويقولوا ألقوا ما قالت اللطيفة القلبية وقواها لآبائهم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ [الممتحنة:4] يعني: يقولون إنا براء منكم ومن آفة هواكم ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة:4] وبآلهتكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ﴾ [الممتحنة:4] الخفية ﴿وَالْبَغْضَاءُ﴾ [الممتحنة:4] لله تعالى ﴿أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:4] وتتركوا آلهتكم وترجعوا عن شركائكم وتتبعوا أسوة إبراهيم ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة:4] قبل أن جاءه الوارد وأعلمه أن أباه لم يدخل دين الحق يعني: يجب عليكم متابعة اللطيفة القلبية إلا في قولها قبل وقوفها على أمر اللطيفة الروحية المستكبرة المرساة في تراب الطبيعة التابعة للقوى القالبية ﴿لأستغفرن لك﴾ فلما تبين للطيفة القلبية مردوديتها بتراب منها وقالت: ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الممتحنة:4] يعني: لا أقدر أن أدفع عنك عذاب الله إن عصيت الرب وأشركت به ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:4] بإعراضنا عن آبائنا وأمهاتنا وعشائرنا وأرحامنا وأولادنا وإليك أنبنا من [راعيتنا] القوى القالبية والنفسية ومودتنا لها وإليك المصير يعني: إليك مرجعنا ومالنا ملجأ وملاذ غير

ذكرك الكريم ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة:5] يعني: لا تجعلهم غالبين علينا ولا منصورين بل اجعل كيدهم في تضليل واجعلهم مغلوبين مقهورين ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾ [الممتحنة:5] صدر عنا من الجهل بإخبارنا إياهم الأخبار والأسرار نصيحة لهم ومودة ونزعة رحيمية ﴿إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الممتحنة:5] يعني: أنت غالب على أمرك حكيم في جميع أفعالك أن تغفر لنا فنحن عبادك وإن تعذبنا فأنت أعلم وأحكم ونحن مستحقون العذاب ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الممتحنة:6] أيتها القوة المؤمنة المتابعة اللطيفة الخفية في القوى القلبية التابعة للطيفة القلبية ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ [الممتحنة:6] يعني: تبرأ مما تبرى، ويقولون ما قالوا ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ [الممتحنة:6] أي: يعرض عن أسوتهم الحسنة ﴿فَإِنَّ الله هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ [الممتحنة:6] يعني: الحق مستغن عن عبادتكم حميد في ذاته إن لم يحمده ويعبده أحد ولا تقنطوا أيتها القوى المؤمنة عن إيمان القوى القالبية والنفسية القريبة لكم.

﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة: 7 - 9].

﴿عَسَى الله أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم﴾[1] [الممتحنة:7] لأجل الله ﴿مِّنْهُم﴾ [الممتحنة:7] أي: من القوى الكافرة والمشركة ﴿مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة:7] إيمانية بأن يدخلهم الله في دائرة الإيمان ويخالطهم مخالطة الإخوان ﴿وَالله قَدِيرٌ﴾ [الممتحنة:7] على ما يشاء لو شاء هدى الناس جميعًا ﴿وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:7] يغفر عما سلف ويرحم على القوة القالبية والنفسية ويدخلها في رحمته بهدايته إلى الإيمان ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ الله عَنِ

---

(1) هذه إشارةٌ إلى الرفق في مجاهدة النفس، ربما تطمئن وتعين الروح والعقل والقلب في معرفة الله وطاعته.

قال ابن عطاء: لا تبغضوا عبادي كل البغض، فإني قادرٌ على أن أنقلكم من البغض إلى المحبة، كنقلي من الحياة إلى الممات، ومن الموت إلى النشور.

قال ﷺ: «أحببْ حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما».

﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [الممتحنة:8] وهذه حالة مخصوصة بالمقتصدين والحال التي بيّنا من قبل حال الظاهر لنفسه وهو السالك المبتدئ فإذا أخرج السالك المبتدئ محبة القوة القالبية والنفسية لأجل الحق وبأمر الحق من باطنه ورسخ قدميه في الطريقة لا يضره الاشتغال بنصيحة القوى القالبية والنفسية التي لا يقاتلونه لأجل الدين بل يطلبون منه حظوظهم المباحة بشرط أن يكونوا مغلوبين مقهورين لا يقدرون على إخراج القوى المؤمنة عن ديارهم ولكن ينبغي أن ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة:8] يعني: تعدلوا فيهم بالإحسان والبر وإعطاء الحظوظ ولا يتجاوزوا عن حد الاعتدال ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:8] الذين اجتنبوا عن الإفراط والتفريط في جميع الأمور وهذا حال المقتصد وهو السالك المتوسط ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ [الممتحنة:9] يعني: لا ينهاكم الله عن أن تعطوا حظوظ القوى القالبية والنفسية الذين قاتلوكم عداوة للحق لأن يخرجوكم من دين الحق ويدخلوكم في دين الباطل وأخرجوكم من ديار القالب وغلبوا على إخراجكم أن تتخذوهم أولياء ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة:9] يعني: من يتخذهم أولياء نفسه كان ظالمًا يضع الولاية في غير موضعها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (11)﴾ [الممتحنة: 10 - 11].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة:10] يعني: أيتها القوى المؤمنة إذا جاءتكم القوى القابلة مهاجرات من القوى الكافرة المشركة القالبية والنفسية والروحية المستكبرة المرساة بتراب الطبيعة فامتحنوهن بالبيعة فإن بايعنكم على ألا يشتغلن بالهوى والشهوات العاجلة النفسانية الردية فأقبلوهن ﴿اللهُ أَعْلَمُ

بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة:10] يعني: إذا علمتم أنهن يؤمن بالله ورسوله ولا يشركن فلا تعطوهن إلى القوى الكافرة والمشركة ﴿لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة:10] يعني: لا القوى القابلة المؤمنة تجعل للقوى الفاعلة الكافرة ولا القوى الفاعلة الكافرة تجعل للقوى القابلة المؤمنة ﴿وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا﴾ [الممتحنة:10] عليهن يعني: حظوظهن ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الممتحنة:10] يعني: لا جناح على القوى المؤمنة الروحيتان أن تنكح القوى القالبية المؤمنة بعد أداء حظوظهن والقالبية والنفسية من العلو والسفل بالقسط ﴿وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة:10] يعني: أن لا تمسك القوى الفاعلة الروحية بالقوى القابلة القالبية الكافرة ﴿وَاسْأَلُوا﴾ [الممتحنة:10] أيتها القوى الفاعلة المؤمنة ﴿مَا أَنفَقْتُمْ﴾ [الممتحنة:10] على القوة القابلة بعد أن لحقت بالقوة الكافرة والشركة يعني: المعارف التي أعطيتموها من المعارف الروحية وسئلوا يعني: القوى الفاعلة الكافرة والمشركة ما انفقوا على القوى القابلة التي لحقت بالقوى المؤمنة ما أعطوها من المنكرة والحيل التي يسهل عليها جذب الحظوظ العاجلة على وفق الهوى ومعرفة كيفية اتباع الشهوات ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة:10] عليم بالاستعدادات حكيم فيما يحكم ويأمركم به لأن معرفة الحيل ينبغي أن ترد إلى القوى الكافرة لئلا يشكوكم بها والمعرفة الروحانية ينبغي أن يردوا إليكم لئلا يخبروا بها القوى المؤمنة وفيه أسرار جمة تتعلق بحد القرآن ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة:11] يعني: أيتها القوى المؤمنة الفاعلة إن فاتكم شيء من أزواجكم أي: القوى القابلة اللاحقة إلى الكفار مرتدة راجعة إليها ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ [الممتحنة:11] يعني: المرتدة بالقتل بأن لا تعطى حقها حتى تموت بالمجاهدة ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ [الممتحنة:11] يعني: أن أزمة القوى الفاعلة تعتد إن أمنوا وبقيت القوى القابلة التي في حيالتها عندكم فآتوهن من عنائهم استعدادات قابلية ونفسية بعد غلبتكم على القوى القابلة التي بقيت عندكم ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الممتحنة:11] يعني: اتقوا الله من أن يبقى معكم من الأخلاق الردية التي حصلت للقوة القابلة من القوى الكافرة والمشركة أو تبقى مع القوى القابلة المرتدة من الأخلاق الشريفة التي حصلت لها

من القوى الفاعلة المؤمنة لئلا يكون لهم ملك الأخلاق استعدادًا للإغواء ولأجل هذا السر من المشايخ بأن لا يؤذن لسالك خرج من حبال شيخه أن يدخل في دائرة الصوفية لأنه سارق يسرق المعارف والوقائع ويدعو الخلق إلى نفسه بتلك الاستعدادات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة: 12 - 13].

﴿يَا أيها النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾ [الممتحنة:12] يعني: أيتها القوى اللطيفة الخفية إذا جاءك المؤمنة القابلة يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئًا في الاختيار ويضعن الاختيار إلى الله بالكلية ولا يسرقن الموتة القلبية والسرية والروحية والخفية ولا يزنين بالهوى يعني: لا تأذن لخاطر الهوى أن يدخل فيهن ولا يقتلن الوارد الذي يرد عليهن والخاطر الإلهامي الذي يخطر بهن بدس الوارد والخاطر الإلهامي تحت تراب الطبيعة ولا يأتين ببهتان يفترينه على القوى الفاعلة المؤمنة واللطيفة الخفية ويزعم أن الخاطر السري خاطر الروح أو خاطر الروح خاطر الحق وأمثاله ولا يعصينك في معرفة الله وفيما تأمرهم بأمر الوارد مع ترك الضجارة والملالة عند مصيبة وبلاء التشنيع على ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ﴾ [الممتحنة:12] مما سلف عليهن ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:12] يغفر الذنوب ويرحم على من يتوب ﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة:13] يعني: أيتها القوى المؤمنة التابعة للطيفة الخفية لا تتخذوا القوى المؤمنة المتابعة للطيفة السرية المنكرة للطيفة الروحية والخفية ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾ [الممتحنة:13] بإنكارهم اللطائف الروحية والخفية ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:13] يعني: كما يئس القوى النفسية التي هي من أصحاب القوى القالبية وفي هذه الآية أظهر نسبة القوالب إلى القبور لمن كان له قلب شهيد أو سمع حديد اللهم ارزقني قلبا شهيدًا أو سمعًا حديدًا بحق محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

سورة الصف

وهي أربع عشر آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (4) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5)﴾ [الصف: 1 - 5].

أيها الصافون في مصاف الأعداء المصفون من أهل الصفاء القائمون في صفوف الصوفية بشرط الوفاء القاعدون في صفة أصحاب الصفة بالتوكل والرضاء سبحوا الله بالنسبة الأرض والسماء ونزهوه من أن يحاط بالأفكار والعقول وافهموا ما يقول في كتابه الكريم حيث يقول ﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف:1] بحكمة خلق الأرض والسماء وما فيها وما بينهما لتسبحه في السماوات الروحانية القوى العلوية وفي أرض البشرية القوى السفلية وبعزته حجب الكل عن مشاهدته وسخرهم بقدرته ليمتزجوا ويختلطوا بالفعل والانفعال [ليتولد] من الآباء العلوية والأمهات السفلية اللطيفة الأنانية المسبحة بلسان الحق لذات الرب سبحانه وتعالى أن يقدر أحد أن يذكره أو يسبح له غيره واللطيفة الأنانية الكاملة هي مرآة وجهه الكريم والمسبح لذاته عكس ذاته المنطبع في المرآة فإن لم يسبح الناظر في المرآة نفسه فكيف تقدر المرآة أن تسبحه فالمسبح عكس ذاته فتسبيحه بتسبيحه إياه فإن ظهر المسبح والمنظور هو المسبح وهو الناظر والمنظور والذاكر والمذكور ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:2] يا أيتها القوى المؤمنة النفسية لم تقولون إنا نجاهد العدو إذا واجهتموه واقتموه وأعصيتم شهواته على وفق هواه ما علمتم أن الله يقول: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:3] ﴿إِنَّ الله يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:4] يعني: إذا غلب في أثناء المجاهدة والخلوة جند

خواطر الشيطان والقوى القالبية والنفسية الغير المزكاة على القلب فينبغي أن يكون السالك المجاهد وقواه القلبية لا يزالون عن مكانهم مواجهة العدو في صف الجهاد كأنهم قد رصَّ بعضهم ببعض لأن كيد الشيطان ضعيف إذا رأى من السالك والقوى القلبية ثبات القدم وصدقهم في المجاهدات ينهزم سيما إذا شاهد حزب الرحمن وهو أنوار الجذبة وأنوار الخواطر السرية والخفية يتولى مدبرًا ويقول إني أرى ما لا ترون ويقوى السالك على حزب الشيطان بعد ذلك بحيث كلما واجهه انهزم إلا ما شاء الله لو ابتلي السالك بإيقاع الشهوات على وفق الهوى وترك الذكر فإنه يجيء كرة أخرى ويجلب بخيله ورجله للقتال فالسالك الموفق لا يخاف من كثرتهم ويعتصم بحبل الذكر ويتقلد بسيف الثقلين ويحمل عليهم ويهزمهم بقوة الولاية عند استحضاره الشيخ فبعد ذلك يضعف الشيطان والقوى القالبية والنفسية التي هي حزبه ويجب على السالك بعد ذلك رعاية القوى القلبية بحقوق الذكر ومحاسبة القوى النفسية والقالبية من الحظوظ حتى لا يلقمهم لقمة من غير حساب ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ﴾ [الصف:5] يعني: اللطيفة السرية لقواها ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ [الصف:5] بالافتراء علي بأن ذكري معلول بريح الهوى ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف:5] فربما يذكر السالك الذكر السري ولا يصل ذوق إلى القوى النفسية المؤمنة فيفترون على اللطيفة السرية أن ذوق ذكرك لا يصل إلينا ولم نجد ذوقه فعله حدثت من ريح الهوى إلى ذكرك وإن لم يكن السالك محفوظًا أو تحت ولاية الشيخ ينغصون العيش عليه فسبيل السالك في هذا المقام أن يقول إني أذكر الله لله لا للذوق وإن لم يصل إلى الذوق في الدنيا يصل في العقبى وإن لم يصل فالحكم للمولى إن ما عشت أذكر مولاي وولي وإلهي من غير طمع وأجرة ولا يكون كأجير سوء في سلوكه خاصة عند هجوم ظلمات النكرة وخمود نيران الشوق وجمود الاستعداد وركود ريح الذكر القلبي ويجتهد في الطاعات والرياضات والذكر وإن لم يجد منه راحة بل يكون في تلك الساعة كان إعطاؤه ترض بالحجارة فيجب أن يبالغ في الذكر على وجه التعظيم والهيبة حتى يفتح الله عليه باب المعرفة فيجد حينئذ أضعاف ما يجده من الذوق قبل هذه الحالة ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ

الله﴾[1] [الصف:5] يعني: القوى النفسية والقالبية عن الحق بافترائهم على اللطيفة السرية ﴿أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:5] يعني: أمالها الله بوجوههم عن الحق ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف:5] الذين يفترون على نبيهم.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9)﴾ [الصف: 6 - 9].

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [الصف:6] يعني: اللطيفة الخفية ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾[2] [الصف:6] الخفية التي شاهدتها القوى النفسية والقالبية المؤمنة باللطيفة السرية ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:6] أنكرتها وقالت: هذا يسحر بأعيننا وليس لهذه الآيات حقيقة وهذه الأحوال تظهر للسالك بعد عبوره على الحجُبات القالبية والنفسية والقلبية والروحية ووقوفه في تلك المواطن حتى يرسل الله اللطيفة الخفية لترقيها من ذلك المقام، ويدخلها في عالم الخفي ودعتها اللطيفة الخفية إلى الحق بالصحيفة الخفية التي هي مصدقة للصحف الروحية والسرية والقلبية والنفسية والقالبية، ويبشرهم

---

(1) قال الورتجبي: وصف قومًا لهم استعداد الطاعة والمعرفة، وأراهم سبيل الرشد، وخلق في نفوسهم حظوظ الهوى، فتركوا الحق، واتبعوا هواهم، فطمس الله أعين قلوبهم عن مشاهدة الغيب، وهذه فتنة أهلكت أكثر القاصدين في أوائل قصدهم.

قال جعفر: لما تركوا أوامر الخدمة نزع من قلوبهم نور الإيمان، وجعل الشيطان إليهم طريقًا، فأزاغهم عن طريق الحق، وأدخلهم في مسالك الباطل.

وقال الواسطي: لما زاغوا عن القربة في العلم أزاغ الله قلوبهم في الخلقة.

قال الأستاذ: لما زاغوا عن العبادة أزاغ الله قلوبهم عن الإرادة.

(2) لما أراد الله سبحانه أن يظهر لعرائس مملكته، ولخاصة أوليائه من قدسية نور سره الأول، وإنسان عينهم الكامل المكمّل، وهو النبي المصطفى الطاهر الأمجد، سماه في أهل السموات باسمه (أحمد)، إظهارًا لمنزلته عند ربه، وعلو رفعته عند خالقه فكأنه يقول لأهل حضرته: لئن ظفرتم بالغُنم في تنزيهي وتقديسي وذكري، فلقد زاد على حمدكم حبيبي أحمد الذي بالغ في حمدي وشكري، وفوض أمره لأمري، فهو أفضل من خلقت ومننت عليه بجميع محامدي، وأعظم من رزقته وصيرته إكسير محامدي.

باللطيفة الخفية التي هي أحد اللطائف لحقها، وأشكرهم على نعم الحق، وأعظمهم قدرًا، وأحسنهم خلقًا، وأكرمهم على الله وأحبهم عنده، وهي اللطيفة المقصودة التي لولاها لما خلق الدنيا والعقبى، فأنكرت القوى النفسية والقالبية اللطيفة الخفية؛ لوقوفهم على ترك شهواتهم التي هي صارت عادتهم إذا صدقوا اللطيفة الخفية، واستدلوا بالسلوك؛ لأن العبادة ترك العادة، فالواجب على السالك في هذا المقام أن يترك جميع عباداته النافلة بأمر مسلكه؛ ليسهل عليه التجاوز عن هذه المرتبة ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ﴾ [الصف:7] يعني: من أظلم ممن ادعى التسليم لأوامر اللطيفة المرسلة، وترك عاداته للترقي من مقامه، يفتري علي الكذب، ويقول للطيفة المرسلة ما أنت برسول صادق؛ بل أنت ساحر كذاب تريد أن تصدنا عن طريقتنا، وتخرجنا عن ملتنا، وملة آبائنا وأمهاتنا السفليات ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف:7] الذين ظلموا أنفسهم بالافتراء على رسلهم والاستهزاء بالوارد الذي ورد على اللطيفة المرسلة ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ﴾ [الصف:8] يعني: القوى التابعة للشهوات على وفق الهوى يريدون أن يطفئوا نور الله اللطيفة الخفية لئلا يظهر ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف:8] يعني: بافترائهم وكذبهم وأكلهم الشهوات على وفق هواهم ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ [الصف:8] يعني: مظهر نور اللطيفة الخفية ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:8] من القوى التابعة للطائف ثم الهادية عن الجهاد البالغة للشهوات المشتغلة بالحظوظ العاجلة الغافلة عن ذكر الرب الكافرة نعم مشاهدة الآيات الأنفسية ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْـهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:9] يعني: هو الذي خلقكم وهداكم إلى السلوك بأمر اللطائف المرسلة إليكم يرسل رسوله الكريم، وهو اللطيفة الخفية الداعية إلى الحق المعلمة أمر التقويم والتصقيل والتوجيه للمرآة التي هي منظورة الحق على وجه يمكن إكمال المرآة به، ويجعلها مستحقة لأن ينظر إليها الله تعالى بنظر جلاله وجماله ويشاهد فيها ذاته وصفاته وأفعاله وآثاره على وجه التفضيل؛ ولهذا السر أظهر هذا الدين على الأديان كلها، وسنحت الشرائع بشريعتها الزهري، ولو كره المشركون الذين أشركوا بالله بإثباتهم اللطائف بالنبوة والقوى القابلة والفاعلة بالشركاء لله، تعالى عما يقول المشركون والكافرون علوًا كبيرًا هو الله الواحد الأحد الصمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا خلق القوى القابلة بنظر ربوبيته، وخلق القوى الفاعلة بنظر ألوهيته وأزوج بينهما

بحكمته، وأخرج من بينهما ذريته ليكونوا مظاهر لطفه وقهره، وهو الغالب على أمره يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد في ملكوته.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ ﴾ [الصف: 10 - 12].

﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف:10] يعني: أيتها القوى المؤمنة باللطائف هل أدلكم على كسب إن اشتغلتم به ينجيكم من عذاب الآخرة، وهو أسهل مما تواظبون عليه من الأوزار والأغلال؛ لأني بعثت بالملة الحنيفية السمحة السهلة، وهو أن ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [الصف:11] يعني: وحدانيته ﴿وَرَسُولِهِ﴾، يعني: اللطيفة الخفية المرسلة التي هي خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف:11] يعني: باستعدادكم الحاصل من سلوككم بأمر اللطائف المرسلة من قبيل ترك اختيار أنفسكم وعادتكم ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الصف:11] من كثرة مجاهدتكم وتعبكم ورياضتكم الشاقة على أنفسكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف:11] أن حقيقة العبادة ترك الهوى، والائتمار بما يأمر به المولى، والانتهاء عما ينهى عنه لا تعذيب النفس، وقلة الأكل والنوم على وفق الهوى؛ ولأجل هذا السر قال المشايخ: لو يأكل المريد بأمر شيخه كل يوم دجاجة مسمنة، وحلوى من سكر خير له من أن يأكل في كل أسبوع قرصًا من شعير على وفق أمر نفسه وهواه، وإن شاهدنا وجربنا في أنفسنا، وفيمن سلكناه أن الإفطار على وفق أمر الشيخ خير له من الصوم باختيار نفسه، وإن ترك العبادات النافلة من الصلاة والحج والصدقة والتلاوة بأمر شيخه؛ أنفع له من الإتيان بها على وفق اختيار نفسه، وفي هذا السر لطيفة إفشاؤها حرام على المسلك من قبل أن يطلع الله السالك عليها، فإذا أطلع الله السالك عليها، ويحكيها السالك للمسلك، فيجوز للمسلك أن يخبره عن هذه اللطيفة، فمن يؤمن بالله أيتها القوى المؤمنة باللطائف المرسلة من قبل باللطيفة الخفية منكم ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الصف:12] بإثبات الولد والصاحبة لله، وبإثبات الشركاء له ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [الصف:12] يعني: جنات القلب تجري من تحتها أنهار المعرفة تكون تحت

تصرفكم متى شئتم شربتم منها ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [الصف:12]، وهي مساكن قوى معدنية السالك إذا صارت طيبة يكون بعد خراب البدن لصاحبه مساكن طيبة في جنات عدن، وهو القوى النباتية المزكية عن الخبائث المطهرة عن الأباطيل، إذا خرج صاحب هذه القوى من دار الكسب؛ يكون له في دار الجزاء مساكن طيبة بتطهير قوى معدنية، وجنات عدن بتزكية قوى نباتية ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف:12].

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: 13 - 14].

﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف:13] يعني: لكم شيء آخر في العاجل مما تحبونه، وهو النصر على الأعادي، وفتح البلاد من الأداني والأقاصي غير ما ادخر لكم في الأجل، كما يقول نصر من الله، وفتح قريب ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:13] أيتها اللطيفة الخفية بالنصر والفتح في العاجل والخلود في الجنة مع الرضوان في الآجل ﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللهِ﴾ [الصف:14] يعني: أيتها القوى المؤمنة التابعة للطائف المرسلة من قبل إذا آمنتم باللطيفة الخفية كونوا أنصار الله ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ [الصف:14] يعني: كما قالت اللطيفة الخفية للقوى الصافية التابعة لها ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ﴾ [الصف:14] في الجهاد مع الأعادي ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ﴾ [الصف:14] يعني: قالت القوى الصافية: نحن أعوان الله ننصرك ونغنيك عن مقابلة العدو ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الصف:14] ممن آمنوا باللطيفة السرية قبل إرسال اللطيفة الخفية باللطيفة الحنيفية إذا أرسلت ﴿وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الصف:14] باللطيفة الخفية ﴿عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف:14] يعني: إذا شرفوا بالتجلي الجمالي صاروا غالبين على من كفر من أمة مؤمنة باللطيفة السرية كافرة باللطيفة الخفية، فهكذا أيتها القوى المؤمنة باللطيفة الخفية إن كنتم تؤمنون باللطيفة الخفية تردكم بتجليات الجمال، بحيث تصبحون ظاهرين غالبين على عدوكم من القوى الكافرة والمشركة القالبية والنفسية، اللهم اجعلنا ظاهرين على عدونا ثابتين على متابعة سيدنا وحبيبك محمد وآله وصحبه وسلم صلاةً وتسليمًا دائمًا أبدًا.

سورة الجمعة

وهي إحدى عشر آية مدنية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجمعة: ١ - 4].

يا من تدعي أنك تسبح لله ما فهمت من قوله تعالى حيث قال: ﴿يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ [الجمعة:1] وإن لم تكن من أهل الفهم من عند نفسك بالكشف فألق سمعك إلي وكن شهيدًا حتى أفسره لك بإذن الله تعالى.

واعلم أن التسبيح لا يصدق من أحد من رؤية وجوده، فينبغي للمسبح أن يعرف الله بصفة الملكية والقدوسية والعزيزية والحكيمية، ومعرفته صفة ملكه لا يصدق ما دام يلتجئ إلى أحد غيره، ويرى الملك لغيره متصرفًا، ولا يأتمر بأمره، ولا ينتهي من نهيه، ويشتغل بنهر طبعه، ومعرفة صفة قدسه لا يحصل إلا بعد علمه بأن كل ما يخطر بباله وحسه وذكره، فالله خالق تلك الخواطر وكل ما رأى من صور صفاته في الغيب والشهادة يتيقن بأن الله مصورها، ومعرفته صفة عزيزية منوطة بأنه يعرف أنه غالب على أمره، خلق الشيطان لعزته، وخلق النفس قرينة لغيرته على أن يعرفه غيره، ومعرفته حكيمية متعلقة بمعرفته النقطة المتقنة الواهية صور الأشياء بعد ظهور [الصفات] الثلاثة: العلمية والإرادية والقدرية؛ ليعلم حقيقة ظهور القالب الإنساني على شكل قامة الألف، ويعلم قواها السوادية، وقواها البيانية، وكيفية تداخل الحروف بعضها في البعض، وأخذ النقطات البيانية حظوظها من النقطات السوادية، وأخذ النقطات السوادية حقوقها من النقطات البياضية؛ ليظهر عليه حكمة صدور هذا الفعل من ذات سبب صفاته الملكية والقدسية والعزيزية والحكيمية، وإن الملك اسم للسر الذي أودعه الله في النقطة العلمية، والقدوس اسم للذي أودعه الله في النقطة الإرادية، والعزيز اسم للسر الذي أودعه الله في

النقطة القدرية، ويطلع على ينبوع الحياة في النقطة العلمية، وعلى نهر السمع في النقطة الإرادية، وعلى بحر البصر في النقطة القدرية، وعلى مد الكلام وجوزه في النقطة المتقنة الحكمية ليجتني من شجرة روحانيته المغروسة في أرض بشريته إثمار الكلمات الطيبات في بستان بلدته الطيبة، ويضعها على طبق اللطائف ويتحف بها على يدي اللطيفة الأنانية إلى حضرة ربه الغيور، والمبالغة في هذا التقرير في هذه الآية فرعت باب مطلع القرآن، فعطفت عنان البيان عنه ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة:2] يعني: بعث اللطائف المرسلة إلى كل الأمم منهم، وبعث اللطيفة الخفية إلى جميع الحقوق المودعة في القوى السفلية والعلوية، وهي أمة أمية؛ لأنها وهبية لا كسبية ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ [الجمعة:2] يعني: يقرأ عليهم آيات الحق في أنفسهم ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة:2] من غبار الأخلاق الرذيلة التي علقت بأذيال القوى الحقوقية في أرض البشرية من تراب الطبيعة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الجمعة:2] بالوارد الوهبي الخفي لا من العلم الكسبي الخلقي العسكري ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:2] بالنور الحكمي المخصوص بالخفي، والمراد من الكتاب: الأحكام التي تتعلق بملك السالك، وبالحكمة الأحكام التي بملكوت السالك يعني: تزكي بالكتاب قوى سفليته، وبالحكمة تزكي علويته ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:2] بعبادتهم أوثان الهوى، ومتابعتهم القوى الجاهلية القالبية، والظالمة النفسية ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ [الجمعة:3] يعني: يعلمهم ويعلم آخرين منهم من القوى التي تحدث من [.....][1] بعد المُخَيِّلات ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة:3] يعني: القوى الحادثة للقوى التابعة الزكية العارفة بالكتاب والحكمة لم يدركوهم، ولكنهم يحدثونهم بعدهم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة:3] بقدرته أرسل اللطيفة الخفية إلى الأميين من القوى الحقوقية الأمية الأصلية؛ ليعلمهم الكتاب والحكمة بعد أن غابوا عن الحضرة من وقت التخمير، وصاروا ضالين في أودية البشرية، ويبدأوا الشكوك والظنون مشتغلين بعمارة وكر قالبهم وتربية بيضتهم غافلين عن ذكر الله بالحكمة البالغة؛ ليتم الوكر وتنتج البيضة الفرخ، ولولا غفلتهم عن الذكر ما اشتغلوا بعمارة الوكر وتربية البيضة،

---

(1) غير واضحة بالأصل.

والمراد من إيجاد الذكر والأنثى والعلو والسفل، وعمارة الوكر وتربية البيضة هو: الفرخ الذي يحصل فيه؛ فيطير في سواء المحبة، ويأخذ طيور المعرفة ليفرح السلطان في طيرانه، وعلمه بكيفية الأخذ ورجوعه إلى يد السلطان ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الجمعة: 4] يعني: من ذلك العلم والطيران والرجوع من فضل الله ووجهه لا من كسب أحد وتعلمه يؤتيه من يشاء، ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة:4]؛ ليعطيهم الاستعداد ويهب لهم العلم اللدني، ويرسل إليهم الوارد القدسي، ويدعوهم بلطيفة إليه، ثم يجزيهم الجزاء الأوفى، ويثني عليهم ويشكر سعيهم ويجعلهم المقربين.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ ﴾ [الجمعة: 5 - 7].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة:5] مثل القوى النفسية المؤمنة باللطيفة السرية، وقبولهم الوارد السري من حيث الظاهر، ولم يحملوا حقيقة الوارد من حيث المعنى، وتركوا العمل بما في ضمن الوارد ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة:5] يعني: يحملون الأسفار من حيث الظاهر، وهم جاهلون في باطنه غافلون عن حقيقة وروده، فيجب التعزية لنفسهم على حفظ كلمات القرآن المقتصرين على حفظه وقراءته والتاركين لفهمه، والعمل به، وعلى السالك الذي يرد عليه الوارد، وهو يتكلم بالوارد ولا يعمل به، وعلى اللطيفة المبلغة التي تأمر القوى عن الاجتناب عن الهوى، ويلقي الشيطان في أمنيته أن يتكلم بشرب نفسه، وهو طبعه ويظن أن نفسه مطمئنة لا يضرها الاشتغال بصحبة الخلق، والتوسع في المعيشة، ولا يذكر حال أشرف الخلق وأحبهم إلى الله محمد ﷺ أنه صلى حتى تورمت قدماه بعد أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وما شبع في مدة حياته من خبز الشعير إلا مرتين، وبعده حال سيد الأولين علي بن أبي طالب ﷺ على مدين ونصف من السويق الشعير، الغير متحول في رمضان الذي استشهد فيه حتى وزنوا ما في جرابه بعده، وهو ﷺ استشهد صبيحة يوم الثالث والعشرين من رمضان كان منا، ونصف

من قالوا يجب على السالك ما دامه في قيد الحياة الدنيوية؛ الاحتراز عن الطعام والكلام والمنام ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ [الجمعة:5] من القوى المكذبة القالبية والنفسية ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:5] الذين ظلموا أنفسهم بكسبهم السيئات، وتكذيبهم اللطائف المنذرة ﴿قُلْ يَا أيها الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ للهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة:6] في هذه الدعوى يعني: أيتها القوى المؤمنة باللطيفة السرية من حيث الظاهر، وهي القوى التي إذا اشتغل صاحبها بالسلوك، وشاهد أنوار السر والمعارف السرية آمنت بالآيات السرية، واطمأنت بأنوارها، وظنت أن ليس وراء العبادات قربة، ورجعت إلى عالمها واشتغلت بشهواتها التي تركتها وقت سلوكها وقالت: إني وصلت فما يضرني الاشتغال بشهوات النفس يعتريها العجب والغرور من المعارف السرية والأنوار التي تشاهدها حتى يستدرجها الحق من حيث لا يعلم، ويجعل تلك المعارف والأنوار ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [النور:39] وناقشها في المحاسبة وليس لأحد من أهل الآخرة عذاب أشد من عذابها نعوذ بالله منه، ونسأل الله العافية، وحسن المنقلب والمآب والثبات على طاعة الله، وعبوديته على وفق متابعة نبيه محمد سيد الأحباب ﷺ وعلى آله وأصحابه.

وإذا أودعتها الخفية إلى الترقي إلى عالم الخفي والحق أبت دعوتها خوضًا على تركها الشهوات بعد أن قاستها في السلوك السري ورجوعها إلى مألوفات طبعها، وقالت: أنا وصلت إلى حضرة الله ولينا وهو حسبنا لا يحتاج إلى دليل غيره في طريقنا، فيقول الله تعالى في كتابه لحبيبه: قل لهم ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة:6] في محبتنا عاشقين جمالنا يعني: اشتغلوا بالمجاهدة ليحصل لكم الموت الاختياري ﴿وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الجمعة:7] يعني: لا يشتغلون بالمجاهدة ولا يجتهدون في تضعيف النفس، ولا يشتهون أن يكشف غطاؤهم بما كسبت أيديهم من الاشتغال بملاذهم العاجلة وشهواتهم المودية ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:7] الذين ظلموا على قواهم بعد اشتغالهم بذكر الله، وتحصيل الاستعداد السري بالرجوع إلى مألوفات طبعهم، وتركهم السلوك والذكر.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝١١﴾ [الجمعة: 8 - 11].

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ [الجمعة:8] يعني: أنتم تفرون من الموت الاختياري، والموت الاضطراري الذي هو ملاقيكم لا محالة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة:8] في الشهادة باستيفاء حظوظهم على وفق الهوى وفي الغيبة باستعداد الوارد السري والمعارف التي حصلت لكم في سلوككم في الباطل، وكسب الشهوات النفسانية العاجلة ﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله وَذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] [الجمعة:9] يعني: أيتها القوى المؤمنة إذا نوديتم للتقرب إلى حضرة الرب، والرجوع إليه من يوم الجمعة في مقام الجمع في مسجد جامع القلب بالوارد الخفي؛ فاسعوا إلى ذكر الله القلبي السري الخفي وذروا كسبكم في سوق القالب بمتاع الحياة الدنيوية النفسية بالاشتغال بالذكر القلبي والسري والخفي في تلك الساعة، وترك الأعمال البدنية والذكر اللساني، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:9] حقيقة هذا الحال؛ لأن الأعمال البدنية كانت معبرة لاستجلاب هذا الوقت، فإذا دخل الوقت المطلوب واشتغالك بأسباب وإعراضك عن المقصود يكون من ركاكة العقل، ودناءة الهمة، وخساسة النفس، ويكون مثلك مثل شخص يطلبه السلطان لتقربه إليه، ويجعله نديمه،

---

(1) قال الشيخ روزبهان: لما جرى حديث البيع والتجارة دعاهم إلى ذكره بنعت السرعة والاستباق، وإلا دعا الكل في الأزل إلى نفسه، فإن الذكر عند المذكور حجاب، والسعي إلى الذكر مقام المريدين، والمحقق في المعرفة غلب عليه ذكر الله إياه بنعت تجلي نفسه لقلبه.

قال النصر آبادي: العوام في قضاء الحوائج في الجمعات، والخواص في السعي إلى ذكره لاستغنائهم بالغنى لم يبق لهم حاجة لعلمهم بالمقادير قد جرت، فلا زيادة فيها ولا نقصان، لكنهم يسعون إلى ذكره سعيَ مشتاق إلى مذكوره، يطلب منه محل قربة إليه والدنو منه.

ويشيره وهو يقول: دعوني لأن أغرس للسلطان شجرة في البستان، وأجتني ثمراتها، وآتي بها إلى السلطان، كيف يضحك أولو الألباب من قلة عقله؟ وكيف يسقط من عين السلطان لدناءة همته؟ والذي نقل عن المشايخ أنهم قالوا: صاحب الورد ملعون لأجل هذا السر، قالوا: لأن الورد معتبر ليحصل منه الوارد، فإذا جاء الوارد وهو يدفعه بورده لا يكون إلا من المبعدين من حضرة الرب، وهم أيضًا قالوا: لا وارد لمن لا ورد له، فالورد مستجلب الوارد وهو المقصود من الورد ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ﴾ [الجمعة:10] في مسجد جامع القلب بيد الوارد القدسي ﴿فَانتَشِرُوا﴾ [الجمعة:10] أيتها القوى المؤمنة ﴿فِي الأَرْضِ﴾ [الجمعة:10] يعني: أرض البشرية ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ﴾ [الجمعة:10] بالكسب في سوق القالب من الأعمال الصالحة البدنية ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً﴾ [الجمعة:10] باللسان بعد الفراغ عن التوجه في مقام الجمع بالذكر القلبي والسري والخفي ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:10] أي: تنجون من الكدورات الحاصلة في دار الكسب، وسوق القالب، والذكر اللساني يدفع الكدورات الحاصلة عند الاشتغال بالكسب في عالم الكون والفساد من غبار الطبيعة والفلاح منوط بالتزكية لا تحصل إلا بالذكر اللساني القوي الخفي على وفق قانون أهل الطريقة بشرط النفي والإثبات ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾ [الجمعة:11] في جامع القلب وقت الحضور مع الرب، إذا رأت القوى المؤمنة عملاً بدنيًا أو ذوقًا سمعيًا يتركون اللطيفة الخفية في مقام الجمع قائمًا في الإمامة، وتركوا الاقتداء وخرجوا من جامع القلب إلى سوق القالب للكسب والسماع ﴿قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ﴾ [الجمعة:11] من المعارف الوهبية والأذواق الحاصلة من العلم اللدني في مقعد صدق ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللهْوِ﴾ [الجمعة:11] من الذوق السمعي ﴿وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ [الجمعة:11] أي: من الأعمال البدنية والمعارف الكسبية ﴿وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة:11] يرزق القوى القالبية والنفسية والقلبية والسرية والروحية والخفية والحقية بالوسائط والأسباب، ويرزقهم أيضًا غير الوسائط والأسباب من عنده بلطفه وكرمه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فالواجب على السالك أن يعتبر بهذه السورة، ولا يلتفت عند ورود الوارد ونزور الواقعة بالأعمال البدنية ولا بالسماع الصورية البتة حتى يسكن سلطان الوارد ويقضي بالواقعة وطرد من السالك، ثم يرجع إلى عالم

الكسب وذكر اللسان ولا يترك العقل والذكر بعد انقضاء مدة الوارد والواقعة، ولو يترك لترك وصار متروكًا نعوذ بالله منه ...

اللهم اجعلني من المحفوظين المقبولين المقبلين إليك بالكلية في جميع الأحوال بمحمد ﷺ وعلى آله وصحبه خير صحبة وآل.

سورة المنافقون

أحد عشر آية مكية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون: 1 - 4].

يا أيتها اللطيفة الخفية المرسلة لا يغرنك القوى المنافقة النفسية بلين كلامهم وأيمانهم الكاذبة، وافهمي ما قال الله تعالى في كتابه الكريم لحبيبه صاحب الخلق العظيم حيث جاءه المنافقون، وقالوا له إنك لرسول الله وأضمروا خلاف ما أظهروه، وجعلوا ﴿أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون:2] وسترًا لأنفسهم ليغتر الرسول بكلامهم وإيمانهم، ويترك مقاتلتهم بقوله ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله وَالله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَالله يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ* اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ الله إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:1 -2] شهد الله على رسالة الرسول أولاً ثم يشهد على كذب المنافقين فيما يظهرون؛ لأن الله مطلع على ضمائرهم على أنهم أضمروا خلاف ما أظهروا، فأخبر النبي ﷺ لئلا يغتر بشهادتهم وإيمانهم، فكذلك أيتها اللطيفة المرسلة ينبغي ألا يغتر بالقوى المنافقة؛ لأنهم إذا علموا منك الصدق في المجاهدة، وثبات القدم في ترك الهوى، وجاءوك ونافقوك وداهنوك والتمسوا منك أن تلقنهم الذكر، ويأخذوا منك تلقين الذكر، وكل ذلك لشعورهم بصدقك في المجاهدة لكي توافقهم وتواسيهم بأن النفس قد صارت مؤمنة، فالواجب عليك إعطاء حقها؛ لأن الله تعالى بين للسالك ثلاث مقامات في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْـخَيْرَاتِ بِإِذْنِ الله﴾ [فاطر:32] فالسالك المبتدئ ينبغي أن يكون ظالمًا لنفسه يأخذ منها حقها وحظها إلا مقدار ما يبقي رمقها، ويتقوى به على الطاعة وإلى هذه النفس أشار النبي ﷺ حيث قال: «أعدى أعدائك عدوك

نفسك التي بين جنبيك»[1] والمقتصد هو السالك المتوسط ينبغي أن يقصد في المجاهدة ويرفق بالنفس؛ لأنها صارت في هذه المرتبة مركب للسالك وأشار إلى هذه النفس النبي ﷺ حيث قال: «نفسك مطيتك، فارفق بها»[2]، والسابق هو السالك المنتهي يجب عليه أن يعطي حق النفس؛ لأن النبي ﷺ جعلها صاحبة للحق حيث قال: إن لنفسك عليك حقًا، فيا أيتها اللطيفة تيقني أن النفس جبلت على النفاق فما دام فيها عرق من القوى السفلية الغير المستخلصة من رذائل الأخلاق باقيًا، فاحذري منها، ولا تغتري بها، وكذلك كلما وصل إليها شرب من عالم الطبيعة جدد نشاطها إلى الرجوع إلى طبيعتها، وهي كمثل القصب المقطوع إذا وجد الماء يخرج أحسن فما كان قبل القطع وقلعه لا يمكن إلا بالموت الكبير الأخير، ولأجل هذا السر أمر الله نبيه في كلامه بالعبادة حتى الموت بقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:99] يعني: الموت الأخير الاضطراري لا الموت الاختياري، ولكن يكسر قوتها بالموت الاختياري بحيث يسكن سلطانها، ودخلت تحت أمر اللطيفة المرسلة، فكوني على حذر منها متى دامت متصرفة في أرض البشرية، ولا تغتروا بإيمانهم لأنهم اتخذوه جنة وسترًا وصدوا وأعرضوا عن سبيل الحق بالأعمال السيئة والأخلاق الردية ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ [المنافقون:3] بألسنتهم ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ [المنافقون: 3] إذا خلوا بالقوى المشركة النفسية والقوى الكافرة القالبية؛ ليجتذبوا منهم حظوظهم اليوم والشهوات العاجلة ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون:3] أي: ختم بالكفر حتى يسمعون منك الوارد الغض الطري ﴿فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:3] ويقولون أنه أساطير الأولين، ونتائج طبعه المستقيم، وأنه شاعر عظيم، وساحر عليهم يسحر قلوب الخلق بكلامه الرائق، وأن فقهه علامة حياة القلب؛ لأن النبي ﷺ قال في جواب من سأله عن الخيار بقوله: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»[3] يعني: كل من كان

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 143).

(2) ذكره حقي في تفسيره (6/ 481).

(3) رواه أحمد (3/ 367، رقم 14988). وأخرجه أيضًا: الديلمي (2/ 173، رقم 2863)، حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (3/ 1235، رقم 3194)، ومسلم (4/ 1846، رقم 2378). وأخرجه أيضًا: أحمد (2/ 485 رقم 10300)، وابن حبان (13/ 69، رقم 5757)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص 255، رقم 355).

له استعداد كامل في الجاهلية إذا دخل في الإسلام بشرط حياة القلب، وعلامتها فقه القلب أحكام الوارد والتذاذه به، ومعه ذلك الاستعداد، فهو يكون خيرًا ممن لم يكن له استعداد مثل استعداده، وهذا أمر بيِّن، إذا كان رجل قوي المشي وهو يقصد [السومنات][1] لزيارة بيت الأوثان يرجع من الكفر ويسلم ويقبل على زيارة الكعبة، ويمشي كل يوم فرسخًا هو يصل إلى الكعبة قبل الرجل الذي كان ضعيف المشي، وهو مسلم عازم إلى زيارة البيت الحرام، ولأجل هذا قال ﷺ «المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[2]، فأما هؤلاء المنافقون طبع على قلوبهم لنفاقهم فهم لا يفقهون حقيقة الوارد ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون:4] يعني: للقوى المنافقة النفسانية مناظر حسنة، وقوة عظيمة، وكلام رائق، وتملق تام تعجبك حسن صورتهم، ولنعوذ كلامهم ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون:4] أي: الفصاحة ظاهرهم، وتشدقهم ولكنهم خشب مسندة أشباح بلا أرواح صور بلا معاني، أسندهم الله على جدار القالب، فلما خرب الجدار، سقطوا كما يقول الله تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ [المنافقون:4] ويخافون من المجاهدة والمحاربة والهجرة عن مألوفات الطبع، وإذا سمعوا من قوى القلب صيحة عند الذكر يكادوا أن يموتوا من الخوف؛ لشعورهم بوصول جنود الخواطر السرية والخفية التي أي: حزب الرحمن ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:4] واحذر عن صحبتهم وعن استماع كلامهم، وعن مجالستهم ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:4] يعني: لعنهم الله بإفكهم كيف يؤفكون الكلام، ويصرفون الناس عن الحق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ [المنافقون: 5] عطفوا رؤوسهم، وأعرضوا وجوههم كراهية للاستغفار؛ خوفًا من حرمانهم المشتهيات العاجلة، واللذات الموائية، وإنكار يوم الجزاء.

---

(1) اسم بلدة.

(2) رواه أحمد (2/ 366، رقم 8777)، ومسلم (4/ 2052، رقم 2664)، وابن ماجه (2/ 1395، رقم 4168). وأخرجه أيضًا: الحميدي (2/ 474، رقم 1114)، والنسائي في الكبرى (6/ 159، رقم 10457)، وأبو يعلى (11/ 124، رقم 6251)، وابن حبان (13/ 28، رقم 5721)، والحكيم (1/ 404)، والديلمي (4/ 187، رقم 580)، والبيهقي (10/ 89، رقم 19960).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾ [المنافقون: 5 - 7].

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون:5] أي: معرضون وهم مستكبرون لاستكبارهم على اللطيفة المرسلة، وإبائهم الحق بالتكبر الذي حصل للقوى النفسية في الطبيعة النازية المستكنة فيها وقت تخمير طينتها، وما زكيتهم على وفق الحكمة الواردة على اللطيفة المرسلة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ الله لَهُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون:6] يعني: أيتها اللطيفة المرسلة إن الله يعلم باستعدادهم الخبيث وفسقهم لا تستغفري لهم أن يداهنوك، ويقولوا: نحن من عشائرك ومتبعيك ومقويك؛ لأنهم فاسقون إذا واجهت العدو مالوا إلى جانب العدو، ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾ [الجمعة:11] وحيدًا لن يغفر الله لهم ولن يهديهم؛ لأن الله يعلم ضمائرهم ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ الله حَتَّى يَنفَضُّوا﴾ [المنافقون:7] يعني: هذه القوى المنافقة يقولون للقوى المؤمنة النفسية: لا تعطين القوى العلوية التابعة للطيفة المرسلة حظوظهم مما لا بد لهم من العالم السفلي حتى يتفرقوا، أو إذا لم يجدوا حظوظهم في ظاهركم مثل الذكر اللساني، والأعمال الصالحة التي تتعلق بالجوارح يعرضون عنكم، ويقبلون على عالمهم، ويصعدون على عالمهم، وتسترحن منهم، ولا يعلمون أن خزائن السماوات والأرض لله يرزقهم من خزائن السماوات معارف الأفعال، ومن خزائن الأرض معارف الآثار بحيث يتقوين بها، ويستغنين عن المعارف المكتسبة بواسطة القوى القالبية والنفسية، كما يقول الله ﴿وَلله خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[1] [المنافقون:7] لجهلهم بأمر الله وقدرته ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ [المنافقون:8] يعني: القوى المنافقة العزيزة في وجودهم من

---

(1) كل ما عند العبد من مال فهو خزانة الحق عنده والعبد خازنه فمهما تعدى خزانة مولاه بغير إجازة استحق السياسة بقطع آلة التعدي إلى خيانة خزانته وهي اليد المتعدية.

حيث يشاءوا ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ [المنافقون:8] من هذه الغزوة، وهي التي غزاها السالك في خلوته الأولى مع النفس، والنفس إلى مدينتنا القالبية.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

[المنافقون: 8 - 11].

﴿لَيُخْرِجَنَّ﴾ [المنافقون:8] الخواطر القلبية التي آويناها في مدينتنا، وهم غرباء أذلاء، ولا يعلمون أن الغزوة لله ولرسوله وللمؤمنين، كما يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون:8] يعز رسول الله بعد هذا الغزو، ولا يقهر الأعداء ولرسوله لإعزاز الله إياه وتسلطه على القوى القالبية والنفسية، وتسخير المدينة وأهلها شاءوا أم أبوا ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:8] بنصر الله إياهم على أعدائهم، وثباتهم في الجهاد، وصبرهم على الشدائد الدنيوية الفانية ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:8] لأن الله تعالى طبع على قلوبهم بعزته وحكمته ﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ﴾[1] [المنافقون:9] يعني: يا أيتها القوى المؤمنة لا يشغلكم استعدادكم الحاصل في هذه الغزوة في ميدان هذه الخلوة، ولا نتائج خواطركم العارفة المطلعة على بعض أسرار الآثار والأفعال عن ذكر الله؛ لأنكم إن تشتغلوا باستعدادكم ومعارفكم، وتتركوا ذكر الله

(1) قال البقلي: بيان أن من لم يبلغ درجة التمكين في المعرفة، لا يجوز له الدخول في الدنيا من الأهل والمال، فإنها شواغل قلوب الذاكرين عن ذكر الله، ومَن كان مستقيمًا في المعرفة وقرب المذكور فذكره قائمٌ بذكر الله إياه، وذلك حظُّه بأن جعله محفوظًا من الخطرات المذمومة، والشاغلات المحجبة، والضعفاء لا يخرجون من بحر هموم الدنيا، فإذا باشرت قلوبهم الحظوظ والشهوات لا يكون ذكرهم صافيًا عن كدوريات الخطرات.

قال سهل: لا تشغلكم أموالكم وأولادكم عن أداء الفرائض في أول مواقيتها؛ فإن من شَغَله عن ذكر الله وخدمته عرض من عروض الدنيا فهو من الخاسرين.

بلسانكم وقلبكم بعد خروجكم عن الخلوة، وتضيعون أوقاتكم بمجالسة الأقران الذين هاجرتموهم عند دخول الخلوة، وبمدارات الخلوة بان لنا قوة الاختلاط حاصل الاستعداد حصل بنا في هذه الخلوة شغلتم عن ذكر الله ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:9] لخسرانهم رأس مالهم بلا ربح؛ لأنك مطالب في كل نفس بعمل صالح، فلو طوعت ذلك النفس وما كسبت بذلك النفس، وهو رأس مالك في سوق الدنيا خسرت رأس مالك بلا ربح، فكما أنك تشاهد أن من أكل في الأمس طعامًا لذيذًا وشرابًا عذبًا، واليوم عطش وجاع لا ينفعه طعام الأمس وشرابه حتى يكسب طعامًا وشرابًا، ويأكل ويشرب ليسكن عطشه وجوعه اليومي، فكذلك كل ما حصل لك في الخلق، فإذا خرجت من الخلق، وتركت الكسب رجعت وعطشت اليوم ما ينفعك ما وجدت من قبل هذا اليوم في الخلق، فالواجب على السالك أن يجتهد في حفظ الأنفاس، ومراعاة الأوقات لئلا يضيع نفسًا من الأنفاس، ولا يمشي عليه وقت من الأوقات إلا وهو ذاكر كاسب معرفة جديدة لنفسه الجديدة؛ لأن لكل نفس عليه حقًا كما أن له من كل نفس حظًا فحظه من النفس الحياة، ومن النفس عليه ذكر الله ليكتسب به معرفة من معارف الصفات والذات، ولو غفل عن الذكر في بعض الأوقات ينبغي أن يتداركه في الغدو والآصال، ولا يجوز للسالك أن يمضي عليه يوم ولا يشتغل بالذكر على شرط النفي والإثبات بعد صلاة الصبح إلى وقت الإشراق، وعند الغروب إلى سقوط الشفق الأحمر ومن غفل في هذين الوقتين عن الذكر فهو مُدَّع كذَّاب ليس من أهل السلوك، ولو كان خلا ألف خلق، ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ [المنافقون:10] من الاستعدادات القوى السفلية والعلوية ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون:10] يعني: يجب على السالك أن ينفق قواه واستعداده الحاصل في عالم البشرية على وفق أمر الوارد من قبيل أن يدخل وقت انتزاع الاستعدادات، ويكشف غطاؤه فيقول: رب لولا أخرتني لأني علمت حتى أصدق وأعمل صالحًا ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون:11] يعني: لا يمكن بعد حلول الأجل المعلوم أن يؤخر لأحد ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:11] يعني: عليم بأعمالهم وضمائرهم لو ردوا لما نهوا عنه، وأنهم خلقوا مظاهر لقهره ولا يعملون

صالحًا، ولا ينفقون نفقة إلا رياء وسمعة، ولا يجتهدون في تزكية قواهم وتصفية نفوسهم؛ لأنهم قوم لا يعلمون حكمة إرسال اللطيفة إليهم، ولا يفقهون أحكام الوارد على اللطيفة المرسلة.

فيا أيها السالك اعتبر بهذه الآيات، واغتنم هذا التفسير، ولا تغتر بخلوتك ومعرفتك واستعدادك الحاصل في هذا الغزو، وكن ذاكرًا لله على كل حال، وراقب نفسك لئلا تشتغل بالهوى، وحاسبها في كل يوم وليلة خمس مرات، وناقشها في المحاسبة، وحافظ على وقت الصبح إلى الإشراق، ومن المغرب إلى العشاء خاصة؛ لئلا تكون غافلاً عن ذكر الله في هذين الوقتين؛ لتكتب في جريدة السالكين المجاهدين الذاكرين، ولا تكتب من القاعدين المتكاسلين الغافلين.

ويا أيتها اللطيفة افهمي ما كتبت هذه الأسرار إلا عن مشاهدة فثقي بقولي؛ لأنك على الخبير بها سقطت، واليوم الذي كنت مشغولاً بكتابة هذه القدسية أرسل الله القوى المنافقة بعد الإشراق إلى [دعايتهم] وسمعت كلامهم، فلما رجعت عن الغيبة خرجت من الخلوة وصليت شكراً وكتبت هذه على هذه الأوراق.

اللهم وفقنا لحفظ الأوقات وعد الأنفاس، والاشتغال بذكرك الكريم بجميع الحواس، وقونا على دفع الوسواس وهي خواطر الناس بحق محمد المبعوث إلى الجنة والناس ﷺ وعلى آله وصحبه ذوي البأس، والتابعين لهم بإحسان صلاة لا تدخل تحت القياس.

سورة التغابن

وهي مدنية ثمانية عشر آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (4) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5)﴾ [التغابن: 1 - 5].

يا طالب معرفة تسبيح أهل السماوات والأرض: اعلم أنهم يسبحون الله بألسنة أحوالهم كلهم على قدرهم مما وصل إليه [من] رشاشة نور جوده الذي صار به موجودًا، وظهر من كتم العدم إلى صحراء الشهادة، وبه قائمًا، وبه حيًا، وبه باقيًا، وبه عارفًا، واقرأ ما يقول الله تعالى في كلامه القديم، وكتابه الكريم - متدبرًا مرتلاً لتفهم حقيقة تسبيح ما في السماوات وما في الأرض حيث يقول -:

﴿يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [التغابن:1]، يعني: ينزهونه عن أن يكون في السماوات والأرض؛ لأنه كان قبل خلق السماوات والأرض، وينزهونه عن أن يعزب عنه مثقال ذرة في الأرضين السفلى والسماوات العلى، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ:2] ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾، في الشهادة خلقًا، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾[التغابن:1]، في الملكوت حقًا، يعني: مع كمال قدرته ما تصرف في ملكه إلا حكمة وعدلاً، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التغابن:1]، فيا أيها السالك ينبغي أن تعلم أنه خلق في أرض بشريتك قوى قابلة مظاهرة لصفة ربوبيته، وخلق في سماوات روحانيتك قوى فاعلة مظاهر الصفة فاعلية، وألّف ازدواجًا بين السفليات والعلويات بحكمته؛ ليظهر لطيفة مجتمعة فيها القوى القابلة والفاعلة لتكون خلفته لذاته وصفاته وفي أرضه وسمائه، وسَبَّحت له بجميع الألسنة والقوى المتفرقة.

واعلم أن إشارته في قوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ إشارة إلى الملك والملكوت؛ لأن

موجب إظهار الملك هو الحمد، والحمد ملكوتي، والحميد جبروتي، والذات التي[لها] صفة الحميد لاهوتية، وفي كشف هذا السر يفتح باب إلى حد القرآن [فسددته].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [التغابن:2]، من المفردات، ثم جمع أفراد المركبات السفلية والعلوية في قالب الإنسان وروحه، وخلقه ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين:4]؛ ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ [التغابن:2]، مظهر لقهره، ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:2]، مظهر للطفه، [و] القوى الأمارة الكافرة والقوى اللوامة المؤمنة جمعت في وجود بني آدم بقدرته؛ فمن اقتدت باللطيفة المبلّغة[1] وزكت قواها من رذائل الأخلاق المظلمة الترابية، والصفات المردية المائية، والخصائل المعنوية الهوائية، والدعاوية المهلكة النارية، وصفت أعمالهم عن قاذورات اجتماع هذه العناصر الغير المزكية، وطهرت باطنها عن جنابة محبة الدنيا الدنية؛ صارت لطيفة باقية منعمة أبد الآباد، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[التغابن:2]، من الخير والشر، والسعيد سعيد في الأزل، والشقي شقي لم يزل.

قال الشيخ أبو يزيد البسطامي قدس سره: كل الناس يخافون من الخاتمة، وإنا أخاف من السابقة، جف القلم بما هو كائن، ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[ق: 29] انتهى.

وكيف يتصور الظلم ونحن نغرس أصل العنب في البستان، ونسقيه من الماء ونربيه حتى يثمر العنب ونجنيه، ونعصره ونأخذ منه صفاؤه، ونجعل منه الحلاوة، ونهرق على وجه الأرض العصارة المكدر وهو يقول بلسان الحال - إذا [نظر] إلى وجهها الأسود بإدراكها الذي حصل لها في العروج طورًا طورًا حتى وصل إلى [العينية بالرائية]-: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: 40] كما كنت في الأرض قبل التركيب والتربية والعروج، ولما كان إلى الشعور على سوادية على شقاوتي، وعلى أي مستحق تحت قدم الخلق، وما كان هذا ظلمًا ينسب إلى الدهقان؛ فكيف يتصور أنه تعالى ظلم على أحد؟! فكما كان استعداد كل أحد وحظه واحد من صفات لطفه [أو] قهره وقت التربية ظهر في العصر صفاء، وفي العصارة كدر، وتحقيق هذا السر يختص بمطلع القرآن؛ فافهم أن الله تعالى خلق الخلق

(1) يقصد باللطيفة المبلغة: حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله، ومظاهره ورّاثه من علماء الأمة العاملين بعلمهم على وجه الإخلاص رضي الله تعالى عنهم، وكذا قوله: (اللطيفة الحقية) عليها السلام.

بحكمته، وربّاهم بصفات قهره ولطفه، وأرسل إليهم الرسول ﷺ ليهديهم إلى سبيل التصفية والتنقية والتزكية والتربية؛ فمن كان صالحًا للتربية صدق الرسول ﷺ واشتغل بما أمر به، ومن كان فاسدًا كذب الرسل، وأقام على طبيعته المكدرة، و﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: 99]، ولا يقدر أحد أن يهدي أحدًا بغير إذن الله، كما يقول في كتابه: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾، ويقول: ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل:80]، وما أنت إلا نذير.

فيا أيتها اللطيفة المنذرَة: أنذري جميع القوى عشيرتك الأقربين أولاً، ثم أنذري من كان حول مكة وجودك من الأقربين والأبعدين، ثم أنذري جميع القوى التي في ملكك وملكوتك من القوى الترابية الأنسية ومن القوى النارية الجنية، لأنك أرسلت إلى كافة الخلق بشيرًا ونذيرًا.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾[التغابن:3]، يعني: خلق سماوات روحانيتك اللطيفة، وأرض بشريتك الكثيفة، من لطفه وقهره بالحق؛ ليظهر منها لطيفة مستحقة لمظهرية ذاته، والمفردات ما كانت مستحقة لمظهرية ذاته؛ لأن المفردات مظاهر [لطافات] أفعاله، والمركبات السفلية مثل المعادن والنبات والحيوان ما كانت مستحقة لمظهرية ذاته أيضًا؛ لعدم اللطائف العلوية فيها، والمركبات العلوية قوى فاعلات، واللطائف السفلية قوى قابلات؛ فلأجل هذا جمعت في [نشأة] الإنسان صارت مظاهر لذاته، كما أشار إليه النبي ﷺ حيث قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»(1)، ولهذا السر قَبِلَ حمل الأمانة ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[التغابن:3]، كما بينا ﴿وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [التغابن:3]، بعد خراب البدن، واكتساب استعدادات المظهرية مرجع الإنسان إلى حضرته.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [التغابن:4]، كما أشرنا إليه ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[التغابن:4]، لأنه معهم، ويطلع على قوى سرهم وقوى علانيتهم، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن:4]، لأن فساد عالم كونك وصلاحه مربوط بسماء الصدر التي هي سماء الدنيا، وهي ذات البروج.

---

(1) تقدم تخريجه.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾[التغابن:5]، من قوى القالبية الكافرة؛ ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾[التغابن:5]، يعني: جزاء أعمالهم، والعذاب الذي لحق بهم من مشتهياتهم العاجلة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التغابن:5]، مدخر في دار الآخرة بعد خراب البدن.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن: 6 - 8].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾[التغابن:6]، يعني: اللطائف المرسلة المنذرة والمبشرة، أتوا إلى القوى القالبية والنفسية بالآيات الأنفسية البينة؛ ﴿فَقَالُوا﴾ [التغابن:6]، يعني: القوى القالبية والنفسية ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن:6]، يعني: هذه اللطائف أيضًا من أصل عنصرنا يهدوننا؛ ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾[التغابن:6]، أي: أعرضوا عن اللطائف المرسلة، ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾[التغابن:6]، عن إقبالهم على اللطائف المرسلة، وإيمانهم بما جاءوا؛ لأن الله خلقهم مظاهر صفات لطفه وقهره، من أعرض صار مظهرًا لقهره، ومن أقبل صار مظهرًا للطيفة اللطيفة، والله مستغني عنهم؛ ولكنهم متألمون إذا صاروا مظاهر قهره، متنعمون إذا صاروا مظاهر لطفه؛ لوجدانهم الألم المقيم والعذاب الدائم الأليم، ووجدانهم لذة السرور والحضور في دار النعيم؛ فلأجل هذا غير مستغنين عن أن يؤمنوا ليتخلصوا من العذاب ويستسعدوا باللذّات ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ [التغابن:6]، يعني: عن إيمان المؤمن والكافر، ﴿حَمِيدٌ﴾[التغابن:6]، في أفعاله لإتمام المظاهر.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾[التغابن:7]، من قبور القالب ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾[التغابن:7]، قل يا أيتها اللطيفة الحقية: بلى وحق ربي لتبعثن من قبور القالب ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾[التغابن:7]، أي: لتجزن ﴿بِمَا عَمِلْتُمْ﴾[التغابن:7]، في دار الكسب باستعداد القوى السفلية والعلوية ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:7]، يعني: بعثكم وحسابكم بعد خلقكم أهون من خلقكم قبل وجودكم.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ

وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: 9 - 11].

﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن:8]، يعني: أيتها القوى القالبية والنفسية آمنوا بالذي خلقكم وصوركم في أحسن صورة، وباللطيفة المرسلة إليكم وبالنور الوارد الذي أنزلنا عليها ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن:8]، من النقير والقطمير.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن:9]، يعني: يوم جمع المتفرقات من القوى العلوية والسفلية وآثارها ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾[1] [التغابن:9]، لاطلاع القوى الكافرة على اتباعه استعدادها في استعمالها في الباطل، واطلاع القوى المؤمنة على تضييع وقت من أوقاتها ونفس من أنفاسها في غير ذكر الله، و[ضيعته] في ذلك النفس الذي هو ظرف له ليضع فيه ما يدخر له في هذا اليوم؛ فإذا رأى ظرفه خاليًا من النعم يتحسر على غبنه، وإن كان - نعوذ بالله - مملوءًا من الحيات والعقارب والقاذورات؛ فيلدغنه ويلسعنه ويؤذينه

(1) الغبن كل الغبن ألا يعرف مكان خطابه والطاقة التي ظهرت له في الدنيا والآخرة بلباس القهريات ومكان الامتحان، وربما زاده الحق في أوحش مقام وهو مشغول الرسم، ولم يعرف شرف حاله، فكان مشغولاً عنه برسم الاعتذار والعبودية، فيا رُبَّ صفاء في الكدورة، ويا رُبَّ مكاشفة في المعصية، اكتم يا أخي غيب الحق بستر غيره حتى لا يكون السر ظاهرًا لأهل الرسوم، فيقطون من إيمانهم، يقع الغبن يوم التغابن لمن كان مشغولاً بالجزاء والعطاء ورؤية الأعواض ورؤية المعصية والطاعة، ومن كان شاهد الحق خرج من وصف الغبن؛ إذ الغبن من أوصاف من كان غائبًا عن مشاهدته، لإذا استغرق في بحار جماله وجلاله لا يبقى عليه فرح الغبن، ولا حزن الفوت، إذ الكل غابن له، وسقط عند ذكر ما مضى وما يستقبل، ولي لسان آخر في التوحيد أن الكل يقع في الغبن، إذا عاينوا الحق بوصفه وهم وجدوه أعظم وأجل مما وجدوا منه في مكاشفتهم في الدنيا، فيكونون مبهوتين متحيرين مغبونين؛ حيث لم يعرفوه حق معرفته، ولم يعبدوه حق عبادته، ولا يعرفون أبدًا حقيقة المعرفة، وأي غبن أعظم من هذا؛ إذ يرونه ولا يصلون إلى وجوده بالحقيقة.

قال ابن عطاء: «تغابن» أهل الحق على مقادير الضياء عند الرؤية والتجلي، و«التغابن» في رؤية القلب أعظم وأجل من رؤية الغبن؛ لأن رؤية الغبن تذهل عن التأمل وهو مقصرٌ عما أطلق لغيره عندها يظهر لكل أحدٍ، ومَن ظهر له الحق بحقه أخرسه من جميع نطقه من منازلته أو منازعته.

تنبيهًا؛ فهو الخسران العظيم والعذاب الأليم، تفكر واحذر، واجعل في ظرفك ما تتنعم به أبد الآباد، ولا تجعل فيه ما يتألم بمشاهدته يوم يكشف الغطاء خالدًا مخلدًا، ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾[التغابن:9]، يعني: من يؤمن من قوى النفس اللوامة والقوى القالبية المتطهرة بالله اليوم قبل كشف الغطاء، ويعمل صالحًا، ويضع في ظرفه الصالحات، يكفر عنه ما سلف من السيئات، ويخرج من ظروفه الفاسدة التي وضع فيها من قبل، ﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [التغابن:9]، يعني: يدخله جنات قلبه التي تجري من تحتها الأنهار [بالمعارف]، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التغابن:9]، لأنه تعوّد أبد الآباد بعمل قليل في أيام قلائل فانيات.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا ﴾[التغابن:10]، من القوى القالبية والنفسية ﴿بِآيَاتِنَا﴾ [التغابن:10]، الأنفسية مما شاهدتها ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [التغابن:10]، التي استعملوها في أنفسها من نيران الغضب والبغض والكبر والحسد، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن:10]، يعني: بئس مرجع القوى الكافرة المكذبة.

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [التغابن:11]، يعني: ما أصاب من خير وضر إلا بمشيته وقضائه، في ملكه وملكوته، ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[التغابن:11]، يعني: من يؤمن بالله من القوى القالبية والنفسية، يهد قلبه بنور الوارد؛ بأن يجعل له يقينًا، ما أراد الله أن يصيبه من القبض والبسط لم يخطئه، وما لم يرد لم يكن ليصيبه، ولو كان الجن والإنس بعضهم لبعض ظهيرًا لا يقدرون على إصابة مصيبة خيرًا أو شرًا إلى شخص من الآفاق والأنفس مما لم يرد الله إصابته إليه، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[التغابن:11]، يعني: باستحقاق كل استعداد للخير والشر؛ فيرسل إليه على قدر استحقاق الاستعداد.

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن: 12 - 14].

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن:12]، يعني: يا أيتها القوى القالبية

والنفسية أطيعوا أمر الحق، وأطيعوا أمر اللطيفة المرسلة، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ [التغابن:12]، وأعرضتم عن الحق بإقبالكم على الباطل، واستيفاء النعم العاجلة على وفق الهوى؛ ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن:12]، يعني على اللطيفة المرسلة أن تبلغ أحكامنا وتبين لكم حلالنا وحرامنا.

﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [التغابن:13]، يعني: لا ينبغي أن يعبد الهوى؛ لأن الذي خلق الكل هو الإله المعبود، وليس وجود يستحق للآلهة إلا هو، ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن:13]، يعني: القوى المؤمنة يتوكلون على الله في ضراء المجاهدة وسراء المشاهدة، في بلاء القبض ونعماء البسط.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُواً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:14]، يعني: يا أيتها القوى الروحية اعلموا أن القوى القالبية والنفسية عدو لكم لجهلهم بالحقيقة ونظرهم إلى الشهوة العاجلة؛ فاحذروهم ولا تلتفتوا إلى ما يطلبون منكم من مشتهياتهم الهوائية؛ فينبغي للسالك أن يحذر من القوى القالبية التي منعها عن الهجرة من مكة وجوده إلى مدينة رسوله، أو يخاف من القوى النفسية التي يطلب منها شهوتها، وهو بالشفقة عليها يتبع مرادها وهواها ويشتغل عن ذكر مولاه، ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ [التغابن:14]، يعني: لا يمنع القوى القالبية والنفسية السالك المجاهدة من الهجرة عن مألوفاته مع أعدائه ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[التغابن:14]، يعني: يغفر لسيئات ارتكبت القوى من قبل، ويرحم لها.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ﴾ [التغابن:15]، يعني: استعداداتكم السفلية والعلوية، والأعمال المتولدة من اختياراتكم الوهبية ﴿فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:15]، [أي] شغل عن الحق وذكره، بها يقع الشخص في الشهوات العاجلة الهوائية، وبها يقع في العجب والغرور والإباء والاستكبار، ﴿وَاللهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:15]، لمن لا يكسب باستعداده الاختيار لهوى نفسه ما لا يرضى به ربه؛ ولكن لا يلتفت إلى قواه القالبية والنفسية وقت الهجرة والجهاد، ولا يغتر بهجرته وجهاده عند الله ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ مقيم في دار النعيم.

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن

تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن: 15 – 18].

﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:16]، يعني: أيتها القوى الروحانية المؤمنة اتقوا الله من الالتفات إلى أزواج قوى قالبكم، وأولاد قوى أنفسكم وأموال استعدادكم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ يعني: بقدر ما أعطيناكم القوة الاختيارية ﴿وَاسْمَعُوا﴾[التغابن:16]، أمر الوارد ﴿وَأَطِيعُوا﴾[التغابن:16]، حكم اللطيفة المبلغة ﴿وَأَنفِقُوا﴾ [التغابن:16]، من المعارف ﴿خَيْراً لأَنفُسِكُمْ﴾[التغابن:16]، ليكون لكم مدخرًا في دار إقامتكم، يعني: ينبغي أن ينصح السالك بالمعارف التي أعطاها الله لقواه، وأن يعطي حقوقها على وفق أمر الحق من العلويات والسفليات ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[التغابن: 16]، يعني: ينبغي أن يعطي حقوقهم، ونفسه مائلة إلى ذلك الحق؛ ليكون شاقًا على نفسه، وبه يحصل التزكية [لنفسه] عن البخل، ومن يعط حق الله القوي ونفسه شحيح صحيح فهو من المفلحين.

﴿إِن تُقْرِضُوا الله قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ [التغابن:17]، يعني أن يعط القوى القالبية والنفسية من المعارف القلبية؛ ليهتدوا بها يضاعف الله تلك المعارف لكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[التغابن:17]، إن كنتم بخلتم بها قبل ذلك عن مستحقها، ﴿وَالله شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:17]، يعني: حلم عنكم فلم يعاقبكم بها سلف، وشكر لكم على ما أعطيتموه بعد ذلك.

﴿عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [التغابن:18]، يعني: يعلم ما في القوى الغيبية من الأوصاف الجيدة والردية، وما على الجوارح من الأعمال الفاسدة والصالحة، غالب على أمره إن شاء يعاقب بها وإن شاء يعفو عنها، حكيم بالعفو والعقوبة، إن يعفو فحكمته، وإن يعذب فبحكمته، فحظ السالك من تفسير بطن هذه الآيات أن لا يبخل عن المريد بأموال الظاهر والمعارف الباطنة بقدر استحقاق المريدين واحتياجهم إليها، وحظ السالك أن يعطي لكل ذي حق من قواها حقها على وفق أمر المولى من الحقوق العلوية والحظوظ السفلية. اللهم اجعلنا من أهل السخاوة والجود لوجهك الكريم بحق محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

سورة الطلاق

اثنا عشر آية وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: 1 - 2].

يا أيها المطلق أما تعلم أنك مقيد بالأمر والنهي، غير مطلق مادمت في سجن القالب وقيد الطبيعة محبوسًا؛ فإذا أنت تشتهي أن تطلق القوة القالبية - [النفورة] عن قبول الحق، الخائنة في أمانة الأسرار - فاقتف أثر نبيك عليه الصلاة والسلام، وافهم ما قلنا له في الكلام، وبيّنا له فيه الحلال والحرام حيث قلنا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[1] [الطلاق: 1]، يعني: لطهرهن الذي تحصينه من عدتهن؛ فينبغي للسالك أن لا يطلق القوة القالبية بتة البتة، ويطلقها على وجه السنة في الطهر من علة إبائها الحق عند غلبة دم محبة الدنيا عليها، أو حمل خاطر الهوى، وهاتان الحالتان حيضها ونفاسها، والحكمة في تأخير الطلاق إلى وضع الحمل ووقت الطهر: رحمة الحق ورأفة على الخلق؛ فربما ترجع القوة العاصية القابلة بعد خلاصها من دم محبة الدنيا، ووضع حمل خاطر الهوى، كما يقول الله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: 1]، وينبغي للمسلك أن لا يطلّق مريدًا دخل في حبالة ولايته لترك أدب من الآداب - عند اتساع مجاري شيطانه، لاشتغاله بالاستراحة على خلاف عادته، وتصرف الهوى في باطنه - حتى

---

(1) قال الشيرازي: خصّ حبيبه بالخطاب، وجمع الكل في مضمونه؛ لأن السيد إذا خاطب خاطب الكل، فبان شرفه على الجمهور؛ إذ جمّع الجمع في اسمه، وفيه إشارة الاتحاد، ومراد الحق سبحانه في تأديب العباد بتطليق نسائهم في زمان الطهر أداء وفاء الصحبة، ومراعاة ما مضى من زماني الوصلة والاهتمام بالفرقة.

يطهر باطنه عن هاتين العلتين؛ فربما يتوب إلى الله، ويرجع عن فعله، ويستغفر بين يدي شيخه، ويجعل الله قبوله في قلب مسلكه أكثر مما كان قبل ذلك، ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطلاق:1]، يعني: عدد أقرائها ليعلم بقاء زمان الرجعة، ومراجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى إذا أراد أن يطلقها ثلاثًا، وإحصاء السالك عدد أقراء القوة القابلة كل يوم خمس مرات في أوقات الصلاة، ومراعاة خاطرها بالخواطر الكليّة المبشرة لها، ومراعاة السكنى أن يسكنها في بيت الرخصة، ولا يشدد عليها بأمر العزيمة، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: 1]، عن التشديد عليها، وإخراجها عن بيت الرخصة كما قال تعالى: ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ﴾ [الطلاق:1]، يعني: ينبغي للقوى الفاعلة أن لا يخرجوهن من بيوتهن أي: القوى القابلة، ولا القوى القابلة يخرجن من بيوت زوجهن ما لم ينقص، وإن خافت من خراب البدن وخراب بيته يكون من شدة غيرة القوى الفاعلة، وغلبة حميتها في شرح السلوك، يجوز للقوة القابلة أن تخرج من بيت الزوج إلى بيت أمها وهي: بيت القالب وبيت الشبهة، وإن دخلت بيت الحرام وهو: بيت الهوى يجب عليها الرجم ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾[الطلاق:1]، يعني: لا يجوز للقوة الفاعلة إخراج القوة القابلة عن بيتها إلا أن تأتي القوة القابلة بفاحشة وهي الكفر، ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ بلسانها غير أن تكن في صدورها ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾ [الطلاق:1]، حدود بيّنه على الخلق ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق:1]، فالواجب عليه اتباع الأمر والنهي، والتباعد عن الابتداع في العبادة؛ لأن النبي ﷺ قال: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1]، و«كل عمل لا يعمل بسنتي فهو بدعة»[2]، ﴿لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾ [الطلاق:1]، يعني: إن كنت لا تخرجها يمكن أن يحدث الله في قلبها توبة وإنابة وندامة على فعلها، وترجع عن فعلها وتستغفر، ويجعل الله في قلبك شفقة عليها جديدة محدثة.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [الطلاق:2]، يعني: قربن من انقضاء عدتهن؛ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق:2]، يعني: راجعوهن باللطف، وعدوهن من الله رحمة ومغفرة، وقوّوا خاطرهن بالخواطر اللطيفة والواقعات القلبية والسرية والرحمية والخفية والتجليات

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) لم أقف عليه.

الجمالية، ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[الطلاق:2]، أي: اتركوهن بمعروف يعني: لا تأخذ القوة الفاعلة المعارف الروحانية منها؛ فربما يدخل عليها السرية والخفية ويجعل بعد ذلك على الروح الدخول فيها، وألف بينهما المؤلف الحقيقي، ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[الطلاق:2]، يعني: أشهدوا على الرجعة أو الفراق النفس اللوامة والملهمة، والحكمة في هذا الإشهاد أن اللوامة ربما تلومها فيرجعان، والملهمة ربما تلهمها بالخير [فتعان] ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لله﴾ [الطلاق:2]، يعني: ينبغي أن الشهود يقيموا شهادتهم بالصدق بالله عند قاضي العقل، ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[الطلاق:2]، يعني: بيّنا هذه الحدود ليتعظ بها القوة المؤمنة المصدقة باليوم الآخر، لئلا يستعجل في الأمور، ولا يظلم على القوى القابلة الضعيفة، وحمل المجاهدة عليها فوق طاقتها، وتتعظ بها القوة المؤمنة القابلة، ولا يأذن للهوى أن يدخل عليها، ولا يأبى أمر القوة الفاعلة بالنشوز، ﴿وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾[الطلاق:2]، يعني: من يخش الله من القوة الفاعلة والقابلة، ولا يتعد حدود الله، ويجتنب عن الفواحش، يجعل له مخرجًا من خواطر الشيطان، ومخرجًا من ضيق الهوى.

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾[الطلاق: 3 – 5].

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:3]، من اللطائف الخفية، والمعارف الإلهية، والتجليات الجمالية، من حيث لا يحتسب، وهذا مما جربناه كثيرًا، إن لطف يصل إلى السالك وقت [يأنسه عند] نزول الوارد اللطفي، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ﴾(1) [الطلاق:3]، يعني: من يتوكل حال القبض ونزول البلاء، ويعلم أن القابض هو الله،

(1) هذه الآية الشريفة جامعة لأنواع التوكُّل، وأصناف الحاجات؛ فإن اسم الله تعالى جامع لمراتب الأسماء التي لا يتجاوزها حاجات الناس مع اختلاف مراتبهم، وتفاوت طبقاتهم، فمن ذكر كان أو أنثى، عبدًا كان أو سيدًا يتوكَّل على الله الرزَّاق في أمر الرزق؛ فهو حسبه فيه.

والمبلي هو، ويكل أمره إليه، حسبه هو من تدبيراته التي تشوشه ولا يكون إلا ما أراد الله وقوعه.

﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق:3]، يعني: فنفذ قضاؤه لا محالة.

قال سيدنا علي ﷺ: إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور. ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ [الطلاق:3]، يعني: حالة القبض مقدرة، وحالة البسط مقدرة؛ فينبغي أن لا تضجر عند القبض ولا تقنط من رحمة الله، ولا تأمن حالة البسط من مكر الله وتكون بين خوف ورجاء مادمت في سجن القلب محبوسًا؛ لأن الخوف المفرط المثمر لليأس يهلك صاحبه بالكفر، والرجاء المفرط للأمن أيضًا يهلك صاحبه بالخسران؛ فالواجب للسالك أن يعلم أن الله بصير بحاله رحيم رءوف عليه، ويقول:

وكَّلت إلى المحبوب أمري كله   فإن شاء أحياني، وإن شاء أتلفا

أنا العبد وما للعبد غيره، ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ [الطلاق:4]، يعني: شككتم فلم تدروا ما عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ﴾[الطلاق:4]، وحظ السالك من هذه الآية يعني: إذا كانت القوة القابلة في غفران إرادتها يجب مراعاتها أكثر من مراعاتها القوة القابلة التي بردت حرارتها وتوجهت قوة استعدادها إلى الانحطاط، وإن إرادة القوة الفاعلة تطليقها وتطليقها على وجه السنة وانقضاؤها بعد ثلاثة أشهر مطمئنة وملهمية ولوامية؛ فإذا رجعت القوة القابلة راكضة على عقبها إلى أماريتها تمت عدتها ،﴿وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [الطلاق:4]، وهي القابلة الناقص استعدادها حكمها حكم الآيسات، ﴿وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[الطلاق:4]، يعني: القوة الحاملة خاطر الهوى عدتها وضع حملها، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ﴾ [الطلاق:4]، بعد الوضع ولا يلتفت إلى خاطر الهوى ﴿يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾[الطلاق:4]، يعني: يسر الله أمره بالتوبة وسهل عليه سلوك الطريق.

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ﴾ [الطلاق:5]، يعني: ما ذكر من الأحكام والحدود ﴿أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾، بالوارد الجلي ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ﴾ [الطلاق:5]، ولا يشك في أحكام الوارد ويتوب إليه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾[الطلاق:5]، التي سلفت من النفور عن أمر الولي والالتفات إلى خاطر الهوى ﴿وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ [الطلاق:5]، بأن الله يبدل - بلطفه - سيئاتهم حسنات،

وهذا مما شاهدنا في أثناء السلوك دائما يذنب السالك ويخاف من ذلك الذنب يسد عليه باب المكاشفات والمشاهدات؛ [فربما] يفتح عليه أبواب المكاشفات والمشاهدات أكثر مما كان قبل حدوث ذلك الذنب، ويتفق هذا لصادق إذا اعترى عليه عجب من كثرة مجاهدته وصفاء أعماله؛ فأجرى عليه ذلك الذنب ليذهب بعجبه، ويظهر فيه الإفلاس، والمسكنة، والعجز، والاضطرار، وتعيير نفسه والنظر إليها بعين الحقارة، وكل هذا بقبول الحضرة الإلهية؛ فإذا خاف على ذنبه وأيس من نفسه وعمله يبدل الله سيئاته حسنات، ويفتح عليه أبواب المكاشفات والمشاهدات والواقعات مما يتعجب السالك من تلك الفتوحات.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [الطلاق: 6 - 7].

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق:6]، يعني: القوة القابلة المطلقة أسكنها من حيث يسكن من وجود الوجد الغيبي والمعارف القلبية، ووسع معيشتها من المعارف والواردات ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾ [الطلاق:6]، أي: لا تؤذونهن بالمجاهدات الشاقة على البدن ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾[الطلاق:6]، مساكنهن في بيوتكم بحيث يضطرون إلى الخروج إلى بيت القالب أو بيت الهوى؛ فإن ذلك التضييق كان ذنبًا لكم ﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:6]، من النصائح والمواعظ والمعارف حتى يضعن حمل الخواطر الهوائية ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ [الطلاق:6]، يعني: إن أرضعن ولدكم وهو: عملكم البدني؛ بأن يرضع قوتك القالبية ليعمل بها ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، على إرضاعهن أولاد أعمالكم الصالحة من المعارف الغيبية والخواطر القلبية والأصوات الحسية السمعية ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾، أي: يقتصدوا في الأخذ والإعطاء ولا يقصدوا القرار من الجانبين ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ [الطلاق: 6]، في الأجرة والإرضاع؛ فليس للقوة الفاعلة إكراه القوة القابلة، ولكنه يستأجر للصبي مرضعًا غير أمه؛ فينبغي للسالك في هذا المقام أن يتوجه بالكلية إلى الله، ولا يشتغل بغيره،

ويدخل خلوته ويسد عليه بابه، إن أراد الله حياته وقيامه يرسل إليه شرابه وطعامه [من] عالم الغيب، بحيث لا يكون له احتياج إلى طعام المخلوقين، ويرضع أطفال العيالة الصالحة من ثدي القلب في القلب، أحسن مما كان يرضعه من ثدي القلب في عالم الشهادة ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾[الطلاق: 6]، إشارة إلى هذا.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق:7]، يعني: قدر غناه، والغنى غنى القلب، ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق:7]، يعني: ضيق عليه رزقه من عالم المكاشفات والمشاهدات ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ﴾ [الطلاق:7]، يعني: ينفق استعداده الحاصل من تلك المشاهدات السابقة ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق:7]، يعني: الله يعلم بما أعطى كل شخص من الاستعداد؛ فإن لم يعطه استعداد لا يكلفه على إنفاقه، ولا يعذبه على ترك الإنفاق إن لم يكن له استعداد وهبي ولا كسبي؛ فالواجب على المسلك أن لا يبخل على مريديه بما آتاه الله من المعارف ما يصلح لحوصلة كل واحد منهم، وإن ضيق الوقت عليه، ولا يرد الوارد الجديد؛ فعليه أن ينفق على المريدين من المعارف السمعية، والمعارف التي كشفت عليه من قبل دخول حال النكرة ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾[الطلاق:7]، يعني: بعد عسر النكرة يسر المعرفة للمسلك المنتهي، وبعد عسر القبض يسر البسط للسالك المتوسط، وبعد عسر المجاهدة يسر المشاهدة للمبتدئ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً (8) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً (9) أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً (10)﴾ [الطلاق: 8 - 10].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾[الطلاق:8]، يعني: كل أهل قرية قالب وأشار إلى القوى القالبية في هذه لأنها إذا عتت وعصت أمر ربها، ورسل الرب وهي: الخواطر الرحمانية ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً﴾ [الطلاق:8]، وشدة حسابها أن يوكل عليها القوة القلبية ليحاسبها في كل نظرة ولقمة ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً﴾[الطلاق: 8]، من إبطانها في مقام النكرة.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق:9]، يعني: ذاقت من مرارة المجاهدة والقبض والنكرة جزاء ما عملت بخاطر الهوى، واشتغلت بشهواتها العاجلة الردية ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ

أَمْرِهَا خُسْراً﴾ [الطلاق:9]، يعني: بعد أن يقاسي في الدنيا بمرارة المجاهدة والقبض والنكرة إن [ثبتت] على متابعة الهوى فيكون عاقبتها أيضًا خسرانه رأس ماله في المجاهدة، وما حصل له ربح المشاهدة، نعوذ بالله من مثل هذا في الدنيا والعقبى.

﴿أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾[الطلاق:10]، يعني: في الآخرة بما كسبوا في الدنيا، وهو عذاب الاطلاع على خسران رأس المال بلا ربح، وهو الفقر المذموم ﴿فَاتَّقُوا الله﴾ [الطلاق:10]، عن العتوّ والعصيان ﴿يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الطلاق:10]، يعني: أيتها القوى المؤمنة الأئمة ﴿قَدْ أَنزَلَ الله إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾[الطلاق:10]، ﴿رَسُولاً﴾ [الطلاق:11]، يعني: الوارد رسولاً يدل على الذكر يعني: أنزل الله إليكم رسولاً وهو اللطيفة المبلغة ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ الله مُبَيِّنَاتٍ﴾ [الطلاق:11]، يعني: يتلو عليكم آيات أنفسكم مبينات بحيث تشاهدونها في أنفسكم.

﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (11) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12)﴾ [الطلاق: 11 - 12].

﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[الطلاق:11]، يعني: يخرج القوى المؤمنة التي اشتغلت بالأعمال الصالحة لها في دار البقاء من ظلمات القالب والطبيعة إلى نور العقل والنور ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِالله وَيَعْمَلْ صَالِحاً﴾ [الطلاق:11]، القوى القالبية ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [الطلاق:11]، يعني: يدخله جنات القلب التي تجري من تحتها أنهار المعرفة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ الله لَهُ رِزْقاً﴾[الطلاق:11]، من عنده مثل مشاهدة جماله.

﴿الله الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [الطلاق:12]، أطوار القلب ﴿وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:12]، أي من القالب سبعة أعضاء ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: 12]، يعني: الأمر السماوي وقت التدبير ينزل إلى الأرض ويحصل من القوى الأرضية استعداد العروج، ويعرج إلى الحضرة الربانية كما بينا في كثير من [مولاتِنا] حقيقة النزول

وحكمة العروج ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الطلاق:12]، يعني: يقدر على أن يدع الأمر في ظلمات الأرض ليكسب [الاستعداد] (1) ويدس أنواره السماوية في تراب الطبيعة وتهوي إلى أسفل الدركات، ويقدر أن يحدث الاستعدادات القالبية الظلمانية بقوة الأمر من أسفل سافلين الدركات الطبيعية الجسمانية إلى أعلى عليين الروحية الرحمانية ﴿وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الطلاق:12]، يعني: ليعلموا أن علم الله محيط بالأرضيات والسماويات، يعلم استعداد [كل] لطيفة أرضية خلقية، ولطيفة سماوية أمرية، ويستعملها على قدر استعدادها، وهو غالب على أمره، حاكم في ملكه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا ولا تجعلنا مقيدين بقيد الطبيعة، [مغلولين] (2) في أسر الهوى، وثبتنا على متابعة المصطفى ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الجزاء.

---

(1) في الأصل: الاستعداد الظاني.

(2) في الأصل: (متحريز) أو كلمة تشبهها.

سورة التحريم

اثنا عشر آية وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٢ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝٣ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ [التحريم: 1 - 4].

يا أيها المحرّم على نفسك لابتغاء مرضاة اللطيفة القابلة - التي هي زوجك عند مشاهدتها بعد رفع الحجبات المظلمة في أثناء السلوك آيات الأنفسية، وإطلاعها على حصول الحجبات من اللقمات، والاشتغال بالشهوات - ما أحل الله لك من الحظوظ المباحة التي بها يمكن بقاء الحقوق، أما تسمع ما يخاطب ربك به حبيبه ﷺ في كلامه القديم حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم:1]، وتحرم ما أحل الله لك بحكمته، وفيه مزيد درجتك وقوة ارتقائك إلى عالم الحق، وبه يمكن التجاوز على عالم الروحانية، أما تعلم أني لا أحب المعتدين كما لا أحب المسرفين؛ فالإسراف إفراط، والاعتداء تفريط، وكلاهما مذمومان، وأنت خير الناس وأحب الخلق علي؛ فكن أمةً وسطًا قائمًا على الصراط المستقيم بين الإفراط والتفريط ﴿وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[التحريم:1]، يعني: غفور اللمة[1] التي صدرت عنك بتحريم ما

---

(1) قوله: [اللمة] خطأ وسهو من المصنف إن كان يقصد ذلك؛ ولعل المصنف لم يقصد نسبة اللمة للجناب المحمدي الشريف، وإنما ذكر ذلك نسبة لقوى السالك على اعتبار تفسير بطن الآية، وبيان حظ السالك منها، والله أعلم بالمقاصد، لما هو معلوم من كمال أدب القوم - رضي الله عنهم - وكل من انتسب إليهم مع الجلالة المحمدية عليها السلام؛ وهذا ما يشهد به لهم كل الأمة حتى أعدائهم؛ ولكن ما نذكر يصح أن يقال لمن يقول بجواز ذلك على حضرة الرسالة عليها السلام؛ فنقول وبالله التوفيق:

قد انعقد إجماع الأمة من متكلمين وفقهاء ومحدثين وغيرهم علمائها وعامتها على عصمته - صلى الله -

تعالى عليه وسلم وعلى آله - من الكبائر واللمم قبل البعثة وبعدها، وكذا سائر حضرات الأنبياء والرسل - عليهم من ربهم الذي اجتباهم وقدمهم علينا الصلاة والسلام - ولكن طالما تجد من لم يوفق من المفسرين يقف ما ليس له به علم من التسلق والتطلع على مقامات الأنبياء والرسل - عليهم ممن اجتباهم الصلاة السلام- ونحن لا ذوق لنا في مقاماتهم حتى نعرف استغفارهم ممَّ، وذنبهم ما هو، وبكائهم مم، ولم يكلفنا الحق جل شأنه ذلك حتى لا نسيء الأدب معهم - عليهم من ربهم الصلاة والسلام - فنسقط من عين الله جملة واحدة، وإن كنا على عبادة الثقلين، ويكفي المريد - إذ نحن لم نقدر الله قدره ونعبده حق عبادته ونتقه حق تقاته - وجدان السلامة، فضلاً على أن المنسوب لهم في القرآن مما هو عند القاصرين ظاهره النقصان، له معان كثيرة ذكرها علماء الأمة الفقهاء عن الله في شرعه، وبينوها بما يناسب مقام النبوة وجلالة قدره، وانظر ذلك في كتب الحديث والشمائل وغيرها، وانظر على سبيل المثال كتاب الإمام المجدد الختم الأحمدي سيدي محمد بن جبل السنة الإمام عبد الكبير الكتاني - قدس الله سرهما -: "الكشف والتبيان عما خفي عن الأعيان في سر آية: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾" [ط. دار الكتب العلمية]، وما نقل من كتاب: (تطهير القلب والفؤاد من سوء الظن بالله وبالعباد) - والمؤلف بقصد الدفاع عن عباد الله المخلصين حضرات الأنبياء والرسل عليهم السلام- لشيخ الإسلام وإمام الفريقين، شارح ومدون الأخلاق المحمدية بما لم يسبق إليه الإمام عبد الوهاب الشعراني ﷺ- تعلم أننا خير أمة أخرجت للناس نأمرهم بالتزام الأدب مع حضرات الأنبياء الرسل - عليهم ممن اصطفاهم الصلاة السلام- وننهاهم عن المنكر من افتياتهم على اختيار وتقديم ربهم من شاء من خلاصة عباده، وأن للفقه عن الله في كتابه والفهم فيه بحورًا لا تدرك، وكذا أن للمفسرين من عورات الجهل ما لا بد أن يفشى ولا يطوى، حتى لا تهلك العامة بتقليدهم في سوء أدبهم. ويا ليت علمي أين الناس اليوم من علوم هؤلاء الأئمة - أمثال الشيخ الكتاني والشعراني قدس سره- واستنباطاتهم من الكتاب والسنة، وهذا ضرب مثل واطلب هذا النوع من العلم تجده الباز الأشهب والطراز المذهب، والتاج المكلل والعقد المجمل للمكتبة الإسلامية المحمدية. وإذا كان أهل البيت - عليهم السلام - يشار إليهم بالعصمة أو الحفظ الإلهي - على الخلاف بيننا أهل السنة والشيعة - من الوقوع في المعصية؛ فإنا معاشر أهل السنة نقول بالحفظ الإلهي، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وإرادة الله لا تتخلف ولا حاكم عليها حتى يردها، فلا يصل إليهم الذنب الذي هو الرجس في عرف الشرع، فكيف بمن قال الله فيهم لعدوه: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾، واللمة من الشيطان تكون؛ فكيف يجوز أن يوصف مولانا وسيدنا محمد من لم يخلق الله خلقًا أعز عليه منه - كما عند ابن عساكر - بأنه صاحب لمة؟!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

ولا يضرنا كون قائل ذلك منسوبًا لأي الفرق الإسلامية؛ فإن الله تعبدنا باتباع كلامه وكلام المعصوم ﷺ وإجماع الأمة بعلمائها العارفين المؤيدين في كشفهم، فالواجب علينا شرعًا الذب عن حرمة المسلم إذا انتهكت حتى يذب الله عنا - كما في الحديث - والتي هي أعظم من حرمة الكعبة كما في الحديث أيضًا فكيف بحرمة الصديقين؟ فكيف بحرمة الصحب الكرام والآل رضوان الله عليهم؟! فكيف بحرمة خلاصة النوع الإنساني الأنبياء؟!! فكيف بحرمة الرسل منهم، فكيف بحرمة أولي العزم منهم،

أحل الله لك ﴿رَحِيمٌ﴾ عليك بأمره، كلوا وأشربوا، ورخصته لك في الاشتغال بالشهوات المباحة المصعدة إلى الحق.

﴿قَدْ فَرَضَ الله لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحريم:2]، يعني: ما وجب عليكم أن تكفروها إذا حنثتم، والسنة لأجل هذا وردت: بأن الرجل إذا حلف أن لا يتكلم مع والديه، ورأى الاشتغال بذلك خيرًا وأحب عند الله فليتكلم؛ وليكفر عن يمينه ﴿وَالله مَوْلاكُمْ﴾[التحريم:2]، يعني: نصيركم ووليكم ومعينكم ﴿وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ [التحريم:2]، يعلمكم بعلمه القديم ما كان فيه لكم خير عظيم، وبحكمته خلقكم محتاجين إلى الأكل والشرب والنكاح؛ ليقرب البعيد برحمته، ويبعد القريب بعزته، ويبقي النسل بحكمته.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ [التحريم:3]، يعني: إذ أسرَّ اللطيفة الخفية إلى بعض قوى اللطيفة القالبية ﴿حَدِيثاً﴾ [التحريم:3]، من الحقائق ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾[التحريم:3]، يعني: تلك القوة بذلك الحديث ﴿وَأَظْهَرَهُ الله عَلَيْهِ﴾ [التحريم:3]، يعني: أطلع الله اللطيفة على ما أنبأت القوة نظائرها ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾[التحريم:3]، أي: غضب بما عرف بعضه؛ فلعله من إفشاؤه سره يعني: أخبرت اللطيفة القوة القابلة بحقيقة سر الربوبية المودعة فيها، وبحقيقة سر الخلافة المودعة؛ فما الروح، أو على ترك ما يكن

فكيف بحرمة أكرم الأولين والآخرين على الله نبينا وشفيعنا ﷺ ؟!!! فأحرى وأحرى، من نرجو بالتمسك بجنابه - المقبول المأذون عند ربه - أن نكون في مستقر رحمة الله مع المنعم عليهم.

وقد ذكر العلامة الألوسي في تفسيره الآية ما نصه: وإنما عاتبه الله تعالى عليه رفقاً به، وتنويهاً بقدره، وإجلالاً لمنصبه عليه الصلاة والسلام أن يراعي مرضاة أزواجه بما يشق عليه، جرياً على ما أَلِف من لطف الله تعالى به اهـ.

وقال العلامة المفسر الفخر الرازي في تفسيره الآية: نقول: المراد من هذا التحريم: هو الامتناع عن الانتفاع بالأزواج، لا اعتقاد كونه حراماً بعدما أحل الله تعالى؛ فالنبي ﷺ امتنع عن الانتفاع معها مع اعتقاده كونه حلالاً، ومن اعتقد أن هذا التحريم هو تحريم ما أحله الله تعالى بعينه فقد كفر؛ فكيف يضاف إلى الرسول ﷺ مثل هذا ؟! اهـ.

فانظر إلى هذا الكلام المنور المؤيد وغيره من أجوبة المفسرين عن الآية وغيرها، وراجع ذلك مبسوطًا في كتب التوحيد عامه وخاصه، وقس على ما ذكرنا - من التعليق في هذا الموضع - بما لم ينبه عليه، والله يتولانا وإياك بما تولى به عباده الصالحين بحق مولانا المعصوم الأمين ﷺ والله أعلى وأعلم.

للقوة القابلة لجهلها بحقيقة ما أحل الله لها؛ ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ﴾ القوة القابلة لنظائرها بترك اللطيفة وتحريمها لابتغاء رضاء القوة القابلة ما أحل الله لها، عرفت اللطيفة إفشاء بعض الأسرار التي سارتها بها معها وغضبت ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحريم:3]، يعني: ما أفشت أسرار الربوبية والخلافة ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ﴾ [التحريم:3]، يعني: فلما أنبأت اللطيفة الخفية بما أطلع الله لها عليه ﴿قَالَتْ﴾ [التحريم:3]، القوة القابلة ﴿مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا﴾ [التحريم:3]، يعني: من أخبرك بأني أفشيت سرك ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[التحريم: 3]، يعني: نبأني من يعلم ضمائر الصدور وسرائر القلوب وخفايا الأرواح، ويخبر بصفة خبير [تنبيهًا] لمن أراد.

﴿إِن تَتُوبَا إِلَى الله فَقَدْ صَغَتْ﴾ [التحريم:4]، يعني: تتوب القوة القابلة ونظيرها إلى الله ويرجعا إلى حضرته بالتضرع والإبهام لئلا تفشيا أسرار اللطيفة الخفية يقبل الله توبتهما ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:4]، يعني: زاغت عن الحق واستوجبت العقوبة حين سرت قلوبكما بتحريم اللطيفة الخفية على نفسها ما أحل الله لها ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم:4]، يعني: تعاونا وتتظاهر على تحريم اللطيفة الخفية على نفسها ما أحل الله لها ﴿فَإِنَّ الله هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْـمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[التحريم:4]، يعني: أنا وليها وناصرها والقوى السرية والقوى المؤمنة اللوامية والقوى الملهمية الملكية ظهيرها.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ [التحريم: 5 - 7].

﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ﴾ [التحريم:5]، يعني: يقدر الرب إن طلقت اللطيفة الخفية القوى القابلة القالبية على أن يبدلها قوى خيرًا منكن ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ [التحريم:5]، أي: ذوات تسليم لها ﴿مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ﴾ [التحريم:5]، أي: طائعات أمرها راضيات بما يعمل ﴿تَائِبَاتٍ﴾ [التحريم:5]، أي: راجعات عن الخواطر التي كرهتها اللطيفة، ﴿عَابِدَاتٍ﴾ [التحريم:5]، أي: ذوات عبادة نافعة لها،

﴿سَائِحَاتٍ﴾ [التحريم:5]، أي: سالكات مسلكها، صابرات على مخالفة هوى نفسها لطلب رضى اللطيفة الخفية، صائمات عن مشتهيات، ﴿ثَيِّبَاتٍ﴾[التحريم:5]، من القوى التي كانت قابلة للطائف قبل اللطيفة الخفية ﴿وَأَبْكَاراً﴾[التحريم:5]، من القوى القابلة الخاصة التي لا يمسها أحد قبل اللطيفة الخفية، وهي القوة المحبوبية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾(1) [التحريم:6]، يعني: يا أيتها القوى اللائمة المؤمنة احفظوا أنفسكم وقواكم القابلة القالبية نارًا ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:6]، يعني: النار المشتعلة في البغض والكبر والحسد في الوجود وقودها الصفات النفسانية والقوى المعدنية القالبية، ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ﴾ [التحريم:6]، يعني: موكلة عليها القوى العلوية الغليظة الشديدة ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:6]، يعني: يطيعون الله في تعذيبكم كيف ما شاءوا بكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم:7]، [أي] تكسبون في دار الكسب، لا عذر لكم أيتها القوى الكافرة بعد نزع الآيات والأدوات، وأخذ رأس المال عنكم، وإخراجكم من سوق الكسب.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ [التحريم: 8 - 9].

---

(1) أي: قدّسوا أنفسكم وأهاليكم من محبة الدنيا والاشتغال بها، وأقبلوا على الله ببذل المهج، وانصحوا أهاليكم؛ كي يكونوا صالحين بمتابعتكم، فإذا رغبتم في الدنيا فهم يشتغلون بها، فإن زلة الإمام زلة المأمومين. قال سهل: أي: بطاعة الله، واتّباع السنن. وقال ابن عطاء: بقبول نصيح الناصحين.
قال الوراق: عَلّموهم الفرائض والسنن؛ لتنقذوهم بها من النار. وقال أبو عثمان: في طلب الحلال لأنفسكم ولأهاليكم. [العرائس].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾ [التحريم:8]، يا أيتها القوى المؤمنة توبوا من الذنوب واللمم – التي [هي من] خاصية بشريتكم – إلى الله توبة خالصة، ناصحة بحيث ينصح صاحبها بأن لا يعود إليها أبدًا ولو قطع إربًا إربًا، ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[التحريم:8]، يعني: إذا رجعتم إلى الله بالإخلاص، وأعقدتم بأن لا تعودوا إلى مخالفته أبدًا يكفر الله عنكم سيئاتكم السالفة، ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [التحريم:8]، يعني: يدخلكم جنات القلب تجري من تحتها أنهار المعرفة ﴿يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم:8]، يعني: ذلك اليوم،، وهو: يوم التجلي، لا يخزي الله اللطيفة المبلغة، ولا يخزيه والذين آمنوا معه من القوى المؤمنة النفسية والقالبية، نور ذكرهم وإيمانهم ﴿يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ بتوجههم الصادق إلى الحق بإيمانهم، وبالأعمال الصادرة عنهم، على يمين وبركة، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ يعني: نور أعمالنا بنور أفضالك، وأعطنا نورًا من أنوارك، حتى نشاهد وجهك الكريم بنورك، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ أي: الخطرات التي تخطر؛ فنأمن ظلمات عالم الفناء والضلال، ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التحريم:9]، يعني: يا أيتها اللطيفة الخفية جاهدي كفار قوى القالب المظلم، ومنافقي قوى النفس الأمارة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[التحريم:9]، ولا ترفق بهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾[التحريم:9]، بعد مجاهدتهم في دار الكسب بجهادك إياهم والغلظة عليهم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم:9]، أي: بئس المرجع جهنم لهم.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ۝﴾ [التحريم: 10 - 12].

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التحريم:10]، يعني: ضرب الله مثلاً للقوى الكافرة المستكبرة ﴿امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا﴾ [التحريم:10]، قوتين قابلتين ﴿تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ [التحريم:10]، أي: قوتين فاعلتين صالحتين ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم:10]، القوتان القابلتان بكفرهما بربهما، وإنكارهما اللطيفتين الصالحتين الفاعلتين؛ ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾[التحريم:10]، يعني: لا ينفعهما أنهما كانتا قابلتين تحت اللطيفتين الصالحتين، ولا يدفعا عنهما من عذاب الله من شيء ﴿وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[التحريم:10]، يعني: قيل للقوتين القابلتين ادخلا مع القوى الكافرة القالبية والنفسية النارية التي أنتم أوقدتموها في دار الكسب من نيران الحسد والكبر والكفر والشهوة الردية.

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [التحريم:11]، يعني: القوى المؤمنة من قوى النفس اللوامة ﴿امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم:11]، يعني: القوى الصالحة القابلة تحت القوة الفاسدة الفاعلة المستكبرة ما ضرها كفر القوة الفاعلة الفاسدة إذا كانت صالحة هي بنفسها ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم:11]، يعني: إذ قالت اللطيفة الصالحة القابلة في مناجاتها مع ربها: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً﴾ في أخص أطوار القلب، وهي [....][1] موضع عند الرب الصمد الواحد الأحد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وقالت أيضًا في مناجاتها: ﴿وَنَجِّنِي﴾ من هذه القوة الفاسدة الفاعلة وعملها، ﴿وَنَجِّنِي﴾ من أعوانها وقواها الظالمة، انظر كيف نجاها، وبنى لها بيتًا في الجنة المضافة المخصوصة به، وما نفعت صحبتها للقوة الفاسدة الفاعلة، وكيف ينفع ويضر والله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

---

(1) كلمة غير واضحة بالأصل تشبه: الحبلد.

أُخْرَى﴾، والنبي ﷺ يقول: «يا فاطمة أنقذي نفسك من النار»[1] يعني: لا يحمل القلب وزر الخاطر الذي يخطر من قبل النفس، ولا الروح وزر خاطر القلب، ولا النفس وزر خاطر القلب والروح، ولا ينفع النفس والقالب طاعة الروح والقلب، إن لم يطيعا بالجوارح الظاهرة القالبية والقوى الباطنة النفسية.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم:12].

وهي القوة الإرادية التي لا تتصل بقوة الولاية، وسلكت مسلك الطريقة بإحصان فرج قوة القابلة عن الأباطيل والحظوظ الردية الشهوانية الهوائية ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[2] [التحريم:12]، يعني: جذبناها إلينا وأوصلناها إلى مرتبة حصلت لها اللطيفة الخفية العيسوية فصارت ولية ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ﴾[التحريم:12]، من غير أن يعلمها أحد وارد بالكلمات في الأنفس الوارد الذي يرد عليها ﴿وَكُتُبِهِ﴾ يعني: ما تجد مكتوبا على صحف قلبها وسرها وروحها ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[التحريم:12]، أي: من القوى مطيعين وهذا إشارة شريفة في حق المجذوبين يعني: ذكر بصفة الرجال وأدخلهم في القانتين منهم، يعني: من أحصن فرج قابليته من المريدين وإن لم يصل إلى مرشد ويصدق الوارد وما يجد في صحف القلب والسر والروح، ويتوجه إلى الله توجهًا كليا لما يمكن له الوصول إلى مرتبة الولاية؛ ولكن على سبيل الندرة، والنادر لا حكم له، وحظ السالك من هذه السورة وتفسير بطنها: أن يحترز في أن يحرم ما أحل الله على نفسه

---

(1) أخرجه مسلم (1/ 192، رقم 204)، والنسائي (6/ 248، رقم 3644)، وأحمد (2/ 519، رقم 10736)، وإسحاق بن راهويه (1/ 261، رقم 228)، وأبو عوانة (1/ 88، رقم 268).

(2) قال المحقق البقلي: ظهر فيه نور الفعل، ثم ظهر في نور الفعل نور الصفة، وظهر في نور الصفة نور الذات، وكان بنور الذات والصفات حيًّا موصوفًا بصفاته، ناظرًا إلى مشاهدة ذاته، لم تنقطع عنه أنوار الذات والصفات والفعل أبدًا، وهذه خاصية لمن له أثرٌ من روحه.

قال بعضهم: نفخ من نوره في روح عبده؛ ليَحيى بتلك الروح، ويطلب النور، ولا يغفل عن طلب المنور، فيعيش في الدنيا حميدًا، ويُبعث في الآخرة شهيدًا، فلما وجدت روح روح الله صدقت بظهوره في العالم، وشبّه قلوب العالمين بأنها تكون مرآة الحق للخلق.

بجهله عنده مبادئ المكاشفات والمشاهدات، وقلما السالك إذا ابتلاه الله بالغيبة عن خدمة شيخه في بداية أمره كما كان حال هذا المسكين أن يتخلص من هذه الورطة، وسبيله إذا عرف اللطيفة حق المعرفة أو عرّفه شيخه يتوب إلى الله من ذلك الفعل، ويأكل ما قد حرمه الله في البداية على نفسه قدر ما يرفع عنه اسم التحريم، ويقتصر على ذلك، ويأكل لقمات متتابعة، وكل عمل حلال حرم على نفسه في البداية على نفسه [يعمله] بقدر ما يرفع اسم التحريم؛ فينبغي أن يشتغل به قدر ما خرج عن حد النهي الذي يقول في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ الله لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:87]، واقتصروا على عمل واحد في كل سَنة، أو لقمة واحدة في كل وقت حضرت لموافقة أخ من الإخوان، إذا علم إن لم يواكله ينكسر قلبه ويحزن عليه صاحبه يوافقه ويواكله، ولا يسرف في أكلها، ولا يأكلها إذا كان خاليًا إلا لقمة واحدة؛ لأنه قال الله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ [آل عمران:93]، وهذه الآية تدل على أن السالك إذا حرم شيئًا على نفسه في بداية أمره لله جهلاً بالطريق فلا يجوز الاشتغال به بعد ورود الوارد عليه ومعرفته بالطريق؛ ولكن نسخ حكمه حكم هذه السورة المنزلة على اللطيفة الخفية التي هي خاتم اللطائف، ودينها ناسخ الأديان.

وحظ آخر للسالك من تفسير بطن هذه السورة: أن يتيقن بأن لكل قوة من قواها القابلة والفاعلة عذاب مختص بها لا ينفعها صلاح القوة الفاعلة، ولو فسدت الفاعلة لا ينفعها صلاح القوة القابلة، ولا يضر فساد القوة الفاعلة للقوة الصالحة القابلة وعلى العكس، وفي كشف هذا السر باب مفتوح إلى مطلع القرآن مما يجب إغلاقه فسددته ورجعت إلى ما يليق بآذان المستمعين وحوصلة المسترشدين.

فاعلم أيها المسترشد إن السالك ربما يكون في ساعة واحدة في الجنة والجحيم وهذا مما شاهدناه مرارًا في أنفسنا، وأنفس السالكين الذين سلكوا هذا الطريق بحضرتنا، وأمرنا بأن لطيفة منك ولها صورة معينة تعرفها أنها صورتك متنعمة في أعلى عليين، وفي هذه

الحالة أيضًا ترى لطيفة منك على صورتك - غير هذه اللطيفة المنعمة وأنت تشاهدها وتعرفها أنها صورتك - معذبة في أسفل سافلين، وأنت الشاهد بصورتي لطيفتك، وتتعجب من هذه الحالة المتضادة! وتتألم بألم الصورة المتألمة، وتتنعم بتنعم الصورة المتنعمة، وربما يكون أربع صور، وربما يكون سبع صور، وربما أن يكون ترى العالم مملوءًا من صورك، كل صورة في عمل خاص، وربما يكون أن تشاهد جميع الصور يتحركون بحركتك، وينبسطون ببسطك، وينقبضون بقبضك، ويتكلمون بكلامك، وكل شيء يصدر منك يصدر منهم، مثل الصورة المنطبقة في المرآة من عكس صورتك، وسر هذه الصور المنطبقة في المرآة من عكس صورتك، وسر هذه الصور يتعلق أيضًا بحد القرآن.

قلنا: [ولما كنا غير] مأذونين في إفشائه فطوينا الصحيفة، وختمنا هذه السورة على دعاء ألهمته الوقت: اللهم اجعل صورنا ومعانينا منورين بنور وجهك الكريم، لئلا نلتفت عنك إلى غيرك، وليس الغير موجودًا! يا عليم يا حليم يا عظيم يا رحيم بمحمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، [يوم] يفرغ فيه الحكيم من حساب اللئيم والكريم.

سورة الملك

وهي ثلاثون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝٥﴾ [الملك: 1 – 5].

يا طالب سر الملك والملكوت اعلم أن سرهما في يدي مالك الملك والملكوت، كما يقول في كتابه الكريم: ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس:83]، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك:1]، والملك إشارة إلى: عالم الناسوت، واليد إشارة إلى: عالم الجبروت، ﴿وهو﴾ إشارة إلى: عالم اللاهوت، فتبارك وتعالى الذي بيده الملك والملكوت أن تشبه يده الأيدي، وتنزهت وتقدست ذاته أن تكون معطلة عن الصفات الحسنى؛ ولكن ينبغي أن يكون السالك سنيًا لا ظاهريًا، ولا باطنيًا، ولا مشبهيًا، ولا معطليًا ليعرف سر اليد المذكورة في كلام الرب، وسر ما قال سيد الأولين والآخرين ﷺ في الحديث الصحيح الطويل: «كلتا يدي الرحمن يمين»[1]، ولا يمكن لك المعرفة بهذا الحديث إن كنت جامدًا بليدًا؛ فأشعل نار الذكر حتى تذهب جمودتك وبلادتك، وانظر بعد ذلك في بدائع الصنائع لتفهم ما فيه من حقائق الدقائق، ثم جئ حتى أقول معك بعض أسراره مما يتعلق ببطن القرآن.

واعلم أن اليمين واليسار يطلق في عالم الجهات، ولا جهة في عالم الحق، ولا زمان، ولا مكان، ولا خلاء من الوجود، ولا ملاء من الجسم الكلي، وكل شيء يرى بعين الحس

---

(1) ذكره الحكيم (1/ 79)، وأخرجه العقيلي (1/ 139، ترجمة 169 بشر بن نمير) وقال ولا يتابع عليه، والطبراني (8/ 242، رقم 7943)، وأبو الشيخ في العظمة (2/ 598، رقم 39) وأخرجه أيضًا: الطيالسي (ص 154، رقم 1130) والطبراني في الأوسط (7/ 325، رقم 7632)، قال الهيثمي (7/ 189): رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار.

في الملك فتبصره ببصيرة العقل في الملكوت قائم به، وهو موجد حياة كل الأحياء منه، وقيام كل الأشياء به، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:88]، و﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:26] ويبقى وجهه.

وإطلاق اليمين في الحديث كان لأجل اليمن والبركة، وإظهار سر التوحيد، وإشارته إلى «كلتا يديه» إشارة إلى: يدي الظاهرة والباطنة؛ يعني: بيد إرادته الباطنة باطن ملكوت كل شيء، وبيد قدرته الظاهرة ظهور الملك، وبعد هذا تحرك سلسلة حد القرآن مما أمرت بستره فأدرج.

واعلم أنه على كل شيء قدير كما يقول في كتابه الكريم: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:1] يقدر على الإبداع، والإيجاد، والإبقاء، والإفناء، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك:2]، ذكر الموت والحياة؛ لأن القدرة فيهما أظهر، وقدم الموت على الحياة؛ لأنه [سابقتكم] ﴿أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة:28]؛ يعني: كنتم جاهلين فأحياكم بالعلم، وكنتم في بطون أمهاتكم موتى فأحياكم بنفخ الروح، وكنتم موتى في القالب فأحياكم بنور الإيمان، وكنتم موتى في البرزخ فأحياكم يوم القيامة، وكنتم موتى في النكرة فأحياكم بالمعرفة، وكنتم موتى من مشاهدة وجه الرب فأحياكم بمشاهدته للابتلاء حتى تتم مظاهر لطفه وقهره، وحتى يرى ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك:2] في الاختيار الحياتي الذي أعطاه ربكم لكم لتكونوا خلائف الأرض، أتشتغلون في عالم اختياركم بذكر مولاكم؟ أم تبتغون هواكم وتغفلون عن ذكر مولاكم؟ أتتركون الدنيا الفانية للآخرة الباقية؟ أم تشتغلون بالدنيا لاستيفاء حظوظكم العاجلة الشهوية؟ أم تشتغلون بتزكية النفس عن الكدورات الحاصلة لها في دار الفناء؟ أم تتركونها مكدرة مظلمة صاعد عليها كل ساعة دخان الهوى؟ أتجتهدون في تصفية السر وتحلية الروح بالأخلاق والصفات الحسنة؟ أم تتركونها ملوثة بقاذورات الأخلاق الشيطانية والصفات البهيمية؟ أتقبلون على تصقيل القلب ليكون مرآة لوجه الرب وهو المقصود من إيجاد الموجودات؟ أم تعرضون عنه ليتأثر فيه طبع [الطغي] ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:2]؛ يعني: هو غالب على أمره أن يعذب المقصر في تقويم القالب وتصقيل القلب وإقامة المرآة محاذاة وجه الرب في عالم التوجه، غفور لمن يقوّم القالب على

وفق ظاهر الشرع بالسياسة، وتصقيل القلب على قانون حكمة الطريقة بالطهارة، ويقيم المرآة المقوّمة المصقلة محاذاة وجه الرب بالطهارة، والله تعالى أرسل جميع الرسل إلى الخلق ليعلمهم بالسياسة أمر التقويم، وبالطهارة أمر التصقيل، وبالعبادة أمر التوجه؛ لترى في المرآة ذاته وأفعاله وآثاره كما يقول تعالى: «**كنت كنزًا مخفيًا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف**»[1].

﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً**﴾ [الملك:2-3]؛ أي: سماوات أطوار القلب طبقًا طبقًا في كل واحدة منها حكمة خاصة، ﴿**مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾ [الملك:3]؛ يعني: لا يفوته، وإضافة الخلق في هذا المقام إلى الرحمن كانت من سر فينبغي ألّا يغفل عنه، وهو أنه بعد استوائه على العرش واستواء الخليفة على عرش القالب الجسماني خلق سماوات القلب والصدر، والسماء الروحانية، والأرض القالبية، ﴿**كَانَتَا رَتْقاً**﴾ [الأنبياء:30] من قبل مقتضاهما عند استواء الرحمن على عرش الروح، واستواء خليفته على عرش القالب، وفي هذا سر يتعلق بحد القرآن مما ليس هو من نفس المستمعين.

﴿**فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ**﴾[2] [الملك:3]؛ يعني: كرر النظر واعتبر بنظر الاعتبار هل ترى في خلقه من نقصان من الشق والصدع أو الخرق؟ ﴿**ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ**﴾ [الملك:4] كرة في ملكه، وكرة في ملكوته، وكرة بعين الحس، وكرة ببصيرة العقل حتى يقع نظرك في عالم ملكه وملكوته على شيء، يقول عقلك المضل وقواك الكافرة وهويتك المدعية للإلهية: ينبغي أن يكون هذا على خلاف ما خلقناه وسويناه، فيا أيها الجاهل الضال لا تتفكر في قبضتك وأنا ملك [الملوك] حتى ترى حكمة الحكيم إن لم تكن ممن يتفكر في ملكه العظيم، وتعلم أن لو يزيد أنملة على الأنامل الخمس كيف يكون قبيحًا؟! بحيث يحكم عقلك على قطعها، ولو تنقص أنملة من الأنامل كيف تستحي منها

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) يقال: فطره فانفطر أي شقه فانشق والمعنى من شقوق وصدوع لامتناع خرقها والتئامها قاله القاشاني، ولو كان لها فروج لفاتت المنافع التي رتبت لها النجوم المفرقة في طبقاتها أو بعضها أو كمالها كما في المناسبات فإذا لم ير في السماء فطور وهي مخلوقة فالخالق اشد امتناعا من خواص الجسمانيات.

وتمد يدك في كمك حتى لا يطلع على نقصانك أحد؟! وإن كانت الأنامل متصلة بعضها ببعض لا يمكن لك القبض والبسط، وإن كانت الأنامل مستوية لا يتصل بعضها ببعض وقت الضم، وعجائب القبضة الواحدة التي هي عضو جسماني من أعضائك، وعروقها، وأغصانها، وروابطها الظاهرة، وأظافرها، وكيفية تحليل الخلط السوداني من رؤوس الأظافر ينبغي أن تقطع في كل شهر مرتين، وكيفية عضلاتها وروابطها الباطنة إلى حقيقة صفة القدرة، واتصال القدرة بالإرادة، وتعلق الإرادة بالعلم الروحاني، ثم تعلق العلم بالقلم الذي في قبضة الحق، واتصال حقيقة القبضة الحقية باليد المذكورة في كلام المجيد وهلم جرا إلى الدقائق الجبروتية المتصلة بحقائق اللاهوتية مما لا يحصى أبد الدهر في ظنك بعجائب ملكه وملكوته، وجبروته ولاهوته، ومع هذا تدعي الربوبية والإلهية، وتعجز عن إدراك سر عضو من أعضائك أيها المعاند الجاهل.

﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:4]؛ يعني: ينقلب نظرك صاغرًا ذليلاً عاجزًا، وهو كليل منقطع عن النظر على نقصان في ملكه وملكوته، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك:5]؛ يعني: زينا سماء الدنيا بمصابيح خواطر القدر في آفاق عالم الإنسان، وهو مظهر السر في أنفس عالم الإنسان السرية والروحية والخفية، والقالب الذي هو عالم الكون، والفساد مظهر لسماء الدنيا الذي هو ذات البروج، ولا تغلط بأنا بينا في الواردات أن القلب أعلى من الصدر، ويشاهد الصدر إلى القلب أقرب، وتفكر في إحاطة جسمية الصدر بالقلب في عالم الشهادة كما تشاهد إحاطة فلك الثوابت بالأفلاك السبعة؛ لئلا تغلط ونحن في هذا المقام ندخل في طريق الجسمانيات ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك:5]؛ يعني: جعلنا الخواطر السرية والروحية والخفية على سماء الصدر حفظة؛ ليرجم بها الشياطين إذا أرادوا أن يوسوسوا في الصدر ويسترقوا السمع ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك:5]؛ يعني: للقوى النفسية التي يمددها بقدر الشيطان التجاوز عن عالمها والصعود إلى سماء الصدر.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا

﴿بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: 6 – 12].

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الملك:6] من القوى القالبية والنفسية الملوثة بقاذورات اللطيفة المكدرة بدخان الهوى بعد انقلاب جرها إليها خاسئًا حسيرًا وكفرانها بنعمة ربها، وتكذيبها اللطيفة في إخبارها عن الآيات الغيبية، ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ [الملك:6] التي أظلموها بظلمهم، وأشعلوا فيها نيران الكبر والكفر، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الملك:6]؛ يعني: بئس مرجعها، ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً﴾ [الملك:7]؛ يعني: صوتًا كصوت الحمار وهو أنكر الأصوات، والشهيق أنكرها؛ لأنه أول نهيقه، ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك:7]؛ يعني: جهنم قالبة.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك:8]؛ يعني: تكاد تنقطع من تغيظها على صاحبها الذي اجتهد في اشتعالها، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ [الملك:8] جماعة من القوى القالبية الكافرة، والنفس المشركة المنافقة، ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك:8]؛ يعني: قواها العلوية، وهي خزنة نيران جهنم القالبية والنفسية السفلية على سبيل التوبيخ لهم سألهم ما جاءكم رسول ينذركم من هذا اليوم قالوا: ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك:9]؛ يعني: جاءت اللطيفة المنذرة وبلغت إلينا ولكن كذبنا لاتباع هوانا، وقلنا: لا يمكن أن ينزل علينا مثلنا، لستم إلا في ضلال كبير؛ لرجوعكم عن دين آبائكم ولو كان الله أراد أن ينزل علينا لأنزل علينا ملائكة، أنتم تأكلون وتشربون وتمشون في الأسواق، وتحتاجون إلى البول والغائط وإلى ما يحتاج البشر إليه.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:10]؛ لأن القوى النفسية تسعر جهنم القالب، ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ [الملك:11] في تلك الحالة، ﴿فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:11]؛ أي: بُعدًا للقوى النفسية والمسعر نيران جهنم قالبها عن رحمة الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الملك:12]؛ يعني: القوى اللوامة المؤمنة المصدقة بها في الغيب المتقية من قهر الحق، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [الملك:12] من اللمم اللازم للطيفة البشرية ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:12] بالأعمال التي عملت على وفق أمر

اللطيفة المبلغة المنذرة المبشرة.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: 13 - 17].

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك:13]، إشارة إلى: القوة المنافقة المكذبة؛ يعني: إن كنتم تشكون في أمر الوارد الذي يرد من الحق على اللطيفة، ويقولون: لو أسررنا لا تعرف اللطيفة نجوانا، فأسروا أن الحق ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك:13]؛ يعني: جميع القوة النفسية والقالبية مربوطة بها أودعناه في سماء الصدر، ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ:3]؛ يعني: الشقائق الأرضية متصلة بالدقائق السماوية، والدقائق السماوية مربوطة بصفاتنا مستجمعة في ذاتنا، فأي شيء يفوت عنا؟

﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[1] [الملك:14] في السماء والأرض وما فيها وما بينهما، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:14]؛ يعني: لا تحجبه كثافة الحجب، خبير بما في الضمائر والصدور، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً﴾ [الملك:15]؛ يعني: جعل أرض البشرية مسخرة للقوى النفسية مذللة تحتها، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك:15]؛ أي: قواها المعدنية، ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك:15]؛ يعني: من رزق الله الذي أخرج لكم من أرض البشرية من نباتات المعارف الآثارية، ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:15]؛ يعني: إلى الله تنشرون من قبور قالبكم، وسر هذه الآية يثبت في تصعيد اللقمة في فوائد؛ لتفهم كيفية النشور من قبور القالب بعد أكل رزقه.

---

(1) قال روزبهان: بقي مكنون علمه فيما جرى في الأزل عن الخليقة، وإن كان صدِّيقًا، أو نبيًّا مرسلاً، أو ملكًا مقربًا، فيكون عنهم مستورًا، كما كان في سر الأزل قبل الخلق، ولو أمعنت النظر يا صاحبي في العلم، فإن حقيقة العلم منفيةٌ عن الخلق؛ إذ الخلق لا يعلم حقيقته، فإن حقيقة علم الأشياء لمنشئها لا غير، وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، أثبت العلم بالحقيقة لنفسه.

﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك:16]؛ يعني: ما أمنتم من عذاب موكل عليه القوى السماوية بعد كفركم بربكم أن يأمرهم أن يخسف بكم الأرض البشرية، ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:16]؛ أي: تتحرك عند الخسف بهم حتى تلقيهم إلى أسفل دركات الطبيعة، ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾ [الملك:17]؛ يعني: أتأمنون الذي جعل القوى العلوية الصدرية حافظات لكم أن يرسلوا عليكم أعمالكم الهودية الصاعدة الموقوفة تحت الصدر؛ لتلوثها وضيائها ودخانها الجامدة مثل الحجارة فيهلككم: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:17]؛ أي: تعلمون أن الله كيف يرسل النذير بعد معاينتكم العذاب.

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝١٨ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝١٩ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۝٢٠ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝٢١ ﴾ [الملك: 18 - 21].

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الملك:18] من القوى القالبية المكذبة، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك:18]؛ أي: إنكاري عليهم بالعذاب الذي أرسلت عليهم من السماء، ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ﴾ [الملك:19]؛ يعني: لا تنظرون إلى طيور خواطركم يطيرون فوقكم صفًا صفًا، ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك:19] أجنحتها؛ أي: استعدادها السفلي بعد بسطها باستعدادها العلوي، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ [الملك:19] في حال القبض والبسط باستعداد هي القوى السفلية والعلوية، ﴿إِلاَّ الرَّحْمَنُ﴾ [الملك:19] الذي استوى على العرش، وسوى الأمور عليها بعد استوائه على عرش الروح، واستواء خليقته على عرش القالب، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك:19]؛ يعني: بالخواطر الظاهرة العلوية، والخواطر الوالجة في الأرض والخارجة منها، ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ [الملك:20]، استفهام بمعنى الإنكار، تلك الخواطر والقوى جلالكم يقدرون أن ينصروكم من عذابنا من غير إذن الرحمن، ﴿إِنِ الكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ * أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك:20-21]؛ يعني: إن أمسك الرحمن رزق الحياة والمعرفة عنكم من يقدر أن يرزقكم رزق الحياة والمعرفة؟ ﴿بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك:21]؛ يعني: غلب عليهم اللجاج حتى تمادوا

في الباطل والتباعد عن قبول الحق.

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦)﴾ [الملك: 22 - 26].

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِباً عَلَى وَجْهِهِ﴾ [الملك:22]؛ يعني: مكبًا على الضلالة والجهالة مثل البهائم، ﴿أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِياً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك:22]؛ يعني: يمشي بالعلم والمعرفة والإيمان مثل القامة المعتدلة الإنسانية على الصراط المستقيم، ويظهر بعد كشف الغطاء أن يكون قامة الكفار معوجة ناكسة رؤوسهم، والمؤمنون متوجهة إلى الحق، ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾ [الملك:23] من النيران والعناصر السفلية، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ [الملك:23] من القوى العلوية اشكروه من القوى القالبية والنفسية الملوثة كما يقول في موضع آخر: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:13]، اللهم اجعلني من الجميل والجليل يا جميل يا جليل.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ [الملك:24]؛ أي: هو الذي أنشأكم وذرأكم الحبيب في أرض البشرية، ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الملك:24] إلى حضرته وتحشرون من القالب ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ﴾ [الملك:25]؛ أي: القوى المكذبة، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى﴾ [الملك:25] يجيء ﴿هَذَا الوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الملك:25]، فبينوا لنا متى موعده ﴿قُلْ إِنَّمَا العِلْمُ عِندَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الملك:26]؛ يعني: علم الحشر والنشر، والقيامة والموت عند الله إذا أراد يكشف الغطاء حتى نشاهدهما بعين العيان في كل لمحة في الدنيا، وإن أراد أن يؤخرها إلى أجل معلوم، وإنما أنا بأمره أنذركم، وأبين لكم بحكم الوارد.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ (٣٠)﴾ [الملك: 27 - 30].

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ [الملك:27]؛ يعني: بعض القوى المكذبة لما شاهدوا بعض الآيات في أثناء السلوك ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك:27]؛ أي: اسودت بها كذبوا الآيات التي شاهدتها الآن، ﴿وَقِيلَ﴾ [الملك:27] لهم القوى العلوية ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [الملك:27]؛ أي: تتمنون أن يعجل فينبغي للسالك في هذا المقام ألَّا يدع النفس أن تشك في بواقي الآيات؛ لأنها ما دامت في قالب الكدورات يصل من عالم السفل إليها دخان يصعد من الهوى على دماغها يحفظ عقله يشك، فإذا أراد السالك آية من آيات النفس مما لم يكن يراها قبل السلوك فيجب الإذعان لمسلكه واشتغاله برفع الحجاب؛ ليرى آيات ربه الكبرى وإن لم يقدر على رفع الحجاب فينبغي أن يكون مؤمنًا ببواقي الآيات، مصدقًا بملكه قياسًا فيما يقول ويحكي عن الآيات الأنفسية الغيبية، وألَّا يشك البتة فيها يشاهد قرنائه وأصحاب مسلكه قياسًا: إنني أيضًا سالك ولم أر ما يحكي نظر؛ أي: لأن الاستعدادات متفاوتة في الكثافة واللطافة، والله يقبض ويبسط، ويعطي ويمنع كيف يشاء، لا راد لقضائه، ولا مانع لعطائه، ولا دافع لبلائه، وعلينا التسليم والتصديق وله الحكم على التحقيق وبيده التوفيق، وهو الرفيق في هذا الطريق.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَن مَّعِيَ﴾ [الملك:28]؛ يعني: أيتها اللطيفة المبلغة المنذرة المبشرة، قولي: ﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَن مَّعِيَ﴾ [الملك:28] من القوى [المؤمنة] ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ [الملك:28] من غاية كرمه ورحمته فضلاً منه من يقدر أن يقول لم أهلكت أو رحمت، ﴿فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الملك:28] يوم يكشف الغطاء عن أبصارهم ويعذبهم بصفاتهم وأخلاقهم، من يجيرهم منه فنحن بعد الإيمان نخاف منه، فكيف لا تخافون مع وجود الاستكبار عن عبادته، وكيف لا نخاف لأنا نعلم أنه غني عن العالمين وعن أعمالهم، فمن يهلكه فبعدله ومن يرحمه فبفضله.

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ﴾ [الملك:29]؛ يعني: هو الذي آمنا به، هو الرحمن المستوي على عرش روحانية [قلوبنا]، ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك:29]؛ لأنه ضمن كفالتنا ووكالتنا، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك:29]؛ يعني: سوف ترون وقت كشف الغطاء ما تستمعون منا اليوم ولا تصدقونه، وتطلعونه على ضلالتكم وجهالتكم معاينة، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك:30] أيها السالك الواصل إلى ينبوع المعرفة

احذر من هذا الخطاب بقول مع اللطيفة المبلغة قول للقوى المواصلة العارفة: إن كنتم تصبحون في حال التجلي الجمال، وترون ينبوع المعرفة غورًا ليس فيها ماء، ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك:30] من الذي يقدر أن يأتي بماء الإيمان ظاهرًا بحيث ترى العيون آثاره في عالم الناسوت؟ وهي الأعمال التي هي مخصوصة بالخوارج أذهب بماء الإيمان عن ينبوع قلبه، لا يظهر الأعمال على جوارحه البتة، ويقدر ظهور بماء الإيمان من ينبوع القلب، يستعمل الجوارح بالطاعات ويمنعها عن المخالفات وارتكاب المنهيات، فكن حذرًا أيها السالك العارف مادمت في قفص القالب أسيرًا محبوسًا، ولا تتكئ على معرفتك ومشاهدتك حتى تكسر قفص القالب وتطير إلى ذكرك الأصلي، واجمع بين ظاهر تفسير القرآن وباطنه، وأجر حكمهما على ظاهرك وباطنك؛ لأن الله تعالى خلقك من الغيبية والشهادية، وعبادة الغيبية والشهادية وعبادة الغيبية [الغيبيَّة] والحضور، والإخلاص والصدق، وعبادة الشهادية الركوع والسجود، والقيام والقعود، والصلاة والصوم والجهاد والزكاة والحج، ولكل ركن من الأركان الظاهرة ركن معين بإزائه من الأركان الباطنة، إن أهملته فقد كنت كمن عمل على قشر الجوز ليخرج منه الدهن، فاجتهد أن تكون من [السادة في] الطهارة والعبادة في الظاهر والباطن لتكون كاملاً في مرتبة الإنسانية، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، وصلي وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

سورة القلم

وهي اثنان وخمسون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ٥ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ٧ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ٨ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٥﴾ [القلم: 1 - 15].

يا صائد نون النبوة في قعر بحر النون بشبكة القالب، لتشويشه في تنور [الناقور] بنار الذكر المروية قلب الذاكر من ملاطفات المذكور، تفكر فيما يقول الله تعالى في كتابه حيث يقول: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: 1]؛ يعني: بحق النور الذي أودعنا في نون النبوة القائمة بواو الولاية، الثابتة بألف الألوهية، المتصلة بوجود سواده وبياضه في دائرة الأزل إلى الأبد، وهو نور المداد الذي خلقه الله تعالى في دواة روح النون؛ ليكتب بقلم قدرته على لوح العقل ما كان في علمه القديم، وأشار إليه النبي ﷺ حيث قال: «**أول ما خلق الله تعالى في مقام المرادية نوري، وأول ما خلق الله تعالى روحي في مقام الدواتية، وأول ما خلق الله تعالى القلم في مقام الفاعلية، وأول ما خلق الله العقل في مقام القابلية**» وظلالها في عالم السفل العناصر الأربعة؛ فالنار ظل العالم الخفي، والهوى ظل دواة الروح، والماء ظل مراد السر، والتراب ظل لوح القلم؛ يعني: أقسم بنور النبوة[1].

---

(1) قال روزبهان: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، أي: «بنون» صفتي وقلم فعلي، «وما يسطرون» من أحرف مقاديري على ألواح أمري، وأيضًا «النون»: هو الذات، و«القلم»: الصفات، و«ما يسطرون»: من الأفعال على ألواح التقدير، وهي تستطرها بين الكاف والنون من العدم على ألواح الإرادة، وأيضًا «النون»: نور وجهه الذي يظهر يوم الشهود، وبه يسعى جميع العارفين والعاشقين إلى الأبد، وأيضًا: نور عنايته السابقة في الأزل في اصطفائية الأنبياء والأولياء، وأيضًا أي: بنيران قلوب المحبين، ونور فؤاد المشتاقين ونصرتي للأنبياء والمرسلين والأولياء والصدِّيقين، وأيضًا أي: بنظري على قلوب

﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ* مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:1-2] جواب القسم؛ يعني: لست أيتها اللطيفة الخفية المبلغة المذكرة بالنعمة التي أنعمنا في حقك، وهم الوارد القدسي بمجنون فيما تأمر القوى به وتنهاهم عنه، وتتلو عليهم من الآيات البينات مما يرد عليك من الحق، فلا تبال مما تقول القوى المكذبة الحاسدة، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم:3]؛ يعني: في إبلاغ الوالد، والصبر على أذى القوى المكذبة لأجرًا غير منقطع أبد الآباد، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]؛ يعني: حصلت الأخلاق منا وتأدبت بآدابنا، حيث سمعت منا ما قلنا معك في كتابنا، ولا تكن ﴿فَظاً غَلِيظَ القَلْبِ﴾ [آل عمران:159]، وقولنا: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران:159]، وقولنا: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:199]؛ يعني: لا تشتغل بمكافآتهم.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ [القلم:5]؛ يعني: ستري أيتها اللطيفة وقت كشف الغطاء، وتبصري أيضًا القوى المكذبة، ﴿بِأَيِّكُمُ المَفْتُونُ﴾ [القلم:6]؛ يعني: بأيكم المفتون الذي فتن به ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْـمُهْتَدِينَ﴾ [القلم:7]؛ يعني: هو أعطاهم الاستعدادات المتصلة والمهدية، ﴿فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم:8]؛ يعني: لا تطع القوى النفسية المكذبة إذا تملقت معك بالمداهنة، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9] يتمنون أنك تداهنهم كما هم يداهنوك، وتشتغل أيضًا بأباطيلهم والاستيفاء من الحظوظ النفسانية، وترافقهم وتلين لهم ولا تؤمهم بترك مشتهيات أنفسهم؛ [ليثبوا لك]

أحبائي، ونظر أسرارهم إلى لقائي، وأيضًا أي: بنوادر أنوار صفاتي، وبقلم أفعالي الذي يجري على ألواح أسرار العارفين، و«ما يسطرون»: الأرواح القدسية من مخاطباتي في أوراق أسرارها، وأيضًا أي: بالنون الذي جعلت في بطنها حجال معراج يونس، وأيضًا أي: نيرات ملكوتي ونادرات عجائب جبروتي، وأيضًا أي: بنور القرآن والعلم الذي كتبته في اللوح المحفوظ في أول الأول، وما يتسخون منه سفرتي وكرام بررتي، وأيضًا أي: ابتدائي في أول وليتي من القدم إلى العدم؛ لإسماع أمر الأرواح القدسية الملكوتية التي خرجت من العدم بكشف نور القدم، ونداء الأزل، وندائي للقلم حين قلت بعدما أوجدته اكتب ما هو كائنٌ إلى الأبد، وبهذا القلم النوري، وما يسطرون أهل قربي من خطابي أي: بهذه الأقسام المباركة يا حبيبي يا قرة عيون العارفين، وبنون حاجبيك، وقلم لسانك، ولوح وجهك، ومايسطرون كتبته أنوار تجلياتي من عجائب سنا كشف جمالي في جمالك لنظر هلال جلالك وجمالك.

في المرافقة معك في طلب الحظوظ، لهم أنفسهم.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم:10]؛ يعني: القوى الحالفة بالله كذبًا لتميل خاطرك اللطيفة المذكرة إليها، ﴿مَّهِينٍ﴾ [القلم:10] ذليل عند الله، ﴿هَمَّازٍ﴾ [القلم:11]؛ أي: مغتاب، وهي القوة النفسية تغتاب عند اللطيفة قوى القالبية، وتغتاب عند القوى المكذبة القالبية اللطيفة، ﴿مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:11]، وهي أيضًا القوة النفسية القريبة إلى عالم الصدر، تمشي بنميمة من عالم القلب عند طلب حظها من القوى الفاعلية العلوية، ثم يرجع إلى القوى القابلة القالبية السفلية لطلب حظها من عالم القلب، وتتم اللطيفة المبلغة وأقواها المتابعة لها، ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [القلم:12]؛ يعني: يمنع الوارد القدسي في الطريق لئلا يصل إلى القوى القالبية ويكدره في عالمه؛ لأن عالم النفس عاجز بين عالم الصدر وعالم القلب، ﴿مُعْتَدٍ﴾ [القلم:12]؛ أي: ظالم على القوى القابلة، يمنع الوارد وغلغله بالخواطر المكدرة النفسية، ﴿أَثِيمٍ﴾ [القلم:12]؛ أي: كثير الإثم، فاجر في فعله يمنع الخير عن غيره، ﴿عُتُلٍّ﴾ [القلم:13] غليظ الوصف، قبيح الخلق، يدفع بالعنف الوارد لئلا يصل إلى القلب، ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:13]؛ يعني: بعدما وصفناها من الأخلاق الذميمة والأخلاق الكريمة، زنيمة؛ يعني: تنسب نفسها إلى العالم العلوي وليست في ذلك العالم بشيء؛ لأن هذه القوة المنتجة من الهوى لا من الروح.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم:14] لا يغرنك بأن كان له استعداد ومعارف هي نتيجة طبعها المكدرة الهودية، بأن لها نسبة إلى الروح ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم:15]؛ يعني: إن كانت لها نسبة إلى الروح وما كانت زنيمة ولها حظ من المعارف، ما قالت: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ [القلم:15] الأنفسية أنها ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم:15]؛ وعرفت حقيقة الوارد النازل من حضرة رب العالمين.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا

طَٰلِوِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [القلم: 16 - 29].

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [القلم:16]؛ يعني: سوف يجعل في نفسها وسم سواد فساد اعتقادها؛ لتعرف به بين القوى، لئلا يفتروا بنميمتها ونفاقها ومداهنتها، ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [القلم:17]؛ يعني: اختبرناهم كما اختبرنا القوى السالكة المجاهدة على وفق هوى أنفسكم من غير الاقتداء، فتظهر لهم جنة المعرفة النفسانية أعمالهم فاستبشروا بها وظنوا أنهم ﴿لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ﴾ [القلم:17] ويتنعمون بها أبد الآباد، ﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ﴾ [القلم:17]؛ أي: حلفوا ﴿لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ﴾ [القلم:17] ليقطعن ثمر المعرفة، ﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾ [القلم:18]؛ يعني: كانوا غافلين عن ذكر الله وأن الأمر بمشيئة الله، معتقدين بأنفسهم غير مقلدين لأهل الحق؟

﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾ [القلم:19]؛ يعني: نار الغيرة من الله طافت على جنتهم، ﴿وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾ [القلم:19]؛ يعني: غافلون عن ذكر الله تعالى، ﴿فَأَصۡبَحَتۡ﴾ [القلم:20] فجعلت جنتها ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم:20]؛ يعني: كالليل المظلم، ﴿فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ۝ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ﴾ [القلم:21-22]، فتنادت القوى بعضهم بعضًا في صبح طلع من أفق الصدر أن اغدوا على جنة معارفكم وحرث أعمالكم؛ لتقطعوا وتدخروا بها، ﴿فَٱنطَلَقُواْ﴾ [القلم:23]؛ أي: انطلقت القوى ﴿وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ [القلم:23]؛ أي: يتشاورون ﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٌ﴾ [القلم:24]؛ يعني: لا تأذنوا للخواطر المسكينة لئلا يشوّشهم؛ لأن هذا الخاطر يقول معهم: إن جنة معارفكم ليست بشيء، وحاصلها مثل ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾ [النور:39].

﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ﴾ [القلم:25]؛ يعني: [تحركوا] على قصد أنهم قادرون على حرثهم، ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا﴾ [القلم:26]؛ يعني: جنة معارفهم وحرث أعمالهم، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [القلم:26]؛ يعني: إنا لمخطئون الطريق، وهذا مقام إذا وصل إليه السالك ويظن أن أعماله كانت أعمال بدعية هوائية غير مستتنة بسنة مقتداه، فشاهد موضع حرثه ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ [يونس:24]، يقول: في نفسه أخطأت الطريق، ليس هذا موضع حرثي، ولا يعلم أنه أخطأ الطريق وقت الزرع؛ فلأجل هذا حرم وقت الحصاد، من ثمرة

عمله وزرعه فالواجب على السالك أن يقتدي بمقتداه في جميع أعماله وأقواله، وحركاته وسكناته، لئلا يحرم وقت الحصاد من زرعه، ولا [يتأسف] على ضياع عمله وفوات استعداده، ومضي زمان زرعه، يقولون: ما نحن بضالين ومخطئين الطريق، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم:27] عن نفع زرعنا؛ لتركنا الاقتداء وغفلتنا عن الذكر في الاستثناء، وقصدنا على أن يدخل علينا خاطر السكينة، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم:28]؛ يعني: أعلمهم وأخبرهم وأعدلهم من القوة المكدرة، لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: 28]؛ أي: هلاً تذكرون فتغفلون عن ذكر الرب، ﴿وَلاَ يَسْتَثْنُونَ﴾ [القلم:18]، ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم:29]؛ يعني: منزه ربنا عن أن يظلم علينا، بل كنا ظلمنا أنفسنا بغفلتنا عن ذكر ربنا.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم: 30 - 42].

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾ [القلم:30]؛ يعني: القوى اللوامة بعد أن ترى آيات الرب نفسها، وهذا ينفع في أثناء السلوك إذا طلع السالك على ظلمة الغفلة عن ذكر ربه وتركه الاقتداء بمقتداه، فيتوب إلى الله ثم يستأنف العمل على وفق الاقتداء، ويترك الغفلة ويشتغل بالذكر؛ ليزرع بعد ذلك على وفق أمر الدهقان الخبير، ويحصد - إن شاء الله تعالى - على وفق مراده عن قريب ذاته، لا ينفع بأن يفرغ عنه الآيات والأدوات، والبذر والأرض، ولا يزيد له من حسرته إلا العذاب الأليم المقيم، اللهم نبهنا من نومة الغافلين واجعلنا من الذاكرين.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم:31] في منعنا المسكين، ﴿عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم:32]، فإذا تابوا إلى الله ﴿يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ

حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان:70]، ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ [القلم:33]؛ يعني: هكذا يكون العذاب، فينبغي أن يخالف السالك من مثل هذه الواقعة الهائلة ويرجع إلى الله رغبة ورهبة، ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم:33]؛ لأن الرجوع في الآخرة إلى عالم الكسب غير ممكن، وفي هذه الواقعة التي رأى السالك إذا انتبه ويرجع إلى الله منيبًا تائبًا يقبل الله توبته ويبدل الله سيئاته حسنات، فإن لم يلتفت إلى هذه الواقعة الهائلة، ويظن أنها من قبيل الخيالات أو غلبة خلط السوداء يعذب في الآخرة بمثل هذه الواقعة الهائلة ،وأشد منها دائمًا أبدًا بعد نزع الآلات والأدوات عنه.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم:34]؛ يعني: الذين اتقوا ربهم متاع الحياة الدنيا، واجتنبوا عنها لهم عند ربهم جنات النعيم من كل ما اشتهت أنفسهم، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:35-36]؛ يعني: نجعل القوى المؤمنة كالمجرمة، لو تظنون أيتها القوة المجرمة هذا منا ساء ما تظنون وجود ما تحكمون، وظنكم بالدهر مخطئ؛ لأنا خلقناكم لتكونوا باقين أبد الآباد مظاهر اللطف والقهر، فكل من كان مؤمنًا مسلمًا فهو مظهر اللطف يتنعم أبد الآباد، ومن كان مشركًا مجرمًا فهو مظهر القهر يتألم أبد الآباد، ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القلم:37]؛ يعني: هذا الظن منكم بأن دين الدهر عن حق أم من عند أنفسكم، أم من كتاب جاء من الحق أنتم درستم فيه، ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ [القلم:38] بعد الجزم ﴿فِيهِ﴾ [القلم:38]، في ذلك الكتاب ﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ [القلم:38] لما تختارون وتشتهون، ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:39]؛ يعني: عاهدناكم وأعطيناكم مواثيق إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:39]؛ أي: يفعل بكم كما تشاءون وتختارون لأنفسكم بعد افتراق الجزم في دار الكسب .

هذا خطاب مع السالك الذي يتضرع ويبتهل بعد هذه الواقعة ويتمنى أن يكون له بعد هذه الواقعة أحوال حسنة، ولا يفطن بأن نكبته من غفلته وترك الاقتداء لمقتداه، فيقول الله تعالى لمقتداه ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم:40]؛ يعني: أيتها اللطيفة الهادية المهدية سلي عنهم من الكفيل لكم بأن الله يعطي لكم الأحوال السنية، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ [القلم:41]؛ يعني: لهم أرباب غير الله، إن غضب ربكم، أربابكم يشفعون لكم

عنده! ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [القلم:41]؛ يعني: يأتوا بشفعائكم منهم، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ﴾ [القلم:42]؛ يعني: يكشف الغطاء عن شدة، ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:42] السجود؛ لأنهم استكبروا في دار الكسب عن التذلل للرب، والانقياد للطيفة المبلغة والاقتداء بمقتداهم بقوا مطيعين ظهور عن غاية استكبارهم وإبائهم الحق.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43) فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (46) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (47) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (52)﴾ [القلم: 43 - 52].

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [القلم:43]؛ أي: ذليلة مهينة ينظرون إلى وجوههم المظلمة المكدرة و[أنوفهم] المسوَّدة، ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم:43]؛ يعني: يغشاهم ذل الندامة، وغضبة الحسرة، وهوان الفضيحة، ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم:43]؛ يعني: في دار الكسب عند سلامة استعداداتهم يدعون إلى طاعة الحق، وتذليل النفس بالانقياد لأمر اللطيفة المرسلة إليهم أبوا وطغوا وعتوا، وكذبوا اللطيفة المبلغة ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ [القلم:44]؛ يعني: دعني ومن يكذب بالوارد ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم:44]؛ أي: يمهلهم قليلاً في رزق مكاشفاتهم النفسية ليزدادوا في إنكار اللطيفة، ويفتروا ببعض الكرامات التي هي عين المكر مما يقدر العدو على إتيان مثلها مثل المرور على الماء، والطيران في الهواء، والإسراف على الخواطر حتى يظن أنه عند الله من المكرمين، وينكر المقتدى فيأخذهم بغتة، وينزع منهم الآيات والأدوات، ويكشف عليهم أحوال زرعهم وحرثهم فصاروا عارفين بالمقتدى متحرين على فوات الوقت وضياع الاستعداد معذبين أبد الآباد، ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:45]؛ يعني: مهلتي في تلك المكاشفات والكرامات كان من كيد المتين القوي، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [القلم:46]؛ يعني: اللطيفة المبلغة

يسأل عن إبلاغها الأحكام أجرًا يثقل عليهم ولم يطيعون، ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [القلم:47]؛ يعني: أم عندهم كتب الغيب فهم يكتبون منها.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [القلم:48] أيتها اللطيفة المبلغة؛ يعني: اصبري على أذاهم وتكذيبهم لكن ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم:48]؛ يعني: لا تكن ضجرًا ولا تستعجل بالدعاء على قواك قبل نزع الآلات والأدوات عنها فربما يهتدون إلى طريق الحق، ويتوبون إلى الله ويتركون الغفلة، والكظم من أشرف الأخلاق، والصبر على الكظم أمر الدواء وأنفع لداء الحادث من الغيب والضجر.

﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [القلم:49]؛ يعني: لولا أن أدركته الداخلة في النون ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾[القلم:49]؛ أي: طرح بالفضاء في جوف الحوت بالولاية الحيوانية النباتية وكان محرومًا من نعمة النبوة النونية، ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم:49] يذم ويلام بنزوله وبانحطاطه من مرتبة النبوية والولاية، وهذا سالك دعا على أممه على سبيل الضجارة بالعجلة وقت عروجه على معارج قلبه، ثم أخذ منه آلات الترقي بدعائه على أممه وطرح في جوف حوت الصدر فبقي فيه بحيث لا تزيد مرتبته ولا يترقى من حاله، وهذه حسرة عظيمة للسالك ولو ألهم في قلب السالك أنك وصلت إلى سدرة المنتهى منتهيك وأعطيت درجات جميع المقربين وليس لك الترقي بعد هذه المرتبة ينبغي أن يعري نفسه بنزع الآلات والأدوات عنها ووقوفها في مرتبتها؛ لأن المراتب الإنسانية والدرجات النفسانية غير منتهية إذا دخل السالك في عالم اللاهوت كل ساعة ونفس ولمحة لا يترقى فيها السالك من مقامه فهو مغبون كما قال ﷺ: «من استوى يوماه فهو مغبون كل الغبن»[1]، من رضي بالدون وكل ما سوى الحق فهو دون، فاحذر عن الهمة الدنية وعليك بالهمة العلية، كما قال سلطان العارفين طيفور البسطامي- قُدِّس سرّه - ليحيى بن معاذ الرازي حين سأله عن فضلات وارده الذي ورد عليه ليلة من الليالي وجاءه يحيى ورآه في تلك الحالة فقام وراءه من إقباله إلى السحر وهو على تلك الحالة فلما أفاق والتفت سلم يحيى عليه وقال: أفض ما أفاض الله عليك، فقال: لو أعطاك الله درجات جميع الأنبياء والأولياء

(1) ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (9/ 162).

لا تقنع بها ولا تسكت عن الطلب؛ لأن عنده أكثر منها لا يتناهى أبد الآبدين ودهر الداهرين، ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ [القلم:50]؛ يعني: اصطفاه بنعمة النبوة التي أعطاه إياها، ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم:50]؛ يعني: من اللطيفة المستخلفة عن الأباطيل الصالحة لدعوة الأمم.

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم:51]؛ يعني: إذا أرادوا القوى الحاسدة ليحسدوا بالوارد والذي يرد عليك، ويزلقونك بأعينهم لما عظموا أمرك ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:51] لبعض القوى الجاهلة فاستعذ بالله منهم، وتيقن أنك لست بمجنون، والوارد الذي يرد عليك ما هو إلا ذكر وموعظة وغيرة لقواك، كما يقول الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم:52]، فيا أيها الطالب تفسير بطن القرآن ينبغي أن تطلع أولاً على ظهر القرآن، ويستقيم ظاهرك على أوامره ونواهيه، ثم تشتغل ثانيًا بتطهير باطنك لتفهم بطن القرآن بتعليم الرحمن وإلهام الملك الديان، وتطلع على معرفة حده ثالثًا في عالم الجنان، وتشرف بمشاهدة مطلعه رابعًا من غير ظن وحسبان، وهو المستعان وعليه التكلان، اللهم ثبتنا على متابعة حبيبك سيد الإنس والجان صلى الله على آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الفرقان.

سورة الحاقة

اثنان وخمسون آية وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (١٠)﴾ [الحاقة: 1 - 10].

أيها الغافل عن القيامة السرية اعلم أن قيامته حافة مستحاقة محاقة فيها يقول في كتابه الكريم ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة:1-3]؛ يعني: حقت القيامة الواقعة في السر الذي فيه خوارق الأمور، وحقائقها أن يعتبر بها؛ يعني: مستحاقة الوجود عن الأباطيل، ومحاقة الوجود الحادث بحيث لا يبقى إلا الوجود الحقيقي في الوجود المطلع، وفي أثر هذه القيامة قال أستاذ الطريقة الجنيد البغدادي قُدِّس سرّه: ليس في الوجود إلا الله الحاقة الأولى هي المستحاقة، والثاني نية هي المحاقة، والثالثة هي الحاقة التي تحق حقوقها وتظهر الحقائق المودعة في جميع القوى والمفردات واللطائف، ولم يطلع أحد عليها إلا بعد الوصول إليها، ومطالعتها عيانًا، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: 4]؛ يعني: كذبت قوى اللطيفة القارعة؛ يعني: كذبت قوى اللطيفة القالبية والنفسية العادية المتعدية المكذبة لطائفها المنذرة لها بالقارعة، وهو قيامة القلب حتى نزل لهم العذاب الذي هو علامة القارعة في الدنيا.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ﴾ [الحاقة:5]؛ يعني: قومه وقوى اللطيفة القالبية، ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة:5]؛ أي: بطغيانهم هلكوا حين سلط الله عليهم عين طاغيتهم من كدورات تراب قالبهم، والأخلاق نشأت من خواص التراب مثل الكبارة والجهل والمذلة وأمثالها ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة:6]؛ يعني: سلط الله عليهم حين عتوهم الحاصل من ريح قالبهم المكدرة بظلمات الحظوظ الهودية، والأخلاق التي ظهرت

منها مثل الإباء عن الحق والاستنكاف عن قبول الحق ومتابعة الهوى.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾ [الحاقة:7]؛ يعني: سلط الريح عليهم سبع ليال حاصلة من ظلمات ما افترقت لسبعة أغصانهم مما زين لهم الشهوات من النساء والبنين، والذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام والحرث اللاتي هن متاع الحياة الدنيا، وبها يقدر الشيطان أن يزين الدنيا في عيون ابن آدم، وفي وجودك أشار إلى النساء بالقوة القابلة، والبنين بالقوة المتولدة والخواطر التي نتجت من القوى القابلة، والذهب والفضة بالاستعدادات المعدنية القالبية، والخيل المسومة والأنعام والحرث بالاستعدادات الحيوانية والنباتية والنفسية، وثمانية أيام ظاهرة من ثمان صفات التي وهبها الله تعالى لبني آدم ليطيع بها الحق ويستعملها في معرفة الحق؛ وهي الحياة، والسمع، والبصر، والكلام، والعلم، والإرادة، والقدرة، والحكمة، فاستعملها في معرفة الحياة وهي الحياة في الباطل والحظوظ، وبالغ في النكران والكفران فبريح ظنونهم الباطلة العاتية أهلكم الله في سبع ليال مظلمة حاصلة من استعمال سبعة أغصانهم في طلب الباطل، وثمانية أيام مكدرة بدخان الهوى من استعمال ثمان صفاتهم من متابعة الهوى ومخالفة المولى، ﴿حُسُوماً﴾ [الحاقة:7]؛ أي: متتابعة؛ لأنهم بهذه الأعضاء والصفات تتابعوا في معصية الله تعالى وكانوا غافلين عن ذكر الله، ولا يذكرونه لا كثيرًا ولا قليلاً، ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[الحاقة:7]؛ يعني: في تلك الليالي والأيام ترى وجودهم الحاصل من حظوظ الباطل [ساقط] لكل مثل ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:7]؛ أي: ساقط من شدة الريح مما لا يكون أصله محكمًا؛ يعني: وجودهم وجود إنسان ولأصل هذا شبهت بالنخلة ولكن ما كانت نخلة، وجودهم أصيلاً عريقًا في أرض الإيمان ﴿اجْتُثَّتْ﴾ [إبراهيم:26] قوة الأرض ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم:26] فقلعتها ريح ظنونهم الكاذبة بالحق العاتية للحق عن أصلها خاوية خالية الأجواف عن الحق.

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:8]؛ يعني: ترى اليوم من تلك القوى والخواطر أثرًا ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ [يونس:24] ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة:9]؛ يعني: اللطيفة القالبية الغير المستخلصة عن الأباطيل في الوجود الحادث وقواها الخاطئة المؤتفكة، ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ [الحاقة:10]؛ أي: عصوا

اللطيفة المطهرة المرسلة إليهم، ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة:10]؛ أي: زائدة على عذاب من قبلهم؛ لأن ماء وجودهم طغى الحق، وحصل لهم من ماء وجودهم محبة الدنيا، وشرب وجودهم ماء محبة الدنيوية، بحيث [كان] الشبع في وجودهم مجاري الشيطان، ويدخل في عروقهم لاتساع مجاريهم، وظهر لهم من ماء وجودهم أخلاق كريهة مثل طول الأمل والأماني الباطلة، واستسقاء الحرص والكسالة في الطاعة وأمثالها يسلطها الله عليهم.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة: 11 - 19].

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾(1) [الحاقة:11]؛ يعني: في زمن نوح إذا طغى ماء وجودهم فطغى الماء وسلط عليهم حملناكم في سفينة السكينة عند تلاطم البحر الطاغي الوجود، ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ [الحاقة:12]؛ أي: عظة وعبرة؛ لئلا يشتغلوا بعد الأخلاق الحاصلة من الماء الطاغي، ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾(2) [الحاقة:12]؛ يعني:

(1) الإشارة فيه أنه لما أوجد الله الأرواح قبل الكون أتى بها شط قاموس كشف ذاته وصفاته، فشربت الأرواح زلال أنهار القربة، وشراب الوصلة، وسمعت خطاب الألوهية، وسكرت من حلاوة الجمال والجلال، وهاجت إلى لججها، وكادت تستغرق وتفنى فيها حين علا عليها أمواج سطوات العزة، ولطمات العظمة حملها الله هناك بعض العناية لتجري بها من الآزال إلى الآباد، ومن الآباد إلى الآزال، فلما دار دور الدهر الدّهار وجرى جري الفلك الدوّار وخلق الكون جعل لها سفينة صورة آدم، وحمل بها الأرواح الغيبية الملكوتية، فتجري بها إلى معادنها الأولية.

قال القاسم: الأجسام لم تكن، والأرواح لا تحمل الجاري، وإنما هو جريان الحق بشرط الاتسام إذا عاينت الروح هذه المقامات عرفت سره. قال الواسطي: أحد شقي آدم، وأخرج منه الذرية. قال: حملناكم بشواهدنا، وأجرينا لكم الأوقات على مقاديرنا. وقال الأستاذ: ذلك منبّه على خواص أوليائه أن يسلمهم في سفينة العافية، والكون يتلاطم أمواج بحار أشغالها على اختلاف أوصافها، وهم بوصف السلامة لا منازعة مع كل واحد، ولا محاسبة مع أحد، ولا توقع من أحد، سالمون من الناس، والناس منهم سالمون. [العرائس].

(2) أي حافظة لما جاء من عند الله. وقيل أذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل أذن فتكون

-

لتحفظها وتبلغها إلى من بعدها؛ لئلا يطغوا ربهم، ولا يعصوا للطيفة المرسلة إليهم؛ لئلا يعذبوا بالماء الطاغي فما فعلتم بل نسيتموها، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [الأعراف:136] بطغيانهم اللطيفة المرسلة إليهم المذكرة لهم.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْـجِبَالُ﴾ [الحاقة:13-14]؛ يعني: إذا نفخ نفخ الذِّكر اللساني القالبي رفعت الأرض البشرية والجبال المعدنية من أماكنها، ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة:14]؛ أي: كسرتا حتى صارتا ﴿هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾ [الواقعة:6]، ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة:15]، والواقعة قيامة الروح، كما أن الحاقة قيامة السر، والساعة قيامة القلب، ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة:16]؛ أي: ضعيفة مع صلابتها من شدة نفخ الذكر.

﴿وَالْـمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ [الحاقة:17]؛ يعني: القوى على أقطار السماء متحيزين مترصدين مراقبين إشارة الرب تعالى، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:17]؛ يعني: يحمل حقيقة العرش الروحاني حقائق الصفات الثمانية فوق القوى القلبية، والذي جاء في الحديث أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخر؛ هي أربعة حروف سوادية التي الآن حافظة صورة عرش كلمة الله، فإذا جاءت القيامة أيدهم الله بأربعة حروف بياضية ليحفظ حقيقة عرش كلمة الله في تلك الساعة؛ ولهذا السر تبقى النفوس المتألمة والمتنعمة في العقبى خالدات، وحقيقتها تتعلق بحد القرآن، فاختصرت على هذا الذي بينت لك مما لم يبينه قبلي أحد قط، واغتنم بهذا البيان، واشتغل بالسلوك في الطريقة المستقيمة المسلوكة بالأقدام الثابتة على الصراط المستقيم، وهو متابعة نبيه الكريم صاحب الخلق العظيم ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان الثابتين على الدين القويم، وهم الذين جمعوا بين ظاهر القرآن وباطنه، وآمنوا بمحكمه ومتشابهة، ومما أوّلوه من عند أنفسهم برأيهم العليل وعلمهم القليل ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ [الحاقة:18] الأعمال والخواطر على الله الخبير اللطيف، ﴿لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:18]؛ أي: لا يمكن

-

عظة وعبرة لمن يأتي بعد والمراد صاحب الأذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة. تفسير الخازن (6/ ص 153).

إخفاء خاطر خفي لا شهادة القوى الباطنة والجوارح الظاهرة على أعمال صاحبها وأفكاره.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة:19]؛ وهم أصحاب اليمين أهل اليمن والبركة ممن صدقوا اللطائف المرسلة إليهم، وآمنوا بالله واليوم الآخر يقول لهم تعالى: خذوا كتابكم واقرءوا ما في صحيفتكم يقولون فرحين:

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: 20 - 29].

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ [الحاقة:20]؛ أي: أيقنت ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:20]؛ أي: حسابي في الآخرة، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة:21-22]؛ يعني: المؤمن الموقن بيوم الحساب والجزاء يكون في ذلك؛ أي: في حالة مرضية في جنة القلب.

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:23]؛ يعني: يسهل عليه اقتطاف ثمرات المعارف من شجرة وجودهم يقال في جنة القلب: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:24]؛ يعني: أخلاقهم الحميدة الطيبة يقول لهم: كلوا من طعام الذكر، واشربوا من شراب المحبة، واقطفوا من ثمار المعرفة، هنيئًا لكم بما جاهدتم في الله، وصبرتم على ترك اللذات العاجلة والشهوات الفانية لذتها في الأيام الماضية الدنيوية الغير ثابتة، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة:25] لاعوجاجه في طريق الحق والبغاية من قبلة التوجه إلى جانب الهوى وإقباله على الدنيا، ﴿فَيَقُولُ﴾ [الحاقة:25] صاحب الكتاب ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة:25] سيتمنى إن لم يفقه كتابه المملوء من قبائح أعماله وفواسد أفكاره.

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:26]؛ يعني: يا ليتني كنت ترابًا بحيث لا أقدر أن أقرأ كتابي، وفي هذا المقام يتمنى ألّا يكون له إدراك كما كان قبل دخوله في الطور الإنساني، ولا ينفع له التمني ولم يزد له إلا عذابًا، ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة:27]؛ يعني: يتمنى أن يكون منه في القالب فلا يبعث من قبر القالب فيكون موتى ما كان علم بهذا

اليوم، ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ [الحاقة:28]، ما ينفعني الاستعداد الذي حصل في مملكة وجودي، وهذا عذاب يختص بالمجاهدين السالكين الذين سلكوا الطريق من غير إرشاد المرشدين المتصل إرشاده بالنبي الهادي عليه السلام؛ يعني: سلك الطريق برأيه وعقله وفكره وحديثه لا من إلهام رباني ووارد رحماني، يتمنى صاحبه أنه كان ميتًا في قالبه قبل اشتغاله بالسلوك ورفعه بعض الحجب بكثرة مجاهدته، كما أن العوام [مبعدين] عن إدراك هذه الآلام مشتغلين بهوى أنفسهم لكثافة حجبهم الظلمانية القالبية والنفسية.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة:29]؛ يعني: ما بقيت لي حجة ونزع عني استعدادي الذي يمكن به أن أحاج، وشهدت علي جوارحي وقواي بأعمالي وأفكاري فلا برهان لي ولا سلطان لي ولا نصير لي ولا ظهير لي، يقول تعالى لخزنة جهنم التي رباها وقواها في دار الكسب:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢)﴾ [الحاقة: 30 - 42].

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة:30] بالتجلي الذي أنقل صورته ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: 30]؛ يعني: جحيم نفسه [وأغلاله] ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:31-32]؛ أي: خذوه بالقوة التي رباها في دنياه فغلوه بالبخل الذي أنقل صورته، ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة:31]؛ يعني: جحيم نفسه التي اشتعل فيها نيران الحقد والحسد والكبر والبغض، ثم في سلسلة أمانيه وأماليه المسلسلة بعضها ببعض إلى الآن، ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً﴾ [الحاقة:32]؛ وهي إشارة إلى أنها الحجبات الحاصلة من استعمال أغصانها السبعة في الحواس العشرة الظاهرة والباطنة على وفق هواه في جميع دنياه، والاشتغال بما اشتهاه، ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:32] فما دخلوه أبد الآباد؛ لأنه كفر بالله الأزلي الأبدي، وأشرك بصفاته الأزلية الأبدية حين استعمل صفاته المعطية له لأجل أن يعرف بها الحق من الباطل الحاصل منه النكرة.

﴿إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة:33-34]؛ يعني: لا يصدق اللطيفة المبلغة بوجود الباري؛ ولا يطعم خاطر السكينة طعام ذكر الله الذي خلقه، ولا يأمر القوى النفسية أن يطعمون الخواطر النازلة إليهم من السكينة، ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ [الحاقة:35]؛ أي: قريب شفيع له وصديق ينفعه.

﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة:36]؛ يعني: ليس له طعام في هذا المقام إلا غسالة فرحته التي [هي] فرحت وجوده بالأخلاق الردية والأوصاف الرذيلة في دار الكسب، ﴿لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة:37]؛ لأنهم أخطئوا رميهم بسهام استعدادهم ففرحوا بتلك السهام التي أعطيناهم؛ ليروا بها العدو وجودهم المدرك الذي حصل من امتزاج المفردات العلوية والسفلية الباقي بعد خراب البدن المجعول أبد الآباد، ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة:38-39]؛ أي: أقسم بها تبصرون من قدرتي ونفاذ مشيئتي وإظهار لطفي وقهري، ﴿وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة:39] من حكمتي في إيلام بعض المظاهر وإنعام بعضها.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:40]؛ يعني: إن هذا الوارد الذي يتلو عليكم اللطيفة الخفية وتقول لكم معناه ما تقول من عندها، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: 41]؛ يعني: ما تلقفته بفكرها وما نظمته بحسن طبعها، ﴿قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: 41]؛ يعني: لا تؤمن القوى القالبية المكذبة المكدرة باللطيفة المبلغة أصلاً، ﴿وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ [الحاقة:42]؛ يعني: لا بقول من إلقاء الشيطان، ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: 42]؛ يعني: القوى النفسية المعاندة لا تذكر أصلاً أن اللطيفة كانت معنا من قبل ورود الوارد، وما قالت معنا شيئًا من هذا وما أمرتنا لاتباع لها وقت الطفولية إلى وقت البلوغ، فالذي تقول في هذا الوقت كون من عند غيرها لا من عندها ينبغي أن يقول في أول حال صاحبناها.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (43) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (48) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (49) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (50) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (52)﴾ [الحاقة: 43 - 52].

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة:43]، يعني: إنه تنزيل من رب العالمين يتلوه

رسول الرسل الكريم، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة:44]؛ أي: لو اختلف في نفسه بعض ما قال؛ أي: لو اختلف من نفسه بعض ما قال، ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة:45]؛ أي: أخذنا قوله عليه بقوة المجادلة والمباحثة، ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة:46]؛ يعني: لقطعنا حجته التي يحاج بها معنا من ظهر قلبه، ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة:47]؛ يعني: من القوى القالبية والنفسية لا يكونوا مانعين إن كنا نقطع حجته التي يحاج اللطيفة بها معنا من عند نفسه وظهر قلبه.

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ﴾ [الحاقة:48] وموعظة وعبرة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة:48] الذين اتقوا خواطر النفس الأمارة، واتقوا متاع الدنيا التي هي آلة تزيين الشيطان، ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ [الحاقة:49]؛ لأنَّا خلقناهم بظاهر القهر، وجعلناهم على التكذيب والكفران، ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الحاقة:50]؛ يعني: إن تضييعهم هذا الاستعداد الذي أعطيناهم ليكونوا مظاهر صفتنا؛ إذا عرفوا يوم القيامة يكون حسرة عليهم لتضييعهم الاستعداد واستعمال في الباطل ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة:51]؛ يعني: وقوع القيامة والمحاسبة والمجازاة وورود الوارد لحق اليقين على الواصل.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة:52]؛ يعني: بعد وصولك إلى هذه الحالة فنزه باسم ربك العظيم، وهو الله مجازي ذكره الكريم، واشتغل بالذكر الخفي في هذا المقام بتنزيهك مجازي الذكر، وتنزيهك مجازي الذكر فقدان وجودك بوجدان وجودك الحق؛ لتصل إلى حقيقة حق اليقين إن شاء الله رب العالمين.

اللهم أذقنا حلاوة حقيقة اليقين بحق محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

سورة المعارج

مكية وهي أربعة وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [المعارج: 1 - 10].

أيها السائل عن العذاب الواقع الذي ليس له دافع غير الذكر الواقع قدر صاحبه في العروج النافع له في الرجوع القاطع برهانه الساطع نوره اللامع أما تقرأ سورة المعارج؛ لتفهم من ظاهر تفسيرها كيفية عروجك إلى بارئك، ومن باطن تفسيرها حقيقة رجوعك إلى ربك، وهو قال لحبيبه ﷺ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج:1-3]؛ يعني: حضرة الله معارج جميع اللطائف لطيفة.

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1] [المعارج:4]، ولطيفة تعرج إليه في يوم كان مقداره سبعمائة ألف سنة، ولطيفة تعرج إليه في يوم كان مقداره ثلاثمائة ألف سنة وستين ألف سنة، ولطيفة تعرج إليه في يوم كان مقداره سبعين ألف سنة، ولطيفة تعرج إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ولطيفة تعرج إليه في يوم كان مقداره ستة آلاف سنة، ولطيفة تعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة، ولطيفة تعرج إليه في يوم كان مقداره أقل من لمحة، وهذه اللطيفة الأنانية الكاملة المستحقة للمرآتية

---

(1) قال البقلي: افهم أن للملائكة والروح مقاماتٌ معلومةٌ في عالم الملكوت، فإذا عرجت الملائكة من مسقط الأمر إلى مصعد المعلوم يكون بيوم كان مقداره عندنا خمسين ألف سنةٍ، وهم يعرجون بأقل ساعة، وليس للحق مكان ومنتهى، إن الخلق يعرجون بل إن ظهور عزته وجلاله في كل ذرة عيان، فإذا رفعت القرب والبعد من حيث المسافة وأدرجت الأوهام لم يكن بين الحق وبين الروح وصول الخلق بأقل طرفة، فإن الموصول منه وهي قريب غير بعيد. قال سهل: تعرج الملائكة بأعمال بني آدم إلى الله، والروح إليها ناظر في ذلك المشهد.

وإفشاء سر معارجها ومدتها المقدرة من حد القرآن مما لا يحل إفشاؤها.

﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ [المعارج:4]؛ يعني: القوى الروحانية والروح الأسنية إليه، إلى حضرة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؛ لأنهم ما كسبوا من أرض البشرية استعدادًا وقوة فأما المدبرات الأمرية التي أنزلها الله من السماوات إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة؛ ولأجل هذا السر قال الشيخ الصمداني أبو الحسن الخرقاني قدس سره: إني صعدت ظهيرة للطوف بالعرش فرأيت جماعة يطوفون بالعرش طوافًا لا يعجبني لبرودتهم وسكونتهم؛ فطفت بالعرش ألف طوفة وما أتموا طوفةً واحدةً فسألتهم من أنتم؟ وما هذه البرودة في طوافكم؟ قالوا: نحن الملائكة، وهذا طبعنا لا يمكن أن نتجاوز عما جبلنا الله عليه، فسألوني من أنت؟ وما هذه السرعة؟ قلت: أنا ابن آدم وهذه السرعة نتيجة طبع النار التي ركدت فينا.

﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾ [المعارج:5]، أيتها اللطيفة الخفية على استهزاء السائلين عن العذاب الواقع للمكذبين لك ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً﴾ [المعارج:6]؛ يعني: يرون العذاب بعيدًا لحجابهم وغطائهم ﴿وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ [المعارج:7]؛ لأن العذاب محيط بهم، بل صار وجودهم عين العذاب بما كسبوا من النار والحطب في دار الكسب؛ فاصبر حتى تشتعل نارهم ويحترق بنارهم حطبهم ويكشف غطاؤهم؛ ليصيروا بالعذاب ويتضرعوا، ويقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً﴾ [السجدة:12]، فيقول لهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة:20]، ولو أراد والتكرار لقوله لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:108].

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج:8]؛ يعني: سماء الصدر كغلي الزيت إذا أذيبت من شدة اشتعال نيرانهم، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج:9]؛ يعني: جبال القوة المعدنية القالبية: كالصوف المنقوش عند هبوب ريح هوائهم، ﴿وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ [المعارج:10] من شدة العذاب، ولا يقدرون من شدة عذاب أنفسهم أن يسألوا عن أحوالهم.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ

فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المعارج: 11 - 25].

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [المعارج:11] أي بجميع خواطره الشهواتية، ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ [المعارج:12]؛ أي: بقالبه وأخيه ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ [المعارج:13]؛ أي: بقوى نفسانية قريبة إليه، ﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [المعارج:14]؛ أي: بجميع القوى الحاصلة في الأرض البشرية، ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج:14] من ذلك العذاب بفانٍ؛ يعني: تتمنى اللطيفة النفسية المكدرة الملطخة المكذبة المستهزئة عند نزول العذاب، ونزع الآلات والأدوات عنها أن تفتدي بجميع مالها؛ لتتخلص من ذلك العذاب، ﴿كَلَّا﴾ [المعارج:15]؛ أي: حقًا لا يمكن بها النجاة عند اشتعال نيرانها في دار الكسب، وجمع حطبها الباقي أبد الدهر، والانتزاع منها؛ لأن الكسب ﴿إِنَّهَا لَظَى﴾ [المعارج:15]؛ يعني: النار التي أوقدتها في جهنم قالبًا ذات لظى ولهب أبدية دائمة ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾ [المعارج:16]؛ يعني: تلك النار حال كونها ينزع الجلد واللحم من العظم، ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج:17]؛ يعني: النار التي أوقدتها تدعو صاحبها وموقدها الذي أدبر عن الحق وتولى عن اللطيفة المنذرة الداعية بها إلى الجلد، ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج:18]، أي: أجمعت القوى والاستعداد في مخالفة الحق، فأوعيها وحفظها؛ ليكون معينها على استيفاء الشهوات عنه الهوائية ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ [المعارج:19]؛ يعني: حريصًا على ما منع منه، ضجورًا جزوعًا عند منع الشهوات عنه، غير صابر على الرياضة والمجاهدة ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً﴾ [المعارج:20] يجزع إلى الخلق، ولا يرجع إلى الخالق بالتسليم والرضاء ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾ [المعارج:21]؛ يعني: لا يعطي حقوق القوى العلوية من خير أعطى الله القوى السفلية ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾(1) [المعارج:22-23]؛ يعني طبيعة

(1) اعلم أن دوام الصلاة لا يمكن بالصورة؛ بل بالمعنى؛ وذلك أن مَن سَجد قلبه لله تعالى سجدةً حقيقيةً، وخضع خضوعًا تامًا؛ فإن عبادته لله تعالى مستمرة سواء كان على اليقظة، أو على النوم؛ لأن النوم إنما

الإنسان هكذا إن الإنسان يتوجه إلى الله على سبيل الدوام.

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج:24-25]؛ يعني: القوى السفلية التي توزن حق السائل من القوى العلوية الغريبة النازلة في مساكنهم من استعداداتهم، الحاصلة في مملكة القالب والمحروم الذي كان محرومًا من طعامه فرضي، وهو الذكر وهو القوة القلبية؛ لأن قوتها سند الذكر.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المعارج: 26 - 33].

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾(1) [المعارج:26]؛ يعني: يوم الجزاء بعد يوم الكسب، ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المعارج:27]؛ يعني: يخالفون قهريته ويرجون لطفه ويعلمون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج:28]، إلا من رحم الله بلطفه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المعارج:29]؛ يعني: حافظون قوة شهوتهم ﴿إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ [المعارج:30]؛ يعني: إلا على ما جعل الله لهم فيه حقًا؛ ليكون بذل ما بتجلي عن وجودهم ويبقى به وتبقى به قوتهم لطاعته، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المعارج:30]؛ يعني: فوق الحظ الذي إن لم يكن هو يستحلل الحق ويزوج صاحبه بعد

يجري على صورته لا على قلبه، كما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «ينام عيناي ولا ينام قلبي»، فإذا كان قلب الرجل يقظانًا، سرى ذلك في جميع أجزائه وقواه؛ فإن القلب أصل القوى والجسد، فإذا صلح؛ صلح القوى والجسد كلها، كما أنه إذا فسد؛ فسد القوى والجسد كلها.

(1) قال حقي في تفسيره (6/ 120) أي: بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة الأخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء فمجرد التصديق بالجنان واللسان وإن كان ينجي من الخلود في النار لكن لا يؤدي إلى أن يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين بالأحوال المذكورة قال القاشاني والذين يصدقون من أهل اليقين البرهاني أو الاعتقاد الإيماني بأحوال الآخرة والمعاد وهم أرباب القلوب المتوسطون.

أيام إلى الموت.

﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المعارج:30] باستعمالهم القوة الشهوية في استيفاء الحق أو الحظ الذي يكون الحق أنه دائمًا لله تعالى لا لهوى أنفسهم ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ [المعارج:31]؛ يعني: من يستعمل القوة الشهوية؛ لاستيفاء حظوظه العاجلة على وفق هواه وخلاف رضا مولاه؛ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المعارج:31]؛ أي: المجاوزون عن الحسد الظالمون على أنفسهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج:32]؛ يعني: يحافظون على أمانات الحواس الظاهرة والباطنة، لا ينظرون إلا بالحق ولا يسمعون إلا للحق ولا يتكلمون إلا بالحق ولا يتفكرون إلا في آيات الحق، وبعبارة أخرى: لا يفشون أسرار الحق وهم الأمناء من الخواطر.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج:33]؛ يعني: لا يكتمون الشهادة التي تطلب منهم اللطيفة الخفية في استعمال القوى النفسانية القوى الشهوية بغير الحق

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [المعارج: 34 - 39].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج:34]؛ يعني: الذين هم يراقبون الأوقات التي فيها مأذنون بالتوجه إلى الحضرة الصمدية، ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج:35]؛ يعني: أولئك آمنون من العذاب، مكرمون في جنات القلب، ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ [المعارج:36]؛ يعني: ما بال القوى الكافرة المستهزئة حين تريد أن تبلغ حكم الوارد مسرعين إليك؛ ليسمعوا أحكام الوارد أحوال الغيب ويستهزئوا ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج:37]؛ أي: جماعات متفرقين حولك، يسمعون كلامك وأخبارك عن حكم الوارد، يكذبون بالقلب، ويستهزئون به إذا تفرقوا من مجلسك ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:15].

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج:38] بأنهم يجيئون بالصورة عندك ويجلسون معك نفاقًا ورياءً وسمعةً، أن يدخل جنة القلب ﴿كَلَّا﴾؛ أي:

لا يدخل جنة نعيم حتى يطهر قلبه من النفاق، ويصدقك وحظ السالك من هذه الآية أن يجتهد في الخلوة عند غلبة الذكر، ولمعان الأنوار لا تغتر بها نفسه يمنع صاحبه عن الاجتهاد والمبالغة في الذكر؛ لشؤمه من هذه الحالة، ولو اغتر بها لمنع عن الدخول في جنة القلب.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾ [المعارج: 40 - 44].

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج:39]؛ يعني: من نطفة ثم نربيها طورًا فطورًا؛ حتى صارت ذاكرة فينبغي ألّا ينسى أزل حاله، ولا يغش بما فيه من نعيم مشاهدة الآيات الآثارية؛ لئلا يحرم عن مشاهدة الآيات العقلية، ولا يغتر بها أيضًا؛ لئلا يحرم عن مشاهدة الصفات، ولا يقنع بها؛ لئلا يحرم عن المعارف الذاتية.

﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْـمَغَارِبِ﴾ [المعارج:40]؛ يعني: أقسم برب مشارق كل نفس نازل من الوجود، ومغارب كل نفس صاعد من الأنفاس النازلة من الوجود، ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ﴾ [المعارج:40-41]؛ يعني: تبدل نفسك خيرًا مما نزل وصعد، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج:41] لا تقدر النفس أن تسبقنا، ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ [المعارج:42]؛ يعني: دع القوى المكذبة يخوضوا مع هواهم في أودية الشكوك، ويلعبوا مع أطفال شهواتهم في زقاق الطبيعة؛ ﴿حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي﴾ [المعارج:42] كانوا ﴿يُوعَدُونَ﴾ [المعارج:42]؛ حتى يشاهدوا ويعاينوا.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً﴾ [المعارج:43]؛ يعني: من قبور قوالبهم مسرعين مجيبين الداعي مجبورين في الإجابة ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾[المعارج:43]؛ يعني: إلى ضالتهم يسرعون ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [المعارج:44]؛ أي: ذليلة خاضعة مهينة ملتفتة يمينًا وشمالاً طالبة مغيثًا ومعينًا، ولا تجد مفرًا ولا مهربًا ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [المعارج:44]؛ أي: يغشاهم هوان فوق هوان؛ لتكذيبهم اللطيفة واستهزائهم بالوارد.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج:44]، فيا أيها السالك: اعتبر بهذه السورة، واحذر عن تكذيبك الوارد واليوم الموعود ولا تحسب أن الذي عانيته في نفسك

هو اليوم الموعود؛ لئلا يكفر باليوم الموعود العامر، وتيقن أن الذي وجدته في نفسك بالموت الاختياري فكذلك تجده في الموت الاضطراري، ومثل ذلك تجده في اليوم الموعود الكبير العظيم، وإن لم يؤمن بالقيامات الثلاث:

الصغرى: الحاصلة من الموت الاختياري كما قال ﷺ: «**قبل أن تموتوا**»[1].

والوسطى: بالموت الاضطراري كما قال ﷺ: «**من مات فقد قامت قيامته**»[2].

والقيامة الكبرى: وهي القيامة كما نطق به الكتاب والسنة؛ فأنت كافر لا ينفعك الإيمان بإحدى القيامات الثلاث، كما قال الله تعالى: ﴿**نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ**﴾ [النساء:150]، وتيقن أن كل قيامة متأخرة أبين وأكبر من القيامة المقدمة، كما أن الذي يبصره عند طلوع الشمس فيزداد ظهوره إذا طلعت الشمس، والذي يبصره عند طلوع الشمس، فيزداد ظهوره عند استواء الشمس في يوم صبيح.

فهكذا ينبغي أن يعلم القيامة الحاصلة بالموت الاختياري، أنها نموذج مما كان مودعًا في القيامة التي قامت بالموت الاضطراري، وما شاهدت في هذه القيامة هو أنموذج مما كانت مدخرة في القيامة الكبرى الأخيرة، وأنا مؤمن بحمد الله وحسن توفيقه بالقيامات الثلاث كما نطق به الكتاب والسنة. اللهم ثبتني على الإيمان ووفقني لمتابعة حبيبك نبي آخر الزمان ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان صغيرًا وكبيرًا.

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

سورة نوح عليه السلام

مكية

وهي ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ① قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ② أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ③ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ④ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ⑤ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ⑥﴾ [نوح: 1 - 6].

أيتها اللطيفة المستخلصة من كدورات الباطل، المطهرة من قاذورات الطبيعة ادعي أمتك إلى الحق بالحق للحق، وإن أبوا فادعي لهم ولا تدعي عليهم إنا أرسلناك في نوبة نبوة من كان بأمته رءوفًا رحيمًا ومدحناه على خلقه العظيم؛ لأنه قال مع أمته الطاغية: ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:41]، وما قال: إني برئ منكم، وقال في دعائه إذ أذوه: «اللهم اغفر لهم فإنهم قوم لا يعلمون»[1].

وتفكر في سورة نوح حيث يقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] [نوح:1]، والباقي ﴿أَنذِرْ﴾ مقدّر يعني: أرسلنا اللطيفة

(1) أخرجه ابن حبان (3/ 254، رقم 973)، والطبراني (6/ 120، رقم 5694) قال الهيثمي (6/ 117): رجاله رجال الصحيح. والبيهقي فى شعب الإيمان (2/ 164، رقم 1448). وأخرجه أيضًا: الديلمي (1/ 500، رقم 2042).

(2) أشار بنوح إلى الروح، وذلك من حيث المراتب الأربع التي حصلت للروح من حيث أولية، وآخرية، وظاهرية، وباطنية، فالروح نوح: أي سابق على قومه من القوى الروحانية، والأعضاء الجسمانية، وإذا الفاعل قبل القاتل، وقد أرسله الله إلى قومه؛ فهو المؤثر فيه لا غيره تعالى؛ لأنه لا غير هنالك حتى يكون هو المباشر للإرسال، وكذا كل الإرسالات الواقعة في الدنيا؛ فإنها كلها مضافة إلى الله تعالى، فإن الإرسال إمّا من الشيخ المرشد؛ فذلك مضاف إلى الإلهام الإلهي، وإمّا من الجناب النبوي؛ فذلك مضاف إلى الوحي الربّاني، والكل؛ لكن المظاهر متعددة بحسب المقامات والأطوار، وقد يترقّى السالك في بعض المواطن إلى حيث يأخذ الإذن من الله تعالى بلا واسطة، وذلك لا يلزم منه ترك

النفسية المطهرة إلى قواها ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح:1] من عذاب الطوفان المائية القالبية في الدنيا، ومن عذاب النارية القالبية في العقبى.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ﴾ [نوح:2-3]؛ يعني: اعبدوا خالقكم ومولاكم، ولا تعبدوا هواكم واتقوا من عقوبة الله الواحد القهار ﴿وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم﴾ [نوح:3 - 4]؛ يعني: أطيعوا أمري يغفر لكم ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح:4]؛ أي: من ذنوب سلفت.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: 4]؛ يعني: يحييكم في عافية إلى وقت الأجل المعلوم فإن أجل الله لآتٍ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:185] لا محالة ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح:4] أن الإيمان عند حلول الأجل لا ينفع لصاحبه؛ لأنه ما كسب باستعداد ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ ﴾ [نوح:5-6]؛ يعني: دعوت القوى النفسية حين كنت متجليًا بصفات الجلال والجمال قهرًا ولطفًا فلم يزدهم ﴿دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً﴾ [نوح:6]، ونفارًا مني وإباءً لدعوتي.

﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ [نوح: 7 - 11].

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [نوح:7]؛ يعني: أصابع الغفلة في آذانهم؛ لئلا يسمعون دعائي وإنذاري ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح:7]؛ يعني: ثياب الجهل؛ لئلا يصل إليهم برد تعليمي إياهم ﴿وَأَصَرُّوا﴾ [نوح:7] ظلمًا من غاية ظلام وجودهم وكثافة استعدادهم المكدرة، ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ [نوح:7] بالكبر والكفر ﴿اسْتِكْبَاراً﴾(1) [نوح:7] عن قبول الحق.

الوساطة، فإن ذلك بشفاعة الواسطة، أو باستهلاك الكل في عين الجمع، وليس هناك إلا الله تعالى.

(1) قال ابن عجيبة في البحر المديد (6 / 419): الإشارة: ينبغي للداعي أن يكون على قدم أولي العزم، لا يمل من التذكير والدعاء إلى الله، ويكرر ذلك ليلاً ونهاراً، ولو قُوبل بالرد

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً﴾ [نوح:8]؛ يعني: الآثار الظاهرة والموعظة الحسنة ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ [نوح:9]؛ يعني: أعلمتهم ودللتهم على الأفعال بالمجادلة والمباحثة، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾ [نوح:9]؛ يعني: بينت لهم حقائق الصفات بالحكمة؛ ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ [نوح:10-11]، يرسل بلطفه في سماء صدركم مطر الرحمة؛ لينبت في أراضي بشريتكم نبات المعرفة.

﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح: 12 - 20].

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح:12]؛ يعني: بالاستعدادات الحاملة من المعارف، ونتائج المعرفة مثل التوكل والرضاء، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾ [نوح: 12]؛ يعني: أنهارًا من الأخلاق الحميدة الجارية في وجودكم ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لله وَقَاراً﴾ [نوح:13]؛ يعني: ما لكم لا تعظمون الله الذي هذا الذي ذكرته كان من آثاره وأفعاله وصفاته

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ [نوح:14]؛ يعني: ما لكم من طور المعدن والنبات والحيوان ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ الله سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً﴾ [نوح:15]؛ يعني: بعد إتمام

والإنكار، فلأن يهدي الله به رجلاً واحداً خير له مما طلعت عليه الشمس. وقوله تعالى: (وأصَرُّوا واستكبروا)، قال القشيري: ويقال: لما دام إصرارهُم تولَّدَ منه استكبارُهم، قال تعالى: (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأمد فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) [الحديد: 16]. وقال الورتجبي: مَن أصرَّ على المعصية أورثه التمادي على الضلالة، حتى يرى قبيح أفعاله مستحسناً، فإذا رآه مستحسناً يستكبر، ويعلو على أولياء الله، ولا يقبل بعد ذلك نصحتهم. قال سهل: الإصرار على الذنب يورث الاستكبار، والاستكبار يورث الجهل، والجهل يورث التخطي في الباطل، وذلك يورث قساوة القلب، وهي تورث النفاق، والنفاق يورث الكفر.

الخلق في أطوار المعدن والنبات والحيوان.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [نوح:15]، كيف خلق سبع أطوار القلب ﴿طِبَاقاً﴾ [نوح:15]، وجعل قمر الإرادة في طور من أطواره نورًا يهدي به إلى نور الولاية، وجعل قمر الإرادة في طور من أطواره نورًا يهدي به إلى نور الولاية ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾ [نوح:16]، الولاية في طور من أطواره ﴿سِرَاجاً﴾ [نوح:16]؛ يعني: ليستضيء منها قلوب المريدين، كما يقول: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾ [نوح:16].

﴿وَاللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾ [نوح:17]؛ يعني: في الطور النباتي كنتم من النبات في أرض البشرية فيكم نشور ونماء، حتى ينزل عليكم القوة الحيوانية ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾[نوح:18]؛ أي: في الأرض البشرية وقت الموت الاختياري ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ [نوح: 18] منها عند الإحياء بالحياة الطيبة؛ إذا نزل نطق الذكر من سماء الصدر ويمطر على أرض البشرية ﴿إِخْرَاجاً﴾ [نوح:18] بينًا، ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً﴾ [نوح: 19]؛ أي: من أرض البشرية فراشًا مبسوطًا، ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾ [نوح:20]؛ يعني: لتسلكوا من أرض البشرية المبسوطة سبلاً بكل فج من القوى والطبائع المذكورة فيها؛ ليعرفوا بدائع صنائع الرب.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح: 21 - 25].

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً﴾ [نوح: 21]؛ يعني: ما سمعوا دعوتي وأعرضوا عني وأقبلوا على هواهم الذي لم يزد استعدادهم وخاطرهم ﴿إِلاَّ خَسَاراً﴾ [نوح:21]؛ أي: نقصانًا في دين متبعيه بترك الإيمان، وفي دنياهم بالفناء عن قريب وإبقاء نيران الحسرة في وجودهم ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً﴾ [نوح:22]؛ يعني: حرثوا القوى اللطيفة الداعية لها؛ لتعلموا بالأماني والآمال.

﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ [نوح:23]؛ يعني: هواكم ﴿وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً﴾ [نوح:

23]؛ يعني: مودة الهوى، ﴿وَلاَ سُوَاعاً﴾ [نوح:23]؛ يعني: الساعة التي بينها لكم لتعبدوه فيها، ﴿وَلاَ يَغُوثَ﴾ [نوح:23]؛ يعني: ولا استغاثة ﴿وَيَعُوقَ﴾ [نوح:23]، والقوة الهوائية التي هي عائقة لكم عن ترككم الشهوات، ﴿وَنَسْراً﴾ [نوح:23].

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾ [نوح:24]؛ يعني: القوة الطائرة الهوائية في وجود بني آدم؛ يعني: القوى النفسية الضامرة المستكبرة فتعبدون آلهة هواها وضوء القوى الهوائية، والزمان الذي عين لهم الهوى بعبادتها فهذه أرباب لهم ﴿والهم هواهم﴾؛ يعني: لم يتركوا عبادة آلهتهم وأربابهم، ولا يعبدون رب اللطيفة على الأمم التي هي قواها، أنهم كانوا ظالمين باتخاذ الأرباب والآلهة من دون الله الرب الذي خلقهم ورباهم وأعطاهم الاستعدادات والقوى، ووضع اسم الآلهة على الهوى وهذا من أفحش الظلم؛ لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ [نوح:25] بالطواف المائية القالبية المكدرة الظلمانية في الدنيا؛ ﴿فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللهِ أَنصَاراً﴾[1] [نوح:25]؛ يعني: في النار القالبية المشتعلة من نار الكبر والحسد بعد الطوفان.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: 26 - 28].

---

(1) اعلم ـ رحمك الله ـ أن الله أدخل قوم نوح عليه السلام النار عقب غرقهم في الماء فانتقلوا من الغرق إلى الحرق، فطلبوا النصرة من آلهتهم الذين قالوا في حقهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ [نوح: 23]، فلم يجدوهم، وأضل الله أعمالهم عنهم كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:1]، لأن الأعمال تطلب عاملها كما يطلب الابن أباه، وكما ضلت أعمالهم عنهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:24]، على أولئك المعبودين من أنهم آلهة ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح:25]، أي: لم يجدوا غير الله ناصرًا، فأخبر الله تعالى أن قوم نوح أدخلوا النار، ولا يدخلون النار إلا بعد بعثهم فقدَّم الله بعثهم قبل خراب الدنيا، كما ورد في ذلك في حابسة المرة فحقَّ فيهم قوله ﷺ: «من مات فقد قامت قيامته» فأتتهم ساعتهم بغتة، فكان البحر مأواهم ظاهرًا والنار مأواهم باطنًا، شاهد ذلك قوله ﷺ: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار».

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ [نوح:26]؛ يعني: على أرض البشرية من القوى المستكبرة الآبية الظالمة أحد يدور في فج من فجاجها ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾[نوح:27]؛ يعني: إذا بقي خاطر من خواطر الهوى في الباطن، أو قوة من القوى النفسية الفاجرة يضلوا القوى المؤمنة ويلدوا خواطر هوائية ليضلوا الصورة المسلمة اللائمة وهذا في مبادئ السلوك؛ إذا تنور القلب من الذكر وخرج طوفان ماء القالب من غلبة الذكر تسأل اللطيفة عن الرب، ألا تذر على وجه الأرض أرض البشرية خاطرًا من خواطر الهوى، وتدعو أيضًا لنفسها ولقواها التابعة لها ولروحها ولقالبها ولمن دخل بيت قلبها المغفرة بقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح:28]؛ يعني: رب اغفر لي ولروحي ولقالبي ولقوى قالبي وللقوى المؤمنة النفسية من القوى الفاعلة والقابلة، ﴿وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً﴾[نوح:28]؛ يعني: رمز القوى الظالمة القالبية والنفسية تدميرًا لا انتعاش لها بعد، وأهلكهم هلاكًا، لا ظهور لها بعد فيا أيها السالك: ينبغي أن تعتبر بهذه السورة، ولا تعجل في الدعاء على أمتك؛ بل تدعو لهم وتتبع سنة نبيك الرفيق الشفيق على أمته؛ لأن ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ [الأحزاب: 21].

ولأجل هذا السر أمر المشايخ مريديهم أن يسروا على أنفسهم في الخلوات أبواب الدعوات، لا يسألون الله شيئًا قط؛ لأنهم كأنهم كانوا جاهلين في بداية أمرهم بما سألوا من الله بجهلهم شيئًا إن أجابهم الله، ضيع استعدادهم وهم جاهلون به وقت الدعاء والسؤال؛ فعليك أن تأخذ من ظاهر تفسيرها حظ ظاهرك، وتأخذ من باطن تفسيرها حق باطنك؛ لتكون سنيًا كاملاً ظاهريًا وباطنيًا، اللهم اجعلنا محفوظين بظاهر القرآن وباطنه وحده ومطلعه بمحمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

سورة الجن

مكية

وهي ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (5) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (7)﴾ [الجن: 1 - 7].

أيتها اللطيفة الخفية التالية كلام الحق؛ إذا استمعت منك القوى النفسية القوى المؤمنة الجنية فمدي في تلاوتك، وأحسني في قراءتك وخبري تخبيرًا؛ فافهم إذا رجعوا إلى قومهم يقولون: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن:1-2] فيمكن أن يؤمن بهم كثير من القوى النفسية. ويدعو أمر اللطيفة الخفية لما تسمع ما يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً﴾ [الجن:1-3]؛ يعني: إذا استمعوا الوارد يؤمنون بالله وحده، ويتقون عن الشرك وعن شبهة ثالث الثلاثة كما بينا في سورة التوحيد، ويقولون تعالت قدرة ربنا عن أن يحتاج إلى اتخاذ صاحبة؛ لإيجاد الخلق ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطاً﴾[1] [الجن:4]؛ يعني: اللطيفة النفسية الجاهلة الغير المتخلصة عن الظلمات الحظوظية الباطلة ما على الله عدوانًا وكذبًا.

---

(1) السفه خفة العقل، والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه أشط في السوم إذا أبعد فيه أي يقول قولاً هو في نفسه شطط، وصف بالمصدر للمبالغة. والسفيه إبليس أو غيره من مردة الجن اللذين جاوزوا الحد في طرف النفي إلى أن أفضى إلى التعطيل، أو في طرف الإثبات إلى أن أدى إلى الشريك والصاحبة والولد.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِباً﴾ [الجن:5]؛ لأجل ذلك كنا ملنا إلى اللطيفة الجاهلية، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ﴾ [الجن:6]؛ أي: من القوى القلبية المشتغلة بالتزكية ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن:6]؛ أي: بقوى النفس الأمارة ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ [الجن:6]؛ أي: زاد للقوى الأمارة باستعاذة قوى القالب إليها طغيانًا وكفرًا؛ فينبغي للسالك أن يحترز في أثناء سلوكه بالإصغاء إلى المعاني الغيبية التي من إلقاء القوى الأمارة، ولا يستمد من تلك القوى البتة حتى ينتمي سلوكه، ويصل حضرة الله تعالى ويصير متصرفًا في جميع القوى بأمر الحق؛ ليستعملها فيما يشاء كما يشاء على وفق الإشارة.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ [الجن:7] أيها القوى الكافرة الجنية الخبيثة، ظنوا بالله ظنونًا ما ظنت أيتها القوى الكافرة الأسنية، وهي القوى القالبية الملوثة بأقذار الطبيعة ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً﴾ [الجن:7]؛ يعني: ظننتم أن الله لن يبعث أحدًا منا من قبول القالب.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ [الجن: 8 - 13].

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً﴾ [الجن:8]؛ يعني: خواطر الحق يحرسون بماء الصدر حراسة شديدة وشبهًا؛ يعني: من نجوم خواطر السر والخفى، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً﴾ [الجن:9]؛ فمن يرد منا أن يستمع يصل إليه من رجم الشهاب.

﴿وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ﴾ [الجن:10]؛ يعني: يرجم الشهاب؛ لئلا يسمع من أمر السماء شيئًا ليستفيد بها لا تدري أن الله أراد بمن في الأرض البشرية شرًا ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾ [الجن:10] بحراسة السماء فحظك أيها السالك من هذه السورة أن يبقى وقت ورود الوارد؛ لئلا تسرق منه القوى النفسية، وتلبس فيها المعاني

الخبيثة، ويلقي بها إليك بعد فتور الوارد ظن أنه الوارد بما فيه من معاني الوارد المسترقة، وتلتفت إليه ويسد عليك باب الوارد الأعلى بالتفاتك إلى معاني القوى النفسية، وأكثر من هلك من أهل السلوك من اليونانية والنصرانية الشكمانية بهذه المعاني الملتبسة بالوارد.

لأنهم إذا اشتغلوا بالسلوك، اشتغلوا بربهم غير متشبثين بعروة نبي من الأنبياء ليرشدهم في الغيب، ويطلعهم على الحق والباطل، ويهديهم إلى القوى المستخلصة، ويعرفهم خاصة القوى الملوثة؛ فإذا أصغوا وجودهم بالرياضة قويت القوى النفسية، وصعدت إلى سماء الصدر، واسترقت من المعارف الربانية، ونزلت إلى عالمها، وكملت مع صاحبها فظن صاحبها أنها وارد غيبي ترده من عالم الرب على قلبه واطمأن بها، واستدرج منها حتى صار إمامًا في ملة الشيطان راعيًا للأمم إليه، وهو خليفة خاص الشيطان والحكماء القديمة اليونانية والرهابين المرتاضة بالنصرانية وحكماء الهند الذين أنهم ظنوا الوصول إلى المأمون حين قالوا: إنا ناصر برخانًا، والبرخان بلغتهم: الواصل إلى الرحمن، وهم يقولون في أثناء السلوك، وفي الوصول بالاتحاد.

وها جئنا معهم وألزمناهم بلطف الله وحسن توفيقه ومعونيته حتى أسلموا وآمنوا، ثم بعضهم ارتدوا وماتوا على الكفر بأنهم أقروا بأن الاتحاد باطل؛ فأما الأئمة المهدية الذين اعتصموا بحبل نبي من الأنبياء واشتغلوا بالسلوك، أمنوا من هذه الورطة الوعيرة بأن استحكمت عقدة إرادتهم، ذلك بولاية ذلك النبي حتى دخلت نوبة النبوة المحمدية الناسخة لجميع الأديان لكمال أدرج الله في نبوته، أغلق المسرفون باب سمعهم بالشهاب الثاقب من أوج ولاية رسالته؛ فمن دخل في زمرة متبعيه، واشتغل بالسلوك على وفق إشارته سلم من القوى الخبيثة النفسية وأمن من إلقائها، وينبغي للسالك ألّا يغتر بأنه يقول على اللسان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، بأنه ممن يجوز له السلوك؛ لئلا يغتر بجبة الغرور في شبكة المغرور؛ لأن التشكيك أمر يختص بولاية الرسالة وينبغي أن يكون المسلك حيًا في عالم البشرية؛ ليهديك إلى الصراط المستقيم، ويقرئك الخواطر ومنشأها، والمسلك بعد النبي ﷺ هو إلى الذي كان وصاه بالأسرار، وعلمه كيفية الوصول إلى عالم الأنوار وأصله إلى حضرة الله الواحد القهار، وهو أرشد مريده ووصاه كما وصاه نبيه وعلمه وأوصله إلى الآن معنعنًا متصلًا؛ لتمكن الاستفادة من قلبه وقالبه

صورة ومعنى، ويدفع عن نفسه كيد قطاع الطريق، ويسهل عليه العبور على مكامنهم بقوته وهمته وذكره.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً﴾ [الجن:11]؛ يعني: منا القوى الصالحة المصدقة، ومنا القوى الفاسدة المكذبة لقوانا المتفرقة طرائق مختلفة باختلاف الطبائع المتضادة التي ركزت فينا، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَباً﴾ [الجن:12]؛ يعني: علمنا يقينًا بعد استماع القرآن من اللطيفة التالية أن لن نفوته إن أراد بنا الحق أمرًا في أرض البشرية، ولا نطيق أن نهرب منه إن طلبنا.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ [الجن:13]؛ يعني: الوارد والهدى الذي فيه ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ [الجن:13]، وصدقنا اللطيفة التالية فيما تلت علينا؛ ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْساً وَلاَ رَهَقاً﴾ [الجن:13]؛ يعني: من يصدق الرب، ويؤمن به فلا يخاف بخسًا ورهقًا؛ أي: نقصًا من المعرفة ولا نكرة وظلمة تغشاه بحيث يدين على قلبه.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن: 14 - 19].

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن:14]؛ أي: منا من سلم نفسه إلى ملكه - وهو اللطيفة - تسليمًا حقيقيًا ،ومنا الجائر الذي ظلم على نفسه بترك التسليم لمسلكه واختياره مشتهى وفق هواه؛ ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً﴾ [الجن:14]؛ يعني: من صار مستسلمًا لشيخه وترك اختيار نفسه قصد طريق الحق والرشاد وتوخاه، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن:15] الذين اتبعوا أهواءهم وخالفوا مولاهم وظلموا أنفسهم بمتابعة هواهم والتلذذ بالشهوات العاجلة؛ ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ [الجن:15] أنهم جمعوا حطبًا في دار الكسب، وأوقدوا نيران الكبر والحسد حتى صار وجودهم القالبي حطبًا، وقواهم النفسية نيرانًا فيعذب في دار البوار بتلك الحطب والنار أبدًا.

﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ [الجن:16]؛ يعني: إن كانت

القوى استقامت على طريق العدل والاستقامة في الطريق واجبة لمن أراد وجه الله تعالى ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً﴾(1) [الجن:16] المعرفة كثيرًا؛ يعني: أسقيناهم من ينبوع العلم الكثير الماء، المعرفة كثيرًا؛ يعني: أسقيناهم من ينبوع العلم الكثير، لا من ينبوع العلم القليل، والعلم الكثير هو: اللدني الفائض من رب العلم الجليل، والعلم القليل: هو الذي يحصل من الفكر بالرأي العليل؛ ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن:17] وهذا مقام الابتلاء؛ يعني: نمتحنهم بالعلم اللدني إن أفشوا سره عند الأغيار؛ ﴿يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾ [الجن:17]، وإن ستروه وأدوا حق الأمانة؛ يقربه إلى مقام القربة الزلفى، ويزيده من المعارف الذاتية ما لم يطلع عليه أحد.

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾ [الجن:17]؛ يعني: من يعرض بعد الاطلاع على المعرفة الذاتية عن ذكر ربه عند المسترشدين فوق طاقتهم ﴿يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾ شاقًا على نفسه، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لله فَلاَ تَدْعُوا مَعَ الله أَحَداً﴾ [الجن:18]؛ يعني: مساجد القلوب بنيت في عالم الأنفس لله، فلا تدعو في تلك المساجد مع ذكر الله أحدًا؛ يعني: لا تأذن للخواطر الصادة لك عن ذكر الله في دخولها في قلبك، وأكثر تقرر القلب يكون؛ لأجل أن الذاكر يأذن للخاطر الدخول في أثناء الذكر فاحذر أيها السالك عن الخواطر في الذكر القلبي.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ الله يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾ [الجن:19]؛ يعني: إذا أرادت اللطيفة الخفية أن تقوم في مسجد القلب وتشتغل بذكر الله يجمعون عليه الخواطر المتشعّبة جمعًا؛ ليشوشوها ويبطلون توجهها.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۝٢٠ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي

(1) الإسقاء والسقي بمعنى واحد، وقال الراغب: السقي والسقيا هو أن تعطيه ماء ليشرب والإسقاء أن تجعل له ذلك له حتى يتناوله كيف شاء كما يقال أسقينه نهرا فالإسقاء أبلغ، وغدق من باب علم إذا غزر وصف الماء به للمبالغة في غزارته كرجل عدل وتخصيص الماء الكثير بالذكر لأنه أصل السعة وإن كان أصل المعاش هو أصل الماء لا كثرته ولعزة وجوده بين العرب قال عمر -رضي الله عنهما- أينما كان الماء كان العشب وأينما كان العشب كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة والمعنى لأعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا ووسعنا على الرزق في الدنيا. تفسير حقي (15 / 183).

مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الجن: 20 - 24].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً﴾ [الجن:20]؛ يعني: تتوجه اللطيفة على الحق وتذكره وتقول: لا أشرك به أحدًا، ولا أذكر غيره أحدًا، ولا آذن أن يدخل الخاطر في ذكر الله أبدًا.

﴿قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَراً وَلاَ رَشَداً﴾ [الجن:21]؛ يعني: قل للخواطر المتجمعة عليك: إني لا أملك أن أرفع عنكم ضرًا، ولا أن أسوق إليكم نفعًا ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ﴾ [الأعلى:7] ،وهذا القول في بداية حال السالك، إذا اجتمعت عليه القوى القالبية والنفسية ليستمعوا منه الفوائد وإرادتهم ضد السالك على سلوكه.

فيجب عليه في هذا المقام، أن يدفعهم عن نفسه بهذا الكلام، فأما في النهاية فيرشدهم ويهديهم ويعرفهم أمر الله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ﴾ [الجن:22]، ولن يمنعني من عذابه أحد إن اشتغلت في هذا المقام بغير ذكر يعزز الذكر عن القلب أو القلب عن الذكر ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾ [الجن:22]، الذكر للقلب ملجأ ولا من دون القلب للذكر مسكنًا وملتحدًا.

﴿إِلاَّ بَلاغاً مِّنَ اللهِ وَرِسَالاتِهِ﴾ [الجن:23]؛ يعني: إلا ما أمرني أن أبلغ وأرسل لأجل البلاغ إليكم، لو أشتغل بالإبلاغ والإرسال لا يضرني ذلك الإبلاغ ﴿وَمَن يَعْصِ اللهِ وَرَسُولَهُ﴾ [الجن:23] بعد إرسال الله إليكم رسوله وإبلاغ اللطيفة المرسلة المبلغة أمره إليكم ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً * حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ [الجن:23-24]؛ يعني: يعذبون في مشعلة قلوبهم حتى يبعثوا من قالبهم ويشاهدوا ما ادخر الله لهم؛

﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ [الجن:24] في ذلك الوقت ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً﴾ [الجن: 24]؛ أي: اللطيفة الملونة القالبية والنفسية أضعف ناصرًا لقواهم المتبعة لهواها، أم اللطائف المطهرة لأتباعها من القوى المؤمنة المتابعة لمولاها، أو القوى القالبية والنفسية الفاجرة أقل عددًا، أم القوى القلبية البشرية والروحية والخفية المؤمنة.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: 25 - 28].

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً﴾ [الجن:25]؛ يعني: قل لا أدري إن ذلك قريب أم بعيد ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾[1] [الجن:26]، ربنا وهذا من علوم الغيب، ﴿فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً﴾ [الجن:26]؛ يعني: لا يظهر ربنا ولا يكشف على أحد علم غيبه المخصوص به، ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:27]، يستثني ويقول الله، إلا من يصطفيه بالرسالة فإنه محرم لسره وأمين على وحيه لا ينطق عن الهوى ولا يتكلم، إلا بأمر المولى ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ [الجن:27]؛ يعني: يجعل له حرسًا من خواطر السكينة محرسة ورصدًا من نور الجذبة يرصده؛ لئلا تقدر القوى الخبيثة النفسية على استراق السمع والاطلاع على الوارد القدسي، ويدفعون الشياطين على إلقاء خاطر في نفسه؛ لتتكلم اللطيفة المرسلة به ظنًا بأنه من الوارد؛ ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن:28]؛ يعني: اللطيفة المرسلة أن الخواطر التي جاءت من عند السكينة، أبلغوا

---

(1) قال ابن عجيبة في البحر المديد (2 / 180): عالم الغيب على التحقيق، فرياض الملكوت فائضة من بحر الجبروت، (كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان)، ولا يعرف هذا ذوقًا إلا أهل العيان، الذين وحدوا الله في وجوده، وتخلصوا من الشرك جليه وخفيه.

رسالات ربهم من غير شوب بالخواطر الشيطانية.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾[الجن: 28]؛ ويعني: أحاط علم الله بها عند الرسل من أبراره ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: 28]؛ يعني: أحصى نعمه ومعارفه التي أنعم على اللطيفة، وعدها عددًا تذكره اللطيفة، واشتغل بأداء شكره، ولا يمكن لأحد أن يشكر ربه حق شكره أبد الآباد؛ لاعتراف من إذا حق شكره، فإن اعترافه بالعجز عن أداء حق شكره غاية شكر لربه، اللهم اجعلنا عارفين نعمك معترفين بالعجز عن أداء حق شكرك بمحمد ﷺ.

سورة المزمل

مكية وهي عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾ [المزمل: 1 - 12].

يا أيها المتأمل في إبلاغ الوارد، والمزمل بكساء النفس عند هبوب رياح اللطيف البارد حرارة نيران النشوة الشارد لذة الرقاد عن العين الطارد جند الشهوات عن الباطن، وغماء لأنف الشيطان الماردة تفكر في سورة المزمل حيث قال الله تعالى لحبيبه ﷺ ونعظيمًا له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المزمل: 1-4]؛ يعني: أيها المتلفف بكساء النفس عند وجدان برودة الوارد قم في غلبة أنوار الجلال للتقرب إلى الله الملك المتعال، والتوجه بالكلية إليه خاصة في تلك الحالة إلى أن يطلع صبح الجمال من أفق الصدر، وإن غلب عليك الملال وعلى جوارحك الكلال فاسترح قليلاً نصفه أو ثلثه أو ثلثين.

واعلم أن الله لا يمل حتى تملوا فتقرب إليه بالنشاط ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل:4]؛ يعني: تثبت فيه تثبيتًا، وتدبر في قصصه تدبيرًا، وتفكر في أوامره ونواهيه تفكرًا تامًا والتقط من در حكمته سلامًا، وتلذذ بأذيال رحمة الله عند قراءتك آية الرحمن بمطالعتك آيات ألطاف البر التواب، وقد جاء في الحديث الصحيح المروي عن سيد الأحباب أنه قام بآية من القرآن ليلة ومراوده أبو ذر وإن تلك الآية كانت﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:118]، فاعتبر من جولان سره في ميدان هذه الآية الجامعة لأسرار مظاهر اللطف والقهر وأسراره من حد القرآن، ولا تعبر على الآيات كعبور الغافلين كما ذكرهم تعالى في كتابه حيث يقول:﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف:105]، وتيقن أن كل آية من آيات القرآن كنز من كنوز الرحمن فيه جواهر ودرر لا تحصى.

فاغتنم بتسيير القرآن على اللسان وكشف بيانه على الجنان، وعندي أن من يقدر على اقتطاف ثمرة من ثمراته يستنكف التلذذ بثمرات الجنان، تيقظ فتفكر ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل:5]؛ يعني: ثقيلاً في العمل والوزن والقدر؛ أي: عمله ثقيل على الأبدان، وثوابه في الميزان، وقدره عظيم عند الرحمن، والموارد ثقل إذا يرد على السالك في البداية كأن السماء وقعت عليه، ولا يحسب أن ثقل الوارد يوازي ثقل الوحي ولا عشر عشيره، روت عائشة رضي الله عنها «رأيته ينزل عليه في اليوم الشاتي الشديد البرد فينفصم عنه وأن جبينه يتفصد عرقًا» وهو ﷺ في القوة بمرتبة، قيل في حقه أن الله أعطاه أربعين ضعف قوة أعطاها الله لموسى بن عمران وهو أقوى الأنبياء.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل:6]؛ يعني: الثلث الأخير هي أجدر للقانتين أن يتوجهوا إلى الله فيه؛ لأن في تلك الساعة أخذت النفس حظها من النوم، ولها نشاط في الطاعة، والوقت وقت نزول الرب إلى السماء الدنيا، وأصوب للتقرب إلى الرب، وأصح للقراءة دائم، وأتم إخلاصًا في القيام، وأكثر بركة في تلك الساعة المباركة التي يمتد سلطنة الجلال إلى آخرها، وقرب طلوع صبح الجمال والدعاء والتضرع والابتهال، وأرجى للاستجابة؛ لأنه يقول: «هل من داع فأجيبه، هل من سائل فأعطيه»[1].

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾[2] [المزمل:7]؛ يعني: إن اللطيفة في نهار تجلي الجمال متصرفًا في القوى، وإقبالاً وإدبارًا في قضاء الحقوقية مما فرض عليها أداؤها

---

(1) رواه أحمد (4/ 81، رقم 16793) قال الهيثمي (10/ 154): رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح ورواه الطبراني. والنسائي في الكبرى (6/ 125، رقم 10321)، والدارمي (1/ 413، رقم 1480)، والطبراني (2/ 134، رقم 1566)، وابن أبي عاصم (1/ 221، رقم 507)، وعبد الله بن أحمد في السنة (2/ 512، رقم 1199)، والبزار (8/ 361، رقم 3439)، والروياني (2/ 433، رقم 1453).

(2) أي: سبحًا في أعمالك، والسبح: الذهاب والسرعة، ومنه السباحة في الماء، فالمعنى: مذاهبُك في النهار فيما يَشْغَلُك كثيرةٌ، والليلُ أخلَى لك. تفسير القشيري (7/ 494).

وقضاؤها، كما جاء في الحديث «إن لنفسك عليك حقًا وإن لزوجك عليك حقًا»[1] في عالم الأنفس؛ وهي القوى القالبية، وإن لزوجك عليك حقًا في عالم السر الخفي، وأداء هذه الحقوق لا يمكن إلا في تجلي نهار الجمال، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل:8] بعد الصلاة في الليل اشتغل بذكر لا إله إلا الله، وأخلص في الذكر لله إخلاصًا، وانقطع إليه في الذكر انقطاعًا كليًا وهذا من خاصية الذكر، فالواجب عليك أن تشتغل بذكر الله في ناشئة الليل مخلصًا في ذكرك منقطعًا عن ذكر غير ربك.

﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المزمل:9] على قراءة من يقرأ بأن يكون على نعت الرب؛ يعني: رب مشرق شمس الروح في عالم الأجسام، ومغرب شمس الإيمان في عالم الأرواح، وفي هذا سر يتعلق بحد القرآن، ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المزمل:9] ليس وجود يستحق لأن يكون معبودًا إلا هو، ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [المزمل:9]؛ يعني: فوض إليه أمرك؛ لأنه قيم بأمورك قبل شعورك بوجودك، فالآن أيضارع التدبير إلى من خلقك تستريح؟

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل:10] القوى الجاهلة بألَّا يقوم بأمرنا، ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ [المزمل:10]؛ يعني: لا تؤتهم عنك، ولا تلتفت إلى ما يقولون فاهجرهم بالقلب وخالطهم بالقالب، ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ﴾ [المزمل:11]؛ يعني: دعني والقوى المكذبة بالوارد باللطيفة المنذرة أولي النعمة؛ يعني: بالاستعدادات التي أنعمنا بها عليهم، ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ [المزمل:11]؛ أي: زمانًا قليلاً في الدنيا؛ ليزيدوا في شقاوتهم الموعودة لهم.

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً﴾ [المزمل:12]؛ يعني: قيودًا عظامًا هي نتيجة صفة بخلهم، ﴿وَجَحِيماً﴾ [المزمل:12].

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۝﴾ [المزمل: 13 - 18].

---

(1) أخرجه أبو داود (2/ 48، رقم 1369). وأخرجه أيضًا: أحمد (6/ 268، رقم 26351).

وهي نتيجة صفة حسرتهم، ﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ﴾[1] [المزمل:13]؛ هي ثمرة شجرة بغضهم، ﴿وَعَذَاباً أَلِيماً﴾ [المزمل:13]؛ هي ثمرة استهزائهم وتكذيبهم، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ﴾ [المزمل:14]؛ أي: تزلزلها أرض البشرية، ﴿وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل:14]؛ أي: قوة معدنية القالب، ﴿وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾ [المزمل:14]؛ يعني: من سطوة نزول سلطان الذكر إلى الصدر، وتسير جبال معدنية القالب كالرجل الساحل.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ [المزمل: 15]؛ يعني: أيتها القوى المستكبرة إنا أرسلنا إليكم نطفة خفية لتكون شاهدة على أفعالكم وأقوالكم وحركاتكم وسكناتكم، كما أرسلنا إلى فرعون اللطيفة القالبية الغير المستخلصة رسولاً من اللطيفة السرية المزكاة ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [المزمل:16]؛ يعني: عصى اللطيفة القالبية الغير المستخلصة اللطيفة السرية المنذرة، ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ [المزمل: 16]؛ يعني: عاقبناهم عقوبة عظيمة نعرفهم في بحار الهوى، ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيباً﴾ [المزمل:17]؛ يعني: كيف لكم أن تتقوا من عذابنا يوم يجعل ولدان خواطركم متقين شاهدين على كفركم شمصاً من أهل الوارد، إن كفرتم بالله في الدنيا بتكذيب آياته والإعراض عن اللطائف المرسلة إليهم.

﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل:18]؛ يعني: في ذلك اليوم لنزول جنة الوارد، وهيبة سلطان تشق سماء الصدر، ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ [المزمل:18] بلا محالة كينونة ذلك اليوم؛ لأن وعده صدق.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ

(1) البحر المديد (6 / 442): وطعامًا ذا غُصةٍ يغص الروح عن شراب المحمرة؛ لضيق مسلكه بوجود العوائق، وعذاباً أليماً: البُعد والطرد عن باب حضرتنا وجناب كبريائنا.

وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: 19 - 20].

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ [المزمل:19]؛ يعني: إن هذه الآيات موعظة وتذكير لمن يشاء سبيل الهدى والإعراض عن الهوى، ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [المزمل:19] واشتغل بذكره بكرة وأصيلاً؛ لئلا يذوق في ذلك اليوم عذابًا وبيلاً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل:20]؛ يعني: أيتها اللطيفة الخفية إن الله يعلم أنك في بداية السلوك في ظلمة الليل الجلال تقوم مقام التوجه أقل من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من القوى معك، ﴿وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [المزمل:20] فلا بد من تجلي الجلال والجمال على وفق استطاعة القالب والروح، ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل:20] حتى لن تطيقوه، لأن القوة البشرية لا تتحمل هذه المجاهدات التي كنتم تشتغلون بها في البدايات، لأن المبتدئ الرحيل في الطريق ومباينه يظن أنه بالعجلة وحمل الميثاق يقطعه وذلك من غاية اشتياقه وقلة معرفته بالحق، فلما سلك ووصل إلى عالم العرفان يطلع على أن كل شيء مرهون بوقت معين لا يمكن الوصول إليه قبل إيقانه، فدخل فيه الضعف الذي أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿وعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾ [الأنفال:66]، ولحكمة هذا الضعف أسرار جمة مختصة بحد القرآن، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل:20]؛ يعني: رحمكم بالتخفيف والعفو والتقصير في القيام بمثل تلك المجاهدات العنيفة، ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى﴾ [المزمل:20] من تناول الحظوظ النفسية والقلبية مما لا يمكن بقاء الحقوق القلبية والروحية إلا بها، فمنَّ عليكم من أن جاهدتم فينا وهديناكم إلى الملة الحنيفية السمحة السمية، من [قوى] صحيفة سركم.

واعلموا «إن الدين لمتين فأوغلوا فيه برفق»[1]؛ لأن المنبت لا أرض قطع ولا ظهرًا أبقى، ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللهِ﴾ [المزمل:20]؛ يعني: الهوى المؤمنة القالبية ولا الجمالية طعام الحظوظ من عالم الشهادة ابتغاء الحقوق المودعة في

---

(1) تقدم تخريجه.

الحظوظ التي هي من فضل الله لم تفرغ لقراءة صحيفة سره، فهو معفو مغفور أن يقتصر على خمس آيات من لوح قلبه، ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:20]؛ يعني: القوى المؤمنة النفسية الذين يجاهدون للقوى الكافرة القالبية والمشركة النفسية، ويقاتلون القوى الشيطانية النازلة في جهنم الصدر؛ لئلا يغلبوا على القوى القلبية مغفورون وإن اقتصروا على تيسير من قرأ الآيات السرية من لوح القلب محزون على المقابلة لما كانت القوى القالبية والسرية مجذبة على القراءة، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المزمل:20]؛ يعني: أقيموا في مقام التوجه، وآتوا زكاة أنفسكم، وإيتاء زكاة النفس في حد المقام تطهيرها من الحظوظ بحق الذكر، ﴿وَأَقْرِضُوا الله قَرْضاً حَسَناً﴾ [المزمل:20]؛ يعني: من صلة الرحم وقري الضيف، وصلة الرحم في هذا المقام للسالك أن ينصح لقوى النفس والقالب بالخير، ويدعوهم إلى سبيل النجاة بحسن الخلق والمداراة والرفق بهم، وقري الضيف هو إكرام الخواطر السرية والخفية وإكرامها حضور القلب مع الرب، وإطعامها طعام الذكر وشراب الإخلاص، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ الله﴾ [المزمل:20]؛ يعني: كل عمل يعمل هو ذخيرة مدخرة عند الله لا بد أن تجدوه؛ لأنه مستودع، ﴿هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾ [المزمل:20]؛ أي: الساعة ادَّخرنا فيها خير لأنفسكم وطاعة هي خير مما أفنيتم ساعاتكم بالبطالة؛ أي: ادخرتم في تلك الساعة لأنفسكم عقوبة وأعظم أجرًا للعمل القلبي من العمل القالبي.

فاجتهدوا بعد تحقيق المجاهدة الصورية بالمجاهدة المعنوية؛ وهي الإخلاص في الأعمال وصدق التوجه ونفي الخواطر الردية، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا الله﴾ [المزمل:20] من رؤيتكم خلاصكم، ﴿إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل:20]؛ يعني: يغفر لمن يتوب إليه بعد الاكتساب من المعاصي، ويرحم من تغلب عليه شهوته، وهو يريد أن يدفعها ولا يمكن له دفعها لغلبة قواها القالبية والنفسية، وضعف قوى قلبه ينصره بخواطر السكينة وملكية الرحمة ما لنا ذلة على صدره من عالم سره ليخرج من ضيق المجاهدة مع الشهوة إلى متسع عالم الرحمة.

اللهم اغفر خطايانا، وارحم عجزنا وتقصيرنا بحق محمد ﷺ تسليمًا كثيرًا وعلى آله وأصحابه أجمعين.

سورة المدثر

وهي ست وخمسون آية مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ (7) فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ (8) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9) عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (10) ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا (17)﴾ [المدثر: 1 - 17].

يا أيها المنذر لا تدثر بدثار القالب، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:1] من خوف وارد القلب، ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر:2] قواك بأمر الرب، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[1] [المدثر:3]؛ أي: عظم الرب عما تصفه القوى الكافرة، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:4]؛ يعني: طهر بماء الذكر ثياب وجودك ليمكن لك أن تعظم الرب، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر:5]؛ يعني: اهجر الرجز بعد تطهير الثياب؛ لئلا يلوث بالخاطر الهوى، ﴿وَلاَ تَمْنُن﴾ [المدثر:6] بتكثير؛ يعني: لا تنذر الخلق لنفسك، ولا تنصحهم لحظك، ولا تعط مالك من المعارف الآثارية تريد به وجاهتك حتى يفيض عليك من المعارف الصفاتية، ﴿وَلاَ تَمنن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: 6] في نفسك عين معرفتك حتى يشرفك الله بالمعارف الذاتية، ولا تعمل لله مراقبة جهره لتكون مخلصًا في عملك.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر:7]؛ يعني: فاصبر على كتمان الأسرار خاصة لأمر الرب وغيره على محذرات أسراره المقدسة؛ لئلا يطلع عليها الأغيار، ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾

---

(1) قال الورتجبي: يا أيها المدثر، أي: يا أيها الغريق في قلزوم القِدم، قُم لدعوى محبتي، وأنذر أحبائي عن الاشتغال بغيري، وأظهِر جواهر حقائب بحر غيبي للمقبلين إلينا. ثم قال على قوله: (وربك فَكَبِّر)، عن الحُسين: عَظِّم قدره عن احتياجه إليك في الدعوة إليه، فإنَّ إجابة دعوتك ممن سبقت له الهداية مني. قال القشيري: كبِّر ربك عن احتياجه إلى تكبير أحد، فإنَّ كبرياءه ذاتيٌّ له، قائم بنفسه، لا بغيره من المكبِّرين. والمتبادر أنه أمَرَ الداعي بتعظيم الله وإجلاله دون غيره من سائر المنذرين، فلا تمنعه جلالة أحد من العظماء والمتكبرين عن التصدِّي لإنذاره وتذكيره.

[المدثر:8]؛ يعني: إذا نفخ في الصور التي هي كالناقور، وفي عالم الأنفس ناقور كل أحد قالبه، والنافخ فيه قوة إسرافيلية كما ذكرنا من قبل،﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر:9]؛ يعني: النفخ في القالب في تلك الساعة أمر عسير، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المدثر:10]؛ أي: على القوى الكافرة، ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر:10] ليس بعده عسرة رجاء اليسر.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ [المدثر:11]؛ يعني: أيتها اللطيفة الخفية المنذرة ذرني ومن خلقت من القوى وحيدًا من غير شريك، ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً﴾ [المدثر:12]؛ يعني: جعلت له استعدادات كثيرة، وأعطيته آلات وأدوات لأجل الكسب، ﴿وَبَنِينَ شُهُوداً﴾ [المدثر:13]؛ يعني: بنتائج شاهدين لها مأمور بأمرها معينين على كسبها، ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً﴾ [المدثر:14]؛ يعني: بسطت له بساط العيش على أحسن وجه خيرًا من لطائف النباتات والحيوانات العلوية والسفلية، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ [المدثر:15] بعناده وكفرانه؛ يعني: ﴿كَلاَّ﴾ [المدثر:16]؛ أي : ليس الأمر كما ظن، ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً﴾ [المدثر:16] كما بينا له أنه عاند اللطيفة المنذرة والآية البينة معاندة جحودًا وإنكارا﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾ [المدثر:17] سأكلفه اليوم مشقة دائمة صاعدة أبد الآباد.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: 18 - 30].

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر:18]؛ يعني: القوى الكافرة إذا فكرت في حقيقة الوارد ما تنطق به اللطيفة المنذرة، وقدر في نفسه أن يؤمن بما نطقت اللطيفة، ثم فكرت في ترك اختيارها وتسليمها اللطيفة، وترك مشتهياتها قدرت تقدير أسوء وأنكرت الآية البينة، ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر:19]؛ أي : طرح عن حضرة الحق، ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر:20] على طريق التعجب؛ يعني: بعدما علم وذاق حلاوة الوارد كيف قدر نفسه إنكاره، ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر:20] ثم لعن وطرح كيف قدر في نفسه إنكار الآيات البينات بعد مشاهدتها.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدثر:21]؛ أي: نظرة القوة الكافرة على ترك هواها، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ [المدثر:22]؛ أي: عبس وجهها على ما فكرت في ترك هواها وتسليمها للطيفة، ﴿وَبَسَرَ﴾

[المدثر:22]؛ أي: كره كراهة شديدة في قبول ما تنطق به اللطيفة، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: 23]؛ أي: تولى عن قبول الحق، ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ [المدثر:23]؛ أي: أبى أمر الحق استكبارًا بنفسه بأنه كيف يكون تبعًا لغيره، ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر:24]؛ أي: ليس هذا الوارد الذي يرد على اللطيفة المنذرة إلا سحر يروى عن شجرة قواها، ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:25] يقول من تلقاء نفسه، وألقاه قواها الساحرة له.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:26]؛ يعني: القوة الكافرة لسوف أصليها في سقر قالبها، وهو اسم من أسماء جهنم التي تتعلق بالقالب، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ [المدثر: 27]؛ يعني: سقر قالب جهنم محماة بنيران البغض والكبر وحب الشهوات، ﴿لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ﴾ [المدثر:28]؛ أي: لا تبقي أهلها أحياء ولا تذرهم أمواتًا، ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 29] مغيرة لوجه البشرية حتى يصير مكدرًا صبورًا، وتلوح له هذه الحالة ويشاهد وجهه عيانًا، ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر:30] من القوى العنصرية إذا ضربت أربعة في أربعة يحصل ستة عشر، وخاصية المعدنية والنباتية والحيوانية على هذه الستة تسعة عشر من قواها، وخواصها في صورها هائلة موكلة ليشعلوا نيرانها ويعذبوا فيها أبد الآباد.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾ [المدثر: 31 - 37].

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً﴾ [المدثر:31]؛ يعني: كانوا مأمورين بأمور بأمر الله غالبين على الهوى الجسماني غير مغلوبين، ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر:31]؛ يعني: فتناهم بقواهم وبعدد قواهم الذين ظنوا أن يقدروا على غلبتهم لقلة عددهم، وما ظنوا أن قواهم كانوا قائمين بهم واليوم غالبون بأمر الربة عليهم، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المدثر:31] عدتهم بما أوتوا من علم الوارد، ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾ [المدثر:31]؛ يعني: يزداد إيمانًا من شاهد هذه القوى في

نفسه، وعلم عددها إذا جاء الوارد وبيّن هذه الأعداد كما هي إيمانًا مشاهديًا على إيمان مكاشفي، ﴿وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالْـمُؤْمِنُونَ﴾(1) [المدثر:31] ألَّا يشكون فيما جاء به الوارد ونطقت به اللطيفة المنذرة بعلمهم بها في كتابهم مسطورًا، ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [المدثر:31]؛ أي: القوى المنافقة التي ما طهرت بماء الوارد باطنها، ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ [المدثر:31] والقوى المنكرة للوارد واللطيفة المنذرة، ﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾ [المدثر:31]؛ يعني: أي شيء أراد الله بهذا المثل؟ أي: لا تحقق لعدتهم بل هو مثل ضربه لمعنى خاص لا يتعلق بسقر، ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [المدثر: 31]؛ يعني: الله أعلم باستعداد كل أحد من الخلق فمن شاء أن يكون مظهرًا لقهره واستعداده لائق بأن يكون مضل قهره يضله، ومن شاء أن يكون مظهرًا للطفه واستعداده قابل للطف يهديه، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر:31] وما يعلم بالقوى التي خلقها في مملكتك إلا هو، ﴿وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:31]؛ يعني: ذكر النار والسقر؛ لأجل الموعظة ليتعظ ويذكر أهوالها وينب إلى الله ويخافها.

﴿كَلاَّ وَالْقَمَرِ﴾ [المدثر:32] هذا قسم يقول حقًا وحق اللطيفة الجمالية الطالعة في القلب، ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر:33] وحق اللطيفة الجلالية المستكنة في القالب، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر:34] وحق اللطيفة الحاجزة بين بياض الجمال وسواد الجلال التي أودعناها في الصدور والألوان، التي يشاهد السالك المبتدئ بعد خروجه عن ظلمات القالب ألوان هذه اللطيفة المستودعة في الصدر، ﴿إِنَّهَا لإِحْدَى الكُبَرِ﴾ [المدثر:35] جواب

---

(1) البحر المديد (6 / 452): لأنَّ عدتهم تسعة عشر في الكتابَيْن فإذا سمعوا مثلها في القرآن تيقّنوا أنه مُنزَّل من عند الله، وهو متعلق بالجعل المذكور، أي: جعلناهم كذلك ليكتسبوا اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم، وصِدْقِ القرآن، لموافقته لِما في كتبهم، (ويزداد الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (إيمانًا) لتصديقهم بذلك، كما صدّقوا بسائر ما أُنزل، فيزيدون إيماناً مع إيمانهم الحاصل، أو: يزداد إيمانهم تيقُّناً؛ لما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم، (ولا يرتابَ الذي أوتوا الكتاب والمؤمنون)، تأكيد لِما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان، ونفي لما قد يعتري المستيقن من شُبهة ما، وإنما لم ينظم المؤمنين في سلك أهل الكتاب في الارتياب، حيث لم يقل: ولا يرتابوا؛ للتنبيه على تباين النفيين حالاً، فإنَّ انتفاء الارتياب عن أهل الكتاب مما ينافيه لِما فيه من الجحود، وعن المؤمنين لما يقتضيه من الإيمان، وكم بينهما؟ والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المُنبئة عن الحدث؛ للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك.

القسم؛ يعني: بحق هذه اللطائف إن سقر لأحدى الكبر؛ أي: آية من آياتها الكبرى.

﴿نَذِيراً لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر:36]؛ يعني: هي منذرة للقوى البشرية، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر:37]؛ يعني: هذه نذيرة لمن شاء منكم أن يتقدم إلى معصية أو يتأخر عن طاعة، وبعبارة أخرى أن يتقدم إلى الحق أو يتأخر عن الحظ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المدثر: 38 – 49].

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:38]؛ يعني: لا شك ولا شبهة أن كل نفس كسبت شرًا فهي رهينة به، وكل نفس كسبت خيرًا فهي رهينة به، وليس لكل نفس إلا ما كسبت، ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر:39] هذا استثناء من رهينة بكسب اللمم؛ يعني: يغفر الرب لمم أصحاب اليمين؛ لأنهم اتكلوا على فضل الله بصدق القلب لا باللسان، فإذا صدرت عنهم لمة بشرية فلما يخلص البشر عنها يغفرها ربه بها وقر في قلبه من تصديق ذلك اليوم، وإقراره بالوارد وإيمانه بالجزاء، ويدخلهم الله ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر:40-42]؛ أي: ما أدخلكم في سقر مستهزئًا بهم.

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:43]؛ أي: لم نكن من المطيعين بالجوارح الظاهرة، ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر:44]؛ أي: أطعمنا خاطر السكينة من طعام الذكر،﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر:45]؛ يعني: نخوض مع القوى المربّاة بالباطل في أباطيلهم، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر:46]؛ يعني: كنا غير مصدقين بيوم الجزاء، ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر:47]؛ أي: الموت وكشف غطاءنا فكاشفنا وشاهدنا بعد كشف الغطاء ما يكذب، والسالك يشاهد بالموت الاختياري كل ما ذكرته في جميع الكتاب مشاهدة يقين، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر:48]؛ يعني: بعد الموت الاضطراري لا ينفع لمن مات غافلاً عن حقيقة الآيات منكرًا إياها شفاعة الشافعين.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر:49] نصب على الحال كونهم معرضين عن موعظة الوارد وعن اللطيفة الواعظة المنذرة لهم بالوارد الذي يرد على قلبه في الحق.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: 50 - 56].

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر:50-51] شبههم بالحمر لجهلهم، وبالمستنفرة لتنفر طبعهم عن حمل الأمانة؛ يعني: القوى الجاهلة يهربون من سلطة قوى الواردة كما تهرب الحمر من الأسد، ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفاً مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر:52]؛ يعني: القوى القالبية والنفسية يريدون أن يرد عليهم الوارد كما يرد على القلب ليؤمنوا، ولا يعلمون أن ليس لهم طاقة سماع ما في الوارد على لسان اللطيفة المنذرة، فكيف يطيقون حمل قوة الوارد؟

﴿كَلاَّ﴾ [المدثر:53] لا يؤتون الصحف، لأنهم ملوثون بأقذار اللطيفة، ﴿بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ﴾ [المدثر:54]؛ هو التمني أيضًا يلقي الشيطان فيهم ليزداد لهم إنكار الآخرة، لا يتمنون الوارد أن يرد عليهم ليؤمنوا، بل يكذبون الوارد ووجود الآخرة ولا يخافون منها، ﴿كَلاَّ﴾ [المدثر:53]؛ أي: حقًا، ﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ [المدثر:54]؛ يعني: الوارد تذكرة وموعظة، ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [المدثر:55] واتعظ به، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ﴾ [المدثر:56] وما يتعظون بالوارد إلا من شاء الله هدايته وجعله مظهرًا للطفه؛ لينفي عن الباطل وجوده، ويستغفر ربه في كل حال ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾[المدثر:56]؛ يعني: الله أهل أن يتقي من محارمه، ويخاف من نقمته، ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:56]؛ أي: أهل لمن يتوب إليه ويستغفره أن يتوب عليه ويغفر له.

اللهم اجعلنا من أهل التقوى وأهل المغفرة بحق محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والبررة وعلى التابعين لهم بإحسان المقتفين أثره.

سورة القيامة

مكية وهي أربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾ [القيامة: 1 - 10].

يا صاحب النفس اللوامة ويا أيها السائل عن يوم القيامة ما أعددت له من الكرامة؛ لأنه يوم مكرم، بحيث صار محلاً للقسم كما قال في كتابه المعظم: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 1-2]؛ أي: أقسم بهما والسر الذي قرنهما أن كل من وصل إلى قيامته اليوم تصير نفسه الأمارة لوامة، بحيث تلوم صاحبها في كل حركة وسكون يصدر منه على خلاف أمر الحق، ولا تحسب أن القيامة بعيده عنك، بل لو كشف الغطاء غطاؤك لشاهدت القيامة أقرب إليك من شراك نعلك، ولوامتها دالة على ظهور نور القيامة في باطنك، وهذه الملامة تنفع لصاحبها ما دامت معها آلات الكسب لتعتذر وتتوب إلى الله، فأما بعد نزع الآلة عنها لا تنفع ملامتها إلا ندامة وحسرة وعذابًا، والنفس المؤمنة اللوامة تلوم صاحبها في الدنيا، والنفس الكافرة اللوامة تلوم صاحبها في العقبى.

﴿أَيَحْسَبُ الإنسان أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ [القيامة: 3]؛ يعني: يظن الإنسان أنا لا نقدر على جمع العظام البالية بعد تفرقها، أما ترى في المغناطيس الذي خلقناه في الدنيا وهو حجر جسماني ظلماني وأودعنا فيه خاصية جذب المتفرقات وجمعها، ومثاله بيِّن في عالم الشهادة إذا سحق الحديد سحقًا وتفرق أجزاؤه في حائط ثم أقيم المغناطيس على رأس الحديد المسحوق المتفرق، كيف يجمع المتفرقات بقدرتنا ويضم بعضها إلى بعض؟ فما ظن الكافر بالروح الإنساني وخاصيته إذا أمرنا أن ينظر إلى أجزاء قالبه المتفرقة لا يقدر أن يجمعها، وخاصية الروح الإنساني اللطيف العلوي لا يكون أقل من الحجر الجسماني الكثيف السفلي.

﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: 4] معناه بلى قادرين على جمع العظام

كما كنا قادرين على تسوية بنانه من نطفة لا عظم فيها ولا شكل لها، فسوينا البنان وسخرناه للإنسان أن يستعمله فيما شاء، أفلا نقدر على أن نجمع العظام البالية؟ بل نجمع عظامه التي بها كان ذا قوة واقترف ذنوبا عظامًا كما سوينا بنانه ليعد ذنوبه، ويشهد على صاحبه بما استعمله وهو عدة، ﴿بَلْ يُرِيدُ الإنسان لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة:5-6]؛ يعني: يكذب الكافر الجاهل ما كنا نعد أيامه من الحساب والجزاء، ويريد أن يعمل على وفق مشتهاه يسأل متى يكون القيامة استهزاء واستخفافًا يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [القيامة:7]؛ أي: شخص بصر الرجل عند كشف الغطاء ويرى ما بعده اللطيفة المبلغة، ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة:8]؛ أي: أظلم ضوء قمر قلبه في ليل قالبه، ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة:9]؛ أي: جمع شمس روحه وقمر قلبه في عالم نفسه؛ ليرى بضوء شمس روحه أن هؤلاء أعد الله تعالى للقوى العلوية المستكبرة الروحانية التابعة للهوى القوى السفلية على وفق هواها، وهذا الحال مما يشاهد الأغلال والإنكار التي كسبتها القوى السفلية على وفق هواها، وهذا الحال مما يشاهد السالك في أثناء سلوكه، فينبغي أن يتيقن بأنه من علامات القيامة التي قامت بالموت الاختياري، ﴿يَقُولُ الإنسان يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [القيامة:10] لشدة ما يشاهده في ذلك اليوم.

فأما السالك في هذه الحالة يلتجئ إلى كشف ولاية شيخه، أو يعتصم بحبل ذكر الله الذي لقنه شيخه، أو يلوذ بأذيال ولاية بنيته وكل أحد على مقدار توجهه وصدقه وغلبة الذكر وولاية شيخه أو ولاية بنيته، يفر من تلك الأهوال إلى ما يغلب عليه في تلك الحالة، ويتوجه إليه في تلك الساعة من الذكر، أو الإرادة لشيخه، أو الاتصال لولاية بنيته.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12) يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (15) لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21)﴾ [القيامة: 11 - 21].

فأما البالغون يشاهدون آيات الرب ويفرحون بها ولا يخافون منها، بل يجبون من شجرة كل آية ثمار معرفة الصفات، ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة:11]؛ أي: حقًا لا مهربًا لكم من هذا المقام ولا حصن لكم؛ لأن الحصن الذي كنتم تتحصنون به في هذا اليوم خربتموه في دار الدنيا، وما التفتم إلى ما بلغت اللطيفة إليكم عنّا: أن لا إله إلا الله حصني يؤمن من

عذابي ما دخلتم فيه وما اشتغلتم بعمارته، فاليوم لا حصن لكم ولا حرز ولا ملجأ، أما تعلمون أن الله تعالى قال في كتابه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ [الذاريات:50]، فلما فررتم إليه في دنياكم من أعادي شيطانكم وهواكم، ووافقتم أعداءكم وخالفتم مولاكم فليس لكم اليوم المفر.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة:12]؛ يعني: مستقر الخلق ومرجعهم إلى ربهم كما يقول: ﴿إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ [العلق:8] إلى ربك المنتهى، ﴿يُنَبَّأُ الإنسان يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة:13] من عمل صالح أو فاسد، وبعبارة أخرى بما قدم لنفسه من مكتسباته وبما أخر لورثته من مخلفاته المنحة للورثة والمحنة له، ﴿بَلِ الإنسان عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة:14]؛ لأن جوارحه وحواسه عددوا أعماله خيرا كان أو شرًا، فإذا كشف الغطاء في ذلك اليوم حُدِدَ بصره ووجد جميع أعماله حاضرة عنده.

﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة:15]؛ أي: لو أرخى ستور قالبه فهو بنور قمر قلبه وضياء شمس روحانيته يشاهد في ذلك اليوم مكتسبات لا تستره ستور قالبه، ولا يخفى خلف ستور الاستعدادات الجسمانية عمل أعماله؛ لأن القوى الجسمانية والروحانية كانوا شاهدين عليه بما عمل في دار الكسب، ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة:16] أيتها اللطيفة المبلغة لا تحرك بالوارد لسانك لتعجل بالوارد ويجذب الوارد إليك بالعجلة؛ لأن العجلة من الشيطان؛ يعني: اترك اختيارك وألقي سمعك، ولا تحرك لسانك عند نزول الوارد، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة:17]؛ يعني: ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان قبل ورود الوارد، فكلما أنا أنزلناه من غير شعورك واختيارك فعلينا أن نجمعه في صدرك، ونيسر على لسانك قراءته.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة:18]؛ يعني: إذا أنزلناه فاسمع ثم اتبع قراءته، ولا تعجل ببيانه ،ولا تقل من نفسك معناه، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة:19] فكلما إنا أنزلنا الوارد فعلينا أن نبين عليك معناه ونيسر على لسانك بيانه، ﴿كَلاَّ﴾ [القيامة:20]؛ أي: حقًا لا ينفع البيان لمجيء الدنيا؛ لأنهم ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ [القيامة:20-21] هم يحبون الشهوات العاجلة لنفوسهم ولا يصبرون على تركها، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، وهم القوى القالبية والنفسية الغالبة على القوى الروحانية

واستردافها للهوى.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة: 22 – 30].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:22]؛ يعني: إذا برق البصر يرى وجوهًا مسرورة منظرة منعمة بمشاهدة جمال وجه الرب، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:23] بلا حجاب كلما ينظر إلى نضارة وجه الناظر وقرارة عينه وحق لها تنظر وتقر، وكلما تزيد نضارة الوجه وقرارة العين يتنعم بمشاهدة جمال وجه الرب أكثر من الأول؛ لأن حسن جماله بلا نهاية، والناظر بقدر قرارة عينه يقدر أن يشاهد ذلك الجمال، فكلما يزداد قربه يزداد حسن جماله في نظره ولأجل هذا لا يستريح الواصلون من العمل بعد وصولهم إلى الأصل و﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات:61]، وعلى هذه المشاهدة ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:26] فعلامة الواصل إلى هذا المقام في الدنيا زيادة عطشه عند شرب ماء مشاهدته، فكلّما يزداد عطشه إلى أبد الأباد، وسر هذا الحرف يتعلق بحد القرآن، فاجتهد في أن تصل إلى هذه الكرامة العظيمة في الدنيا؛ لأن استيفاء حظك منها مع الآلات والأدوات يزيد نفعًا فيما يرى بعد نزع الآلات والأدوات.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة:24]؛ أي: عابسة كالحة مغتمة قبيحة مكدرة من سوء أعمالهم، وقبح أفعالهم، وكدورة أخلاقهم، ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة:25] يظن أحد إن أراها أن إصابتها واهية، وهو بنفسه رأى وجهه ويتألم من مشاهدة وجهه القبيح العابس، ولا بد له من مشاهدته؛ لأنه كسبه لنفسه بنفسه، وهو غمر غائب عنه لمحة، بل صار عين وجوده القبح والألم، وهذا من العذاب الأليم نعوذ بالله منه.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة:26]؛ يعني: حقًا إذا بلغت روح كل واحد ترقونه، ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة:27] ولا راق له إلا الحق، ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ [القيامة:28] ويتيقن صاحبه بأن لا راق له، وإن لا بد له من فراق الدنيا وهجرانها، ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة:29]؛ يعني: من الهيبة والشدة المتتابعة، وهذه حالة سيشاهدها السالك في أثناء سلوكه وقت ظهور قيامته، واشتغاله بما لا يعنيه في اليوم

الذي وقعت له هذه الواقعة وهذه من أصعب الحالات، فينبغي للسالك إذا رجع في واقعته يستغفر مما كان عليه قبله.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾(1) [القيامة:30] لا ينفع لف الساق بالساق عن ساقه إلى ربه؛ لأن حضرة الرب مرجع الكل يساق الناس إليه شاءوا أم أبوا.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ۝٣٣ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٥ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ [القيامة: 31 - 40].

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة:31]؛ يعني: القوى الجاهلة الكاذبة لا صدقت اللطيفة المبلغة، ولا صلت في دار الكسب بالقالب، ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة:32]؛ يعني: كذبت الوارد وتولت عن صاحب الوارد، ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ [القيامة: 33]؛ يعني: ثم ذهب إلى القوى القالبية والنفسية تنجر من حصول شهواتها العاجلة، واستيفاء حظوظها عن القوى العلوية على وفق هواها.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة:34] التفاف الساق إلى الساق في هذا اليوم، ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة:35] يسود الوجه وبالملك بمشاهدته ﴿أَيَحْسَبُ الإنسان أَن يُتْرَكَ سُدى﴾ [القيامة:36]؛ أي: ظن الإنسان الغافل عن الله تعالى ركبه من جميع المفردات العلوية والسفلية، وجعله مختارًا في إرادته في الدنيا أن يتركه جهلاً، وكان خلقه عبثًا، ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة:37]؛ يعني: في بدء خلقته كان نطفة من مني يمنى من القوة الفاعلة الملقية إلى القوة القابلة، ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة:38] في تعليق النطفة المنتشرة في القوة القابلة حتى صارت مستحقة لنفخ الروح فيها، فلما نفخ فيها وتمت خلقته ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾ [القيامة:39] من هذه النطفة التي صارت خلقته علقة، ثم صارت مضغة مخلقة وغير مخلقة لنفخ الروح، فاستوت خلقتها وتمت بنيتها، فخلقنا من هذه القوى الفاعلة والقابلة ليظهر منها المشايخ الباقية المدركة المتنعمة والمتألمة، وجعلناها مظاهر لطفنا وقهرنا.

---

(1) إلى الله وإلى حكمه يُساق، لا إلى غيره، إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار، وهو مصدر: ساقه مساقًا.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة:40] أليس الذي عمل هذه الأعمال في نطفة، وخلق صاحب النطفة بإرادته كما شاء مما يشاء يقدر أن يحيي القوى الميتة القالبية والنفسية غير المدركة بنتائجها الباقية وبما كسبت من الآلام الدائمة، بلى قادر على أن يحيي الموتى في الدنيا قبل نزع الآلات والأدوات منها لتعذر عن السيئات، وتتوب إلى خالق السماوات والأرض، وتحيا بعد نزع الآلات حياة طيبة أبد الآباد، وقادر على أن يحيي الموتى العقبى بعد نزع الاستعدادات لتشقى في الآخرة أبد الآباد ونحدد على ذلك؛ لأنا شاهدنا في أنفسنا وفي أنفس غيرنا مما أرسلهم الله إلينا لنداويهم فداويناهم وأحياهم الله تعالى، وشاهدوا كل الذي كتب في هذه السورة مشاهدة إيقان عيان عن غير ظن وحسبان، وصار إيمانهم الغيبي الذي يخبر الله عنهم في كلامه بقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:3] إيمانًا شهوديًا وعيانيًا ذوقيًا أظهر من فلق الصبح.

ونسأل الله الثبات على هذه الطريقة النفسية الصفية المنسوبة إلى الصوفية حتى المات، وأن يحشرنا يوم القيامة تحت لواء سيد السادات ﷺ وعلى آله أصحاب الكرامات، وأصحابه أهل المدرجات، والتابعين لهم بإحسان السالكين جميع المقامات الشاهدين في كل مقام من المقامات آياته البينات صلاة غير منقطعة أبد الآباد

آمين آمين آمين آمين.

سورة الدهر

(الإنسان)

مدنية وهي إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان: 1 - 5].

أيها الذاكر هل أتى عليك حين من الدهر في الذكر كان لم يكن شيئًا مذكورًا ولم يكن شيئًا مذكورًا، ولو لم يكن هكذا لن يصح منك الذكر؛ لأن من خاصية الذكر نسيان غير الحق كما يقول في كتابه﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:24]؛ أي: نسيت سوى الرب إما تقرأ كلام الرب حيث يقول: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإنسان حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾[1] [الإنسان:1]، وهذا الحال يظهر على الذاكر الذي يسلك في مرتبة آدم عند

---

(1) قال سيدنا البيطار: اعلم ـ رحمك الله ـ أن ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن:1، 2]، للإنسان قبل خلق الإنسان ثم ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن:3، 4]، والقرآن الجامع لكتاب الوجود الإلهي خلق رسول الله ﷺ الموصوف بالعظمة الإلهية، فتعليم القرآن له هو تجلي الأحدية، وفي هذا التجلي لم يكن شيئًا مذكورًا مع الأحدية الغنية بأحدية ذاتها عن العالمين، وإتيان الحين من الدهر عبارة عن انفراد الأحدية بذاتها لذاتها بتجلي أحدي هو عين ذاتها، واندراج كل شيء بتلك الأحدية عبر عنه بتعليم الرحمن القرآن وبأحسن تقويم، وخلق الإنسان هو الرد، أي: التنزل من أسفل سافلين؛ لأن الصورة الإنسانية وفق كمال الوجود مفتاحًا ومغلاقًا، وهذا المعنى هو مراد سيدي عبد السلام بن مشيش ﷺ بقوله: اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار.. إلى آخر ما قال. وقال فرد زمانه وغوث أوانه سيدي محمد وفا قدس الله سره: قلب القطب هو اسم الله الأعظم، ووجه ذاته الأكرم الذي قام به الخلق والأمر وعليه مدار السر والجهر، وكل قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابعه كقلب واحد، فهم ألسنته الناطقة، وكلماته الصادقة وأقلامه الفاتقة والراتقة، ولو برز جامع عالم القدرة يفسد نظام عالم الحكمة، ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: 27]. انتهى كلامه.

غلبة سلطان ذكر الحق على طينة قالبه، فتلاشى الطين من الطينة الطينية، وينفذ نور الذكر الحقيقي في أجزاء وجوده وعند مجيء الحق زهوق الباطل، كما قال في كلامه: ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء:81]، فلما يزهق الباطل يصير اللطيفة مستحقة؛ لينفخ الروح القدسي الإضافي فيها، فإذا نفخ فيها صار السالك آدم وقته وإنسانًا كاملاً في مرتبة البياض والسواد.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الإنسان:2]؛ أي: من نور نطفة الولاية في هذه المرتبة ﴿أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان:2] مختلطة بنور النبوة ونور الحق، ونور الربوبية في رحم الإرادة، ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان:2] بالإصدار التي جمعناها جبرًا في قالبه، وأمرناه بمحافظة

واعلم ـ رحمك الله ـ أن القطب مظهر الأخلاق المحمدية بحسب استعداده واستعداد وقته وزمانه، فهو في كل زمان مظهر محمدي كامل؛ لأن خلق رسول الله ﷺ هو القرآن، والقطب مظهر ذلك الخلق الذي هو القرآن، وأما قلب القطب الذي قال عنه سيدي محمد وفا بأنه اسم الله الأعظم ووجه ذاته الأكرم، فهو السراج المنير الذي هو قلب القرآن يس، وهو النور المحمدي الذي هو الحقيقة الإنسانية المحمدية التي علم الرحمن: أي: تجلي الرحمن على تلك الحقيقة بكنه ذاته التي هي مدلول جميع ما في القرآن قبل خلق صورة الإنسان، فهي غيب القطب، والقطب الذي هو المظهر المحمدي الكامل في وقته هو شهادة ذلك الغيب، وذلك الغيب هو الإنسان الذي ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ بل كان الله، ولم يكن شيء، والشيء المذكور هو المظهر، وفي حضرة الأحدية لا يمتاز مظهر عن مظهر، قال الشيخ الأكبر ﷺ بلسان تلك الحضرة:

وسوانا ما تم أين الظهور ... لو ظهرنا للشيء كان سوانا

واعلم أن القطب هو فجر الشهادة لليالي الغيب العشر الخمسة بشرية والخمسة ملكية وتلك الليالي العشر محمد ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح الأكبر المذكور في آية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ:38].

وقد أخبر القطب سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ أنه كان يقوم في أبحر عشرة، وهي العشرة التي ذكرناها، وقال أبو الحسن الشاذلي: للقطب خمس عشرة كرامة فمن ادعاها أو شيئًا منها فليبرز أن يمد بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات، ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الموجودين، وانفصال الأول عن الأولى، وما انفصل عنه إلى منتهاه، وما ثبت فيه، وحكم ما قبل وحكم ما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد، وعلم البدء وهو: العلم المحيط بكل علم، وبكل معلوم بدءًا من السر الأول إلى منتهاه، ثم يعود إليه. انتهى كلامه ﷺ. ولا يخفى أن طلسم هذا الكنز لا يحله إلا من تحقق بما تحقق به أبو الحسن الشاذلي ﷺ.

الأضداد ومخالفة هواهم، ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً﴾ متصفًا بصفة سمع الحق ﴿بَصِيراً﴾ [الإنسان:2] متصفًا بصفة بصره، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان:3] بعد إعطاء هاتين الصفتين إياه؛ يعني: سبيل المحق الباطل، ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ [الإنسان:3] نعمتنا وهذه الهداية تمام أمر الابتلاء، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:42].

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً﴾ [الإنسان:4]؛ يعني: هيأنا للكافرين، فمنها: سلاسل التمني والحرص؛ بحيث لو كان له واديان من ذهب لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوفه إلا التراب وأغلال البخل وسعير الحسد، ويسّرنا لهم كسب السلاسل والأغلال والسعير ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ [الإنسان:5]؛ يعني : إن الشاكرين نعمنا يشربون من كأس استعدادهم التي كان مزاجها كافورًا؛ يعني: طينة الكأس ممن وجه بكافور الجمال صورة والجلال معنى، والمسك جلالي في الصورة والكافور جمالي في الصورة، وفي بيان هذا السر لطيفة، لو بحث بها لاستباح العوام سفك دم، وإن كان من بطن القرآن فطويت صحيفتها.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣﴾ [الإنسان: 6 - 13].

﴿عَيْناً﴾ [الإنسان:6]، والأصح أن يكون نصبًا على المدح يعني: أعني عينًا ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾ [الإنسان:6]؛ وهي عين المعرفة يشرب بها عباد الله بعد كأس الاستعدادات التي ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ [الإنسان:5] يطفئ نيران الشهوة والغضب والبغض والكبر، وأخواتها الحاصلة من امتزاج القوى غير المزكاة بعضها ببعض، والشراب المصبوب في ﴿كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ [الإنسان:5] من حبِّ الجلال المعنوي، وعين المعرفة الحاصلة عند التجليات الجلالية المعنوية ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ [الإنسان:6] كلما أخذوا من العين يريد انفجار العين، ويمشي معهم حيث مشوا في عالم

الآثار والأفعال والذات.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان:7]، هؤلاء العباد الشاكرون أوفوا بنذرهم في دار الكسب، ونذرهم ألا يشتغلوا بذكر غيرنا ولا يلوثوا ألسنتهم بذكر غيرنا وهم، ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ﴾ [النور:37]، مشغولون بذكر الحق مؤتمرون بأمره حيث قال ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:152]، فذكروه حتى صاروا مذكورين له بعد أن كانوا ذاكرين ﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ [الإنسان:7]؛ يعني: تبلى السرائر، ويطير عمل كل امرئ بصاحبه إلى مستقره الذي عمده صاحب العمل بعمله في دار الكسب، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [الإنسان:8]؛ يعني: على محبة الحق لا من خوف العقوبة، ولا رجاء الثواب والجزاء، ﴿مِسْكِيناً﴾ [الإنسان:8]؛ يعني: خاطر السكينة، ﴿وَيَتِيماً﴾ [الإنسان:8] خاطر القلب، ﴿وَأَسِيراً﴾ [الإنسان:8]؛ يعني: خاطر الروح يطعمون هذه الخواطر الذكر على محبته المذكورة خاصة غير متوقعين جزاء ولا شكورًا.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً﴾ [الإنسان:9]، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ [الإنسان:10]، إنا نخاف من اللطيفة الربوبية السكينة في قالبنا يومًا أظلم فيه شمس الروح، وقمر القلب وكوكب الحواس، ونجوم القوى فصار يومًا عبوسًا على صاحبه، وهذا يشاهد وقت تقرر ذكر الرب عن القلب الغافل عن الرب، وفي ذكر القمطرير شدة الكرب، وهو عند تقرر القلب السليم عن الذكر الذي يجري على لسان ملوث بالغيبة، والكذب والفحش، ومما لا يعنيه ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ [الإنسان:11]؛ لمخافتهم من ذلك اليوم والتجائهم إلى الحق بصدق النية، ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾ [الإنسان:11]؛ يعني: نضارة وجوه أحوالهم، ومسرة في قلوبهم وأسرارهم، ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ [الإنسان:12] مكابدة نفسهم وجهادهم الأعداء يعني: القوى القالبية والنفسية حتى إطعامهم المسكين، واليتيم والأسير، ﴿جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ [الإنسان:12] جزاء النفس الجنة وجزاء القالب الحرير يعني: القوى القالبية والنفسية الصابر على ترك مشتهاها لوجه الله، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ [الإنسان:13] نصب على الحال ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾ [الإنسان:13]؛ أي: على أرائك الرحمة، ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾ [الإنسان:13]؛ يعني: حرًا وبردًا؛ لأنهم كانوا معتدلين في الأمزجة في دار

الكسب ثابتين على الصراط المستقيم غير ذائقين إلى طرفي الإفراط والتفريط.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾ [الإنسان: 14 - 20].

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ [الإنسان:14]؛ يعني: يرون في الجنة أشجار أعمالهم الصالحة قريبة إليهم ظلالها، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان:14] أي: سخرت قطوف أثمار المعارف من أشجار الأعمال تسخيرًا، بحيث شاءوا أكلوا منها، وأينما مشوا مشوا، ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾ [الإنسان:15] ﴿قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا﴾ [الإنسان:16]؛ يعني: يطاف عليهم قواهم المطهر بآنية نياتهم الثابتة، مثل القصعة في الصلابة وأكواب استعدادهم الوسيعة الصافية؛ مثل الزجاج وشبهه بالزجاج؛ لأن الزجاج يخرج من الحجر، ويشعل النار تحته؛ لتحرق أجزاءه الباطلة الكثيفة، كما كان حال القالب فهو مثل الحجر، فينبغي أن يشعل صاحبه نار الذكر؛ ليخرج منه خبائثه وكثائفه حتى يصير آنية صافية لطيفة، وشبهه بالفضة؛ ليكون آمنًا من الكسر صلابة استعدادهم مثل الفضة، وصفاؤهم ورقتهم الزجاجة يصف أمير المؤمنين على ابن أبي طالب ﷺ نفس المؤمن أنها أصلب من الصلد وأذل من العبد ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾ [الإنسان:16]؛ يعني: قدروا كؤوس استعدادهم على قدر رتبتهم تقديرًا معينًا لا يزيد على مقدار شربهم، ولا ينقص عنه فطوبى لاستعداداتهم الغير متناهية، ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً﴾ [الإنسان:17]؛ يعني: يسقون أيضًا من كأس استعدادهم الممزوجة بزنجبيل الشوق يسكن زمهرير الحرص والبخل والكسل، الحال المعنوي ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾ [الإنسان:18]؛ يعني: يسقون بهذه الكؤوس الممزوجة بزنجبيل الشوق من العين السلسبيل، وهو عين خلقه الله تعالى في جنة قالب الإنسان الصافي المزكى عن الحظوظ والأباطيل لها ماء بردة مثل الكافر، وهو برد العقود وحرارة مثل حرارة الزنجبيل حتى تسكن برد الكافور، وريحه مثل ريح المسك، ولا يحصل هذه العين إلا لمن اعتدل مزاجه في الدنيا بترك الحظوظ، وإعطاء الحقوق إياه والتوجه إلى الحق في كلتا

الخالتين؛ ليحصل من ترك الحظوظ برد الكافور، ويكسب من إعطاء الحقوق حرارة الزنجبيل، ويجد من التوجه ريح المسك، فإن كنت عملت في الدنيا بهذا الذي شرحته لك، فمن قريب تسقى من عين السلسبيل.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً﴾ [الإنسان: 19]؛ يعني: منثرًا في خدمتك وشبهه باللؤلؤ؛ لصفاء القوة التي ربّيت في صدف القالب في بحر الدنيا، وأصل اللؤلؤ وهو القوة المصفاة من قطرة قطرة من سماء الصدر، كما يقول الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً﴾ [الإنسان: 19] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ [الإنسان:20]، حتى إذا رأيت في جنة قالبك ولدان قواك المصفاة رأيت باقيًا خالدًا، وملكًا كبيراً من عندي، وهذا المقام ينبغي أن يقرأ لا يروي بعد هذا النعيم ﴿مُلْكاً كَبِيراً﴾ [الإنسان:20]؛ يعني: جمال يتولد، ويقرأ سكون اللام ليس له معنى غير جمال الرب العظيم إن مشاهدة الرب هي الملك الكبير.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً (٢٢) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦)﴾ [الإنسان: 21 – 26].

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ [الإنسان:21] نصب على الظرف ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان:21]، صفة الثياب وإشارته إلى قوله: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ [الإنسان:21] إشارة إلى: علو همتهم في الدنيا، وتركهم للباس الفاخر تذليلاً لأنفسهم، وتواضعًا لربهم في مقام العبودية، وإشارة إلى لون الخضرة إشارة إلى حصول حياتهم الطيبة والخضرة لون الحياة، وهي أحب الألوان إلى رسول الله ﷺ. ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان:21]؛ لأنهم ما دنسوا في الدنيا أيديهم بأخذ الحرام والإعطاء بالباطل رياء وسمعة والسؤال من غير الحق؛ فصارت هذه الصفات لهم أساور في الدار الباقية الأخروية، ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ [الإنسان:21] جزاء لا يمدوا أيديهم إلى الخمر الحرام في الدنيا يسقيهم ربهم في العقبى شراب المعرفة طهورًا من الشك والوهم والظن، فمن شربه لم يبق في قلبه غش

وغل وحقد وحسد؛ يعني: يطهر القلب من هذه الصفات المكدرة ماذا رأيت قلبك اليوم على هذه الصفة، فبشر نفسك بشرب من شراب الطهور غدًا، ومن لا يلتفت إلى غير الحق في الدنيا، فيبشر نفسه بأن يسقيه ربه على يد لطفه شراب معرفته ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ [الإنسان:22]؛ أي: جزاء ما عملتم في الدنيا، ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم﴾ [الإنسان:22] في دار الدنيا ﴿مَّشْكُوراً﴾ [الإنسان:22] عند الله بأنكم كنتم شاكرين نعمة الله، فإذا شكرت نعمة الله فاعلم أنك عند الله، ﴿مَّشْكُوراً﴾ [الإنسان:22]، وإن رضيت عنه، فاعلم أنه راض عنك فانظر قدر الله في قلبك فعلى قدر ذلك يكون قدرك عند الرب، أيها المسكين الغافل أما تقرأ القرآن، وأما تعلمه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:4] والله أنت الجنة، وأنت النار، وأنت الدنيا، وأنت العقبى، ومعك ما تشتهي وتتمنى من العقاب والثواب، ولو لم تقرأ كتابك فما تنفعك قراءة الكتاب، وسماع الخطاب، وعتاب رب الأرباب ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً﴾ [الإنسان:23]؛ أي: نجمًا نجمًا ليثبت به فؤادك، ولو أنزلناه جملة واحدة ما كنت تحمله، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان:24] على الأحكام المحددة النازلة عليك على سبيل الخواطر، وترك مشتهيات النفس ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾(1) [الإنسان:24]؛ يعني: لا تطع القوة الآثمة القالبية والقوة الكافرة النفسية في ترك الصبر، والاشتغال بالشهوات العاجلة، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الإنسان:25] ذكر الرب في بكرة الروحانية، وأصيل الجسمانية بدفع كيد القوة الآثمة الكافرة ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ [الإنسان:26]؛ يعني: إذا أسدل ليل النكرة ذيله على

---

(1) قال الورتجبي: حقيقة إشارته أنه تعالى عرَّف لهم الطريق، فمن بقي في الطريق ولم يصل إليه فمنعه لم يبلغ، ومن وصل إليه فيجد به بلغ إليه، فمن بلغ يكون بمعرفته شاكرًا له، ومن لم يبلغ إليه فيجد؛ لأنه يكون كافرًا به، إذ لم يذق طعم الوصال، ولم يرَ نور مشاهدة الجمال، مهَّد الطريق، ونصَّب الأعلام، وأوضح المنار والأدلة، ودعاهم به إلى نفسه، فمن واصل يسكن بما وجد به وهو شاكرٌ، ومن واصل لم يسكن بما وجد، ويكون معربدًا بطلب مزيد الدنوّ، وفي كل ما وجد لم يكن راضيًا حتى وصل إلى غيوبة الغيب، ويشرب من أنهار صرف الصفات والذات، فيخرج متحدًا بدَّعي الربوبية، ويكون كافر الحقيقة.

قال سهل: بيَّنَّا له طريق الخير من طريق الشر، إما أن يكون شاكرًا طائعًا، فمستقره الجنة، وإما أن يكون كفورًا جاحدًا، فمأواه النار.

وجه نهار المعرفة تواضع للرب ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ [الإنسان:26] ونزهه عن معرفتك له في طول ليل النكرة؛ لأن ليل النكرة يسدل ذيله على وجه نهار المعرفة حينًا لرؤية المعارف تخوفًا إياه، ووقتًا لتسكين القلب عند استيلاء أنوار المعرفة بحيث يريد أن يذهب ببصر عقل المعارف إن لم يسدل ليل النكرة ذيله على وجهه، وفي ليل النكرة للمعارف استراحة وسكون، وربما يكون لتربية ثمرة المعرفة، ففي كل حال ينبغي أن يتواضع فيه للرب، ويسبحه بأمره فسبح.

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان: 27 - 31].

﴿إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ﴾ [الإنسان:27]؛ يعني: القوى الآثمة والكافرة يحبون الشهوات الدنيوية القريبة إليهم ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾ [الإنسان:27]؛ يعني: يوم الجزاء والحساب ليثقل عليهم لتركهم العمل لأجله ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان:28]؛يعني: خلقنا القوى وقوينا أصولها كفروا بنعمتنا ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾ [الإنسان:28]؛ يعني: إذا شئنا أهلكنا القوى الآثمة والكافرة بالتحليل وبدلنا قوى أمثالهم أحسن وأقوى منهم ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ [الإنسان:29]؛ يعني: إن هذه السورة موعظة وذكرى لمن يريد سلوك سبيل الهدى ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [الإنسان:29]؛ أي: وسيلة بهذه الموعظة إلى طاعة الحق وترك طاعة الآثم والكفور ثم يذكر بعد التأديب بالترهيب والترغيب أمر التوحيد لئلا يغفل السالك عن حقيقة سر الوحدة ويقول ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ﴾ [الإنسان:30] أي: ليس المشيئة إلا مشيئة الله ومشيئتكم مربوطة بمشيئة ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً﴾ [الإنسان:30] بأحوال مظاهر لطفه وقهره ﴿حَكِيماً﴾ [الإنسان:30] فيما أودع في كل مظهر من الاستعداد والقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد عمله بالاستعدادات ﴿يُدْخِلُ

مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾(1) [الإنسان:31] ممن كان مظهر اللطف ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [الإنسان:31]؛ لأنهم كانوا مظاهر لطيفة قهره يفعل ما شاء ويحكم ما يريد ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ بحكمه وحكمته وإرادته وقدرته.

اللهم اجعلنا مظاهر لطفك بحق محمد ﷺ وعلى آله وصحبة أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا وهذه سورة مختصة بسيد الأولياء أمير المؤمنين علي ﷺ فينبغي للسالكين سبيله أن يقتدوا بسنته ويفهموا ما في سورته ليكونوا من شيعته.

(1) قال ابن الخطيب: إن فسرنا الرحمة بالإيمان فالآية صريحة في أن الإيمان من الله تعالى، وإن فسرناها بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله تعالى وفضله، وإحسانه لا بسبب الاستحقاق؛ لأنه لو ثبت الاستحقاق لكان تركه يفضي إلى الجَهْل أو الحاجة، وهما محالان على الله تعالى، والمفضي إلى المحال محال، فتركه محال، فوجوده واجبٌ عقلاً، وعدمه ممتنعٌ عقلاً، وما كان كذلك لا يكون معلقاً على المشيئة البتة. تفسير اللباب لابن عادل (16/ 156).

سورة المرسلات

مكية وهي خمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩)﴾ [المرسلات: 1 - 19].

يا طالب الوصل لما غفلت عن يوم الفصل واشتغلت بالفرع عن الأصل حين قرأت كلام الرب على سبيل العزل وما فهمت من الكلام إلا الحروف والمدّ والشد ومعنى اللغات العربية التي كان أبو جهل اعلم منك ومن أستاذك لأن فهم القرآن يتعلق بالقلب وأنت بلا قلب؛ لدسته في تراب الطبيعة فاسمع نصيحتي ومر إلى الكتاب وقل لأستاذك ليكتب لك ألف الأصل ويعلمك سرها وحقيقتها ويطلعك على ما أودع في صدفها من الدرر المستورة لتستتر بها وتدخل في بروج الحروف وتشاهد نجوم النقطات المسعودة والمنحوسة ثم تعرج إلى كرسي الأبجاد ثم تستوي على عرش الكلمات ثم تشاهد كيفية استواء الرحمن على العرش ثم تنزل إلى العرش المبسوط في عالم الشرع وتفهم ما يقسم الرب به فقوله ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾ [المرسلات:1] وتطلب في وجودك القوة المرسلة إلى القوى القالبية العارفة المتتابعة لتفهم أنه يقسم باللطيفة الجمالية المودعة في قلبك ثم يقسم باللطيفة الجلالية المستودعة في قالبك بقوله ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً﴾ [المرسلات:2] ثم يقسم باللطيفة المنبسطة الحيوانية في قوله تعالى:- ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً﴾ [المرسلات:3] ثم يقسم باللطيفة المتميزة الفارقة بين الحق والباطل في قوله ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً﴾ [المرسلات:4] ثم يقسم باللطيفة الذاكرة الملقية إليك ما كنت تنساه باشتغالك بتربية القالب بقوله ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً﴾ [المرسلات:5] ﴿عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾ [المرسلات:6]؛ يعني: أعذارًا للقوى النفسية وإنذارًا للقوى القالبية ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [المرسلات:

7] جواب القسم يعني: يوم القيامة وما وعدت وأوعدت اللطيفة الخفية الذاكرة المنذرة ﴿لَوَاقِعٌ﴾ أي: كائن لا محالة وله علامات فإذا ظهرت العلامات تيقن بتوعده ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات:8]؛ يعني: إذا محيت أنوار الحواس الظاهر والباطن لغلبة نور الحق ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات:9]؛ يعني: إذا سماء الصدر صارت ذات فرجة ينزل عليك القوى العلوية على صور هائلة أو حسنة على قدر حسن أعمالك وقبحها ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات:10]؛يعني : جبال قوة معدنية قالبك قلعت من أماكنها ونسفتها الرياح العاصفة نسفًا ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات:11]؛يعني : جمعت اللطائف المرسلة في ذلك الوقت المعلوم وقوعه يشهدون على أمم القوى بما عملوا ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ [المرسلات:12]؛ أي : لأي يوم أخرت هذه الأعمال ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ [المرسلات:13] أخرت ليفصل بين الحق والباطل ويجزي كل أحد على وفق أعماله من الخير والشر ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [المرسلات:14] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:15] كذبوا بيوم الفصل وقرءوا كلام الله هزوًا على سبيل الهزل ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات:16] أما سمعوا بالأولين الذين كذبوا بيوم الفصل وآثروا بحياة العاجلة الدنيوية وبنوا القصور الرفيعة والبساتين النزهة كيف أهلكناهم ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ [المرسلات:17] الذين اتبعوهم وأتباع الهوى ومخالفة المولى بالهلاك ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات:18] أي نفعل بالقوى المجرمة المكذبة بيوم الفصل كما فعلنا بهم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:19].

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ [المرسلات: 20 - 31].

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات:20] عنصري منفعل ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المرسلات:21]؛ أي : في رحم القالب ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [المرسلات:22]؛ أي : مقدار معين ﴿فَقَدَرْنَا﴾ [المرسلات:23] كما شئنا ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات:

23]؛ أي : نعم المقدرون قدر قدره ومقداره وقدره من القوى العلوية والسفلية تقديرًا تامًا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:24] بالقدر خيره وشره منا ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً﴾ [المرسلات:25]؛يعني : ألم نجعل أرض البشرية صاحبة جمع وضم تضم وتجمع القوى المتفرقة العنصرية ﴿أَحْيَاءً﴾ [المرسلات:26] عارفين بمقدارها ﴿وَأَمْوَاتاً﴾ [المرسلات:26] جامعين بموجدها ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ [المرسلات: 27]؛يعني : جعلنا في أرض البشرية القوى المعدنية كالجبال الراسيات العاليات لئلا تتزلزل ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتاً﴾ [المرسلات:27]؛ أي : ماء الحياة الباقية الروحانية التي يبقى شاربها في دار البقاء أبدًا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:28] بالخلود في دار القرار ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المرسلات:29] يعني: تكذبون الدار الآخرة في الدنيا تقول اللطيفة المنذرة للقوى إذا نجومها طمست وظهور علامات أخرى ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات:30] وهي ظل القالب ذي شعب ثلاث وهي القوة المعدنية والنباتية والحيوانية الباقية له ماء الحياة الباقية التي سقاه في الدنيا وهو المتاع القليل ﴿لاَ ظَلِيلٍ﴾ [المرسلات:31] ظله لأن ظل الباطل الذي كسبه القالب ﴿وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ [المرسلات:31] لأنه اشتعل في الظلال الثلاثة نارًا ذات لهب.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٤ هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٧ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝٣٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٠ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝٤٤﴾ [المرسلات: 32 – 44].

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ [المرسلات:32] ﴿كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات:32]؛ يعني : ناره المشعلة ترمي بالقوة المعدنية شرارات القوة النباتية ﴿كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات:32] ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات:33] من القوة الحيوانية التي هي إحدى ظلاله ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:34] بالجزاء للكل عمل مثله ﴿هَذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات: 35]؛يعني : يوم الفصل لا ينطقون إلا بالنطق الذي أنطق كل شيء يشهد جوارحهم على صواحبهم ﴿وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:36]؛ أي : لا رخصة لهم أن يشتغلوا

بالعذر لجرائمهم ولما شهدت الجوارح عليهم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:37] تتكلم الجوارح وشهادتها على صاحبها ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: 38] ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات:39]؛يعني : إن كنتم تقدرون أن تدفعوا العذاب عن أنفسكم فادفعوا هذا على سبيل الاستهزاء جزاء استهزائهم بالوارد وتكذيبهم اللطيفة المبلغة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:40] الوارد واللطيفة المبلغة فيما وعدوا وأوعدوا ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات:41]؛يعني : الذين اتقوا من المتاع القليل العاجل وخشوا ربهم واتبعوا ألطافهم المبلغة وتركوا شهواتهم النفسانية اللاهوتية لهم ظلال من الرحمة وعيون من الماء الطيب المحيي بالحياة الطيبة الأبدية ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات:42] من فواكه المعرفة يقولون لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات:43] في دار الكسب هذا مما زرعتم وحضرتم وكسبتم ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [المرسلات:44] الذين أحسنوا في ديار الدنيا وقت جزيناهم بما زرعوا وقت الحصاد زرعوا عملاً صالحًا فحصدوا سنابل طيبة واقتطفوا فواكه صالحة.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المرسلات: 45 – 50].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:45] بحقيقة الزرع والحصاد يقولون لهم ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾ [المرسلات:46] في دار الكسب من المتاع القليل ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [المرسلات:46] لأنهم لا يسمعون لأن أذانهم من تلك الفعلة مسدودة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:47] بالآذان القلبية وبأن يكون للإنسان سمع وبصر غير هذا السمع الشهاوي والبصر الشهاوي ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: 48]؛يعني : يوم الفصل إذا قيل لهم اركعوا لا يقدرون بأنهم في الدنيا ما كانوا راكعين ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:49] بالركوع والسجود في دار الكسب ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات:50]؛ أي : بأي وارد أيتها القوى المجرمة أنتم تؤمنون بهذا الوارد القدسي الذي لا خلف فيه.

فيا أيها السالك إذا وقعت على العلامات التي شرحناها من قبل وشاهدتها فينبغي أن يؤمن بآيات الله التي ذكرتك اللطيفة فإن تشاهدها لتنتفع بها وإلا فالويل لك إن كنت مكذبًا بعد مكاشفته آية من الآيات البينة الأنفسية.

اللهم اجعلنا من الصادقين المصدقين آياتك بحق محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين الأكرمين المستجمعين.

سورة النبأ

مكية وهي أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥)﴾ [النبأ: 1 - 15].

أيها السائل عن النبأ العظيم ما أعددت له من الرزق الكريم عن سبيل النزل من النعيم المقيم والرحيق المختوم الذي كان مزاجه من تسنيم كما يقول الرب الرحيم في كلامه القديم بقوله ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ:2]؛ يعني: القوى المشركة عم يتساءلون عن الوارد الذي ورد عن حضرة الرب على اللطيفة الخفية المبلغة أحكام الوارد إلى أمه ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ:3]؛ يعني: القوى المشركة والمؤمنة يختلفون في أمر الوارد يصدقونه حينا ويكذبونه حينًا ﴿كَلَّا﴾ [النبأ:4]؛ أي: حقًا ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ:4] عاقبة اختلافهم وتكذيبهم القوى المشركة ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ:5]؛ أي: ستعلم القوى المؤمنة المصدقة جزاء تصديقهم.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ:6] يذكر صنائعه ويقول ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ:6]؛ أي : أرض البشرية فراشًا لهم ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾(1) [النبأ:7]؛ أي: القوى المعدنية القالبية أوتاد الأرض البشرية، ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النبأ:8] ليستأنس بعضهم ببعض من القوى الفاعلة والقابلة وتظهر منها النتائج القالبية ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ:9]؛ يعني: غفلتكم استراحة كما قيل: لولا الغفلة لبطلت الحكمة ﴿وَجَعَلْنَا

---

(1) إنَّ هذه الآية إنّما ذكرت ليستدلّ على وجود الصّانع؛ والشروط فيه أن يكون ذلك أمراً مشاهداً معلوماً، حتى يصح الاستدلال به على وجود الصانع لأنَّ الشيء إذا رأيت حجمه، ومقداره، صار ذلك الحجم، وذلك المقدار عبرة. تفسير اللباب لابن عادل (9/ 380).

﴿اللَّيْلَ لِبَاساً﴾ [النبأ:10]؛ يعني: سترناكم بلباس اللطيفة الجلالية لتسكنوا وتستريحوا ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾ [النبأ:11]؛ يعني: كشف عليكم نهار الكسب باللطيفة الجمالية لتكسبوا معاشكم في العاجل والآجل.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾ [النبأ:12]؛يعني : بنينا أطوار القلب فوق القالب ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً﴾ [النبأ:13]؛ أي : جعلنا في طور من أطواره الشمس الروحانية المنيرة المضيئة التي هي كالسراج يعني: تقتبس منه القوى الحسية الظاهرة والباطنة ضياء ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾ [النبأ:14]؛ يعني: أنزلنا من الصدر ماء الربوبية صبابًا ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَباً وَنَبَاتاً﴾ [النبأ:15].

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾﴾ [النبأ: 16 - 28].

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً﴾ [النبأ:16]؛ أي: يخرج من ماء الربوبية حبَّ الحبِّ المستكن في القالب وقت التخمير ونبات الأدوية منافعه للقلوب المريضة وجنات ملتفة أشجار أعمالهم لحسنها وزينتها، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ [النبأ:17]؛ يعني: يوم فيه البَرّ والفاجر، ويقضي بينهما بالحق وهم اسم من أسماء يوم الحساب، ﴿كَانَ مِيقَاتاً﴾ [النبأ:17] لما وعد أوعد.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [النبأ:18]؛ يعني: في صور القوى المتحلل بنفخ ريح الروح، ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾ [النبأ:18]؛ أي : تحضرون في ميقاتها زمرًا ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾ [النبأ:19]؛ يعني: فتحت أبواب القلوب، وأُذِنت الملائكة القلبية والسرية والروحانية في النزول، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ [النبأ:20]؛ أي: سيرت القوى المعدنية القالبية حتى صارت مثل السراب في غير اللطيفة الباقية القالبية.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً﴾ [النبأ:21] كانت جهنم في تلك الساعة ترصد أهلها الذين عمروها وبالغوا في تعميقها أنها كانت ﴿للطَّاغِينَ مَآباً﴾ [النبأ:22]؛ يعني: رجوع

القوى الطاغية يكون إليها ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾ [النبأ:23]؛ أي: ماكثين في جهنم مدة أراد الله مكثها بما جفوا وطغوا إن كانوا كفروا بالله أو أشركوا فخلدوا فيها وإن لم يكفروا أو لم يشركوا، ولكن عصوا الله وبقيوا حتى طهروا عن تلك المعصية ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً * إِلاَّ حَمِيماً﴾ [النبأ: 24-25] برد العفو فيها ولا شراب الروية المسكّن عطش الجهل، ﴿إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾ [النبأ:25] إلا شراب الحميم بنار البغض والحسد والكبر، وزمهرير الجهل والظلم والبخل، وهو الغساق ينزل عليهم، ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾ [النبأ:26]؛ يعني: جازيناهم بما يوافق أعمالهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً﴾ [النبأ:27]؛ يعني: لا يخافون من يوم الحساب، ولا يرجون ما وعدهم الله يوم المآب، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾ [النبأ:28]؛ أي: كذبوا اللطائف المبلغة إليهم آياتنا غاية التكذيب.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً (٣٣) وَكَأْساً دِهَاقاً (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً (٣٦)﴾ [النبأ: 29 - 36].

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً﴾ [النبأ:29]؛ يعني: أحصينا في كتبهم كل شيء صدر منهم، كما أثبتنا في اللوح المحفوظ، ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾ [النبأ:30] لتكذيبهم اللطائف والآيات البينات الأنفسية؛ لأن بعد هذا اليوم لا يمكن الكسب، ولا ينفع الندم على تقوية الآلات وتضييع الأدوات بعد انتزاع الاستعدادات.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾ [النبأ:31]؛ يعني: الذين اتقوا ربهم وآمنوا بيوم الحساب وعملوا الصالحات بعد رجاء الجزاء في يوم المآب فوزًا وغنيمة النجاة من النار، ومن المتنزهات في دار القرار، ﴿حَدَائِقَ﴾ [النبأ:32] من جنات القلب، ﴿وَأَعْنَاباً﴾ [النبأ:33] من ثمرة معرفة الرب، ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً﴾ [النبأ:33] وعلومًا مطهرة عن مس أحد غيره، ﴿وَكَأْساً دِهَاقاً﴾ [النبأ:34]؛ يعني: استعدادًا مملوءًا من العلم، ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً

﴿وَلاَ كِذَّاباً﴾(1) [النبأ:35]؛ يعني: لا يبقي لكأس استعدادهم فرجة للباطل والكذب لامتلائه من علوم الحق.

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾ [النبأ:36]؛ يعني: جازاهم الله بما عملوا في الدنيا من الصالحات ومن إخراجهم الباطل عن القلب، وامتلاء قلوبهم بذكر الحق وأعطاهم هذا العطاء حسابًا وافيًا بما وفوا بعهد الله وكسبوا للمعاد.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: 37 - 40].

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النبأ:37] بدل من ربك؛ يعني: جازى العباد في سماوات أطوار القلوب، وفي أرض استعداد الباقية القالبية من أنواع النعم بما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وتقر عين القلب من مشاهدة وجه الرب، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ﴾ [النبأ:37]؛ يعني: رب سماوات أطوار القلب وأرض استعدادات الباقية القالبية وبينهما من الصفات بالنفسانية المزكوة ﴿لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾ [النبأ:37]؛ يعني: لا يقدر أحد على خلق السماوات والأرض وما بينهما أن يكلمون الرب إلا بإذنه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ [النبأ:38] في ذلك اليوم في حضرة الرب، ﴿وَالْـمَلاَئِكَةُ صَفاً﴾ [النبأ:38]؛ يعني: الروح الإنسانية إلا خليفة الرب في مملكة الوجود وملائكة قوى السر والقلب المطيعون لأمر الرب، ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [النبأ:38]؛ يعني: لم يرد من عرش وارد الإشارة لم يقدر قوة من القوى أن يخاطب الرب، وإذا خاطب بأمره وإذنه، ﴿وَقَالَ صَوَاباً﴾ [النبأ:38] كما قال في الدنيا قول: «لا إله إلا الله»

---

(1) قال بندار بن الحسين: الجزاء إذا كان من الله لا يكون له نهايةٌ؛ لأنه لا يكون على حد الأعراض، بل يكون فوق الحدود؛ لأنه ممن لا حد له ولا نهاية، فعطاؤه لا حد له ولا نهاية.

قال بعضهم: العطاء من الله موضع الفضل لا موضع الجزاء، والجزاء على الأعمال والفضل موهبةٌ من الله، يخصُّ به الخواص من أهل وداده. [العرائس].

وقال: ﴿صَوَاباً﴾ [النبأ: 38] حقًا صدقا.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ [النبأ: 39]؛ يعني: يوم الفصل يوم حق وقوعه، ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً﴾ [النبأ: 39]؛ يعني: بعد تقرير ذلك اليوم، وتبيين أحواله وأحوال الخلق فمن شاء السلامة والسعادة اتخذ إلى حضرة الرب، وآب إلى [خدمته] آيبًا تائبًا ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً﴾ [النبأ: 40] إنا أعلمناكم أيتها القوى القالبية والنفسية عذابًا قريبًا إليكم، بل عذابًا هو لا ينفك عنكم ساعة، بل هو من كسبكم بحيث صار وجودكم، ولكن من كثافة الحجب ورمد عيونكم لا تبصرونه اليوم، فلما كشف الغطاء وصار البصر حديد اليوم ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: 40]؛ يعني: ينظر إلى ما كسبت يداه وقدمت لنفسه إلى الدار الباقية خيرًا أم شرًا، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ [النبأ: 40] في ذلك اليوم بعد اطلاعه على ما قدمت يداه من الشر، ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ [النبأ: 40]؛ يعني: فاقدًا قوة الإدراك كما كنت قبل التركيب ولا ينفعه هذا الندم؛ لأنه كسب قوة الإدراك الباقية الدائمة الأبدية المؤلمة له في الآخرة أبد الآباد، فيا أيها الكاسب اكسب اليوم في دار الكسب لطيفة باقية متنعمة؛ لتتنعم بها أبد الآباد مع الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

اللهم اجعلنا من الصالحين بمحمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

سورة النازعات

مكية وهي ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (4) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (8) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (9) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (10) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (11) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (12) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (13) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (14)﴾ [النازعات: 1 - 14].

أيها الغرق النزاع إلى حال الفرعون كثير النزاع مع اللطيفة المبلغة بحق اللطيفة الجلالية التي أودعناها إلى بعض ملائكتنا الروحانية حتى ينزعون أرواح الكفرة من أبدانهم حتى تغرق نفسهم في بحر صدورهم، وبحق اللطيفة الجمالية التي أدرجناها في بعض ملائكتنا القلبية ينشطون بنفس المؤمن، ويرفقون بهم رفقًا حتى ينشط روحه من عقال البدن كالإبل حين ينشط من عقاله يسرح في رياض الجنة على مراده، وبحق الله للطيفة الربانية المودعة في بعض ملائكتنا السرية حين يقبضون أرواح المؤمنين سهلاً، ويسألونها سبلاً كالسابح بالمشي في الماء، مسرعين كالفرس الجواد، وكالسفن على وجه الماء عند هبوب الرياح اللطيفة المسرعة بها إلى منزلها، وبحق القدسية المسكنة في بعض ملائكتنا المرباة في القوة الخفية اللاتي يسبقون بأرواح المؤمنين سبقًا إلى الفردوس، وبحق اللطيفة المدبرة التي أودعناها في بعض ملائكتنا العنصرية المدبرة الأمر الإلهية هن ظلال لجبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل؛ ليبعثن من قبور القوالب يوم ترجف الراجفة، كما يقول في كتابه ويقسم بهذه الودائع بقوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾(1) [النازعات:1: 5] جواب

---

(1) قال القاشاني أقسم بالنفوس المشتاقة التي غلب عليها النزع إلى جناب الحق غريقة في بحار الشوق والمحبة والتي تنشط من مقر النفس وأسر الطبيعة أي تخرج من قيود صفاتها وعلائق البدن من قولهم نور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد أو من قولهم نشط من عقاله والتي تسبح في بحار الصفات فتسبق

=

القسم محذوف تقديره لتبعثن من القبور.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات:6] فهي يوم القيامة إذا رجفت جبال القالب، وزلزلت أرض البشرية ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات:7] وهي القيامة المخصوصة بالنفس تميت القوى عند الراجفة، ويحيها بالرادفة ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات:8]؛ يعني: في الرادفة مضطربة مسرعة قلقة رجلة، ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات:9]؛ أي: ذليلة كثيرة العبرة، ﴿يَقُولُونَ﴾ [النازعات:10]؛ أي: المنكرون بهذا اليوم من القوى القالبية والنفسية الفرعونية الصفات، ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات:10]؛ يعني: وقت الرادفة يظنون أنهم يردون إلى الدنيا.

﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً﴾ [النازعات:11]؛ يعني: الذي بليت عظامها وصارت كالمناخرة المجوفة التي تمر فيها الرياح ويصوت أنحن مردودون إلى الدنيا؟! ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات:12]؛ يعني: رجوعنا بعد هذه الأهوال التي شاهدناها يكون رجعة غايته؛ لخسران وجودنا وضعف قوانا، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [النازعات:13]؛ يعني: زجرة الرادفة زجرة واحدة يحشر جميع القوى أرض الساهرة كما يقول: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات:14] وهي أرض ساهر أهلها يطلعون على عملهم خارج ما في صدورهم.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (15) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (17) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (19) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (20) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (22) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (25) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (26)﴾ [النازعات: 15 - 26].

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [النازعات:15] أيتها اللطيفة الخفية المبلغة ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ﴾ [النازعات:16] الأيمن السري إلى واد ﴿الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات:16]

إلى عين الذات ومقام الفناء في الوحدة فتدبر بالرجوع إلى الكثرة أمر الدعوة إلى الحق والهداية وأمر النظام في مقام التفصيل بعد الجمع انتهى. ثم إن النفوس الشريفة لا يبعد أن يظهر منها آثار في هذا العالم سواء كانت مفارقة عن الإبدان أو لا فتكون مدبرات.

الخفي وناداه ربه ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ [النازعات:17] لطيفة قالبيتك الغير المستخلصة عن الباطل الملحة الملطخة بتراب الطبيعة، ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ [النازعات:17] أمر اللطيفة المبلغة ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾ [النازعات:18]؛ أي: هل لك رغبة إلى أن تؤمن بالحق، وتصلح العمل بإخراج الباطل عن حقيقتك، وتشهد أن لا إله إلا الله وتكفر بآلهة هواك، ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات:19]؛ أي: أهديك إلى صراط مستقيم فتخشى من عذاب الجحيم المدخر في دار الإقامة بضلالتك عن الهدى والدين القويم.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ [النازعات:20] من آيات النفس وهي بيضاء الهمة العلية بأي شيء أشارت أذعن إلى أمرها؟ وعصاه الذكر الذي به يبطل تسحر الشيطان، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ [النازعات:21]؛ يعني: كذب اللطيفة الفرعونية بيد الهمة وعصيت عصاء الذكر، وبعبارة أخرى: كذب اللطيفة المبلغة وعصى بها ربها وظن أنها من أثر التسحر، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾ [النازعات:22]؛ أي: أعرض عن الحق وسعى إلى الباطل، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ [النازعات:23]؛ أي: جمع القوى القالبية والنفسية فنادى القوى الشيطانية حين جمعوا ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات:24]؛يعني : أصنام الهوى ربكم وأنا رب الأصنام الهوائية؛ لأن الهوى انبعث من تلك اللطيفة القالبية.

﴿فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات:25]؛ أي: عاقبه الله بنكال العاجل بتسلط اللطيفة عليه، وعذابه الأجل بإلقائه في قعر جهنم جحيم جسده المملوء من نيران الحسرة والندامة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾ [النازعات:26]؛ أي: اعتبار وموعظة ﴿لِّمَن يَخْشَى﴾ [النازعات:26] لمن يؤمن باللطيفة ويخشى مما أوعد ويرجو بما وعده.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (27) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (29) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى (35) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى (36)﴾ [النازعات: 27 - 36].

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ [النازعات:27] خطاب مع القوى القالبية، ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات:27]؛ أي: سماء الصدر التي بنيناها فرفعنا سقفها فوق القالب فسويناها بلا خرق وخدش وفرجة كما يقول: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [النازعات:28] ﴿وَأَغْطَشَ

﴿لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:29]؛ أي: أظلم بصفة الجلال ليل القالب وأخرج بصفة الجمال ضحى الروح.

﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات:30]؛ يعني: البشرية، ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات:31]؛ أي: من أرض البشرية ماء الحياة، ومرعاها القوى القالبية والنفسية من الخواص الظاهرة، ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات:32] القوى المعدنية التي هي في القالب، وأرض البشرية بها مستحكمة غير مزلزلة، ﴿مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات:33]؛ أي: يستمتع به اللطائف والقوى ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات:34] وهي القيامة النارية القالبية لا تظلم القيامات الترابية والمائية والهوائية القالبية، وهي هذه القيامة ظهور الرادفة.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى﴾ [النازعات:35]؛ يعني: يظهر عليه في أرض الساهرة ما تراها في اليوم، ويحسبه أنه من قبيل الخيال فإذا شاهد تذكر ما سعى في عالم الدنيا من خير أو شر، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ [النازعات:36] في تلك الساعة ﴿لِمَن يَرَى﴾ [النازعات:36] مقام فيها بالعمل الذي عمل في الدنيا فيما يجعل الله جزاءه فيها.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)﴾ [النازعات: 37 - 46].

﴿فَأَمَّا مَن طَغَى﴾ [النازعات:37] بآيات أمر اللطيفة ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النازعات:38]؛ أي: اختار اللذة العاجلة على اللذة الآجلة ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:39]؛ لأنه آوى في الدنيا وسط جحيم الهوى، فاليوم أيضًا إذا برزت الجحيم وكشف أستارها شاهد نفسه في وسطها، وطالع جزاء الأعمال الفاسدة فيها المدخرة فيها، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [النازعات:40] في الدنيا ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات:40] ومنع نفسه عن التورط في جحيم الهوى، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:41]؛ لأنه كان في الدنيا آوى نفسه في جنة القلب بتركه ما اشتهت على وفق الهوى.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [النازعات:42] وهي قيامة القلب ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات:42]؛ يعني: متى ظهورها؟ ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ [النازعات:43-44]؛ أي: منتهى الساعة إلى الرب؛ يعني: منتهي إلى الرب تلك الساعة الممدود سويعاتها من أسرار مطلع القرآن؛ يعني: انتهاؤها إلى ربها؛ أي: لا تعلمها والله أخفاها لحكمة إظهارها لا يجوز قبل أوانها، وهي أيضًا تتعلق بحد القرآن، ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ [النازعات:45]؛ يعني: لست أنت مطلعًا على علم الساعة بل أنت منذر من يخشى الساعة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ [النازعات:46]؛ أي: كأن السائلين ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ [النازعات:46] يوم يشاهدون تلك الساعة ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ [النازعات:46] في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:46]؛ يعني: عشية استراحة القوى أو ضحى الكسب بها.

فيا أيها المنتظر للساعة لو تشاهدها لم تلبث ساعة في قالبك للاستراحة أو الكسب، وتسارع إلى حضرة الرب فلا ينفع للسالك في هذا المقام إلا التوجه الكلي، ولو لم يكن توجهه إلى الحق في الأعمال بل كان توجهه إلى جنة مشتهيات النفس في دار البقاء لا ينخرط في تلك الساعة في سلك إلا بالهمة.

اللهم ارفع همتنا واصرف توجهنا من أعمالنا إليك بمحمد ﷺ.

سورة عبس

[مكية وهي اثنان وأربعون آية][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (1) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (5) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (7) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (8) وَهُوَ يَخْشَىٰ (9) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (10) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (12) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (13) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (16) قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ﴾ [عبس: 1 - 20].

أيها المعبس في وجه أصحابه المعرض بوجهه عن الطلاب أما تقرأ فصل الخطاب وما تفهم العتاب الذي أدرج رب الأرباب في طي الكتاب المستطاب المنزل على نبيه سيد الأحباب حيث قال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾[2] [عبس:1-2] فينبغي أيتها اللطيفة المبلغة إذا جاءك طالب من قوى النفس التي عميت عيناها بالهوى ويطلب منك الهدى أن تغتنم مجيئها، وتقبل بوجهك عليها وترشدها إلى سبيل الهدى، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس:3]؛ أي: يتطهر من الباطل بتعليمك إياه ويبقي لك ثواب الدلالة والتعليم ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [عبس:4]؛ أي: يتعظ بوعظك فتنفعه الموعظة، وأنت جئت إلى هذا العالم لينتفع بك الآخر.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ﴾ [عبس:5] عن الوعظ وعن استماع الحق ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾

---

(1) غير موجودة بالأصل.

(2) قال الورتجبي: بيّن الله سبحانه هاهنا درجة الفقر وتعظيم أهله وخسة الدنيا وتحقير أهلها، وأن الفقر إذا كان نعت الصادق في المعرفة والمحبة كان شرفًا له، وهو من أهل الصحبة، ولا يجوز الاشتغال بصحبة الأغنياء ودعوتهم إلى طريق الفقر إذا كانت سجيتهم لم تكن سجية أهل المعرفة، فإذا كان حالهم كذلك لا يأتون إلى طريق الحق بنعت التجريد، فالصحبة معهم ضائعة، ألا ترى كيف عاتب الله نبيه ﷺ بهذه الآية.

[عبس:6]؛ يعني: تقبل بوجهك إليه وتصغي إلى كلامه، وهو في الأنفس القوى الشريفة القالبية والنفسية تقبل اللطيفة عليها ليعطي حظها رجاء أن تقبل منها الحق، ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾ [عبس:7]؛ يعني: ما عليك إلا البلاغ، فإن لم يزك ما عليك ذنب، ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى﴾ [عبس:8]؛ أي: القوى الضعيفة الطالبة ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ [عبس:9] من الله ويسعى إليك؛ لترشده إلى سبيل الحق وطريق النجاة، ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس:10]؛ أي: أنت تشتغل عنه باشتغالك بالأشراف.

﴿كَلاَّ﴾ [عبس:11] كلمة جاءت على سبيل الزجر؛ أي: أنت عن مثل هذا الفعل ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس:11]؛ يعني: هذه الموعظة والعتاب موعظة للمرشدين ليغتنموا مجيء المسترشدين، ويشتغلوا بإرشادهم ما ينزه على نفوسهم، ومنعه للطالبين ليجتهدوا في الطلب إذا علموا أن الله عاتب حبيبه لأجلهم، ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس:12]؛ أي: من كان سعيدًا اتعظ به، واجتهد في طلبه كان بمشيئة الله المسطورة.

﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ [عبس:13] بكرامة الله تعالى آمنه على أن يطلع عليها العدد ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ [عبس:14]؛ أي: رفيعة القدر عنه لا تصل إليها يد العدو، ومودعة في صحف القلب والسر والروح والخفى مطهرة عن الزيغ بحديث النفس، وعن إلقاء الشيطان بالزيادة والنقصان لا يمسها يد لامس لا تكون ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس:14] عن الباطل بل يمسها المطهرون، وهم القوى الملكية القلبية والسرية والروحية كما يقول في كتابه: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:15-16] بأيدي كتبة على الله بررة على خلقه بكتابتهم كل ينؤون قبل الوقوع من الخير، ولا يكتبون ما ينوؤون من السر إلا بعد الوقوع، وهم جمع من الملائكة التي خلقهم الله من رشاش النور المطهر من رأس القلم على لوح العقل، وهم الكتبة وفي هذه سر يتعلق بحد القرآن مما يجب أن يطوي سره.

﴿قُتِلَ الإنسان مَا أَكْفَرَهُ﴾ يعني: لمن القوى المتقدة الشريفة المقبلة عليها اللطيفة بوجهها لتهديها، وهو أعرض عنها وما قبل هدايتها ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ﴾ [النحل:112] التي أنعم في حقها من إعطاء الاستعداد لها والتفات اللطيفة إليها ألا تتفكر ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس:18] ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس:19]؛ أي: من نطفة قطرة نقطة القاسم خلقها ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس:19]؛ أي: في لوح العقل قدرها ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس:20]؛

أي: يسرها سبيل عالم الجسم لينزل إليه.

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢ ﴾ [عبس: 21 - 32].

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس:21] أماتها من المعارف الروحانية لتشتغل باكتساب الآلات الجسمانية التي يكون لها أدوات الحصول المعارف الإلهية على وجه التفصيل فأقبرها في قبر القالب ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس:22]؛ يعني: إذا شاء الله أحياها بالنور الإرادي المنصب في صدره ليذكر المعارف كما قال الله تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام:122] ليجتهد في طلب المعارف ويتذكر محلها ومكانتها في الملكوت بعد نزولها إلى عالم الناسوت.

﴿كَلاَّ﴾ [عبس:23]؛ أي: حقًا ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [عبس:23]؛ أي : لم يؤد حق الحق الذي فرض عليها أداؤه إن لم يطلب الحق في الحظ والحظ للحق ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسان إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس:24]؛ أي : فلينظر اللطيفة الغيبية والشهادية المستجمعة في الإنسان الذي هو أنس علوي وأنس سفلي إلى الطعام المركب من الحظوظ العلوية المغلوبة والحقوق السفلية المستكنة في الحظوظ وكيفية اجتماع الأضرار فيه رحمة منا وحكمة منا ليعبر بالرزق الذل جعلنا بسبب حصولها ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس:25]؛ يعني: صببنا ماء المعرفة من سحاب الإرادة ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس:26]؛يعني: شققنا أرض القالب شقًا ليمطر من الصدر على أرض القالب لينبت أشجار المعرفة ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ [عبس: 27] بموجب المحبة ﴿وَعِنَباً﴾ [عبس:28]؛ يعني: ثمرة المعرفة الذاتية المسكرة صاحبها ﴿وَقَضْباً﴾ [عبس:28]؛يعني: معرفة يصل ذوقها إلى جميع القوى القلبية ﴿وَزَيْتُوناً﴾ [عبس:29]؛يعني : معرفة مختصة بالقوى الروحية ﴿وَنَخْلاً﴾ [عبس:29]؛ أي : معرفة مختصة بالقوى الخفية ﴿وَحَدَائِقَ غُلْباً﴾ [عبس:30]؛ أي : معارف سرية ﴿وَفَاكِهَةً﴾ [عبس:31]؛ أي: معرفة مخصوصة بالقوى النفسية ﴿وَأَباًّ﴾ [عبس:31]؛ أي : معرفة مشتملة على جميع القوى القالبية ﴿مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس:32]؛ أي : منفعة للطائفكم ولقواها.

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [عبس: 33 - 42].

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس:33]؛ يعني: قيامة النفس فكاد صيحتها يُصم الآذان ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس:34]؛ يعني: تفر النفس من القلب ﴿وَأُمِّهِ﴾ [عبس:35]؛يعني : من القالب ﴿وَأَبِيهِ﴾ [عبس:35]؛ أي: من الأرواح ﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ [عبس:36]؛ أي : من هوية ﴿وَبَنِيهِ﴾ [عبس:36]؛ أي : من الخواطر المتولدة عنه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:37]؛يعني : لكل لطيفة من هذه اللطائف شأن خاص متعلق بها ليشغلها عن غيرها في هذا اليوم ترى وجوهًا مشرقة بنور الرب منعمة بنعمة الهداية ضاحكة أسنانها بما يشاهدون من حسن الجزاء فرحة بإنجاز الوعد لهم، وترى وجوهًا مظلمة مكدرة عليها سيماء النحوسة والشقاوة تلمع تغشاها كل ساعة كائنة وذلة وغبرة أرضية قالبية وقترة سماوية صدرية كما يقول في كتابه الكريم ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ* ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ* وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ* تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ* أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس:38-42]؛ يعني: هم الذين كفروا بنعمة الاستعداد الذي أعطاهم الله وإقبال اللطيفة عليهم وما آمنوا بالله وما قبلوا دعوة اللطيفة وفجروا في عالم الأنفس باختلال القوى النفسية والقالبية واستردافها على وفق هواهم فيا أيها السالك اعتبر بهذه السورة واجتهد في الطلب ويا أيها المسلك احذر من هذا العتاب وأد حق الطلاب وتذكر ما قال الله تعالى لنبيه داود -عليه السلام- إذا رأيت لي طالب فكن له خادمًا لتكون من المعتبرين بالقرآن المنتفعين من نعم معارفه.

اللهم انفعنا بغفرانك الكريم نفعًا عظيمًا وصلى على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان والسالكين صراط مستقيم.

سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (14)﴾ [التكوير: 1 - 14].

أيها المدل بضياء شمسك، وأنوار نجومك، وثبات جبالك، وكثرة عشائرك ومالك، وأنعامك وأملاكك، وأعوانك، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾(1)[التكوير: 1]؛ يعني: إذا أظلمت شمس روحك وأمرت بالتكوير، ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير: 2]؛ يعني: إذا أذهب بضوء نجوم حواسك وبقيت مكدرة منتشرة متحلّلة، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: 3]؛ يعني: إذا سيرت جبال قالبك وهي كانت سير كلي طرفة عين، ولكن ما كنت تشاهد سيرها فيشاهدها في هذه الساعة، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: 4]؛ يعني: عشار القوى القالبية عطلت؛ أي: تركت مباركها، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: 5]؛ يعني: وحوش الأخلاق الذميمة النفسانية جمعت وغلبت وكثرت في عينك، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: 6]؛ يعني: بحار عنصرية مائيتك سجرت بحرارة نزع الروح عن قالبك، ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: 7]؛ يعني: زوجت كل قوة نفسانية بعملها الذي عملته في دار الدنيا، ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾

---

(1) قال البقلي: الإشارة في هذه الآيات إلى ظهور تجلّي الذات والصفات في قلوب العارفين، فهناك تكوّرت شموس أرواحهم من غلبة نور عظمة الذات، وانكدرت نجوم عقولهم من صولة أنوار الصفات، وسُيِّرت جبال قلوبهم من أثقال واردات محبتها، وتعطّلت نفوسهم في سطوات جلالها، فهناك سُجِّرت بحار التوحيد، وحشرت طيور التفريد، ولا يبقى إلا وجه ذي الجلال والإكرام، ولكل عارف في كل حالة من هذه الأحوال له قيامة. قال الحسين: تطمس الشمس بعد تنويرها، وتغور البحار بعد تفجيرها، وتنسف الجبال بتسييرها، وتدرس العشار بعد تعطيلها، وتُخمد الجحيم بعد تسعيرها، وتطوى الصحف بعد النشر، وتحشر الوحوش من القبر، وتزلزل الأرض، وتخرج أثقالها للعرض على الجبّار، وذلك أصعب مقام المخالفين، وأهون مقام الموافقين، فطوبى لمن أثبت في ذلك المقام.

[التكوير:8-9]؛ يعني: سئلت عن الخواطر الإلهامية التي وردت على السالك وهو نفاها وقتلها، ووأدها في قبر القالب وظلمها، ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير:10]؛ يعني: نشرت صحف أعمال كل أحد خيرًا كان أم شرًا، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير:11]؛ يعني: يرفع سماء الصدر حتى يكشف ما في صدورهم، بعبارة أخرى: قلعت أوتادها وطويت كطي السجل للكتاب.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير:12]؛ يعني: أحميت جحيم النفس بنيران الهوى، ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير:13]؛ يعني: زينت جنة القلب وقربت لأولياء الله تعالى، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير:14]؛ يعني: أيها المذل: إذا ظهرت هذه العلامات ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار:5] فيما أحضر.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: 15 - 29].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾(1) [التكوير:15-16]؛ أي: أقسم بالآيات في ضوء شمس الذات؛ يعني: بالأنوار المودعة في قوى القلبية التي إذا طلعت شمس اللطيفة الأنانية يهلك في ضوئها، وتستر بيضانها، ويرجع إلى أصلها، ﴿وَالَّيْلِ إِذَا

(1) قال البقلي: أقسمَ الله بنيرات عالم الملكوت إذا شاهدت عرائس الصفات في روازنها، ونظرت إلى قلوب المشتاقين، وجذبتها بنورها إلى أعلى عليين، فلما بلغت الأرواح إلى سرادق الدنو تخنس باستتارها بعد تجلّيها، وتكنس باحتجابها بعد انكشافها؛ لذوبان الأرواح في نيران الأشواق، وهيجان الأشباح إلى عالم الأفراح، وأقسمَ بظلمة ليالي الهجران في وقت الاستتار في قلوب العارفين، وبطلوع صبح أنوار مشاهدته بنعت الوصال في فؤاد المحبين، وأيضًا أقسم بطيران الأرواح القدسية بجناح المحبة والمعرفة في هواء الهوية، وهذا كنوسها إذا هامت بوجوهها في غيب الغيب، فإذا وصلت إلى قاف القدم، وتذورت بسطوات الأزلية تخنس، وتفر من صدمات القيُّومية إلى عالم الأمر والحكم؛ لأن الحدوثية تزول عن موازاة القدم، وأيضًا أقسم بسير هذه الأرواح العاشقة في طرقات العلوم المجهولة، فتستفيد منها ما يكون بخلاف العلوم الرسومية.

عَسْعَسَ﴾ [التكوير:17]؛ يعني: بالأنوار الجلالية التي أودعناها في ليل القالب إذا أدبر، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:18]؛ يعني: بالنور الجمالي الذي أودعناه في يوم لدليل بعده إذا تنفس وهو صبح القيامة، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير:19] هذا جواب القسم؛ يعني: هذا التقدير لقول رسول كريم ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ [التكوير:20] قوي علي وهو أمين ﴿ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أشار إلى العرش لأنك لا تشك فيها يرد عليك من القوى المخزونة في دماغك أن هذا الوارد يكون مثل ذلك، ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:21]؛ يعني: يطاوعك لذلك الوارد جميع القوى الروحانية ويقرون بحقيقته، وهو أمين على وحي الحق وإلهامه يبلّغ صاحبه بلا زيادة ونقصان، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: 22]؛ أي: اللطيفة المبلغة بعد ورود الوارد وتبليغها رسالة الحق، ما هو بمجنون فيما يتكلم به، ويخاطب معكم ما كنتم تستمعون من أحد قبل.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير:23]؛ يعني: صاحب الوارد الإلهي وهو إشارة إلى: أفق محمد ﷺ خاصة في هذا المقام؛ لأن أفق آدم عليه السلام كان متصلاً بأفق نوح، كان متصلاً بأفق إبراهيم، كان متصلاً بأفق موسى، وأفق موسى كان متصلاً بأفق داود، وأفق داود كان متصلاً بأفق عيسى، وأفق عيسى كان متصلاً بأفق محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وأفق محمد ﷺ كان متصلاً بالحق وهو أفق الأعلى من طرف الخلق؛ يعني: ليس أفق أعلى من أفقه وهو الأفق المبين من طرف الحق، كما أن للمعدن أفقًا إلى حد النبات، وللنبات أفقًا إلى حد الحيوان، وللحيوان أفقًا إلى حد الإنسان، والإنسان صاحب الأفقين العلويين والسفليين ولأجل هذا كان وسطًا وخيرًا، فهكذا صارت أمة محمد ﷺ وسطًا كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:143]، وقال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران:110] وفي حقيقة الأفق سر يتعلق بحد القرآن مما لا يجوز إفشاؤه، هذا بساط قد طويناه، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: 24]؛ يعني: وما اللطيفة المبلغة بضنين؛ أي: متهم على الواردات الغيبية ولا بخيل بإبلاغها، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير:25] وما هذا الوارد بإلقاء الشيطان الرجيم، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؛ أي: أين تعدلون عن الصراط المستقيم وتشكون في صدق الوارد، ثم تكلم به قبل ورود الوارد وهذه اللطيفة كانت معكم، أفلا تصدقونه فيما يقول

من الوارد الغيبي: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:27]؛ أي: ليس هذا الوارد إلا ذكرًا ووعظًا لجميع العالم إن آمنوا به وعملوا بما فيه، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:28] إزاغته عن الصراط المستقيم بإنكاره الوارد والاستهزاء لصاحب الوارد المبلغ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:29]؛ يعني: ما تشاءون هداية أحد وإضلاله إلا أن يشاء الله هدايته وإضلاله، يضل به من يشاء، ويهدي به من يشاء وهو رب العالمين، يربيهم بلطفه وقهره كما يشاء ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء:23] من إعطاء التوفيق لأحد والخذلان لآخر ويسألون بحكمه وحكمته.

اللهم أعذنا من الخذلان وشرفنا بالتوفيق لقبول الوحي عن الرب بمحمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان على سبيل التحقيق.

سورة الانفطار

مكية وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (2) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (4) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (5) يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)﴾ [الانفطار: 1 - 8].

يا مترصد القيامة، تيقن بدخول ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:1]؛ يعني: إذا انفطرت سماء الصدر وهو أحد علامات القيامة،﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار:2] كواكب القوى المخزونة في الدماغ وتحللت، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار:3]؛ أي: بحار عنصرية مائية القالب فجرت بالعرق، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار:4]؛ أي: قبور القالب بعثرت وقلبت على صاحبها، وهذه علامات القيامة يشاهد السالك عند غلبة سلطان الذكر اللساني على وجوده، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار:5]؛ أي: علمت قوى النفس ما قدمت من الأعمال الصالحة والفاسدة، وأخرت من التبعات باتباع الهوى ومخالفة المولى.

﴿يَا أَيُّهَا الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:6]؛ يعني: أيتها اللطيفة الإنسانية، ما غرك؛ أي: ما خدعك بكرم ربك لأنك اتكأت على سرير رحمته، واشتغلت بمشتهيات نفسك، وتركت الطاعة وركبت المعاصي رجاء مغفرته بتسويل الشيطان الغرور، أما علمت أنه هو ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ [الانفطار:7] من العدم ﴿فَسَوَّاكَ﴾ [الانفطار:7] في الرحم ﴿فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ﴾ [الانفطار:7-8] في القدم ﴿رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:8] من المفردات في أعدل مزاج وأحسن تقويم، ما خلقك سدى ولا هزلاً ولا عبثًا.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (19)﴾

[الانفطار: 9 - 19].

﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ* وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار:9-10] حقاً أنهم يكذبون بيوم الجزاء؛ لأجل هذا يعملون الفساد ويرجون من الله الثواب، ولو أنكم تصدقون بيوم الحساب ما كنتم متورطين في المخالفات، وحفظتنا للتي كانت رقباؤكم يحفظون أعمالكم ويشهدون ما تفعلون ﴿كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار:11] يكتبون ما تكسبون ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:12] يمهلونكم لتزدادوا إثمًا؛ لأنا كتبنا في الكتاب القديم ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:13-14]؛ لأن بذور البر إذا زرعت خرجت النعيم، وبذور الفجور إذا زرعت أبرزت الجحيم، وإنكم اليوم في الزراعة لأن الدنيا مزرعة الآخرة، وغدًا في الحصاد فكل أحد يحصد ما يزرع، فالعجب من العاقل أنه يزرع الشوك ويرجو الرطب فليس هذا الغرور إلا من إلقاء الغرور، فاحذر منه وأزرع في مزرعتك خيرًا تحصد رغبته ولا تزرع شرًا لئلا تحصد ندامته، ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار:15]؛ يعني: الفجار في جحيم عمروها منذ عاشوا في الدنيا، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار:16]؛ يعني: الفجار ما كانوا عن الجحيم بغائبين معهم يعمرونها ولكن كانوا محجوبين؛ لكثافة جحيمهم وعمى أبصارهم المريضة، فسل محبة الدنيا وظفرة الهوى، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار:17] ثم كرر معظمًا لذلك اليوم ويقول: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار:18]؛ يعني: أخذ عنهم الاختيار الوهبي الذي أعطاهم الله؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملاً بذلك الاختيار الوهبي نسوا الله واليوم الآخر، وحصلوا مشتهيات أنفسهم على وفق هواهم، ويملكون بعضهم و﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف:104] بغلبتهم على الآخرين وباستيفاء حظوظهم من الدين ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار:19] اليوم أيضاً لله، ولكنهم سبب اختيارهم الذي أعطاهم الله محجبون عن المختار الحقيقي الوهاب لكل أحد اختياره، فإذا نزع عنهم الاستعداد وأخذ الاختيار فعرفوا في ذلك الوقت أن ليس لهم اختيار، ولا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

وأقروا أن الأمر بيد الله وهو المريد المختار الفعال لما يريد ولا ينفعهم في ذلك

الوقت الإقرار، فالواجب عليك أيها السالك، أن تجتهد في أن تشاهد اليوم اختياره واضطرارك، وتعلم أن الأمر كله بيد الله يبطش ويأخذ، ويعطي ويمنع، ويحيي ويميت، يرفع أقوامًا ويضع آخرين، يعز من يشاء ويذل من يشاء، ويحكم ما يريد، وتلتجئ إلى حضرته بالتمسك والعجز ليرحمك إن شاء الله، ولا يمكن هذا إلا بترك اختيارك وتسليمك إلى شيخك؛ ليوصلك إلى الاختيارية الحقيقية إن شاء الله، ولأجل هذا السر يحتاج إلى بشر مثلك؛ لينذرك ويبشرك ويهديك إلى ربك، ولأجل هذا [تُلي على] زبدة الكائنات عليه أزكى التحيات وأزكى الصلوات بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف:110] وهذه سنة سنها الله تعالى ولن تجد لسنته تبديلاً، من يرد أن يصل إلى الله؛ فليلذ بأذيال متابعة حبيبه، ومن يرد أن يصل إلى حبيبه فليعتصم بحبل ولايته ويشاهد ولايته، فليترك اختياره وإرادته وإلا فلا يلعب بالتوراة إن لم يكن يهوديًا صرفًا، والله إن منادي الحق ينادي دائمًا من الصباح إلى الرواح ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار:19]، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:88]، ولكن صماخك مسدول بقطن الغفلة لا يسمع النداء، وعينك بحب الدنيا رمدًا لا تبصر هلاك الأشياء وبقاء وجهه، فاسمع نصيحتي وداوي نفسك المريضة، ووقر صماخك، ورمد عينك؛ لترى وتسمع ما يرى ويسمع أهل الحق، وتجدون ذوق المشاهدة والمكالمة في السماع والذكر نقدًا ويرجون أضعاف أضعاف ما يجدون غدًا

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

سورة المطففين

مكية وآياتها ست وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣)﴾ [المطففين: 1 - 13].

أيها المطفف، الذي يأخذ من القوى العلوية بكيل وفيّ ولا يعطي حقه من القوى السفلية إلا بوزن طفيف وكيل منقوص، أما سمع ما يقول رب العالمين للمطففين في كلامه القديم حيث يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين:1:3]؛ يعني: يكيلون على الحفظة أعمالهم الناقصة، ويزنون حظوظ القوى من القوى السفلية في التفكر في آلاء الله ونعمائه، والاعتبار بما في عالم الآفاق، واستماع المواعظ بوزن خاسر، ويستوفون حظوظها من القوى العلوية من الحياة والعقل وغيرهما مما نكب بها نفسها بالحظوظ العاجلة على وفق سواها، ولولاها لكانت مثل البهائم في جذب المنافع ودفع المضار عن نفسه، وخسران وزنهم يرجع إلى أعمالهم الباطنة مثل: الحضور، والإخلاص، والصدق، والنية، والتوجه وأمثالها، وخسران كيلهم يرجع إلى الأعمال التي تتعلق بالحواس الظاهرة مثل: أركان الصلاة، والإمساك والشرب، وإيتاء الزكاة وأشبهها.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين:4-5]؛ يعني: هؤلاء يظنون أنهم غير مبعوثين من قبور قوالبهم ليوم عظيم شأنه ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: 9] من الصدور وتشهد الأعضاء على كل ما صدر عن صاحبه وورد عليه ﴿يَوْمَ يَقُومُ

النَّاسُ﴾ [المطففين:6] من قبور قوالبهم ﴿لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ [المطففين:6] لأمر ربه ليجزي كل نفس بما كسبت، ﴿كَلَّا﴾ [المطففين:7]؛ أي: ليس الأمر كما ظنوا، ﴿إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين:7]؛ يعني: كتاب القوى الفاجرة يصعد إلى السماء؛ أي: سماء الصور؛ فأبت السماء أن تقبله فرد ونزل إلى الأرض؛ أي: أرض القالب فأبت الأرض أن تقبله فصار مترددًا فيأمر الله تعالى حتى يسحبوه في سجين؛ وهو موضع الشيطان تحت سبع أرضين الأعضاء السبعة مثل الجب الذي لا يكون له قعر ولا نهاية، قعره يدل على أنه مظهر لصفة قهر الحق وفيه أسرار تتعلق بحد القرآن، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [المطففين: 8]؛ أي: سجين موضع يسجن فيه كتاب الفجار الذي هو كتاب ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين:9]؛ يعني: مكتوب فيه أعمالهم كالأعلام المرقومة على الثياب بحيث لا يفنى بالغسل، وهذه إشارة إلى: تثبت الأعمال وجوديته الفاسدة على وجودهم بحيث صارت الأعمال وجودية ذاتية لهم ولأجل هذا يخلدون في العذاب، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ* الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ* وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين:10-12]؛ أي: لا يكذب بيوم الجزاء إلا قوة عبدة قالبية أو أثيمة نفسية قالت: هكذا جبلت النفس، ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [المطففين:13]؛ يعني: إذا تتلى على تلك القوى الآيات الأنفسية قالت: هكذا جبلت النفس فإذا غلبت عليها خلطة السوء يشهد أشياء هائلة، وهي من قبيل الخيالات.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (16) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (17) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (19) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (20) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (21) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (25)﴾ [المطففين: 14 - 25].

﴿كَلَّا﴾ [المطففين:14]؛ أي: ليس الأمر على ما زعمتم ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾

[المطففين:14]؛ أي: طبع الله على قلوبهم بالذنوب التي اقترفتها القوى حتى يكتب على لوح وجودهم ظلمة الجهل والظلم، ويبطل استعداد اللوحية ليغرس الصور المائلة التي هي ثمرة أعماله الفاسدة الثابتة عليه، روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ورجع واستغفر صقل قلبه منها، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:14]»(1)، وأصل الرين الغلبة؛ يعني: غلبت عليهم شقوتهم لغلبة الظلمة على لوح وجودهم مما كسبت أيديهم وكتبت على اللوح بخط أعمالهم حتى اسود اللوح من المعاصي، ومات القلب لفوات استعداد قابلية الرحمة من الحق. ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(2)[المطففين:15]؛ يعني: القوى الفاجرة، والألواح المسودة بنقوش المعاصي عن رحمة ربهم ولقائه محجوبون بالحجاب الذي كسبوا في دار الكسب ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ [المطففين:16] الذي كسبوها وعملوها عملاً وعمروها وبالغوا في تعميق قربها وإشعال نارها ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: 17]، يقال لهم: القوى الملهمة التي تلهم القوى الأمارة بالخير وهي تكذبها، وتقول: كيف

---

(1) أخرجه أحمد (2/ 297، رقم 7939)، والترمذي (5/ 434، رقم 3334)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (6/ 110، رقم 10251)، وابن ماجه (2/ 1418، رقم 4244)، وابن أبي الدنيا في التوبة (ص143، رقم 198 ط مكتبة القرآن)، وابن حبان (7/ 27، رقم 2787)، والحاكم (1/ 45، رقم 6) وقال: صحيح. والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 440، رقم 7203 مكرر.

(2) لا يقتضي الحجاب مطلقًا، فإنه يُقيِّد بيوم القيامة، فقد ينكشف عنهم عماهم، وإن كان ذلك دون انكشاف بصائر أهل النعيم؛ لأنه محلّ أهل النعيم؛ وهو الجنة، وكذا أبدانهم لطيف قابل لكل نور ذاتي، ونعيم صفاتي، وأمّا محلّ أهل الجحيم؛ وهو النار، وكذا أجسامهم، فكثيف ليس بمقابل لذلك، فليس لهم نعيم صفاتي أصلاً من المطعم، والمشرب، والمنكح ونحوها، وأمّا النعيم الذاتي فبقدر تصفية ذاتهم وصفاتهم؛ وإنما قلنا النعيم الذاتي من طريق المشاكلة، وإلا فلا نعيم هناك أصلاً؛ لأنه عالم الفناء عن الحسّ، وليس عنده ذوق، وبرد وسلام فاعرفه، واجتهد أن تكون من الذين ابيضّت وجوههم في جميع العوالم، فإن النور الدائم لا يلحقه الظلمة.

نترك لذتها العاجلة التي تشاهدها لقولك ووعدك لنا بدار لا نشاهدها، فقوله لهم في ذلك اليوم: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين:17]؛ يعني: هذه الدار التي بها تكذبون في الدنيا، وهذا جزاء أعمالكم التي كنتم عاملين لها في دار كسبكم، ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:18]؛ أي: حقًا أن محل كتاب الأبرار لفي عليين؛ أي: لفي مرتبة الملائكة التي يصلون إليها في الملكوت الأعلى ويضعمون فيها كتاب الأبرار وليس فوقها لهم سبيل؛ لأن ذلك المقام أعلى عليين الروحانية ولا يمكن التجاوز لأحد من ذلك المقام إلا بالجذبة، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين:19] عليون محل كتاب الأبرار؛ وهو ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:20-21] من أعلى عليين ويفرحون بذلك الكتاب.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين:22] الذين كسبوا في دار الكسب بالقوة القالبية والنفسية، والقلبية والسرية، والروحية والخفية، حتى رقم في وجودهم عين ذلك النعيم، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:23] على أريكة الرحمة ينظرون إلى جزاء أعمالهم وإلى نقوش ألواحهم، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين:24]؛ لأن وجوههم كانت مبصرة من نور كسبوه في دار الكسب ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ المحبة ﴿مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين:25]، ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: 26]؛ يعني: مختوم بطين خمره بيده وقت التخمير، وتكون طينته من عرف المعرفة مسكًا وفي المسك والكافور الذي يذكرهما الله تعالى في كتابه تعلق بحد القرآن.

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: 26 - 36].

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ .[المطففين:26]؛ يعني: من الاطلاع على سر الرحيق الحبّي، والطيني المسكي، والأرض الكافورية فليرغب الراغبون من أخص الخواص من السابقين ويضن على إفشاء سره لنفاسته وعلو مثاله، فتحل الفتنة ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين:27] ؛يعني: مزج الحب بالطين وبعبارة أخرى؛ يعني: مزجوا رحيقهم بسنيم الريق؛ أي: ريق الساقي وهذا مخصوص بالمقربين من الأنبياء والصديقين، ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:28]؛ وهي عين المعاينة تنبع من وجه المشايخ، يشرب بها المقربون خاصة وهي مما قال الله تعالى:﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:17]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ [المطففين:29]؛ يعني: القوى المجرمة ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين:29] في دار الدنيا، ويقولون: هؤلاء مساكين تركوا هذا النعيم المعين النقد لخيالاتهم الفاسدة ويتبعون أنفسهم ويستهزءون بعقولهم، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين:30]؛ يعني: يشير بعضهم إلى بعض استهزاء بهم وبما كانوا مشتغلين بالعبادة والمجاهدة وترك المشتهيات النفسية والهوتية، ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ﴾ [المطففين:31]؛ أي: إلى قوى قالبهم ونفسهم ﴿انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين:31]؛ أي: متعجبين من أحوالهم، ضاحكين من أفعالهم، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ [المطففين:32]؛ أي: إذا رأوا القوى اللطيفة ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ﴾ [المطففين:32]؛ يعني: ضلوا الطريق الواضح واللذة العاجلة، ويتبعون النفس بخيال: أن لهم بعد هذه الدار دار ينعمون فيها أبد الدهر، ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ [المطففين:33]؛ يعني: القوى المجرمة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [المطففين:33]؛أي: على القوى المطيعة ﴿حَافِظِينَ﴾ [المطففين: 33] لأعمالهم وأحوالهم ولكنهم أرادوا أن يستوفوا القوى المطيعة لأهوائهم، فلما عصت القوى المطيعة لأمرهم وطاوعت أمر ربهم حسدوا عليهم وضحكوا منهم وآذوهم.

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين:34]؛ يعني: يوم خروجهم من الدنيا ودخولهم في دار الآخرة يضحكون من الكفار بتجهيزهم في النار، وبخسرهم

على أنفسهم فيما أضاعوا الاستعداد الذي به يمكن حصول النعيم المقيم، والمؤمنون ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:35] إلى الكفار بعين العبرة ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين:36]؛ يعني: هل جزاء استهزائهم بالمؤمنين إلا هزاء، فعليك يا سالك الطريقة أن تستهزئ بالقوى المجرمة، وشاهد نعمك لتعمل بالنعيم المقيم عملاً صالحًا؛ ليكون غدًا من المقربين الشاربين رحيق المحبة الممزوجة بنسيم ريق الساقي إن شاء الله تعالى.

اللهم اسقني من كأس محمد ﷺ شربة لا أظمأ بعدها أبدًا.

سورة الانشقاق

وهي خمس وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الانشقاق: 1 - 13].

أيها الكادح لربك، القادح في أمر لطيفتك، الفاضح نفسك، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:1]؛ يعني: إذا انشقت سماء صدرك ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ [الانشقاق:2] في انشقاقها ﴿وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:2]؛ أي: تطيع أمر الرب وهو يوم قادح، ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق:3]؛ أي: أرض البشرية مدت في عينيك لا يبقى فيها عوجًا ولا أمتًا ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ [الانشقاق:4] ألقت ما فيها من كنوز القوالب والاستعدادات ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق:4]؛ أي: ما بقيت فيها من القوى، وخلت بالكلية منها، وانتزعت عنها شاءت أم أبت ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:5]؛ أي: وحق لها أن تطيع أمر ربها.

﴿يَا أَيُّهَا الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً﴾ [الانشقاق:6] أيتها اللطيفة الباقية الإنسانية، إنك مسرعة إلى ربك في عملك، فانظري ما عملت خيرًا عملت لتكوني مسارعة إلى لطفه، أم شرًا عملت لتكوني مسارعة إلى قهره ﴿فَمُلاقِيهِ﴾؛ أي: تشاهدين جزاء الشر لا محالة، وكلكم في تلك الحالة مسارعون إلى ربكم بأمر الرب حيث يقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران:133] فطوبى لمن سارع إلى مغفرة ، وويل لمن [كفر] نعمته، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ [الانشقاق: 7-8] وهو المسارع إلى مغفرة الرب، ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ [الانشقاق:9]؛ أي: ينقلب إلى قواه الطائعة له المؤمنة بربه، مسرورًا معه مغفورًا ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ

ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق:10] وهو المسارع إلى نعمته؛ لأنه كان متوجهًا إلى الدنيا مدبرًا عن العقبى، فلأجل ذلك أوتي كتابه وراء ظهره؛ لأن كل ما عمل بقي وراء ظهره وما قدم لنفسه عملاً صالحًا، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً﴾ [الانشقاق:11] ينادي بالويل والثبور ويدعو هو بنفسه على نفسه بالويل والثبور حين يهوى به في السعير كقوله تعالى: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيراً ۞ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ [الانشقاق:12-13]؛ يعني: في الدنيا مع القوى الكافرة كان مسرورًا باتباع الشهوات والتلذذ بالمنهيات على وفق هواه.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۞ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۞ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۞ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۞ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۞ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۞ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۞ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۞ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞﴾ [الانشقاق: 14- 25].

﴿إِنَّهُ ظَنَّ﴾ [الانشقاق:14] في دار الدنيا ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق:14]؛ أي: لن يرجع إلينا ﴿بَلَىٰ﴾ رجوعه كان إلينا.

﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾ [الانشقاق:15] كان بمشهد الحق كل ما كان عامله من اتباع الهوى ومخالفة أمر المولى، ﴿فَلاَ أُقْسِمُ﴾ [الانشقاق:16]؛ أي: أقسم بالسر الذي أودعت ﴿بِالشَّفَقِ﴾ [الانشقاق:16] عند غروب شمس الروح، ﴿وَاللَّيْلِ﴾ [الانشقاق: 17]؛ أي: والسر الذي أودعته بجلالي في سوار ليلة الموت وفوت ضياء الشمس، ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق:17]؛ أي: والسر الذي أودعت في ضم المنتشرات وجمع المتفرقات حالة النزع، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الانشقاق:18] والسر الذي أودعت في قمر القلب في تلك الساعة إذا أتم نوره ليبصر به عند كشف الغطاء الذي يكون بصره حديدًا ويتمنى الرجوع والمهلة ولا ينفعه التمني.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ﴾[1] [الانشقاق:19]؛ يعني: لتركبن اللطيفة المطاوعة

---

(1) قال التستري في تفسيره (2/ 254): باطنها لترفعن درجة فوق درجة في الجنة، ولتحولن من حال إلى حال أشرف منها وأسر، كما كنتم في الدنيا ترفعون من درجة إلى درجة أعلى منها، من طمع وخوف وشوق ومحبة.

درجة بعد درجة في تلك الساعة، ورتبة بعد رتبة حتى تقربها إلى الله زلفى، ﴿فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق:20] هذا استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: فما للقوى الكافرة لا يؤمنون، فهذا مخصوص في عالم الأنفس بالسالك الذي شاهد طيفه يصعد إلى الحق، وأنكر بعد ذلك الصور بتلقين الشيطان، وكذّب تلك الحالة وظن أنه كان خيالاً، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق:21] آيات الأنفس ﴿لاَ يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق: 21]؛ أي: لا يتواضعون للحق ولا يؤمنون به، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الانشقاق:22]؛ بل الذين جعلناهم مظاهر قهر، وحكمنا عليهم بالكفر ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ [الانشقاق:22] هذه الآيات ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الانشقاق:23]؛ أي: بما يحفظون في صدورهم؛ لأنه أودع فيهم سر مظهريتهم لقهره، ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق:24] وهذا سخره لهم ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق:25]؛ أي: غير مقطوع ولا منقوص، فعليك أيها السالك أن تخضع لأمر الحق، وتصدق الآيات الأنفسية التي تطرأ عليك والقرآن الذي يقرأ عليك لطيفتك السرية، وتؤمن بالحق الذي أنزل عليك، وتعمل بما فيه ليكون لك أجرًا غير منون.

اللهم ارزقنا الإيمان الصحيح بالآيات الأنفسية والأفاقية بمحمد ﷺ.

سورة البروج

مكية وآياتها اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج: 1 - 10].

سورة يا شاهد شاهد الحق، ويا شهود مشهودك، ويا مشهود شاهدك تبين لك في اليوم الموعود، وحقيقة الشاهد والمشهود، واعلم أن الله تعالى خلق لوح العقل وكتب عليه كل شيء أراد إظهاره في الوقت المقدر والأجل المعلوم المعين؛ وهو أول خلق خلقه في مقام القلبية وجعل له مظهرًا في العالم الجسماني؛ وهو سماء الدنيا التي زينها الله بمصابيح النجوم والبروج، ورتب عليها أمور عالم الكون الفاسد الذي هو المسمى بالدنيا؛ وهي سماء صدرك في عالم الأنفس وأقسم بها في كتابه وقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج:1]؛ أي: بحق الوديعة التي أودعت في قابليتها بصفة ربوبيتي، ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ [البروج: 2]؛ أي: بالسر الذي أظهره في اليوم الموعود، وهو إذا دخل نجوم كل برزخ آخر وتبدل الأشكال التي أظهرناها على ذلك الثوب الذي سميته ذات البروج والسماء الدنيا، فبعد التبديل يظهر السر الذي أودعه الله في اليوم الموعود وهو يوم القيامة.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[1] [البروج:3]؛ أي: بحق اللطيفة الكاملة الأنانية المستحقة

---

(1) قال الورتجبي: الشاهد هو، والمشهود هو، يرى نفسه؛ إذ لا يراه أحدٌ بالحقيقة، وأيضًا الشاهد هو، إذا تجلَّى بتجلِّي الجمال والحسن، والمشهود كله مستحسن جميل بجماله، وأيضًا الشاهد هو، والمشهود قلوب العارفين شاهدها بنعت الكشف، وأيضًا الشاهد قلوب المحبين، ومشهود لقائه هو شاهدهم، وهو مشهودهم هو شاهد العارف والعارف شاهده.

قال الواسطي: الشاهد هو، والمشهود الكون لا يقال متى شهدهم، ولا يحدث لله شهادة، فحيث كانت الربوبية كانت العبودية؛ لأنه شهدهم قبل خلقهم علمًا وقدرة ورؤية، وتصريفًا في الإيجاد والإبقاء

المرائية، والعكس الذي ظهر في المرآة من جمال الشاهد، فالمرآة مشهودة لجمال الشاهد، والشاهد هو الله، والمشهود مرآة، فإذا صارت المرآة واحدة عكس الجمال تصير مشاهدة والجمال يكون مشهودًا وهذا سر مخصوص بمرآة بني آدم، ولأجل هذا صار أشرف الخلائق وأكرمهم عند خالقه حتى أمر الملائكة بسجوده، وفي تحقيقه أسرار تتعلق بحد القرآن ولا رخصة في إظهارها إلا في بسم الله الرحمن الرحيم، فإني مرخص أن أبين حده ومأذون في بيان مطلع النقطة الواقعة تحت الباء التي في أول البسملة، فإن ساعدني القدر وأخرني الأجل كتبتُ بعد الفراغ في تفسير بطن القرآن حد البسملة ومطلع نقطة الباء إن شاء الله تعالى.

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ* النَّارِ﴾ [البروج:4-5] جواب القسم؛ يعني: أن أصحاب اللطيفة النفسية المكذبة للطيفتها، المنذرة الداعية إلى ربهم، والمنكرة لها بعد اطلاعها على الآيات البينات الأنفسية الملكوتية، لعنوا وطردوا وأبعدوا من رحمة الله تعالى بإنكارهم الآيات البينات وتكذيبهم اللطيفة في دعوتها لهم إلى خالق السماوات، الذين اشتعلوا بنيران الغضب والبغض في أخاديد وجودهم؛ ليحرقوا اللطيفة الداعية لهم إلى الحق فتخرج النار الموقدة من شفير أخاديدهم عناصر وأحرقتهم كقوله تعالى: ﴿النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ﴾ [البروج:5]؛ وهي بدل إلا الأخدود.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ [البروج:6]؛ يعني: أصحاب الأخدود كانوا على شفير

-

والإفناء، لم يحدث له في إحداث الخلق أحداث؛ لأنه لا فصل، ولا وصل، والوجود معدوم، والمعدوم موجود لم يحضر آباد وقته، وأحضرهم أحداث أوقاته، ولما ثبت الشهود بالمشاهدة وجب أنه لم يكن عنده مفقودًا أبدًا، أو يستحيل أن يكون البارئ مفقودًا.

قال فارس: كلاهما عائدٌ عليه هو الناظر، والمنظور إليه، وهو الشاهد لخلقه، والمشاهد لهم بوجود الإيمان وحقائقه.

قال الحسين: في هذه الآية علامة أنه ما انفصل الكون عن المكوِّن ولا قاربه.

قال سهل: الشاهد نفس الروح، والمشهود نفس الطبع، وقد وقعت لي نكتة في التوحيد: أنه تعالى لم يزل شاهدًا، فلو ثبت مشهودًا غير نفسه من الحدثان، فإذًا تقول بقدم الحادث والعلم بوجود المحدثات على الحقيقة كان مشهود الحق إذا كان في علمه علم كينونية المكوِّنات، وكيفية وجودها، فإذًا وجودها وعدمها سواءٌ في شهود الحق.

أخاديد لهم قاعدين لتعذبهم اللطيفة الداعية والقوى المؤمنة بها، ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج:7]؛ يعني: النفس الأمارة وقواها الكافرة كانوا حاضرين فلما شاهدوا خروج النار من شفير الأخدود، وإحراق الكافرين ونجاة المؤمنين منها، ندموا وما نفعهم الندم بعد نزول البلاء وظهور الآيات، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ* الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج:8-9]؛ يعني: ما كرهوا الإيمان وما عابوا المؤمنين وما تبينوا إلا أن يؤمنوا بالله الغالب على أمره ﴿الْحَمِيدِ﴾ المحمود بكل موجود عين لسانه، الذي يسبح به خالقه ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾؛ يعني: بحكمة النار والريح أمر الريح؛ ليخرج النار من قعر الأخدود وإحراق الكافرين الذين كانوا على شفير الأخدود، وأنجى المؤمنين الذين كانوا في قعر الأخدود، ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ يعني: حاضراً معهم شاهدًا لأحوالهم، ما كرا بالذين مكروا بالمؤمنين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج:10]؛ أي: عذبوا وأرادوا أن يحرقوهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ [البروج:10] ولهم؛ أي: عذاب الأجل بكفرهم وإصرارهم على الكفر بعد اطلاعهم على الآيات البينات ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج:10]؛ أي: العذاب الأجل بنصرة عدوهم عليهم، وتسلط القوى المؤمنة على القوى الكافرة، وتذليلهم وأسرهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: 11 - 22].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج:11]؛ يعني: القوى التي آمنت باللطيفة الداعية لها وعملت الصالحات لهم الجنات التي عمرت في نفوسهم بالعمل الصالح تجري من تحتها الأنهار والمعرفة، و﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج:11] وهذه الآية تصلح أن تكون جواب القسم؛ يعني:

يكرر القسم، ثم قال: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ [البروج:4]..... إلى آخره، ثم أقسم وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البروج:11] ولو نقول: إن في الآية تقديمًا وتأخيرًا كما قيل يجوز؛ يعني: قتل أصحاب الأخدود ﴿وَالسَّمَاءِ.....﴾ [البروج:1] إلى آخره، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:12] جواب بعد الجواب؛ يعني: يوم يبطش البطشة الكبرى تكون أشد من البطش العاجل الذي بيناه في عذاب الحريق.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج:13]؛ يعني: خلقهم أولاً، يميتهم ثانيًا، ثم يحييهم ثالثًا، وبعبارة أخرى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج:13] ويعيد القوى في النفس الأمارة من الغيب إلى الشهادة ويجعلها مظهرًا لصفة قهره، ويعيدها إلى عالم الغيب من الشهادة مع الكتاب الآلات الباقية للمظهرية لصفة القهر.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج:14] للقوى التائبة المؤمنة ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾

[البروج:15] الذي كان فوق الكرسي المسمى بفلك الأفلاك؛ وهو مستوى الصفة الروحانية ومحرك الأفلاك؛ وهو مبدئ ظهور الفعل ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾(1) [البروج:16]؛ يعني: يفعل بتحركه الأفلاك ما كتب على اللوح أراد ظهوره، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج:17-18]؛ أي: سمعت حديث القوى القالبية، والنفسية التي آمنت بفرعون اللطيفة القالبية غير المستخلصة عن الباطل وإرادة الغلبة على اللطيفة المستخلصة عن الباطل الواصلة إلى الحق ما فعل الله بهم، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ [البروج:19] أيتها اللطيفة الخفية، لك كما كذبوا من قبل اللطائف المستخلصة عن الباطل الداعية أممهم إلى الحق والأمن، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج:20]؛ يعني: عالم

---

(1) قال القشيري: إنْ أراد أن يجعل أرباب الأرواح من أرباب النفوس فهو قادر على ذلك، وهو عادل في ذلك، وإن أراد عكس ذلك فهو كذلك فلذا كان العارف لا يزول اضطراره، ولا يكون مع غير الله قراره، هل أتاك حديث الجنود، أي: جنود النفس التي تُحارب به الروح لتهوي بها إلى الحضيض الأسفل، ثم فسّرها بفرعون الهوى، وثمود حب الدنيا، والطبع الدني، بل الذين كفروا بطريق الخصوص في تكذيب، لهذا كله، فلا يُفرقون بين الروح والنفس، ولا بين الفرق والجمع، والله من ورائهم محيط، لا يفوته شيء، لإحاطة المحيط بالأشياء ذاتاً وصفاتاً وفعلاً، بل هو أي: ما يوحي إلى الأسرار الصافية، والأرواح الطاهرة قرآن مجيد في لوح محفوظ عن الخواطر والهواجس الظلمانية، وهو قلب العارف.

بكيدهم قادر على دفعهم ولكنه يمهلهم؛ ليكسوا آلات شقاوتهم الأبدية، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج:21]؛ يعني: إن الذي ينزل عليك من أحوالهم، ومما يؤول إليه أمرهم في الآخرة، من أمور الغيبية المشهودة من أعين أهل الشهادة، قرآن حق لا شعر ولا كهانة وبعبارة أخرى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج:21] إنهم أمهلوا حتى أكثروا الفساد وادخروا العذاب الشديد ليوم المعاد مكتوب ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:22]؛ أي: في لوح عقلك، محفوظ في قوة حافظتك، وقد بينا في قدسية أخرى ذكر القرآن القديم الكريم الذي ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:79] والقرآن المجيد الذي يقرؤه الآفاقيون، فاطلب منها حقيقتها فسبيلك أيها السالك سماءك ولوحك، وشاهدك ومشهودك، ويوم الموعود، ولا تنكر الآيات البينات الأنفسية التي تشاهدها في السلوك، وتذعن الأمر للطيفة، وتكفر بالنفس الأمارة، وتكون من حزب الرحمن، وتجاهد مع جند الشيطان؛ لتكون من الفائزين بالفوز الكبير.

اللهم اجعلنا من أهل الفوز والسداد والصلاح بمحمد ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان كل صباح ورواح.

سورة الطارق

مكية وآياتها سبع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩)﴾ [الطارق: 1 - 9].

أيها الطارق في ليل القالب من سماء الصدر الطالب، محبوب القلب الكاسب، مطلوب الرب في سوق القدر، اعلم أن الله أقسم بالسماء والطارق في كتابه بقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ* النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق:1-3]؛ يعني: النجم المضيء من نور العرش الذي هو مستوى الرحمن، يطرق من السماء إلى عالم البشرية في ظلمة ليل القالب، ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق:4] جواب القسم ؛يعني: ليس كل نفس لما عليها منا حافظ، وحفظتك من هذا القبيل يحفظونك من العاهات الجسمانية والآفات الروحانية، وأنت غافل عن نفسك وعن حفظك وتحسب أنك خلقت للأكل والشرب، والجماع كالبهائم ولا تتفكر في خلقك ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ* خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ* يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق:5-7] النازل من سماء صدرك، أما تعلم أن الله خلق لطيفتك الإرادية من ماء الرحمن المصبوب في رحم قالبك مما كان مودعًا في صلب روحك، ومن ماء التربية المستودع في ترائب قالبك وقت التخمير؟

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق:8]؛ يعني: أن الله قادر على رجعه ﴿لَقَادِرٌ﴾ إلى أصله إن لم يعطه حقه، فالواجب عليك أيها المريد، أن تغتنم نزول اللطيفة الإرادية في قلبك وتربيها أحسن مما يربي أحد ولده العزيز؛ لأن ذلك الولد عدو لك وفتنة لك، وهذا الولد مبارك عليك حبيب لك يوصلك إلى حضرة ربك ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: 9] يظهر لكل أحد في ذلك اليوم سر هذا الولد العزيز ويندم على تقصيره في تربيته ولا ينفعه الندم.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝﴾ [الطارق: 10 - 17].

﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ﴾ [الطارق:10] أن يشتغل سيده بتربيته ﴿وَلاَ نَاصِرٍ﴾ [الطارق:10] أن ينصره على استرضائه إذ أذنه بالرجوع ليربيه حق تربية، ثم يقسم بالقوة التي أودعها في سماء الصدر بأن تمطر على رحم القالب ماء الرحمة لينعقد نطفة اللطيفة الإرادية، ويقول: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ* وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق:11-12]؛ أي: أرض القالب التي أودع فيها سر الربوبيّة؛ لتتصدع وتأخذ الماء وتنبت منه الشجرة الطيبة التي هي اللطيفة الإرادية.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق:13]؛ أي: هذا الذي أنزلنا عليك لقول حق يفصل بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِالْـهَزْلِ﴾ [الطارق:14]؛ يعني: هذا قول جد صدق لا لغو ولا هزل إن كنت تشتغل بتربية هذه اللطيفة الإرادية تصل إلى مرتبة الولاية، وإن كنت تهمل حق هذه اللطيفة وتقصر في تربيتها تعذب عذابًا أليمًا، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً﴾ [الطارق:15]؛ يعني: القوى الطبيعية يكيدون ألا تبلغ الرجال هذه اللطيفة مبلغ الرجال لئلا تسلط عليهم، ﴿وَأَكِيدُ كَيْداً﴾ [الطارق:16]؛ يعني: استدرجهم من حيث يكيدون وأعد لهم بما يكيدون، ﴿فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ﴾ [الطارق:17]؛ أي: مهل القوى الطبيعية الكافرة أيامًا قلائل؛ ليعمروا دركاتها ويشعلوا نيرانها، ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ [الطارق:17]؛ يعني: أنظر لهم ولا تستعجل؛ لكي يتمتعوا ويلههم الأمل فيأخذهم أخذ بغتة، وتعد لهم بما كادوا باللطيفة الإرادية عذابًا شديدًا؛ وهو عذاب الاطلاع على عرش اللطيفة وما أودع الله لصاحبها من النعيم المقيم والملك العظيم في جنة قلبها، ونحشرهم على فوات الاستعداد الذي يمكن ترتيبها.

اللهم وفقنا لتربية اللطيفة الإرادية المثمرة نور الولاية بحق محمد صاحب الهداية ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

سورة الأعلى

مكية وآياتها تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ [الأعلى: 1 - 9].

يا مسبح سبح أولاً لجاري اسمه ربك اشتغل بذكر الله حتى يطهر لسانك عن الغيبة والكذب والفحش والنميمة وما شاكلها، يستحق أن يكون مسبحًا لله ولا يمكن حصول تطهير اللسان إلا باسم الرب فلأجل هذا قال في كتابه: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:1] [من أن] يجري على لسان ملوث، والاسم الأعلى هو الله، والذكر الأفضل لا إله إلا الله ولأجل هذا السر اختار المشايخ الذين عرفوا الطريق على وجه التحقيق وهم طبقة أستاذ الطريقة الجنيد البغدادي -قدس سره- للسالكين الذين دخلوا في الطريقة، وجاهدوا في تطهير القلب؛ لينزل سلطان ذكر الرب فيه لا إله إلا الله، وإذا طهرت صورة الذكر صورة لسانك، وطهرت معاني الذكر حقيقة جنانك عرفت الرب وسبحته حق التسبيح، وعلمت أنه خلقك من العناصر الأربعة فسواك في أعدل الأمزجة ليصلح أن يكون مركبًا للروح الإضافي، وقدر أقوات القوى الروحانية من نفحات ألطاف الرب، وأقوات القوى الجسمانية من التدبيرات السماوية النازلة إلى أرض القالب، وهدى كل قوة إلى قوتها المقدرة كما قال في كتابه: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ [الأعلى:2-4]؛ يعني: أخرج مرعى الروح من ثدي الخفي كما أخرج مرعى الجسم من ثدي البطن ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً﴾ [الأعلى:5]؛ أي: هشيما مذللاً للأطفال، ونور البصيرة في سواد الخفي، ولين المعرفة والتربية الجسمانية والروحانية ﴿أَحْوَى﴾ [الأعلى: 5]؛ يعني: بحكمته جعل رأس الثديين أسود لأنه أودع نور البصر في سواد العين، ونور البصيرة في سواد الخفي، ولين المعرفة والتربية في الثديين المصبوغين بصبغ السواد الذي ليس بعده لون في تحقيق هذا السر قرع باب حد القرآن.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى﴾ [الأعلى:6] يقول الله تعالى للطيفة الخفية: سنقرئك من بيان الحدود فلا تنسى حقيقة أبد الدهر ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ﴾ [الأعلى:7]؛ لأنه حكيم رحيم يعلم أن الأسرار التي هي مدرجة في الحدود لو تكشف على أحد يحترق العقل ويبطل نظام العالم السفلي، ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ [الأعلى:7] إنه يعلم ظاهر القرآن وباطنه، ويعلم قوة ظاهرك وباطنك ومقدرًا تحمله معاني الظهر والبطن، فعلى قدر ما تكون قوتك نقرأه عليك ويثبت في قلبك بحور ما لك طاقة في حملها.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى:8]؛ أي: نهون عليك حمل ما أثبت في لوحك وقرأته والعمل به، ﴿فَذَكِّرْ﴾ [الأعلى:9] القوى القالبية والنفسية، والسرية والقلبية، والروحية والخفية، ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى:9]؛ يعني: إن كنت تذكر ما قرأت على لوحك فما عليك أن ينفع لهم الذكرى أو لا ينفع وعليك الوعظ والإبلاغ.

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾ [الأعلى: 10 – 19].

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى﴾ [الأعلى:10] سوف ينفع الذين يخشون من ربهم من القوى المستعدة الغير الملطخة بتراب الطبيعة [المدساء] في الطين اللازب، ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ [الأعلى:11-12] فكل من كان من الأشقياء الذين أصليناهم في النار الكبرى التي بها استكبر وأبى أمر الرحمن ويتجنبون عن الموعظة والذكر؛ لأنهم لا يموتون في تلك النار بألا يكون لهم خبر من عذابها، ولا يحيون بأن يكون لهم من الحياة لذة؛ بل لا يموتون من الطريق الجسماني يأكلون ويتمتعون ولكن ليس لهم حقانية حقيقة روحانية.

﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى﴾ [الأعلى:13] حياة تنفع؛ ليبصروا الحق ويسمعوا كلام الحق وينتفعوا بموعظة اللطيفة، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ [الأعلى:14]؛ أي: كل لطيفة اشتغلت بتزكية القوى القالبية والنفسية أفلحت؛ لأنها ذكرت اسم الرب فصلت وتوجهت إليه كما قال في كتابه: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى:15] والأشقى الذين لا هم أموات ولا أحياء، آثروا عيش الدنيا على عيش الآخرة لأنهم كانوا أمواتا عن القوى

الأخروية، أحياء بالقوى الدنيوية كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى:16-17]؛ لأنها دار البقاء خيرها لا ينفد وعيشها لا يفنى، والدنيا مرحلة الفناء عيشها عن قريب يفنى وتبعتها أبد الآباد تبقى.

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾[1] [الأعلى:18]؛ يعني: إن هذا الماء المكتوب في ﴿صُحُفِ﴾ [الأعلى:19] القلب والسر ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى:19] فاجتهد أيها السالك لتقرأ صحفك، ولا يمكن لك القراءة حتى تعالج بصرك الذي أعماه سبيل محبة الدنيا وظفرة الهوى، فإذا عالجت البصر وصار صحيحًا تعلّم علم القراءة من أستاذك لتقرأه من صحيفتك وتعرف حقيقة هذه الآيات فيك وتشتغل بالعمل بها أمرت به إن شاء الله تعالى.

اللهم اجعلنا قارئين صحفنا عاملين بها فيها بحق محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) إن هذا الوعظَ لفي الصحف المتقدمة، وكذلك في صحف إبراهيم وموسى وغيرهما؛ لأنَّ التوحيدَ، والوعدَ والوعيدَ، لا يختلف باختلاف الشرائع. تفسير القشيري (8 / ص 70).

سورة الغاشية

مكية

وهي ستة وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣﴾ [الغاشية: 1 - 13].

يا طالب معرفة القيامة المائية القالبية، اسمع ما يقول تعالى في كتابه الكريم حيث يقول: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية:1] والغاشية ما يغشى صاحبه عليه من هواها، وهي حاصلة من الماء الذي ركب القالب عنه، وأحمى بالنيران المشعلة بالريح الهوائية، وجمع في باطنه بحيث صار متقنًا وغلب عليه عند خراب القالب.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية:2]؛ أي: ذليلة ليس لهم وجاهة، ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية:3] عملوا بالهوى ما عملوا في عمران قالبه، ونصبوا على وفق متابعة هواهم ما نصبوا؛ يعني: ما وفقوا لاتباع اللطيفة الخفية؛ بل عملوا ونصبوا بالابتداع من هوى أنفسهم.

﴿تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً﴾ [الغاشية:4] بالحطب الذي جمعوا من الأخلاق الذميمة والأوصاف الكريهة، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية:5]؛ أي: متناهية في الحرارة التي حصلت من النار الحامية بحطب الأخلاق الردية ونيران الشهوة والغضب، ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:6]؛ لأنهم ما أطعموا القوى القلبية والسرية والروحية من شراب الذكر وطعامه، فلا يكون لهم يومئذ ﴿طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:6] وهو

شوك الخواطر القالبية الردية لصاحبها باتباع هواها، ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية:7]؛ لأنهم كلما أكلوا منها زاد جوعهم وعطشهم بعدها، ولهم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية:8-9] والوجوه التي توجهت إلى قبلة وجه الله، ونعمت القوى القلبية والسرية والروحية بنعمة الذكر، وسعت في طاعته طلبًا لمرضاته يكن ناعمات لسعيها راضيات في جنات عاليات عامرات في بواطنهم كما يقول الله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الغاشية:10-11]؛ لأنهم اشتغلوا في حبس القالب بذكر الله وما اشتغلوا باللغو واللهو، فلا جرم كانت جنة قالبهم عالية طاهرة من لاغية.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية:12] من المعرفة ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 13] من الأسرار الرفيعة التي لا يصل إليها المقربون من عباده الخواص.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: 14 - 26].

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية:14] موضوعة في حانة أنفسهم؛ وهي الاستعدادات القالبية مملوءة من شراب المحبة ورحيق المشاهدة ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية:15]؛ أي: وسائد الرحمة مصفوفة ليتكئوا عليها كما يتكئوا على وسائد وكالته في عالم القلب، ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:16]؛ أي: فرشوا البسط مبسوطة في بساط الباسطة، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[1] [الغاشية:17] إن كنتم تشكون

(1) انظر كيف تحقق الشيخ البيطار من هذه الآية المباركة بقوله الرباني حيث قال: اعلم ـ رحمك الله ـ أن الإبل عجيبة باسمها ومعناها؛ لأنها من جهة اسمها جمع وفرد؛ لأن الإبل لفظ يدل على الكثرة

لاستغراقه لكل فرد منها مع أن هذا الاسم لا واحد له من لفظه مثل: ثمرة وثمر، وحبة وحب، فاسم الإبل وإن دلّ على الكثير فهو واحد في عين تلك الكثرة. كذلك صور العالم وإن تكاثرت فهي حقيقة واحدة بين الوجود والعدم؛ لأنها برزخية بين ذات الله ومعاني أسمائه وصفاته، فمن الذات التي هي الوجود المحض، ومن معاني الأسماء - التي هي أحكام لا وجود لها في العين، وإنما تتعقل في الذهن - فهي عدم في الوجود العيني ظهر العالم الذي هو عبارة عن الصور، فالصور برزخية لا وجودية من كل وجه، ولا عدمية من كل وجه فهي من جهة الوجود عين الذات، ومن جهة الحكم العدمي عين الأسماء والصفات، فشابه لفظ الإبل الحق في واحديته، وصور العالم في كثرته، كذلك لفظ الجلالة هو واحد في نفسه، ولكن اندرج فيه كل شيء.

وأما العجب في معناها، فإنها مع كبرها وعظمتها تنقاد لكل عظيم وحقير وصغير وكبير، وتحمل النفيس والخسيس، ولا تمنع أحدًا من التمكن منها ولو كان نملة أو بعوضة، كذلك وجود الله تعالى لا يأبى أحدًا، فهو ظاهر في السعيد والشقي والعزيز والذليل، فأشبهت الأرض التي هي تحت العزيز والذليل، مع أن الأرض لما ذلّت تحت نعال الذليل أعزها الله تعالى بسجود الآدمي، ووضع وجهه الذي هو أشرف ما فيه عليها، وقد قال ﷺ: «لو دليتم بحبل لهبطتم على الله» والهبوط لا يكون إلا على الأرض، فقد سمّاها باسمه مع أنه ليس كمثله شيء، كذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: 70]، وما حملهم في البر مثل الإبل، وإن كانت الوابورات الظاهرة في زماننا هذا تحمل بني آدم برًّا، ولكن لا تحملهم إلى ما شاءوا، بل حملاً مقيّدًا، فالحامل هو الله والصورة صورة الإبل، فصورة الإبل وجه من وجوه الله، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17] أي: كيف تنزّل الحق الذي ليس كمثله شيء إلى هذه الصورة الإبلية حتى حمل بني آدم بنفسه، فقال: ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: 70]، فالحامل هو الله في صورة الإبل، فصورة الإبل مخلوقة حادثة والحامل قديم، فظهر من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في صورة الحادث مع أنه باقي على قدمه، فمن نظر إلى الإبل فقد نظر إلى وجه الاسم الإلهي (الحامل).

ألا ترى أن رسول الله ﷺ لما طلبوا الصحابة أن يحملهم فقال: «والله لا أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه» ثم أرسل لهم وأعطاهم من الإبل ما يحملهم، فقال بعض الصحابة: يا رسول الله، إنك أقسمت ثم أعطيتهم، فقال: «أنا ما حملتهم ولكن الله حملهم». ثم قال تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: 18]؛ لأنها بعل الأرض، فالأرض تحتها كما أن المرأة تحت الرجل، فالأرض منكوحة للسماء وزوجة لها، فحركات الأفلاك السماوية بمنزلة الجماع، والأمطار النازلة في الأرض بمنزلة الماء الذي يُلقى في الرحم، ونبات الأرض بمنزلة الولد الذي تخرجه المرأة من بطنها، فأشبهت السماء الذكر في الرفع، والأرض أشبهت الأنثى في السطح، وأما الجبال المنصوبة بين السماء والأرض فهي بمنزلة الخنثى من بني آدم، فهي برزخية المنزلة؛ لأن لها وجه إلى ذكورة السماء، ووجه إلى أنوثة الأرض

وتعجبون مما ذكرنا، أفلا ينظرون إلى إبل الشوق كيف خلقت؛ لتكون مركبهم ويصلون عليها إلى هذا المقام الذي لا يصل إليه أحد ﴿إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ﴾ [النحل:7] أفلا ينظرون إلى سماء صدورهم كيف رفعت، وإلى جبال قالبهم كيف نصبت، وإلى أرض بشريتهم كيف سطحت كما يقول في كتابه: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ* فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:18-21] أيها النائب لمحمد ﷺ القائم مقامه في وجود كل أمة محمد ﷺ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾، يعني: خلقت في وجود كل أحد لطيفة أحمدية وقوة محمدية؛ ليذكرهم قواها من الغاشية، وينذرهم بالنار الحامية والعين الآنية، ويبشرهم بالجنة العالية والعين الجارية والفرش المرفوعة والنمارق المصفوفة والزرابي المبثوثة، ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:22]؛ أي: لست بمسلط على هذه القوى لأنها خُلقت لعمل خاص متعلق بكل واحد منها، وما عليك إلا البلاغ والإنذار والإبشار.

﴿إِلاَّ مَن تَوَلَّى﴾ [الغاشية:23]؛ أي: القوى التي تولت عن الحق وعما خلقت له، ﴿وَكَفَرَ﴾ [الغاشية:23]؛ أي: كفرت حتى بخالقها والحق الذي لأجله خلقت، ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾ [الغاشية:24] بإعراض القوى عن الحق، وإقبالها على الباطل بعذاب

-

لاتصالها بالأرض، وهي تحمل بني آدم من جهة السكن.

قال تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر:82]، فلها مع الاسم (الحامل) الاسم (الواقي)، والاسم (الحفيظ) والاسم (الساتر) والاسم (المؤمن)، وجميع ذلك أسماء الله، والمسمى هو، فما في الوجود إلا هو، فهذه دلالات ظاهرة في هذه الأربع وهي: الإبل والسماء والجبال المنصوبة والأرض المسطحة، فأشبهت تربيع مراتب الوجود في قوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:3]، وهذه المعاني متوجهة على هذه الصور الأربعة، فلكل منها نصيب من الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، فنَصَّبها الله دلالات على وجود ذاته، إذ نظر الإنسان إليها ليتعدى نظره من صورها الظاهرة إلى الباطن فيها، وهو الحق تعالى.

فقدان الحق وهذا من أكبر العذاب، ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية:25]؛ أي: رجوعهم إلى حضرة الحق ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية:26]؛ يعني: الحق محاسبهم يوم الغاشية بإبطالهم الحقوق التي كانت ودائع الحق فيهم، وإحقاقهم الأباطيل التي كانوا مأمورين بإخراجها. فيا أيها السالك، اجتهد اليوم في إيتاء كل ذي حق حقه وإخراج الباطل عن نفسك؛ لتكون وجيهًا عند الله يوم الغاشية.

اللهم اجعل وجهي إليك ناظرًا متنعمًا بحق محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين صاحب الوجاهة والقدر.

سورة الفجر

مكية وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (5) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14) فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)﴾ [الفجر: 1 - 15].

يا طالب رضا المولى، ويا هارباً من هاوية الهوى، ويا عارجًا في الدرجات العلى، ويا صاحب ذوي النهي، اعلم أن الله أقسم بالفجر؛ وهو قدر جمال الروح الفاعل، وبليال عشر؛ وهي اللطيفة الجلالية المسكَّنة في القالب؛ وهي السكينة والحلم، والتواضع والصبر، والحكمة والفيض، والغيرة والعزة، والهمة والثبات، وأقسم أيضًا بالشفع؛ وهو الأحوال الطارئة على النفس من الفقر والغنى، والخوف والرجاء، والفرح والحزن، والترح بامتثال الأوامر؛ وهو الحال الذي ظهر في الآخرة الباقية التي فيها ينادي لأهلها يا أهل الجنة فرح لا بعده ترح، ويا أهل النار ترح لا بعده فرح، وأقسم ثانيًا بالليل إذا يسر؛ يعني: بالسير الذي جعل في الليل العظيم القدر، الذي رفع فيه قدر صاحبه وأسرى إلى سدرة المنتهى همته.

كما يقول الله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر:1:5]؛ أي: هل يقنع هذا القسم لمن كان له عقل بحجر؛ أي: يمنعه عن تكذيب الحق في القسم، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر:6-8]؛ يعني: ألم تر القوى النفسية أن الله فعل بالقوى العادية التي نبت لنفسها من التنعم في ذات عماد قالبها إرم جنة من القول النباتية الخبيثة، متى ما شاءت على وفق هواها دخلت وأكلت من ثمارها، لم يخلق مثل ذلك الإرم في قوالب غيرها كيف خربها ربها.

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر:9] جابوا صخور جبال القالب ليأمنوا من عذاب الرب، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ* الَّذِينَ طَغَوْا فِي البِلادِ﴾ [الفجر:10-11]؛ أي: القوة القالبية الكاملة في الباطلة فسدت أركانها وأحكمت أوتادها بهواها، وطغت في بلاد القالب على جميع القوى القالبية ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ﴾ [الفجر:12] وأراد أن يظهر على سماء الصدر، ورحاب مع الرب ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر:13]؛ يعني: فرد كيدهم في نحورهم، وأدخلهم النيران التي أوقدوها، وخرب جنانهم التي بنوها، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْـمِرْصَادِ﴾ [الفجر:14] هذا جواب القسم؛ يعني: وحق هذه اللطائف التي ذكرها ربك في وجودك إن ربك رباك وأودع فيك هذه اللطائف، ﴿لَبِالْـمِرْصَادِ﴾؛ يعني: يرصدك ويراك في تقلبك ويسمع نجواك ولا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا في الأرض القالب، ولا في الصدور، ولا في نهار الروح، ولا في ظلمة ليل النفس، ولا في أطوار القلب.

﴿فَأَمَّا الإنسان إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر:15]؛ يعني: إذا فتح عليه بأنوار البسط يقول: إني من المكرمين عند ربي.

﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفجر: 16 - 23].

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر:16]؛ يعني: إذا فتحنا عليه أبواب الفيض وأمسكنا عنه رزقه من البسط يقول: صرت مهينًا عند ربي، ﴿كَلاَّ﴾ [الفجر:17]؛ أي: حقًا ليس الأمر كذلك، ﴿بَل لاَّ تُكْرِمُونَ اليَتِيمَ﴾ [الفجر: 17]؛ يعني: إذا فتحنا عليكم باب البسط لا تكرمون خاطر القلب بكرامة الحضور في الذكر ﴿وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ﴾ [الفجر:18]؛ أي: لا يطعمون القوى المسكينة بطعام الذكر الخفي القوي، وظنوا أنهم وصلوا وتركوا الذكر والمراقبة واغتروا بحال البسط، ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً* وَتُحِبُّونَ المَالَ حُباً جَماًّ﴾ [الفجر:19-20] وتأكلون

من نعم البسط وما أورثهم في حال البسط أكلاً تمامًا شديدًا من نعمة البسط الحاصلة من ذكر اللسان، ولا يلتفتون إلى اليتيم والمسكين، ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُباً جَماًّ﴾ [الفجر:20]؛ أي: يحبون ما حصل لهم من نعم البسط حبًا كثيرًا، ﴿كَلاَّ﴾ [الفجر:21]؛ يعني: ما هكذا ينبغي حقًا أن يفعل صاحب البسط، ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكاً دَكاً﴾ [الفجر:21]؛ يعني: إذا دكت أرض القالب من سطوة الوارد الجلالي المثمر بلاء الفيض، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْـمَلَكُ صَفاً صَفاً﴾ [الفجر:22]؛ أي: جاءت اللطيفة الربوبية التي يقوم بها وجودك وخواطر القلب مع تلك اللطيفة صفًا صفًا، ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر:23] أرجئ جهنم قالبك التي اشتعلت نارها بهوى نفسك، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [الفجر:23] هي في تلك الحالة، ﴿يَتَذَكَّرُ الإنسان وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر:23]؛ يعني: وما تنفع الذكرى وأين القبول، وأين له بحال ذكر التوبة.

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ۝ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۝ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝﴾ [الفجر: 24 - 30].

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:24] هذه آية تدل على: أن الرجل ما دام في قبر قالبه كان ميتًا فإذا خرج منه يصير ذي حياة وعلم وبصر، ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:24] في تلك الحالة التي هي بالنسبة للحياة الأبدية مماتًا للأعمال الصالحة لا ينفعني اليوم.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝ وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر:25-26]؛ يعني: يعذب بعذاب الحسرة والندامة الدائمة، ويوثقه بالقيود الملائكية يأخذ الآلات والأدوات عنه وسعوره، بل لا سبيل له إلى الرجوع ولا سبيل له إلى الخلاص من هذا العذاب أبد الأبدين ودهر الداهرين، ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:27]؛ أي: القوى النفسية المطمئنة الخفية، المصدقة لها المؤتمرة بأمرها، المنتهية عما نهتها المشتغلة بحفظ حقوقها، التاركة حظوظها العاجلة، المعرضة عن هواها المقبلة على مولاها ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر:28] حين خروجها من قبر قالبها ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: 29] بعد التجاوز عن العقبة الكؤود النفسانية ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:30]؛ يعني: في

جنة القلب المضاف إلى الرب لشرفها. فيا أيها السالك، أعبر بهذه الحالات واعتبر عن مشتهيات النفس الأمارة؛ لتكون من الداخلين جنة الرب، ولا تفرح بالبسط ولا تحزن بالقبض، وكن في كلتا الحالتين ذاكرا للرب لئلا تكون من الذين يعبدون الله على حرف كما ذكرهم الله في كتابه.

اللهم اجعل نفسنا مطمئنة راضية مرضية وثبتنا على متابعة حبيبك محمد خير البرية ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان كل غدوة وعشية.

سورة البلد

مكية وآياتها عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (2) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (5) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (6) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)﴾ [البلد: 1 - 10].

يا طالب البلد الأمين، ويا قارئ الكتاب المبين، اعلم أن الله تعالى أقسم بهذا البلد وقال: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ* وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد:1-2]؛ أي: حرَّمنا هذا البلد على غيرك وأحللنا لك كل ما تفعل في بلد الوجود من قتل كفرة النفس ومشركها وأسر الهوى وسير قواها، ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد:3]؛ أي: بحق اللطيفة الفاعلية ونتائجها، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:4]؛ يعني: اللطيفة الإنسانية في مكابدة وشدة مع هؤلاء الأضداد المنفِّرة بالطبع[بعها] بعضها عن بعض، منه خلقناه ﴿أَيَحْسَبُ﴾ [البلد:5] القوى الكافرة ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد:5] من هواها بقوتها واعتمادها على مكرها، ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً﴾ [البلد:6]؛ يعني: أنفق قوتي في مشتهيات الهوى وأسلطها على اللطيفة؛ لتجلب خواطرها النفسية ورجل خاطرها القالبية ويمنعها عن التسليط على أهل البلد.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [البلد:7]؛ أي: ما يكيد ويمكر؛ بل الله مطلع على جميع ما يخفي ويظهر، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ* وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:8-10]؛ يعني: ألم نجعل للإنسان هذه القوى؛ يعني: القوة الباصرة وقوة التكلم وزينة التيقن والقوة المميزة بين الخير والشر، أيظن أن لن ير كيده خالقه الذي هداه على تمييز الخاطرين.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (19) عَلَيْهِمْ نَارٌ

مُؤْصَدَةٌ ۞﴾ [البلد: 11 - 20].

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد:11] لم ينفق قواه فيما يسهل عليه جواز العقبة الكؤود والنفسانية وقت خروجه عن قبر القالب، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ [البلد:12]؛ يعني: ما تدري بأي شيء يسهل عليه جواز العقبة، ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد:13]؛ يعني: فك رقبة نفسه عن أمر هواه، ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: 14-16]؛ يعني: يطعم الخاطر القلبي الذي كان يتيمًا في عالم النفس، أو خاطر السكينة الذي هو محتاج إلى الذكر من طعام ذكر الله، ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد:17]؛ أي هذا المطعم ينبغي أن يكون مؤمنًا بأن الله أرسل بخاطر القلب وخاطر السكينة إليه، ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ [البلد:17]؛ يعني: قواها النفسية والقالبية، ﴿بِالصَّبْرِ﴾ [البلد:17] على مراده خلاف الهوى، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:17]؛أي: بالمرحمة على الخواطر الغريبة التائبية في عالمه.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد:18]؛ يعني: هذه القوى النفسانية المؤمنة المطعمة تكون من أصحاب الميمنة غدًا، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ [البلد:19]؛يعني:كفروا بالآيات الأنفسية التي خلقناها وأظهرناها في باطن السالك وكشفناها عليه، ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [البلد:19]؛ يعني: تلك القوى الكافرة التي كانت في نفس السالك هم أصحاب المشأمة غدًا، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ [البلد:20]؛ يعني: عليهم نار مطبقة عليهم الأبواب لا يدخل عليهم روح من عالم الروح، ولا يخرج من داخلهم كرب وغم بأنهم كسبوا هذه النار المؤصدة بكفرانهم وطغيانهم اللطيفة في عالم الكسب.

اللهم اجعلنا مؤمنين لك وسهِّل الجواز على العقبة بحق محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

سورة الشمس

مكية وآياتها خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥﴾ [الشمس: 1 - 15].

يا شمس النبوة وضحى الرسالة وقمر الولاية، ونهار المعرفة وليل السكينة، وسماء العزة وأرض التواضع، ويا صاحب النفس الملهمة، ويا طالب الفلاح، اعلم أن الله أقسم بالحقائق المودعة في النبوة والرسالة، والولاية والمعرفة، والسكينة والعزة، والتواضع والنفس الملهمة في كلامه حيث يقول: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا[1] * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:1-8] بما سوى وقت سويته قالبها، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس:9] فكل من زكى نفسه من الأخلاق الذليلة الحاصلة

---

(1) قال روزبهان: أقسم الله بشمس جلال قدمه إذا ارتفعت من مشارق قلوب العارفين، فنوَّر بسنانها أسرارهم، وأيضًا أي: وشمس عرفانهم حين أشرقت بنور الإيقان، وأورث لهم لطائف العيان والبيان، وقمر صفاته إذا تتابعت أنوارها عقيب كشوف أنوار ذاته في فؤاد المقرَّبين، وأيضًا أي: بقمر الإيمان إذا تلا شمس العرفان، ونهار صباح الأزل إذا تجلَّى لأرواح الموحدين والصدِّيقين، وليلُ تحيُّر أهل الفناء في ميادين وحدانيته؛ حيث لا يدركون منافذ درك الحقائق، وأيضًا أي: بليل قهريات عظمته إذا تغشى بعين الامتحان أفئدة الطالبين والمطلوبين؛ لأن الكل في ضرب هذا البلاء، حتى قال سيد الورى ﷺ: «إنَّه ليغانُ على قلبي»، وسماء قلوب المحبِّين فيها أبراج الغيوب تسري فيها نيِّرات كشوفات الملكوت والجبروت وما بينهما، أقسم بالفعل، ثم بالصفة، ثم بالذات، وجميعها خبرٌ عن عين الجمع في الحقيقة، وفي عين التفرقة من حيث رسم الحقيقة، وأرض عقول العارفين التي هي مساقط شروق أنوار المشاهدة.

من العناصر القالبية المظلمة، وحلاها بالأخلاق الحميدة الحاصلة من القوى الروحانية النورانية، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:9-10]؛ أي: دسَّ نفسه في تراب الطبيعة الملطخة بالطين القالبي بمتابعة الشهوات النفسانية على وفق هواه قد خاب من لطف الله، ومن التنعم في دار القرار الدَّاسّ نفسه في تراب دار البوار ولتكذيبه اللطيفة التي أرسلها الله إليه في نفسه وعصيانه اللطيفة وطغيانه كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا* إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس:11-12]؛ يعني:إذا انبعثت اللطيفة وأسرعت إلى الطاغية انبعث أشقى قوى النفس على أثر اللطيفة الصالحة ليعقر ناقة شوقها.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ﴾ [الشمس:13]؛ أي: اللطيفة ﴿نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس:13]؛ أي: أخذوا ناقة الشوق ومشربها من عين الذكر، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس:14] بتكذيبهم صالح اللطيفة النفسية وعقروا ناقة الشوق، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ﴾ [الشمس:14]؛ أي: أهلكهم الله، ﴿فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس:14]؛ أي: عمهم بذلك العذاب، ﴿وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس:15] ولا يخاف القوى العاقرة في عقر ناقة الشوق عاقبة الأمر، فأهلكهم الله بطغيانهم لرسوله وتكذيبهم إياه.

اللهم اجعلنا من الصادقين الصالحين.

سورة الليل

مكية وآياتها إحدى وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (12) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (13) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14)﴾ [الليل: 1 - 14].

يا ساكن القالب الظلماني وطالب النور الروحاني، إن الله تعالى يقسم باللطيفة الجلالية المظهر بها ليل القالب، المظلمة بها نهار الروح لكمال قدرته وإظهار حكمته حيث يقول: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل:1] وابتدأ بالليل في هذا المقام لأن ابتداء خلقك في عالم الشهادة تخمير طينة قالبك، وقيده بقوله: ﴿إِذَا يَغْشَى﴾؛ لأن ظلمة ليل القالب في البداية تغشى جميع الأسرار التي كانت في طي الطينة مستودعة، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل:2]؛ يعني: بحق اللطيفة الجلالية التي أودعناها في النهار الروحاني تتنور بها ظلمة القلب، ويطلع السالك على الودائع المسكنة في قالبه وقت التخمير؛ وهي الأمانة التي أشار إليها حيث قال: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب:72].

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [الليل:3]؛ أي: بحق من خلق اللطائف الفاعلية والقالبية التي أودعناها في روحك وشخصك، ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل:4]؛ لتفاوت الاستعدادات التي تتعلق بالفاعلية القالبية مما جعلناه فيك، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ [الليل:5] جهده في طاعة الله وماله من القوى والاستعدادات للحق، ﴿وَاتَّقَى﴾ [الليل:5] عن الباطل ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل:6]؛ أي: صدق ربه فيما أوحى على لسان سر نبيه إليه بوجود الجنة التي هي الثمرة، التي حصلت من الشجرة الطيبة الإنسانية بذرها الكلمة الروحانية ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل:7]؛ أي: نيسره بالحقائق المودعة في اللطائف لعمل يوصله إلى يسر الأبد ويسار السرمد ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ [الليل:8] من القوى الحقانية التي أعطيناها له، واستغنى وجعل نفسه مستغنيًا عن الأعمال بالقوى التي

أعطيناها ليكتسب بها السعادات السرمدية ﴿وَكَذَّبَ﴾ [الليل:9] الله ونبيه ﴿بِالْحُسْنَى﴾ [الليل:9] التي هي الباقية للعمى الحاصل له من خيار الهوى الصارف إياه عن المولى.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل:10]؛ أي: نيسره بتلك القوى ليبطل بها حقوقها في طلب حظوظه العاجلة، ويعسر عليه الاشتغال بما ينفعه في الآخرة بتوجهه إلى حظ نفسه وبطلان استعداده وقواه في استعمالها في غير حقه ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: 11]؛ أي: بطل استعداده وأخذ منه الآلة وأدواته وأهوي في هاوية هواه ما يغني عنه قواهم ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل:12]؛ أي: نودع فيك اللطائف ونبين على لسان بشريتك ما كان فيه هداك ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾ [الليل:13] فمن طلبها من غيرنا فقد أخطأ الطريقان أولاك اشتغالك بحظوظك العاجلة النفسانية الهوية الشهوية وأُخراك توجهك إلى الحقائق الباقية المودعة فيك أولاك وأخراك، ولا يتخرج عنك ولا يطلب من غيرك؛ لأن الحق معك كما يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:4] لئلا تغلط وتضل وتزل عن الصراط المستقيم وتهوي إلى الجحيم.

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل: 14 - 21].

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى﴾ [الليل:14]؛ أي: أخبرتكم بما أودعت فيكم وأنذرتكم بالنار التي هي كافية في حجر قابلكم معجونة بطينتكم تتلظى من اشتعالكم تلك النار بالشهوات الباطلة، وتبغي بعد خراب قالبكم وهي نار الحسرة ﴿لاَ يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل:15-16] بالحسنى التي معه وتولى عن الحق بتوجهه إلى الباطل.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل:17-18]؛ أي: الأتقى الذي اتقى عن الباطل والاشتغال بالحظ العاجل ويؤتي ماله من القوى والاستعدادات في استعمالها بالحق، الطلب الحق ﴿يَتَزَكَّى﴾ لتزكي لطائفه عن الإبطال عن الأباطيل الحاملة في عالم الظلمة ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ﴾ [الليل:19] من القوى والاستعدادات عند اللطيفة الخفية ﴿مِن نِّعْمَةٍ﴾ [الليل:19] تجب على تلك اللطيفة ﴿تُجْزَى﴾ [الليل:19]؛ لأن

اللطيفة الخفية أعطت كل لطيفة حقًا في بدء الخلقة، وتدعوهم إلى الحق بعد نسيانهم الحق في عالم الظلمة والاشتغال بما فيه تكميل قواها القالبية والنفسية ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾ [الليل:20]؛ أي: اللطيفة الخفية تدعوهم، وتصبر على أذاهم لا من احتياجها إليهم ولا من نعمة لهم عليها أن تجزى لها؛ بل كان خالصًا لابتغاء وجه الله ربه الأعلى لعلمه بأن رضاه في هذا ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل:21]؛ أي: عن قريب يرضى عنه ربه بإعطائه إياه وعده من المقام المحمود أحده قبول شفاعته في أمته الخاطئة، وهذه أرجى آية في كتاب الله للأمة الخاطئة فاجتهد أن تكون مستقيمًا في اعتقادك باللطيفة الخفية التي هي فيك مودعة، متيقنًا بما أخبرتك اللطيفة الخفية عن الغيوب ولا يحل عندك الغرور بالتشكيك والتكذيب في إيمانك الغيبي؛ لتصل إليك فائدة شفاعة لطيفتك الخفية إن شاء الله تعالى.

اللهم ثبتنا على متابعة حبيبك عليه الصلاة والسلام

سورة الضحى

مكية وآياتها إحدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: 1 - 11].

اعلم يا طالب اللطيفة الجمالية والجلالية في اللطيفة الخفية التي هي محمد وجودك إن الله في كلامه القديم وقت إسبال الحجاب الجلالي على وجه جمال حال محمد ليتم معرفة الحقيقة بعد النكرة التي هي حال جمال الحال حيث قال: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى:1-2]؛ أي: وحق اللطيفة الجمالية المستودعة في روحك وحق اللطيفة الجلالية المستكنة في نفسك إذا سجى بالحجاب الجلالي على وجه ضحى اللطيفة الجمالية والسر في إطلاق وتقييد الليل، هو في هذه الحالة رجحت اللطيفة الجمالية بإسبال حجاب اللطيفة الجلالية لإكمال المعرفة فاحتاج إلى إخبار إسدال الحجاب بقوله: ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾، ثم يقول بعد القسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى:3] بإسبال الحجاب ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:3] لظهور سلطان النكرة ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ [الضحى:4]؛ يعني: المعرفة الأخيرة التي تطلع من أفق قلبك بعد هذه النكرة ﴿خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى:4] السابقة على هذه النكرة؛ لأنها كانت من معارف الملكوت والمعرفة التي تحصل لك في صدق هذه النكرة هي الدرة اليتيمة وهي من المعارف الجبروتية.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[1] [الضحى:5]؛ أي: يعطيك من المعارف

---

(1) قال روزبهان: هذه بشارةٌ لأمته المرحومة، فإنه لا يرضى حتى يدخل الله جميع أمته الجنة بلا حساب ولا عتاب ولا حجاب، وكيف يرضى العاشق من معشوقه حتى يكون هو المعشوق يصير هو هو، ولا يكون ذلك إلا بعد فناء نعوت الحدث في نعوت القدم.

قال ابن عطاء: كأنه يقول لنبيه ﷺ: أفترضى بالعطاء عوضًا عن المعطي؟ فيقول: لا فقيل له: ﴿وَإِنَّكَ

اللاهوتية التي كنت تسألها في دعائك تقول: «اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه»[1] وهذه المعرفة مثل الدرة اليتيمة درر المعارف وسوف يدل على أنه أعطاه بعد قوله: ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى:5] وفاء التعقيب أيضًا تدل على أنه وصل بعد رفع حجاب النكرة إلى هذه المعرفة المطلوبة، وقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ [الضحى:6] ..... إلى آخره، أيضًا يدل على أنه واصل إلى المعارف اللاهوتية؛ لأنه تعالى يقول امتنانا عليه وتعليمًا له في التخلق بخلق مع خلق الله حين يقول: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾ [الضحى:7]؛ يعني: ألم يجدك درة لطيفة وأنانيتك يتيمًا فريدًا وحيدًا ما كان لها مُرب في صغرها فرباها وآواها في تاج المحبوبية ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى:8] في عالم الجبروت؛ يعني: كنت ضالة بطريق الدقائق الجبروتية محرومة عن معارف الصفات الفعلية، وكيفية استعمال رقائق الصفات دقائق الأفعال؛ ليظهر منها شقائق الآثار وحقيقة ارتباط الشقائق بالدقائق والدقائق بالرقائق والرقائق بالحقائق، فهذه لطيفتك إلى هذه المعارف كلها على سبيل التفصيل، ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى:8]؛ أي: فقيرًا إلى معارف عالم اللاهوت وحقائقه المتصلة بالذات الواحدة التي بها رقائق الصفات الجبروتية فائقة فهل كله يقول في مقام الامتنان.

ثم يقول في مقام التعليم: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ﴾ [الضحى:9] الذي يكون في عالم الملكوت ﴿فَلاَ تَقْهَرْ﴾ [الضحى:9] والطف به واهده إلى معارف الدقائق الملكوتية بالرفق وآوه في رياض قدس سرك كما آويناك.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ [الضحى:10] الذي يسأل عنك في عالم الجبروت من دقائق الصفات ﴿فَلاَ تَنْهَرْ﴾ [الضحى:10]؛ لأن للسائل حقًا وهو دخيل في عالم الجبروت وضال طريق هداه إلى الرقائق المتصلة بالحقائق فأرشده واهده كما هديناك ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:11]: أي: بنعمة معارف الحقائق اللاهوتية التي ربيناك بصفات الربوبية ثم أنعمنا بها عليك فحدث مع كل أحد من أمم قواك على قدر عقولهم ولأجل

-

لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أي: على همة جليلة؛ إذ لم يؤثر فيك شيءٌ من الأكوان، ولا يرضيك شيءٌ منها.

(1) تقدم تخريجه.

هذا قال ﷺ «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[1] وأوتي ﷺ في هذا المقام جوامع الكلام بحيث لو تكلم بكلمة وجيزة أخذ منها الخاص والعام كلهم على قدر استعدادهم، فأيديهم وكانت مندرجة في كلمة وجيزة معان كثيرة فاجتهد أيها السالك أن تكون في هذا المقام مؤدبًا بآداب رسولك مع ربك متخلق بخلق الله مع خلق الله في عالم شهادتك وغيبك ليمكن لك أن تؤدي حق هذا المقام وتتمتع بعده بالمقام المحمود المخصوص بمحمد أحمد للخلائق بأخلاقه الحميدة القاسم بين الخلق رزق خلق الخلائق، وفيه أسرار تتعلق بحد القرآن فادرج أيها الإنسان الغالب عليك النسيان وتوكل على الرحيم الملك المستعان مالك الدنيا في السرور والأحزان لتكون في ملكك وملكوتك مهدي إلى آخر الزمان .

(1) تقدم تخريجه.

سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾

مكية وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (8)﴾ [الشرح: 1 - 8].

يا منشرح الصدر على القدر رافع الذكر فيما أنقاضك، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[1] [الشرح:1] بنور جمالنا المودع في ظلمة قالبك، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح:2] ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح:3] وهو من الخواص القالبية والنفسية التي أنقض وأثقل ظهر ظاهر اللطيفة الخفية بنفوذ نور الذكر في وجود الذكر، كما أشار إليه النبي ﷺ في ذكر المفردين الذين اهتزوا بالذكر: «حتى وضع الذكر عنهم أوزارهم»[2]، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:4] باقتران ذاكريتك بمذكوريتنا وإيصال حقيقة مذكوريتك إلى حقيقة ذاكريتنا، وإظهار نور عزك بنور عزتنا، كما يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون: 8]، في هذه الآية صرح بأن المؤمنين كانوا عزيزين بنور عزة اللطيفة الخفية النبوية المحمدية، كما أن الرسول عزيز بنور عزة الله الحق المبين، فاجتهد في طلب عزتك التي أودعها الله فيك.

---

(1) قال الورتجبي: شرحَ صدره- صلوات الله وسلامه عليه- طلوع شمس جلال الحق فيه، فأضاء منه روحه وقلبه وعقله، وطار روحه في الأزل، وطار عقله في الأبد، وطار قلبه في الجبروت، ونفسه في الملكوت، فتولَّى الحق شرح صدره بنفسه لا بغيره، وذلك حين ظهر لسرِّه ذاته القديم، وصفاته الأزلية، فصار موسعًا مبسوطًا بوسع الذات والصفات، فشَرْحُه يزيد إلى الأبد؛ لأن جلال الحق لا نهاية له، وكان صدره محل تجلِّي الحق، فبقي مع الحق في ساحة الكبرياء حيث لا حيث ولا زمان ولا مكان، بل نور الذات في نور الصفات، ونور الصفات في نور الذات، فهو بين النورين محتجبًا بأنوار الحقيقة عن أوهام الخليقة.

(2) رواه البيهقي في الشعب (507).

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح:5]؛ أي: مع العسر المجاهدة والمذلة في الدنيا الفانية يسر المجاهدة والعزة في العقبى الباقية، ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح:6]؛ أي: مع عسر النكرة وتحمل مرارة مشاقها يسر المعرفة والاستراوح بمجاهدة حلاوة مذاقها.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ [الشرح:7] عن المجاهدة في عالم الكسب ﴿فَانصَبْ﴾ [الشرح:7] للمشاهدة في عالم الوهب، ونصب المشاهدة رعاية الأدب المختصة بخواص حضرة السلطان، ﴿وَإِلَى رَبِّكَ﴾ [الشرح:8] وقت المشاهدة والوهب ﴿فَارْغَبْ﴾ [الشرح:8]؛ يعني: كن على الهمة ولا تلتفت إلى غير الرب، ولا تطلب من الرب إلا الرب، فإذا وجدته وجدت الكل، ولا يفوت عنك شيء، كما قيل في المثل: كل صيد في جوف الفرا.

وجاء في الحكايات المنقولة عن بعض المشايخ أن أحدًا منهم جذب وعرج به إلى الحضرة وأوقف بين يدي الحق، فقال له الحق: إن كل الطالبين طلبوا مني شيئًا إلا أبا يزيد فإنه طلبني، ويكون مثل هذا الخطاب من رب الأرباب على سبيل التنبيه للسالك لانبعاث داعية همته العالية في طلبه لطفًا به منه، تأديبًا إياه وتعليمًا له، اللهم ارفع همتنا وأدبنا بأحسن تأديب بحق محمد ﷺ.

سورة التين

مختلف فيها وآياتها ثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ [التين: 1 - 8].

يا ساكن البلد الأمين، وآكل ثمرة اليقين من شجرة التين، اعلم أن الله أقسم بالتين وهو الثمرة اليقينية الذاتية الوجودية اللاهوتية، وبالزيتون وهو الثمرة العينية الصفاتية الجبروتية، وبطور سينين بفله الملكوتي الذي هو جبل مضى صفاؤه وسناؤه من سناء سبحات الجلال عليه بترتيب أمر النطق؛ وهو جبل ختم الله طينه بيدي لطفه وقهره في أربعين درجة، لاهوتية وجبروتية وملكوتية وناسوتية عشرًا عشرًا في صباح حاجز بين ظلمة العالم الجسماني وضياء العالم الروحاني، وبه يتم تدبير الأمر وهو المقصود من تجلي الذات وإبراز الصفات وإصدار الأفعال وإظهار الآثار؛ لأن الله تعالى أدرج ﴿كُن﴾ [آل عمران:47] كون ذلك الجبل جوهر اللطيفة العارفة المعرفة الشاهدة المشهودة للمرآتية، وهو القلب.

﴿الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ [التين:3]؛ أي: المأمون من دخول الشيطان فيه، بيت الله الحرام الذي قال في كتابه: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ [آل عمران:97] من عذاب الفرقة، والدخول في هذا البيت الحرام على النفس الملوثة بمحبة الدنيا الملطخة بمشتهياتها واتباعها على وفق الهوى المكدرة باشتغال بما سوى الحق تعالى، والحق يقسم بذاته وصفاته وأفعاله وآثاره في كلامه بقوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ* وَطُورِ سِينِينَ* وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ* لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:1-4]؛ يعني: جمعنا فيه الحقائق اللاهوتية، والدقائق الجبروتية، والرقائق الملكوتية، والشقائق الناسوتية.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين:5]؛ يعني: رددناه إلى أسفل سافلين الطبيعة للابتداء، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين:6] لأجل هذا

الترديد؛ لأنهم صدقوا اللطيفة الخفية، وآمنوا بالحق واستعملوا قواهم في الأعمال الصالحات، فلهم أجر على هذه الأعمال التي عملوا لله ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: 6]؛ أي: غير مقطوع أبد الآباد، وكان ردنا إياهم وقت التدبير إلى ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: 5] الطبيعة ليكتسبوا القوى الصالحة، وتعرج إلى ربها مع حصول المعارف على سبيل التفصيل، ويجتازوا عن درجة الروحانيين، ويكونوا مرآة لوجه الله تعالى الملك الكريم من كمال عنايتنا بهم واصطفائنا لهم بالمرآتية من بين المخلوقات.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: 7]؛ يعني: فما يكذبك الشيطان بعد هذا التقدير، وكشف سر التدبير وحكمة العروج إلى الرب القدير ﴿بِالدِّينِ﴾ [التين: 7] الذي هو فطرتك الخفية، أتظن أن الله خلقك عبثًا؟! أتحسب أن الله تعالى جمع فيك المفردات وركبك من لطائف المفردات العلوية والسفلية بالهزل؟! وإنك لا ترجع إليه ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8]؟!

يعني أن الحكم الحقيقي للحاكم القادر لا يفعل فعلاً عبثًا، ولا يخلق شيئًا باطلاً فخلقه لك ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، ثم رده إياك إلى ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: 5] [لم] يكن من غير حكمة، ولا يكون بعد هذا الرد رجوعك إليه، ولا ينفي منك لطيفة باقية تتنعم وتتألم بعد خراب البدن، فكل نفس تكون مطمئنة تؤمن وتقول: بلى وأنا من الشاهدين على أنك أحكم الحاكمين، ولا يمكن أن يصدر منك فعل غير حق وعمل غير متقن، خلقتنا لمظهرية صفات لطفك وقهرك، وأودعت فينا لطيفة مستحقة؛ لتكون مرآة لذاتك، فطوبى لمن آمن بحقيتك وعمل عملاً صالحًا على مرآة وجوده بتصقيلها وإقامتها محاذاة الوجه بعد إخراج الحديد من الجبل، وبناء البلد الأمين الذي فيه مسكن المعمّلة، وغرس الأشجار المثمرة؛ ليضيء بضياء نور مروج في دهن الزيت ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: 3]، فيطلع في بستانه على ثمرة المعرفة الذاتية ويجتنيها ويأكلها ويصل إلى لطيفة ذوقهاله اللهم أذقنا معرفتك الذاتية بمحمد ﷺ.

سورة العلق

مكية

وآيتها تسع عشرة آية

وهي أول سورة نزلت وقبل الفاتحة ثم هذه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠)﴾ [العلق: 1 - 10].

أيتها اللطيفة الخفية، ﴿اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:1] مفردات لطائفك أولاً ﴿خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق:2]؛ أي: خلق ثانيًا حقيقة إنسانيتك عند خلق المفردات بعضها ببعض ليصل إليها ضوء نور اسم ربك؛ لكي تشرق به أرض قالبك.

﴿اقْرأْ﴾ [العلق:3] بالقوة التي أودعناها في اسمك الأحمدي الذي هو مظهر اسمنا الأحدي، ﴿وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق:3-4].

وهو أول موجود أوجده الله في مرتبة الفاعلية، وهذه إشارة ترد على اللطيفة المتخلقة من ظلمات القالب، ويظهر على السالك بعد هذا الأمر العلم اللدني، فإذا أدى حق هذه المقام في السجود يعطى له العلم المجهول في مقام الاقتراب، وهو مقام يرفع الحجاب فيه بين الأرباب الباطلة المتفرقة ورب الأرباب، يسجدوا له ويؤمنوا به ويقولوا: نحن التراب وأنت رب الأرباب، وفي هذا البيان سر عزيز يتعلق بحد القرآن الذي لا يمكن لقلم البيان التجاوز عنه؛ لأنه مأمور بأن يمد عين البيان في ميدانه.

﴿عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:5] من تفاصيل علم الأسماء، ومحاضر الصفاء، ومصادر الأفعال، ومظاهر الآثار.

﴿كَلاَّ إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق:6-7]؛ يعني: حقًا إن الإنسان إذا أراه مستغنيًا بالقوى والآلات والأدوات التي أعطيناها ليكتسب بها علم التفاصيل،

﴿لَيَطْغَى﴾ [العلق:6] ويعصي ربه بتلك الآلات والأدوات واستعمالها بغير حقها؛ ليكتسب اللذائذ العاجلة الشهوانية ويتمتع بها، ونسيانه بأن رجوعه إلى ربه كما يقول: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ [العلق:8]؛ يعني: مرجع كل اللطائف إلى رب الحق، فكل لطيفة أثقلت بالباطل ظهرها فهي معذبة وقت الرجوع.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:1] لكي يخفف نور اسم ربك ظهرك على ظلمة الباطل، كما أشرنا إليها من قبل.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْداً إِذَا صَلَّى﴾ [العلق:9-10]؛ يعني: أرأيت القوى القالبية والنفسية إن تنهى لطيفتها التي توجهت إلى لطيفتها الخفية.

﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (19)﴾ [العلق: 11 - 19].

﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ [العلق:11]؛ يعني: اللطيفة التي كانت على الهدى بتوجهها إلى اللطيفة الخفية، ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ [العلق:12] إن أمرت قواها بأن يتّقوا الهوى ويتركوا الاشتغال بالباطل فما تنفع التقوى بعد نزع الآلات والأدوات عنها اطلاعها على أمر اللطيفة وضياع الآلة؛ لإبقاء الحسرة في نفسها وشدة آلام الحسرة على فواتها.

﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [العلق:13]؛ أي: قوة جهل إلى جهله كذبت بالحق وتولت عن الإيمان، ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ [العلق:14]؛ أي: القوى الجهلية ﴿بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق:14] ما في ضميرها، ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ [العلق:15] عن تكذيب اللطيفة الخفية فيما وعدت وأوعدت، ويشتغل بالحظ العاجل ويستعمل الحق في الباطل ﴿لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق:15]، إذا لنأخذن بناصية إدبارها واستكبارها ونجرّها إلى النار الموقدة في صدرها من نيران الحقد والحسد.

﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾ [العلق:16] قوة مكذبة اللطيفة الخفية ﴿خَاطِئَةٍ﴾ [العلق:16] طريق رشدها بمخالفة أمر اللطيفة الخفية، ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق:17] إلى قواها القالبية والنفسية، التي هي عشيرتها ولينتصر بها عن هذه النيران المشتعلة في وجودها المقتحمة

فيها، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: 18]؛ وهي حقائق القوى القهرية التي أودعت في النفس الأمارة؛ لتحزن القوى الجاهلة الظالمة الخاطئة الكاذبة المكذبة بنواصيها وتلقيها في دركات قالبها.

﴿كَلَّا﴾ [العلق: 19]؛ يعني: ليس الأمر كما زعمت القوى الجاهلة، فيا أيها اللطيفة ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ [العلق: 19]؛ أي: لا تطع القوى الجاهلة، وصلِّ لربك متوجهًا كعبة قلبك، ﴿وَاسْجُدْ﴾ [العلق: 19] على تراب قالبك، ﴿وَاقْتَرِبْ﴾(1) [العلق: 19] باللطيفة الربوبية المستكنة في تراب قالبك؛ ليعطيك ربك الرفعة والعزة والكرامة بإيصالك اللطيفة الخفية التي هي محمد وجودك للجذب إليها جميع اللطائف في مقام العروج، وترجع إلى ربك ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: 28] إن شاء الله تعالى.

اللهم اجعلنا راضين مرضيين بحق محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(1) قال الورتجبي: لما انكشفت صفات القدم لتحبيب كان أن يسكر وشطح، وغلب بها رأى في نفسه من إحاطة أنوار الربوبية، جرّه الحق من مقام الربوبية إلى معدن العبودية، بأن نصّب له في سجوده حجال الأنس، ومهّد له فيه بساط القدس؛ ليدنو به منه، ويقطع مفاوز الآزال والآباد في سجدةٍ واحدة، ليس الاقتراب بالاكتساب، إنّما أراد خلو سره عن الدارين وتربيته في مقام العبودية؛ حتى يكون إمامًا للصديقين والمتمكنين من العارفين، وأهل الإرادة من المؤمنين إظهارًا للتواضع والتذلل لجبروته وملكوته. قال ابن عطاء: اقترب إلى بساط الربوبية فقد أعتقناك من بساط العبودية.

وقال الواسطي: العوام متقلبون في صفات العبودية، والخواص مكرمون بأوصاف الربوبية، ولا يشهدون غير صفات الحق؛ لأن العوام بمحتمل الصفات لضعف أسرارهم، وبعدهم عن مصادر الحق.

قال جعفر: اقترب من حيث العبودية فقد قرّبتك من حيث الربوبية.

سورة القدر

مختلف فيها وآياتها خمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: 1 – 5].

يا طالب ليلة القدر وشرح الصدر، اعلم أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:1]؛ أي: النور الذي يحصل به انشراح الصدر؛ وهو الجمال المخصوص بسيد أهل الكمال المودع في ظل قالبه، الذي بذلك النور ما كان لقالبه ظل قابلة قالبه، كان ظل النور لا ظل الظلمة بخلاف القوالب؛ لأنها ظلال ظلمانية، فلما طلعت شمس الروح أظهر ظلال الظلمة وهذا سر عزيز يتعلق بحد القرآن، فأنت أيها السالك الطالب اجتهد في طلب ذلك الظل المودع فيه ذلك النور في اللطيفة القالبية المستخلصة عن الأباطيل، المتسكن فيها نور لطيفتك الخفية ليصل في ظلمة ليل قالبك إلى ظل اللطيفة المستودع فيها نور القدر، ونشاهد ذلك النور في لطيفتك المستحقة ليكون قالبًا للطيفتك الخفية، وتصير صاحب القدر منشرح الصدر.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر:2] التي هي ظلمات القالب مسكنة، ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر:3] روحاني؛ لئلا يغتر بالأنوار الروحانية ويجهل أن يصل إلى ظلمات وصل إليها خضر لطيفتك الحيوانية، وشرب من ينبوعها ماء الحياة السرمدية، وما التفت إلى الجواهر النفيسة التي منعت ذي القرنين عن شراب ماء الحياة من منبعها.

وذو القرنين خاصيتا نفسك اللوامة؛ وهي العقل العملي والهوى العملي، وينبغي أن تخاف من هيبة سواد تلك الظلمة، وتلتجئ بالذكر القلبي وتلوذ بأذيال متابعة النبي، وتلتجئ إلى همة الشيخ الهادي المهدي؛ لتصل إلى الينبوع الذي ينبع منه ماء الحياة وتشرب منه بكأس الحبيب ﷺ، وتشاهد تنزل الملائكة قوى روحانيتك وروح قوتك الخفية القدسية، كما يقول تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر:4]؛ أي: في تلك الليلة

شديدة السواد المهيبة، التي فيها المستكن نور القدر الخفي عن أعين لطائفك المتلهبة بالأباطيل الجبلية على بصائر لطائفك المستخلصة عن الأباطيل.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر:4]؛ يعني: هذه القوى التي كانت وسائط من الأمر والمأمور، كما شرحناها في «بدائع الصنائع»، لا ينزلون إلا بإذن الرب على القلب الصافي عن كدورات الأضاليل، للسليم عن آفات الأباطيل، بخلاف الملائكة التي هي الحفظة؛ لأنهم ينزلون على الصافي والصالح، والباطل والفاسق، والضال والكتبة، ويتعلق بها الموت والحياة والرزق وغيره يسلِّمون على القلب السليم، السلام من الرب الكريم، الرب البر الرحيم؛ لأن تلك الليلة كلها سلام وخير حتى يطلع فجر النفس، كما يقول: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر:5]

اللهم ارفع قدرنا وذكرنا واشرح قلبنا وصدرنا بحق حبيبك محمد ﷺ.

سورة البينة

مختلف فيها وآياتها ثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ④﴾ [البينة: 1 – 4].

أيها التالي سطور كلام الكتاب العالي، وظلمة الليالي لدرك المكارم والمعالي، اعلم أن القوى الكافرة القالبية والمشركة النفسية غير منفكين عن كفرهم وشركهم، حتى جاءتهم بينة الوارد الغيبي هو رسول من الله مالك الملك، ليقول في كتابه الحميد وكلامه المجيد: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْـمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ* رَسُولٌ مِّنَ الله يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة:1–2]؛ وهي صحف السر والقلب المطهر من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة:3]؛ يعني: في صحف السر والقلب كتب قيمة غير معوجة لاستقامة السلام عند إقامة المرآة محاذاة الوجه، ولو لم يكن السالك مستقيًا تكون الكتب معوجة على صحف قلبه، والسرة وإن كانت مطهرة وهذه حالة شهودية لا يطلع على حقيقة هذا البيان إلا أهل المشاهدة .

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ﴾ [البيتة:4]؛ لأنهم كانوا ثابتين على عاداتهم في عباداتهم بحيث صارت العبادة عادة لهم، فإذا جاءتهم البينة الواردة وأمرتهم بترك العبادات العادية، وبالإخلاص في التوجه، وبالصلاة في العبادة وبالزكاة في الطهارة، وتفرقت القوى الكافرة ﴿وَالْـمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ [البينة:1] عن الحق مجتمعين في حظوظهم.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ

﴿الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ [البينة: 5 - 6].

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:5]؛ يعني: ما أمرهم الوارد إلا بأن يعبدوا الله مخلصين في مقام التوجه، ﴿حُنَفَاءَ﴾ [البينة:5] عند إقامة المرآة في محازاة الوجه، بأن يقيموا الصلاة في مقام العبادة؛ لأن هذه الصلاة مجموعة العبادات فيها القيام والقعود، والركوع والسجود، والتسبيح والتهليل، والتكبير والتحميد، والقراءة والدعاء، والخشوع والتذلل والافتقار، وبأن يؤتوا الزكاة في مقام الطهارة؛ وهي تزكية النفس عن أوساخ الأوصاف الذميمة، وتصقيل القلب عن كدورات الأخلاق الرذيلة، وتطهير السر عن غبار عالم الحدث، وتلك الملة الخفية القيمة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْـمُشْرِكِينَ﴾ [البينة:6]؛ يعني: القوى القالبية والنفسية، والمؤمنة باللطيفة المستخلصة عن الكدورات المرسلة إليها من حيث التقليد عادة لا عبادة، والكافرة اللطيفة الخفية ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْـمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:6]؛ لأنهم أشعلوا نيران الحقد والحسد والكبر في جهنم قالبهم بإنكار الوارد الذي يرد على اللطيفة الخفية، وكفرهم بنعمة إرسال اللطيفة الخفية إليهم، وشركهم في عبادة ربهم بأمر أهوائهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: 7 - 8].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البينة:7]؛ يعني: أن القوى التي آمنت باللطيفة الخفية، وعملت الصالحات من الإخلاص في الطاعات وترك العادات في العبادات، ومخالفة الآباء والأمهات بأمر خالق الأرض والسماوات؛ لأنهم اتبعوا خير اللطائف وصاروا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:110] يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ [البينة:8]؛ يعني: يجزيهم الله في دار الجزاء بما كسبوا طارت معدنهم في دار الكسب

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [البينة:8] في قلوبهم، ﴿تَجْرِي﴾ [البينة:8] من تلك الجنة أنهار المعرفة الخالدة أبد الآباد، آمنة عن الانقطاع والنفاد، ﴿رَّضِيَ الله عَنْهُمْ﴾ [البينة:8] لتركهم تقليد آبائهم ودخولهم في ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:5]، وانقيادهم أمر اللطيفة الخفية المعلمة لهم أمر التقويم والتصقيل والتوجه في صورة الصلاة والزكاة ومعنى الإخلاص، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة:8] بما يحكم عليهم؛ لإيقانهم بأنه رءوف رحيم حكيم عليم، ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾(1) [البينة:8]؛ يعني: رضاك عن الله من ثمرة الخشية من الله، فإذا خشيت من ربك وتركت ما يسخط به عليك ربك رضي الله عنك، وإذا رضي عنك ربك يجعلك من أهل الرضا وباب الله الأعظم، فإذا وقفت بالباب بالحرمة وراعيت شرائط حسن الأدب، ورضيت في جميع الحالات من رب الأرباب، وقطعت النظر عن الأسباب يدخلك في دار الصفاء، ويجلسك على سرير أصحاب الصمت، ويسقيك من شراب المعرفة الذاتية، ويسكرك عن رؤية وجودك حتى لا تسمع إلا من الله، ولا تكون إلا بالله، ولا تعمل إلا لله، ولا تسافر إلا في الله، ولا تنظر إلا إلى الله، ولا [ترى] إلا لله، فحينئذ يكون سكران كلّ اللسان.

فأما شراب المعرفة الصفاتية فيثمر طول طور اللسان، ويجعل الرجل صاحب البيان منبسط الجنان في الجنان، وهذه مراتب تحصل للسالك في مقام الخشية؛ ولأجل هذا جاء في القرآن: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:28]، وقال الله تعالى: ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾

---

(1) قال الشيخ البقلي: «رضي الله عنهم»: في الأزل حين اصطفاهم قبل إيجادهم، «ورضوا عنه»: لما عاينوه وآثروه على من دونه عشقًا وشوقًا ومعرفة، وهذه الدرجات لمن عَرِف الله، ودأب في إجلاله، ورؤية عظمته، بقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾، وأصل الرضا الاتصاف بصفة الرضا من الحقّ.

قال الواسطي: الرضا والسخط نعتان قديمان يجريان على العبد بما جريا في الأزل، يُظهر أن الرسم على المقبولين والمطرودين، فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما بانت شواهد المطرودين بظلمها، فأنّى ينفع مع تلك الألوان المصفرة، والأقدام المتنفخة، والأكمام المقصّرة؟!

وقال: استعمل الرضا جهدك، ولا تَدَع الرضا يستعملك، فتكون محجوبًا بلذّته عن حقيقة ما يطالع بعد درجته. قال سهل: الخشية سرٌّ، والخشوع ظاهرٌ. وقال عمرو المكي: اشترط الراضين بالخشية في رضاهم عنه؛ لذلك أوجب لهم رضاه عنهم بأن يرضوا عنه ويخشوه في رضاه عنهم، ولا يكون ذلك إلا باجتناب المحارم، وعقد موافقتهم لموافقته، أن يكرهوا ما كره، ويرضوا ما رضي.

[البقرة:145] درجات ، وقال الله تعالى أيضًا: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف:32]، وقال سيد السادات عليه أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحيات: «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم من الله»[1]، وكل من كان خشي من الله كان أعلم بالله، وكل من كان أعلم بالله كان أرفع درجة عند الله، وكل من كان أقرب إلى الله كان أكثر خشية إلى الله كما قيل بالفارسية: بيت تزديكا نرابيش بور حيراني كيشان دانندسيات سلطاني

اللهم اجعلني من أهل الرضاء، وأدخلني في زمرة أهل الصفاء

---

(1) تقدم تخريجه.

سورة الزلزلة

مختلف فيها وآياتها ثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: 1 - 8].

يا فزعًا من زلزلة القيامة وأحوالها ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:1] فما ينفعك الفزع في الساعة من أهوالها، واعلم أن الله ذكر القيامة، والطامة، والصاخة، والحاقة، والغاشية، والساعة، والواقعة؛ ليعلمه أن القيامات كثيرة، ولكل قيامة اسم خاص لها، والخلاص من كل قيامة بنوع طاعة مميزة من غيرها، فالواجب عليك عرفان القيامات، ثم عرفان الطاعات المخصوصة بكل قيامة من القيامات، ليمكن لك الاشتغال بها والاستخلاص منها.

واعلم أولاً أن القيامة التي يذكرها الله تعالى في هذه السورة؛ هي القيامة القالبية، والطاعة التي تنفع لهذه القيامة الطاعات القالبية المفروضة عليك، كالإقرار باللسان في كلمتي الشهادة، والأذكار اللسانية، والقيام والقعود، والركوع والسجود، والقراءة في الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، والصوم، والجهاد، والحدود، والكفارات طاعة تتعلق بالشهادة الآفاقية، فإذا أديت حق الطاعات القالبية تخلصت من أهوال القيامة القالبية إن شاء الله تعالى.

واعلم أن أرض قالبك تزلزلت عند نزول سلطان الذكر اللساني عليها وأخرجت ما فيها من الخاصيات، كما يقول: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة:2] فالواجب على الخير اليقظان ألّا يلتفت إليها ولو التفت من دناءة همته إلى تلك الخواص، ويقول: ﴿مَا لَهَا﴾ [الزلزلة:3]، كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا* يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:3-4] تلك الخواص، ﴿أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:4]؛ أي: ما فيها من

الخواص التي يمكن أنها الكتاب الخير والشر وما يحدث تلك الخاصيات بأنفسهن، بل يحدث بوحي الرب، كما قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا* يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً﴾ [الزلزلة:5-6]؛ لأنهم التفتوا إليها وتفتشوا عن حالها، وأوحى الله إليها وأنطقها كما أنطق كل شيء ليحدثن بأخبارها، فتشتت وتفرق الناس في مشاهدة خواصها وأعمالهم الصادرة عنهم من الخير والشر، أنها من أي خاصية صدرت؟! ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ* فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾[1] [الزلزلة:6-7]؛ أي: يره مصدره، من أي خاصة كان؟

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:8]؛ أي: مصدره، ففي هذه المقام مناقشة عظيمة في الحساب، وهذه القيامة التي ألجمت الناس يعرف الحسرة والندامة والحياء، وليس من المقامات قيامة أشد من هذا، والواجب عليك أن تموت اليوم الموت الاختياري لتشاهد قيامتك التي نبَّه النبي إليها حيث قال ﷺ: «من مات فقد قامت قيامته»[2]، لتحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وتتخلص من أحوالها اليوم لتكون من الفائزين غدًا - إن شاء الله تعالى - وأشرح بتوفيق الله تعالى أن أمهلني الله القيامات للآخرة في موقعها بإذن الله تعالى.

---

(1) قال ابن عجيبة: متفرقين، جمع شَتّ، نزلت في بني ليث بن عمرو، كانوا يتحرّجُون أن يأكل الرجل وحده، فربما قعد منتظراً نهاره إلى الليل، فإذا لم يجد من يؤاكله من الضيفان أكل أكل ضرورة. وقيل: في قوم من الأنصار كانوا إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم، فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا. وقيل: في قوم تحرجوا من الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل، وزيادة بعضهم على بعض، فخيّرهم. وقيل: كان الغني منهم إذا دخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته، ودعاه إلى الطعام، فيقول: إني أتحرج أن آكل معك، وأنا غني وأنت فقير، فأباح لهم ذلك.

(2) تقدم تخريجه.

سورة العاديات

مختلف فيها وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥﴾ [العاديات: 1 - 5].

اعلم يا طالب الهمة العالية أن الله تعالى أقسم بالهمم العالية في كتابه القدير، حيث قال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾[1] [العاديات:1]؛ أي: وحق الهمم العالية التي تعدو في سبيل إلى حد يخرج من جوف اشتياقها صوت الدعاء من شدة العدو أو غاية الاشتياق، بحيث تسمع الملائكة السماوية صيح تضرعها في دعائها والتماسها من مالكها؛ ليسهل عليها سلوك الطريق الوعر الذي يتعلق بحبال القالب.

﴿فَالْـمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾ [العاديات:2]؛ أي: الموريات من حجر الجبال بنور شوقي نار الهداية المستكنة في حجر القالب وقت لتخمير اللطيفة؛ وهي حوافز تلك الهمم وحوافز الذكر، ﴿فَالْـمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾ [العاديات:3]؛ يعني: إذا وصلت الهمة بعد سلوكها في جبال القالب الراسية في ظلام الليل القالبي، وعبورها عنها على أفق عالم النفس، وتنفس صبح النفس أغار أصحاب الهمم العالية على الخواطر النفسية واستوائها.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾ [العاديات:4]؛ يعني: هيجن غبار خواطر النفس محملة الذكر في الكرة الأولى؛ لئلا يختفي خاطر من خواطرها.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ [العاديات:5]؛ يعني: وسط الهمم العالية وجنود القوى القلبية، وحزب الخواطر الذكرية التي هي حزب الرحمن في وسط عالم النفس، مجتمعين منصورين ذاكرين، [رمح] الذكر فوق سطح النفس، ناجين أعلام الهداية في سوق الهوى،

---

(1) قال البقلي: أقسمَ الحقُّ سبحانه بأفراس قلوب المحبِّين إذا ضُحبت بأصوات الوصلة من تراكم مواجيد المشاهدة في ميادين الوحدة، حين عاينت مشاهدة السرمدية، وهي الموريات أنوار المعارف من قداح الكواشف، ثم أقسم لواردات كُشوف صفاته حين أغارت أرواح العاشقين عند طلوع صباح مشاهدته.

ضاربين طبل النصرة على أبواب حضرة الإمارة، آسرين قوى النفس الأمارة صاحبها بمخالفة المولى، الصافة مواجهة صف القوى القلبية باستظهار جند الهوى.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ [العاديات: 6 - 9].

﴿إِنَّ الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات:6]؛ يعني: إن الإنسان لا يرضى بهذا الفتح لأنه كنود، ويدخل مني الإذن بدخوله في عالم القلب، فالواجب على صاحب الهمم العليّة أن يشكر الله على نعمة الفتح والنصرة في هذا المقام، ثم يسأل منه التوفيق للدخول في عالم القلم وكنوده من علق همته، وعجلته من غاية اشتياقه، وبهاتين الخصلتين اللتين إن ظهرتا تتبدلا بالهمة، والسرعة المحمودة التي أشار إليها الله تعالى حيث قال في كتابه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران:133]، صار الإنسان أشرف الموجودات، وإن لم يكن هاتان الخصلتان موجودتان في ابن آدم، ويمكن له التجاوز عن مقامه، مثل الملائكة الذين يقولون: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات:164]، وظلمه وجهله وكفرانه أيضًا من الواجبات العالية الهمة في سلوك الطريقة.

كما أن الكنود والعجلة من الموجبات أيضًا إذا ظهر صار صفتين حميدتين معينتين لصاحبهما على قطع الطريق والغلبة على العدو، ويعلو الهمة التي هي نتيجة الكنود المطهر من تلويثات الهوى النفسية، وبسرعة السير لغلبة الاشتياق التي هي من خصائص صفة العجلة المزكاة من كدورات القوى القالبية، بحيث يسير في عمره القصير سيرًا باستعداد العجلة، ويصل إلى مطلوبه في سيره، وينتهي سيره في مدة يسيرة إلى ما لا يمكن الوصول لمنتهاه إلا بخمسين ألف سنة لغيره، فذلك الجهل؛ لأنه من جهله تثقل الأمانة قلبه وحملها حيث أبت الكائنات حملها وقبولها، كما يقول تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً﴾ [الأحزاب:72] على نفسه، ﴿جَهُولاً﴾ [الأحزاب:72] بحقيقة ثقل الأمانة.

ولولا صفة ظلوميته لما حارب بنفسه وما قاتلها، ولما اجتهد في قلع أشجار خواطرها، وما شد عليها مشربها من ينبوع الهوى، ولولا صفة كفرانه لما التفت إلى تربيته طبيعتها له ورحم عليها، وما حملها على ترك مألوفاتها، وقطع النظر عن مشتهياتها، وما أمرها بالمجاهدة في خلع عاداتها ورفض محبوبتها طباعها، ونفض الأيدي من الدنيا

ومناعها، فكفرانه بنعمة تربيته اللطيفة، وبالنفس التي رباني في حجرها من زمان تعلق الروح بالعلة إلى أن بلغ مبلغ الرجال، وعلم أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، وطفق ينفي الباطل ويثبت الحق، وسلك الطريق وعرف المظلوم من المحمود على سبيل التحقيق، سير له قهر النفس وهواها وأضعف الطبيعة وأقواها؛ لأنها أرضعته من الصغر إلى الكبر.

﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات:7]؛ يعني: أن الحق شهيد بما أودعه من الصفات الجديدة في أجبال قالبه ومعدن نفسه ليكون له استعداد المحاربة وقت الجهاد، ثم يحصل له من هذه الجديدة المرآة التي هي المقصودة من إيجاد المكونات.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:8]؛ يعني: أن الإنسان لحب المعارف لشديد؛ ولأجل هذا يبخل السالك بمعارفه ولو لم تكن صفة البخل فيه يكون إفشاء لأسرار الطريقة في بداية وصوله إلى المعارف القلبية؛ لقلة عمله فإن إفشاء سر الطريقة لا يجوز، وإظهار علاماتها لغير أهلها منهى عنه، وينبغي للسالك في مقام كشف المعارف القلبية ألّا يلتفت إليها ويجتهد في السلوك، ويبالغ في نفي المعارف؛ لئلا ينقطع بالمعارف عن المعروف .

﴿أَفَلاَ يَعْلَمُ﴾ [العاديات:9] السالك ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات:9]؛ أي: بعثر ما في قبور القلب، وأبين وأخرج ما في معدنه مستكن مستودع.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝﴾ [العاديات: 10 - 11].

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات:10]؛ أي: حصل له في عالم الأنفس قوة التميز، وميز بين معارف خواطر الشر وخواطر الخير، وحصل له قوة النفي والإثبات بعد قوة التميز؛ لينفي خواطر الشر ويثبت خواطر الخير في عالم القلب.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات:11]؛ يعني: إن الله لخبير من يحفظون من الخواطر الردية والحميدة، وهذه إشارة ليتفطن السالك؛ لأن ترك الالتفات إلى المعارف التي حصلت له في عالم النفس بعد خروجه عن قبر القالب ودخوله في روضة القلب واجب، ونفي الخواطر بأسرها خيرها وشرها لازم ليجعل الوجه ساذجًا عن النقوش الشهادية؛ ليكون صالحًا لحول المعاني الغيبية المعارف القلبية فيها، واليوم أيضًا لخبير

بجميع أحوالنا ولكنه قيد بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [العاديات:11]؛ لأن ذلك اليوم بسبب رفع الحجاب وكشف الغطاء نصير عالمين بخبرته، فاجتهد أيها السالك حتى تعرف خبيرته اليوم لتتمتع بهذه المعرفة، وأن ينزع عنك الآلات والأدوات وتعرف خبيرته بعد كشف الغطاء، لا يزد لك من معرفتك إلا حسرتك الأثرة.

فارفع همتك أيها السالك لتعرف الحجاب اليوم الذي أنت مختار، وتعرف [خبرة] مالك الممالك لتصير همتك مخلدة للقسم، والله تعالى يحب معالي الأمور ويبغض سفاسفها.

اللهم ارزقنا بهمة عالية ونفس راضية مرضية، وصل على
محمد ﷺ وآله وصحبه خير البرية.

سورة القارعة

وهي مكية وآيها إحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ⑤ ﴾ [القارعة: 1 - 5].

يا قارع رأس نفسك بمقرعة الشقاوة، اعتبر بسورة القارعة حيث يقول الله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:1] قد جاءت القارعة احذرها، ولا يثقل مقرعتك بالهوى.

﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:2]، هي القيامة الهوائية التي قامت في قالبك، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:3]؛ لأنك غافل عنها مشتغل بما فيه بثقل المقرعة في القارعة.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة:4] المتفرق في النيران المشتعلة بريح هواء النفس، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:5]؛ يعني: جبال قالبك تكون في تلك الريح كالعهن المنقوش.

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ⑩ نَارٌ حَامِيَةٌ ⑪ ﴾[القارعة: 6 - 11].

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾(1) [القارعة:6] في ذلك الموقف بثقيل الأعمال الصالحة

---

(1) اعلم أن ثقلة الموازين عبارة عن: وجود الأعمال الرزينة لها التي لها وزن عند الله، وقد دلَّ عليه العيشة الراضية؛ لأن عيشة الرجل في الجنات؛ إنما هي بأعماله؛ لأن درجاتها ونعيمها مقـومة بقدرها؛ فهو إنما يدخل بثقل الموازين جنة الأعمال، وخفة الموازين عبارة عن: عدم الأعمال المقبولة دلَّ عليه قوله: ﴿فأمه هاوية﴾؛ لأن الله لا يقيم لمَن خفت موازينه يوم القيامة وزنًا ومقدارًا؛ فيهوي في النار التي هي أصله؛ لأن كل ظلمة، وظلماني؛ إنما هو من النار، كما أن كل نور، ونوراني؛ إنما هو من الجنة، وفيه إشارة إلى أن الأعمال تتجسَّد يوم القيامة؛ فيكون لها ثقل وخفة، كما ذهب إليه أهل الشرع؛ لأن الأعراض لا تُوصف بذلك، وكان الظاهر أن تكون ثقلة الموازين بسيئات الأعمال؛ لتهبط بصاحبها إلى النار التي في الأرض

التي صدرت من القوى القالبية ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة:7] بها من التنعم بما تشتهي نفسه، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة:8] عن الأعمال الصالحة ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:9]؛ يعني هو ولد الهاوية؛ لصدور الأعمال المتولدة من الهوى المدخرة لهذه البلوى، والهاوية ربها في حجر القلب ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾ [القارعة:10] أيها المسكين، أما تفطن إشارة الحق بقوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:9] لكي تشتغل بدفع هذه الأم، وتتبع الأب الذي هو يهديك إلى النعيم الأبدي؛ وهو القوة الروحانية النورانية، وأمك هي القوى القالبية الظلمانية، تدسك في شراب الطبيعة وتأمرك بتربية القالب الذي هو في الحقيقة أنتن من الجيفة، والله تعالى أعطاك قشر القالب يسلم لبك فيه، ويأمن من كدورات عالم الحدث، اللب قشر القشر ليكون حجابًا بينك وبين الغيب، ليتمتع باللذات الخسيسة الشهادية، ولا ينغص عليك ذكر الغيب عيش عاجلك حتى تقرع القارعة بمقرعتها قشرك، فيرى لبك الباطل المبطل حقوقه باستيفاء القشر عنه حظاً ظلمانيًا صرفًا، فتتحسر على تضييع لبك الحقيقي الباقي معك غير الويل الدائم على نفسك.

- السافلة، وأن يكون خفتها بصالحات الأعمال؛ لتصعد بصاحبها إلى الجنة التي في السماء العالية؛ لكن أُعتبرت الثقلة بالصالحات، والخفة بالطالحات؛ لأن الجسم هو الذي يتَّصف بالثقل، والخفة، فوجود الصالحات مما يقتضي جسامتها، ووزنها، وقدرها، وصعودها ليس من حيث وجودها، وثقلها في نفسها؛ بل من حيث حال عاملها، فإن العامل لا بد وأن يكون مخلِصًا بالكسر؛ بل مخلَصًا بالفتح، والمخلص لا وجود له في نفسه؛ لأنه فانٍ عن أعماله، والتعلّق بها، فاجتمع ثقيل؛ وهو العمل، وخفيف؛ وهو حال العامل؛ فارتفع ميزانه إلى جانب العُلو؛ كالروح مع الجسد؛ فإنه لولا الروح لم يكن للجسد قيام بنفسه.

سورة التكاثر

وهي مكية وآياتها ثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: 1 - 8].

يا أيها المتكاثر المتفاخر بكثرة القبائل والعشائر، اللاهي بالأموات في المقابر عن الحي الذي يطَّلع على الصغائر والكبائر، اعلم أن قالبك قبرك المدفون والقوى التي تتشعب من قالبك هي قبائلك وعشائرك القريبة إلى نفسك الأمارة، ونفسك أبدًا تتفاخر بتلك القوى، وبها تستمد وتبارز القوى القلبية والروحية، وتشتهي أن تغلب عليها وتباشرها وتستخدمها القوى القالبية، وتسترد فيها القوى النفسية، فإذا انتشرت من غير قالبك وحشرت في الموقف العظيم وشاهدت القوى القلبية والروحية؛ أي: لما يخاصمونك، والحق يأخذ بظلمك الذي ظلمت عليه، ولا مفر ولا مهرب [من] عذبة لا يعذب بها أحد إلا الذي كان عمله مثل عملك؛ ولأجل هذا قال في كتابه تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر:1-3] بعد النشر.

﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر:4] ما في الموقف ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر:5] اليوم ما ادخرتم لأنفسكم من العذاب المهين، ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر:6] التي استقررتموها بظلمكم على القوى القلبية والروحية.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾(1) [التكاثر:7] ما كوشفتم من قبل بعلم اليقين، ﴿ثُمَّ

---

(1) قال الورتجبي: و«حقيقة اليقين» و«حق اليقين»: أن يعرف العبد أنه يرى جحيم قهر القدم الذي كان الحق موصوفًا في الأزل، ولم يصل إلى بطنان كنهه؛ لأنه الحدث والحق قديمٌ، وأنَّى يصل الحدث إلى القدم أبدًا؟!

قال يحيى: «اليقين»: كشف الغطاء عن القلب.

وقال فارس: «علم اليقين»: لا اضطراب فيه، و«عين اليقين»: هو العلم يُودِعُه الله الأسرار.

﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر:8] القالبي العاجلي الفاني، الذي ألهاكم عن النعيم الآجل الباقي للسالك إذا اشتغل بالسلوك يكشف عليه أحوال الموت والقبر، والنشر والحشر، والموقف والحساب، والصراط والجنة والجحيم بطريق المكاشفة، بحيث يراها علم اليقين، ثم إذا أشرقت أرضها باطنه بتولد ربه، يشاهد بعين اليقين جميع ما يكاشف به بطريق اليقين.

وأشار النبي ﷺ بقوله: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»[1]، ومن به يطلع اليوم على أحواله يعسر عليه الأمر غدًا جدًا، ولا تنفعه الحسرة حقًا، ولا يزيد إلا عذابًا صعدًا.

فاجتهدوا أيها الساعين في كشف غطائكم بذكر ربكم، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر:5]، أما تسمعون ما يقول ربكم تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:6].

واعلم أن في قالبك أربع قيامات: ترابية ومائية وهوائية ونارية، فاجتهد اليوم في الذكر فربما تشاهد هذه القيامات قبل أن تقوم القيامة الوسطى والكبرى، وتقف في هذه المواقف في القيامة الصغرى وتحاسب نفسك فيها وتتخلص فيها؛ لئلا تعد في القيامة الوسطى ولا الكبرى بعد نزع الآلات والأدوات والاستعدادات والأقاويل عليك، [و] الملاهي بالباطل عن الحق الغافل عن الموت، الشاغل قواك باللهو والهزل، المشتغل بالأموات المشتغل في صدرك سمات حسرة الفوت.

اللهم نبهنا من نومة الغافلين، واجعلنا من المستيقظين.

-

قال الخراز: «عين اليقين»: هو أن يرفع الحجب عن قلوبهم بتجلٍّ لأرواحهم وأسرارهم، ويكشف عن أوهامهم حتى يروه عين اليقين، فيرجعوا عنه سكارى، وينتهوا عنه حيارى. قال بعضهم: «عين اليقين»: عين البقاء.

(1) رواه الترمذي (9/ 337)، رواه ابن المبارك في الزهد (1/ 103، رقم 306)، وابن أبي شيبة (7/ 96، رقم 34459)، وأبو نعيم في الحلية (1/ 52)، وابن عساكر (44/ 314).

سورة العصر

وهي مكية وآياتها ثلاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: 1 - 3].

يا طالب الأوقات المشرقة والساعات المثمرة، إن أشرف ساعة من الساعات هي ساعة فرضت فيها طاعة من الطاعات، وأشرف تلك الساعات الساعة التي صدرت محلاً لقسم الله تعالى؛ وهي العصر كما يقول الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر:1-2] إن رءوس مال الإنسان عمره، وكل لحظة تمضي عليه [تذهب] برءوس ماله مطلقًا.

﴿إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر:2]؛ أي: ربحوا في سوق الدنيا باستعداد عمره وحصلوا نعيم الدار الآخرة الباقية، وفائدة خصوصية ساعة العصر ذكرها في ضيعة من «بدائع الصنائع» و«الشرح والبسط» فاطلبه منها.

وأما الحكمة التي بها قال الله تعالى بعد القسم: ﴿إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: 2]، اسمع بسمع حديد وقلب شهيد أن الله تعالى خلق الإنسان ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4] بإدراجه جميع المفردات العلوية والسفلية فيه، فلذلك جمع الله تعالى لأمة محمد خواص جميع الساعات في الصلاة الوسطى؛ وهي صلاة العصر، إذا أدى الإنسان حق الطاعة في تلك الساعة صيرت الفوائد المدرجة في جميع الساعات لها، وأشار إلى هذا المعنى حبيب الله ﷺ قال: «إن الله فرض على أمة موسى عليه السلام أن يعملوا يومًا ليأخذوا أجورهم، فعملوا من الصبح إلى الظهر وملوا وتركوا العمل والأجر، فعين الله تعالى لأمة عيسى عليه السلام من الظهر إلى العصر، وعملوا وتركوا العمل والأجر، ثم فرض الله تعالى على أمتي بقية اليوم أن يعملوا ويأخذوا أجر اليوم كله فقبلوا وعملوا، وأخذوا الأجر الكثير بالعمل

القليل»[1].

فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر:2]، ملَّ وترك العمل وحرم نفسه على الأجر الكثير الباقي باشتغاله عدد بملازمته في أيام معدودة فانية، وهذا الحديث رويته بالمعنى؛ لأن لفظه ما كان بخاطري في الحال.

ثم يقول الله تعالى مستثنيًا: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر:3] بالنبي وهو لطيفتك الخفية، وبما أوحى الله إليها على لسان سرها، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر:3]؛ أي: الأعمال التي أمروا بها في الساعة المخصوصة، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العصر:3] في طلب الحق وترك الباطل، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:3] على ترك الهوى ومشتهيات الأنفس في الأزمان الفانية في دار الدنيا ليدخر لها السعادات الباقية في دار البقاء.

فينبغي أن يعرف أن عصر عالم الأنفس في الأيام الروحانية قائم مقام ليلة القدر في الليالي الجسمانية، والعصر يتعلق بضوء نور الجلال الذي أودعه الله في النهار، ولولاه ما اشتغل الناس في النهار بالكسب، والقدر يتعلق بضوء نور الجمال الذي أودعه في الليل، ولولاه ما اشتغل أحد باستراحة في الليل، وفيه حكمة التدبير مما يتعلق بحد القرآن، ولست مأذونًا بإفشائه.

فاجتهد أن تكون من الموجهين إلى قبلة الأحدية في جميع الأوقات في الأيام الروحانية خاصة إذا غربت شمس الروح إلى مغرب الروحانية؛ لأنك لا تدري بعد غروبها أتطلع من مشرقها أو من مغربها؟ فإذا طلعت من مغربها لا ينفعك طاعة إن غفلت عن التوجه في تلك الساعة، فالسالك يفطن للإشارة التي أشرت إليها ولا ينتفع بتقرير هذه القدسيات إلا السالك، وشرحت ساعة القدر في سورة القدر.

اللهم ارفع قدرنا، واشرح صدرنا، وآمن من المحاق بدرنا.

---

(1) لم أقف عليه.

سورة الهمزة

وهي مكية وآياتها تسع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهمزة: 1 - 9].

أيها [الغافل] قول الخليل الذي يأمرك بطاعة ربك وينهاك عن مخالفته، وعن الاشتغال بالشهوات العاجلة الفانية الصارفة لك عن اللذات الآجلة الباقية، أما تسمع ما يقول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:1]؛ والهمزة هي القوى النفسية الحسودة المرائية التي تعيبك في غيبك، وإذا وجدت خلاً مع الشيطان طفقت في معائب القوى القلبية، واللمزة هي القوى النفسية الوقيحة التي تعيبك في وجهك وتقابل خاطرك القلبي بالمكابرة والمجادلة، فاجتهد حتى تشاهد الهمزة واللمزة اللتين هما من قوى نفسك لتشتغل بدفعها، وهما جمعتا الاستعدادات القالبية والقوى الطبيعية وظنا أنهما خالدات معها، وما عرفنا أن تلك الاستعدادات في الحقيقة مثل الحطب لها عند اشتعال نيران حطمة نفسها بنار الله الموقدة في صدرها المطلعة أفئدتها؛ أي: على حقيقتها، كما يقول تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ* يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ* كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة:2-5]، الحطمة ما جمع الرجل من الحطام وهي مثل الحطب، ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ* الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ[1]* إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة:6-8]؛ أي: تلك النار عليهم مطبقة طبقًا فوق طبق ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة:9]؛ يعني: لإطباقها أوتاد معلقة على

---

(1) قال روزبهان: «ناران»: نار القهر، ونار اللطف، «نار قهره»: إبعاده قلوب المنكرين عن ساحة جلاله، و«نار لطفه»: نيران محبته في قلوب أوليائه من المحبِّين والعارفين.

قال جعفر: النيران شيءٌ مختلفٌ، فمنها: نار المحبة، ونار المعرفة تتَّقد في أفئدة الموحدين، ونيران جهنم تتَّقد في أفئدة الكافرين، ونيران المحبة إذا اتَّقدت في قلب المؤمن تحرق كل همَّةٍ غير الله، وكل ذكر سوى ذكره.

صاحبها، ممددة إلى قعر الدركات الغالية.

فأشفق على نفسك أيها السالك وادفع شر الهمزة واللمزة عن نفسك اليوم، وأطفئ ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة:6] بذكر الله تعالى، ولا تحسب أن ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة:6] مختصة بك لا بل عامة، ولكن من يجمع الحطب الرطب الحظوظي يحرق الحطب ويظلم على صاحب البيت بالدخان الحاصل من رطوبة الحظوظ الهوويّة، ومن يجمع العود اليابس القهاري يحرق العود ويتنور البيت بنار المحبة، ويملأ دماغ السالك من روائح المعرفة، فالجامع أنت ووقت الجمع يومك، فانظر ما تجمع.

اللهم وفقنا لجمع العود، وهو الطاعة والعبادة، فالمدخرة نار المحبة ورائحة المعرفة.

سورة الفيل

وهي مكية خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل: 1 - 5].

أيها السائل الميئوس من رحمة الملك الجليل، القانط من نصرة الولي الخليل عند ظهور القوى القالبية والنفسية بمدد سلطان الطبيعية، وضربها خيامهم خارج التفصيل، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل:1]، فلا يقنط من نصرة الحق إياك، ولا تخف من قتل أصحابك، وكثرة أحزانهم، وقل ما قال الشاعر:

تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها: إن الكرام قليل

والله يقول في كتابه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:13]، وقال: قليل في الأولين وقليل في الآخرين، وانتظر حزب الرحمن من جانب سماء صدرك ونزوله لأجل ﴿كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل:2]، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: 2] بإرسال حزبه من جانب سماء الصدر، وهم طير أبابيل كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ[1] * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل:3-4] بحجارة حاصلة من النفي الذي هو مودع في حرف (لا)؛ لأن الله تعالى يكيدهم بما كادوا، فجعل ما كادوا من خاصة

---

(1) قال عكرمة: قال: طير نشأت من قبل البحر، لها رؤوس كرؤوس الأفاعي. وقيل: كرؤوس السباع، لم تر قبل يومئذ ولا بعده، فجعلت ترميهم بالحجارة لتجدر جلودهم، وكان أول يوم رئي فيه الجدري. تفسير التستري (2/ 356).

طين قالبهم وحجارة معدن طبيعتهم؛ ليخربوا كعبة القلب، فأمر الله تعالى طير الذكر ليجعل ﴿كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل:2] برد كيدهم ونفي مكرهم في صورة السجيل؛ وهو الطير والحجارة.

يقول بعض المفسرين فارسية مستعربة؛ يعني: سنك وكل ليمطر على رءوسهم ويهلكلهم بكيدهم، كما قال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل:2]، وفي آية أخرى قال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً* وَأَكِيدُ كَيْداً﴾ [الطارق:15-16]، فكيده معهم أن يدفع لهم بكيدهم ويسلط عليهم كيد الذي كادوا؛ ولأجل هذا السالك الخبير إذا شاهد ترادف الخواطر النفسانية والطبيعية وغلبتها يسر في الباطن بعرفانه نصرة الحق إياه، ورد كيد الكفار النفس الأمارة إلى نحورهم، ويزداد شوقه إلى الذكر القوي الخفي، ويبالغ في النفي على سبيل الحضور لرجاء النصرة من الملك الغفور، والطير طير الذكر الصدري ترمي القوى الطبيعة المستمدة من قوى القالب، والنفس عند حلولها حول حرم الصدر عازمًا على خراب كعبة القلب بسجيل الخواطر الرذيلة الترابية الهوية المنجمة تحت الأثير.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل:5]، فجعل طير الذكر الصدري مُستهبها من قوة ونيّة جازمة وعزيمة صادقة، تلك القوى ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل:5]، مثل التين المتفرق الذي تضربه الرياح يمينًا وشمالاً، ففي هذه الحالة أيها السالك المبتلي لا تيأس ﴿مِن رَّوْحِ الله إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ الله إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:87]، ولذ بأذيال الذكر القوي الخفي الصدري وبالغ في التقى على شرط التعظيم راجيًا نصرة الحق لتدفع أصحاب الفيل، والفيل صورة الطبيعة وأصحابه قواها، ولا يمكن دفع القوى الطبيعية المسلطة على الإنسان إلا بنصرة الله الملك المنان الحنان، وبالذكر الذي هو ضرب الرحمن إياه، ومادام الإنسان حيًا فهذه القوى أيضًا حية موجودة معه، فلا تعتمد عليها بإذعانها

لك وتقبلك لها، فإنها كلما وجدت شربها وأخذت منها حظها صارت حية مثل الأفعى فاحذرها حتى تخرج من عالمها وعالم الدنيا؛ ولهذا السر أمر الله تعالى حبيبه المصطفى في كلامه بقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:99] واليقين هاهنا الموت الكبير بالاتفاق.

اللهم خلصنا من الطبيعة، وارزقنا المتابعة للسنة المصطفوية في الشريعة

سورة قريش

مكية وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش: 1 - 4].

يا متفرق الخاطر من غلبة الخواطر الذميمة الطبيعية المستمدة من القوى القالبية والنفسية، لا تحزن إن الله معك، فكما ينصرك على أصحاب الفيل سيجمع لك خاطرك ويؤلفك بإلفك وهو خاطر قلبك، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[1] [قريش:1] وهو خاطر جزم صدر ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ [قريش:2] فهم بعد تفرقهم في براري النفس وبوادي القلب.

﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش:2]، وهي حالة القبض والبسط، ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش:3]، وهو الحق الذي كان في ذكر الله يسمونه أهل الطريقة سلطان الذكر؛ لأنه يربي القلب في هذا الطور وأطعم القوى القالبية من جوع يحصل لها في الرياضة والمجاهدة بترك مشتهياتها وصرفها عن الاشتغال بملاذها العاجلة وحظوظها الشهوانية طعام الغيب، وآمن القوى النفسانية الجائعة من الأسر والقتل والعزل بملاطفات لاطفها سلطان الذكر، وإبقاء كل قوى من قواها في مملكة الوجود فأعمالها المشتغلة بها بالحق للحق عاريًا عن الباطل، خاليًا من الحظ العاجل، طالبًا حظ الأجل، فالواجب على العامل في هذا المنزل ألا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يستريح إلا لبقاء قوة خفية بها يمكن الاشتغال بطاعة الله تعالى لأجل الثواب المدخر في العقبى.

فأما السادة من أصحاب الهمم العالية تركوا كما تركوا أصحاب اليمين الدنيا لأجل العقبى، أما سمعت ما قال سيد الطريقة: الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على

---

(1) قال القشيري: مصدر آلَفَ، إذا جَمَّلْتَهُ يَأْلَف، وهو أَلِفَ إِلْفًا، والمعنى: جعلهم كعصفٍ مأكولٍ لإيلافِ قريشٍ، أي لِيَأْلَفوا رحلتهم في الشتاء والصيف، وكانت لهم رحلتان للامتيار: رحلةٌ إلى الشام في القيظ، ورحلة إلى اليمن في الشتاءِ والمعنى: أنعم اللهُ عليهم بإهلاكِ عدوِّهم ليؤلِّفَهم رحلتيهم، تفسير القشيري (8 / 106).

أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله، وهذه الإشارة مستنبطة من كلام الله تعالى حيث يقول: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران:152]، وفي آية أخرى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:28]، فقد أثبت للمريدين ثلاث إيرادات: إرادة الدنيا، وإرادة الآخرة، وإرادة الوجه الأعلى، فكن عالي الهمة أيها السالك لتصل إلى مالك الممالك.

اللهم اجعلنا مريدين لوجهك من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة

سورة الماعون

مختلف فيها وآياتها سبع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ① فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ② وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ⑦﴾ [الماعون: 1 - 7].

أيتها اللطيفة القلبية المصدقة بيوم الجزاء، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [الماعون: 1] من قوى نفسك الأمارة بالسوء، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون:2]؛ أي: يدافع خاطر اليتيم، الذي هو من قبيل القلب بأنه في عالم النفس يتيم غريب، ﴿وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:3]؛ يعني: لا يطعم الخاطر المسكين بشهوة النفس من قبيل السكينة بطعام الذكر.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:4-5]؛ يعني: ويل للقوى النفسية المقلدة المؤمنة خوفًا من المجاهدة التي [عليها] صاحبها السالك؛ لئلا يقتلها بالمجاهدة ولئلا يأسرها ويغير عليها مالها وأهلها، واستعدادها وهواها يصلوك بالصورة رعيا عن المجاهدة؛ وهم عن حقيقتها ساهون لا يصلون إلا لدفع الضرر عنهم ويجز النفع عن صاحبهم إليهم.

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُون* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون:6-7]؛ يعني: القوى النفسية يراءون القوى القلبية وجميع الطاعات، ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون:7]، الصدق وملح الإخلاص عن القوى المطيعة المرائية، وبعبارة أخرى يمنعون الزكاة؛ يعني: لا يزكون أنفسهم عن الأخلاق الرذيلة مثل: الرياء والسمعة.

فيا أيها السالك اجتهد في ميدان الدنيا تنتصر على نفسك والهوى، ولا تأمن مكرها، ولا تعطِ حظها إلا بالحق؛ لأنها إذا شربها الحظوظي عصا حفظهم؛ ولذلك جبلها ابتلاء للعباد الذين هم مظاهر لطفه وقهره، وخلط في أرضه، ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف:7].

اللهم اجعلنا مخلصين في طاعتك، مؤدين حق عبادتك بمحمد وآله وصحبه وسلم.

سورة الكوثر

مكية وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ② إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③﴾ [الكوثر: 1 - 3].

يا طالب كوثر المعرفة، اعلم أنك ما دمت في تيه القالب وبيداء النفس مترددًا متحيرًا لا تصل إلى الكوثر المعرفة؛ لأنه في روضة القلب ورياض الجنة محفور، فإذا طفقت في السلوك، وجاوزت تيه القالب، وخرجت من براري النفس ودخلت في [دار] عروس القلب، وشممت نسيم رياض الوادي الأيمن، ووصلت إلى وادي القدس الذي هو منتهى أطوار القلب في علم الخفي يعطيك بالسبعية الكوثر الذي أعطاه للحبيب بالأصالة، كما قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[1] [الكوثر:1]، ويسقيك من ذلك الحوض طهور شراب المعرفة في كأس المحبة على ساقي اللطف والكرم، كما قال تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ [الإنسان:21].

فينبغي أن تصل بجميع قوى لطائفك لهذا المقام، كما قال لحبيبه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:2]؛ أي: فانحر ذات النفس لقربانك إلى عالم الذات، كما أمر حبيبه ﷺ: ﴿وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:2] ولا تخف مما يلقي إليك الشيطان، ويقول لك: إن كنت تنحر ذات النفس تبقى ابترا، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:3]؛ أي: عدوك أبتر عن الحظوظ، فالمتيقظ هو الذي لا يتكلم في المقام كله من المعارف نظرًا إلى أن تبقى منه هذه المعرفة تذكرة؛ لأن الله تعالى يغضب عليه، وأمر بنحر ذات نفسه في هذا المقام لأجل هذا السر،

---

(1) «الكوثر»: حقيقة استغراقه في بحر جماله، ودنوُّه في منازل قربه، وله كوثر القلب يجري فيه أنهار أنوار مشاهدة الحق من بحار الأزل، والأبد يزيد في كل نفس سواقيها إلى الأبد.

قال جعفر: نورٌ في قلبك دلّك عليَّ، وقطعَك عما سواي. وقال: الشفاعة لأمتك.

وقال ابن عطاء: الرسالة والنبوة. وقال: معرفةٌ بربوبيتي، وانفرادٌ بوحدانيتي وقدري ومشيئتي. وقال الجنيد: أعطيناك نور المعرفة، وانفراد الوحدانية.

فإن أدى السالك حق هذا المقام بإسبال الأستار على وجه الأسرار، يجري الله سبحانه على قلبه ولسانه أسرار ومعارف من غير شعوره بها على وجه لا ينقض الظاهر، ويبقى اسمه في العالم من أولاد قلبه وأثمار أشجار وجوده الباقي أبد الآباد آمنًا عن الفناء والنفاذ.

اللهم أعنا على نحر ذاتنا، ووفقنا لنصلي في كعبة القلب متوجهين إلى قبلة الوجه بجميع قوى لطائفنا كما تحب وترضى

سورة الكافرون

مكية وهي ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)﴾ [الكافرون: 1 - 6].

يا أيها السالك المبتدئ في مملكة الأعادي بين جنود قوى القالب وأحزاب قوى النفس الأمارة، ﴿قُلْ﴾ [الكافرون:1] معهم عند هجومهم عليك ليقطعوا عليك ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون:1] بنعمة الوجود، والذي أعطاكم الموجد ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:2] من أصنام قوى الطبيعة الحيوانية، ﴿وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:3] وأنا أعبد موحدًا، ﴿وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون:4] من آلهة الهوى النفسانية.

﴿وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[1] [الكافرون:5] وهو الحق الخالق الرازق، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون:6] في عبادتكم العجل الباطل، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:6] في عبادتي الملك الحق العادل، وهذا مقام المهادنة لضعف حزب الرحمن؛ وهو القوى القلبية، فإذا أبلغ السالك مبلغ الرجال وتم أمر السلوك، وظهر له أصحاب الإلهامات، وطلع رايات السكينة من أعالي مدينة رسول الخاطر الحق يتسنح حكم هذه المهادنة بالأمر الصادق عن الحضرة الألوهية، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة:191]، أما في برادي القالب، أو في صحاري النفس، أو في حرم الصدر، أو في كعبة القلب، والرياء المحمود، هذا الرياء الذي حمله على المهادنة والتقية في هذا المقام جائزة بل واجبة؛ لأنه تعالى يقول: ﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:28] إلى

---

(1) الإشارة: إذا طلبت العامةُ المريدَ بالرجوع، إلى الدنيا والاشتغال بها، يُقال له: قل يا أيها الكافرون بطريق التجريد، والتي هي سبب حصول التوحيد والتفريد، لا أعبدُ ما تعبدون من الدنيا وحظوظها، أي: لا أرجع إليها فيما يُستقبل من الزمان، ولا أنتم عابدون ما أعبدُ من إفراد الحق بالمحبة والعبادة، أي: لا تقدرون على ذلك، ولا أنا عابد ما عبدتم من الدنيا في الحال. انظر: البحر المديد (7/ 116).

قوله: ﴿وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:30]؛ لأنه مطلع على ضعفهم عند المقاومة مع الأعادي وقوة إيمانه بالله فيرحمه ويتجاوز عنه، ويرأف به بالنظرة له عليهم عن تكميل قواه على وفق الحكمة والسنة الجارية، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح:23]، فالسعيد في هذا المقام هو أن يجتهد في إضعاف قوى العدو بترك ما اشتهت نفسه من الأكل والشرب والنوم وما فيه الاستراحة للبدن، ويبالغ في الطاعات المقوية لجند القلب وحزب الرب بالإخلاص التام الذكر القوي الخفي، بشرط النفي والإثبات من أنفع المعالجات لتقوية مزاج القلب وتضعيف القوى النفسانية، وإخراج الأخلاق الردية الهوائية دماغ العقل.

اللهم اجعلنا صحيحين مستقيمين في طاعتك وعبوديتك، وثبتنا في الجهاد مع أعدائك على وفق متابعة حبيبك ﷺ، وآله وصحبه أجمعين.

سورة النصر

وهي مدنية ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: 1 - 3].

يا صاحب الفتح، اعلم أن الله تعالى يقول: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾[1] [النصر: 1] في جهادك ومقاتلتك الأعداء النفسانية والشيطانية، والفتح الذي حصل لك في تخليص حصونهم لمشيده.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ [النصر:2]؛ أي: القوى النفسانية والشيطانية، ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ﴾ [النصر:2]؛ أي: يدخلون في حكم اللطيفة القلبية، ويدخلون دين الحق، ويكسرون أصنام الخلق ودنان خمر الغفلات، ويخربون بيت الأوثان وحان الشهوات، أو يدبرون عن الباطل ويقبلون على الحق، ويتوجهون إلى كعبة القلب ويستقبلون قبلته ﴿أَفْوَاجاً﴾ [النصر:2]؛ أي: فوجًا بعد فوج من القوى الطبيعية والحسية والفكرية والعقلية.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر:3]؛ أي: نزه نفسك عن رؤية النصرة والفتح باجتهادك وكفايتك وحلتك ورأيك، وتيقن بأن النصر والفتح كان من توفيق الله تعالى، واحمد ربك على وجدان التوفيق لتنزيه نفسك عن هذه الرؤية وتسبيحك الحق؛ لأنه ما نصرك وما فتح عليك بعلة من العلل الخارجة والداخلة؛ لأنه منزّه عن أن يعمل عملاً بعلة - تبارك وتعالى - عن مباشرة فعل معلول وعمل مجهول، ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر:3]

---

(1) قال البقلي: نصرُ الله لحبيبه ﷺ وجميع أحبائه إفرادهم بفردانيته عما دونه، وأنجاهم عن جنس النفوس، وإبلاغهم مقام الأنس بظفرهم على كل بغيّة لهم، وأداء ما عليهم من حقوق العبودية، و«الفتح»: انفتاح أبواب الوصال، وانكشاف أنوار الجمال والجلال، وبلوغهم عين الكمال، وأيضًا «نصرُ الله»: كشف غطاء النفس، و«الفتح»: وقوع نور القدس في القلب إذا ذهب قتام الحدثان، فجاء النصر، وإذا انكشف جمال الرحمن قام الفتح، وذلك بشارة الله لحبيبه ﷺ بوصوله إليه، وتخلّصه من أعباء النبوّة، ومشقة الرسالة، ورؤية الأغيار، فأمره بتقديسه لنفسه، والاستغفار منه لأمته.

من خطرات خطرت بقلبك من السرور بالنصر والفرح بالفتح؛ لأنهما من هذا المقام يحجبانك عن النصير الفتاح بالحقيقة.

﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ [النصر:3] يقبل توبة العبد ويوفقه بالتوبة؛ لأنه يحب توبة العبد المذنب كما أنه يحب عبادة العبد الصالح؛ لأن العبد المذنب مظهر لصفة غفاريته، والتائب مظهر لصفة توابيته، كما أن العابد مظهر لصفة معبوديته، على سمة الأسماء تجري أمور الناس، والأسماء مصدر الآثار، كما أن الصفات مصدر الأفعال، فاحفظ هذا السر العزيز.

واعلم أن النصرة إشارة إلى غلبة لطيفتك الخفية على جنود الباطل، والفتح إشارة إلى فتح مكة وجودك حرم صدرك وكعبة قلبك وتطهيرها عن جنود النسناس، وأحزاب الخناس، وأصنام الوسواس.

وفي هذا المقام يدخل السالك في زمرة الإنسان بعد خروجه عن مرتبة الناس، ولا يمكن للسالك الخروج عن المرتبة الناسية والدخول في دار الإنسانية إلا بالانخلاع عن لباس البشرية وخلاصه عن تلبيس الشيطانية، ولا تدرك هذه المعاني بالفكر والقياس والحدس الذكي وحده الحواس.

اللهم انصرنا على الأعادي، وافتح علينا أبواب الأيادي، واحفظنا في البوادي عن الخلق العادي، لنشكرك شكر الصادي عن الماء الزلال البارد في الحر الشديد إذا سقى في الكوز الجديد المملوء من الجليد ليكون بثمر المريد يا رب العالمين.

سورة المسد

وهي مكية وآياتها خمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: 1 - 5]

يا أيها الحريص على أطراف كعبة قلبك، اعلم أن أبا لهب نفسك أمر مرآة هواه ليجمع العصاة بين الحطب، ويفرق حول كعبة قلبك المبينة في حرم صدرك ليتخرج في قدم همتك ويمنعك عن الطواف بكعبة قلبك، أما تسمع ما يقول أبو لهب نفسك حين ناداه لطيفتك الخفية ليبلغ إليه ما أوحيه للطيفتك تبارك، تبًا لك ألهذا وعدتنا وأبى دعوة الحق؟! فكيف أجاب الله له على لسان لطيفتك؟!

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾(1) [المسد:1]، أو هلكت قوتا القبض والبسط لنفسك الخبيثة المستعملة لهما في الباطل، ﴿وَتَبَّ﴾ [المسد:1]؛ أي: أجاب هذا الدعاء؛ لأن يداه لا تصل إلى اللطيفة الخفية، وهي يجمع لنفسه الحطب ليحترق به بتلهب من سوأة نيران حسده وحقده، وكان أبو لهب؛ أي: صاحب لهب في سعير نفسه وجحيم قالبه، ولا شك أن الألقاب تنزل من السماء.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ [المسد:2] وهو ماله من القوى القالبية، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:2] في عالم الناسوت بتلك القوى الذميمة عن اللقب الذي نزل معه من السماء، ﴿سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد:3]؛ لأنه جمع الحطب بالقوى القالبية والنفسية، وأشعل نيران الحقد والحسد، وسير نفسه وجحيم قالبه ذات لهب من ريح غروره بنور ناره وعجبه بنفسه، ويكرة على القوى القلبية.

---

(1) قال البقلي: ويْحٌ الله من لا تصل يدُ همّته إلى وثقى عروة نبوّته والإيمان برسالته والمعرفة بكمال شرفه خسرت في الأزل يده؛ إذ قطعها الحق عن مصافحة حبيبه صلاة الله وسلامه عليه، والأخذ بعروة متابعته، ذلك الخسران من خذلان الحق إيّاه، فإذا كان محجوبًا عن طريق الرشد لا ينفعه أعماله ولا أمواله.

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد:4]؛ أي: هوى المؤدي الذي به يمكن لأبي لهب النفس أن يحمل الحطب من أشجار أم غيلان هلاكه في صحاري الشيطان، ﴿فِي جِيدِهَا﴾ [المسد:5]؛ أي: في أصل خاطر الهوى، ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد:5] وأصل خاطر الكبر، وأبى الشيطان أمر الرحمن كان من استكباره، كما قال تعالى: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:34]، ودعوى الهوى بالألهية أيضًا كان من غاية تكبره؛ أي: في عنق كبره الذي به تطاول على اللطائف حبل من ذلة، وهو تمنيها الكاذب الذي يجرها إلى أسفل سافلين دركات الطبيعة؛ ولأجل هذا يكون دائمًا منكس الرأس، كما أخبر الله تعالى عن أحوالهم في كتابه حيث قال: ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة:12]، فالواجب على الطائف حول الكعبة ألَّا يلتفت إلى هوى نفسه لحظ نفسه؛ ليمكن له الدخول في بيت ربه ومشاهدة وجهه إن شاء الله تعالى.

اللهم خلصني من هوى نفسي، وأدخلني كعبة قلبي، وأقرر عيني بمشاهدة جمال ربي بحق محمد ﷺ وآله وصحبه، وعلى من اتبع الهدى وترك الهوى في متابعة المصطفى.

سورة الإخلاص

وهي مكية وآياتها أربع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ [الإخلاص: 1 - 4].

يا طالب الوحدانية وسرها في عالم الخفى، ﴿قل﴾ [الإخلاص:1] بلسانك للطيفتك الخفية في عالم الخفى: ﴿هو الله أحد﴾[1] [الإخلاص:1] إشارة إلى الله؛ لأن

---

(1) قال البقلي: كان الله جلَّ جلاله مستترًا بنفسه في أزل أزله، قال: «كنتُ كنزًا مخفيًا، فأحببت أن أُعرف»، فإذا أوجد أعلام ظهور أفعاله تُعرف نعوته بفعله، فلم يعرف أحدٌ بالحقيقة؛ إذ الوسائط حجابٌ، فأراد إظهار كنوز ذاته وصفاته، فاختار من خلاصة الوجود خاصًّا خالصًا، فألبس لسانه فصاحة الربوبية، ونوَّر قلبه بنور المعرفة، وظهر لعينه عين الحقيقة، فأمره بتعريفه لعباده العارفين، بقوله: ﴿قُلْ﴾: ظاهره سرٌّ، وباطنه سرٌّ، حرفٌ تحته بحرٌ من غوامض علوم الربوبية، فالقاف: إشارةٌ إلى قهر عظمته على الحدثان حتى لا يصل إلى ذرَّةٍ من حقيقة العرفان بألوهية الرحمن؛ لأن على وجه القدم وقاية الغيرة، وهناك في الأزل فلزم الحيرة، واللام: إشارةٌ إلى لا النفي أي: لا يصل إلى كنه الألوهية أهل الحدوثية أمره بالإشارة إلى الإشارة، وغوامض سرِّ الذات؛ إذ قال: هو أوقع قلوب الراسخين في أودية الهوية الغيبية في تيهِ غيب الغيب بنعت الوله والحيرة، فلم يصلوا إلى هاء الهوية، فانصرفوا إلى واو الوصف، فعجزوا عن الوصف؛ إذ لم يصلوا إلى الموصوف، فاحتجبوا بالغيب وبُعد بطون الهوية، وانصرفوا حيارى سكارى عطاشى والهين غير مدركين أوائل الحقائق، فاعترفوا بالعجز عن الإدراك، وإدراك الإدراك، فلما علم الحق عجزهم عن إدراك سر الهوية أظهر لهم أنوار الذات والصفات، رحمةً ولطفًا بهم لكيلا يُحرموا من نصيب عرفانه وإيمانه، وقال الله أي: الذي لو تركوه، ولم تدركوه بعد طلبكم هذا، هو الله الذي بان بنعت الوحدانية والجمال والجلال من قرار الهوية، وأيضًا لما غاصوا في بحار الهوية بانت لهم أنوار الألوهية، فانصرفوا من صدمات الصمدية، وسطوات الأحدية، ووقعوا في تيه الحيرة، ونسوا ما بان لهم، وفرُّوا، ثم طلبوا، فلم يجدوا، فأظهر الله ما ظهر لهم في الغيب، فقال: أين أنتم مما رأيتم هذا هو الله، فظهر لهم في الظاهر كما ظهر لهم في الباطن، فلما رأوه عيانًا فنوا في أول ألف

اللطيفة الخفية في عالمها؛ وهي محجوبة عن غيب الغيوب الذي هو عالم الحق؛ لأن الله ﴿أحد﴾ [الإخلاص:1] في ذاته، ﴿الصمد﴾ [الإخلاص:2]؛ أي: الصمد في صفاته ليس لذاته مثل ولا لصفاته شبه، ولا له ضد، ولا له ند.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص:3] لأنه صمدي الصفات، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:3]؛ لأنه أحدي الذات، أول كل شيء وآخره، موجد كل شيء ومعدمه، مبقي الحقوق المفردة ومغني الحظوظ المركبة، ومهلك المفردات عند تجلي صفة وتريته.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:4] في ملكه وملكوته، واللطيفة الأنانية المستحقة المرائية يقول: سبحان الله الواحد الأحد، الفرد الوتر الصمد، الذي ﴿لَمْ يَلِدْ * وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:3-4] سبحانه ما أعظم شأنه.

وإذا كانت في اللطيفة بقية من القوى الحميدة اللطيفة القالبية أو النفسية يقول: «سبحاني ما أعظم شاني»، و«أنا الحق»؛ فإذا أفاق من غلبة حالتها يقول:

أقتلوني يا ثقاتي إنَّ في قَتلي حَياتي
وَمَماتي في حَياتي وَحَياتي في مَماتي

وهذه منزلة عظيمة مشكلة ينبغي للسالك أن يكون في بدرقة حماية شيخه ووليه وتقليد نبيه ﷺ؛ ليخلصه من هذه الورطة في عالم [سيره]، ويصله إلى لطيفة الخفية في غيب الغيوب، ويعرض هذا الغلط على لطيفته الخفية عند تجلي اللطيفة الخفية على اللطيفة

الفردانية، ثم بقوا في لام جماله، وهابوا من عِظَم لام جلاله، ثم سقطوا في بحر هويته، أيضًا منه بدأ وإليه يعود، الأول: إشارةٌ وغيبٌ، والآخر: إشارةٌ وغيبٌ.

قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾، وفي البين بدا وخفا بقوله: ﴿وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾، فلما عاينوه سكروا بجماله، واتَّصفوا بجلاله، واتَّحدوا بفردانيته، وصاروا وحدانيين، كادوا أن يدَّعوا الوحدانية، فقطعهم الحق عن سرِّ الأحدية.

الأنانية، والنصارى لأجل هذا أثبتوا الأبوة والأمومة والبنونة وقالوا: ﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:73]، وتحزبوا في مذهب الاتحاد أحزابًا كثيرة، مثل: اليعاقبة والملكية، والنسطورية، فكلهم قالوا بالاتحاد.

ولكن اليعاقبة يزعمون أن الاتحاد كان بالناسوت واللاهوت من حيث الامتزاج والاختلاف، بحيث صار الله تعالى حصلت عظمته، والبصري المأخوذ من مريم جوهرًا واحدًا، شخصًا واحدًا، إلهًا واحدًا، يكفرون الملكية والنسطورية، ويستحلون دمهما.

والملكية يزعمون أن الاتحاد كان بالناسوت لا باللاهوت، اتحاد للجارة بحيث صار الله ﷻ كما يقول الظالمون الكافرون الجاهلون والإنسان المولد من مريم، بل هو جوهرين ناسوتي ولاهوتي شخصًا واحدًا إلهًا واحدًا، ومن لم يعتقدهم يحكمون بكفره واستباحة دمه.

والنسطورية يزعمون أن الاتحاد كان بالشبه والرضاء بحيث صار الله تعالى عما يصفه المشركون الجاحدون علوًا كبيرًا، والمولود من مريم يسمونه بلغتهم (عمّايزيل) ومعناها بالعربي: لنا جوهران أزلي وزمني، وأقنوماني ناسوتي ولاهوتي ابنًا واحدًا مسيحيًا واحدًا إلهًا حقًا من إله حق ابن جوهر أبيه، ومن لم يذهب مذهبهم فلا يدخلون القداس، ويقرون بكفرهم وقتلهم وكلهم صدقوا بتكفيرهم وأمرهم بقتلهم، علا الله تعالى وتقدست صفاته بالأقانيم الثلاثة بالاتفاق بعضهم يفسرون الأقانيم الثلاثة؛ أي: الأشخاص بالأب والابن وروح القدس، وبعضهم يقولون: إن ذات الباري تعالى الله عن ذلك ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:43] الأب والمسيح الابن، والكلمة هي الجابلة المصورة المفصلة للمعاني المبسوطة، التي بها يكون التعقل هي﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل:102]، وبعضهم يزعمون أن الأب هو القدم والابن هو الحكمة، وروح القدس هي الحياة.

وكلهم غلطوا في النقطات الخارجة عن بحر الجبروت وقت المد، وهي النقطة العلمية التي هي منبع عالم الخفاء، والنقطة الإرادية التي هي منبع عالم الروح، والنقطة القدرية التي هي منبع عالم السر، وظنوا بالنقطة العلمية أنها ذات البارئ، وبالنقطة الإرادية أنها ابن البارئ، وبالنقطة القدرية أنها هي الكلمة، وبعبارة بعضهم هي روح القدس، فكفروا بالله تعالى، وأشركوا به في عين اعتقادهم بالاتحاد؛ لأن سنة الله تعالى جرت على إثبات الوسائط كما نشاهدها في عالم الشهادة، إن الولد لا يحصل إلا بازدواج الذكر والأنثى، فعلى هذا الترتيب أثبتوا الوسائط في عالم الغيب بالنقطة الفاعلة؛ وهي النقطة القابلة، وهي للنقطة القدرية لظهور نقطة الإرادة وهي النتيجة، فحسبوا أن ليس وراء العبادات قربة، وأثبتوا رقائق الدقائق الملكية وحقوق ثلاثة، وما وفقوا السير إلى عالم الجبروت ليشاهدوا دقائقها المتصلة إلى حقائق اللاهوتي، ويعاينوا بالذوق الصرف استهلاك الحقائق في ذات الحق الأعظم أحدي الذات وأحدي الصفات، الذي هو فرد بين الخلق وتر بعد الخلق، ولا يمكن الوصول إلى هذا المقام إلا بمتابعة المحبوب؛ لأنه اللطيفة الخفية وينزل ويقتدي بالمهدي الذي يكون من أمة الحبيب وولد من أولاده؛ ليطّلع على اللطيفة الخفية ويستغفر عن رؤية لطفية روح القدس في نفسه، ويدعو أمته إلى الدين الحنفي ليدخلوا في الحنيفية السمحة السهلة، ويكسروا صليبهم، ويهرقوا خمرهم، ويقتلوا خنزيرهم، ويقولوا كلمتي الشهادة ويشهدوا بأن لا إله إلا الله حقًا، وأن محمدًا رسول الله صدقًا.

فاجتهد أيها العابر على اللطائف القالبية، والنفسية والقلبية، والسرية والروحية، والواصل إلى لطيفتك الخفية، ألّا تعجب بنفسك ولا تظن بأنك وصلت وكملت بتجلي لطيفة أنانيتك على لطيفة خفيك، وتلوذ بأذيال سنن الحبيب المطلق وتعتصم بحبل الله

المتين؛ وهو القرآن المبين الذي أنزل على حبيبه الأمين، حتى تصل جذبة الحق من عالم اللطيفة الحقيقية، ويجذبك من اللطائف كلها ويوصلك إلى اللطيفة الخفية، ويجعلك محرمًا لأسرار ذاته وحكمته التي كانت له في إيجاده الموجودات وإفناء المركبات وإهلاك المفردات، وإبقاء اللطائف المستكملة أبد الآباد إما متنعمًا وإما متألمًا، فسير عيسى عليه السلام كان سير الحبيب من الأنبياء المتقدمة؛ ولأجل هذا قال ﷺ: «الأنبياء أبناء علات إلا أنا وعيسى»(1)، وأما سير إبراهيم عليه السلام كان مستقيمًا إلى أن وصل إلى فاطر السماوات والأرض، وتوجه إليه ﴿مَا كَانَ يَهُودِياً﴾ [آل عمران:67]؛ لأنهم أثبتوا اللطيفة السرية بالنبوة في عالم السر، إذا وجدوها غير حاصلة من امتزاج الروح والقلب، وقالوا: إن عزير ابن الله ﴿وَلاَ نَصْرَانِياً﴾ [آل عمران:67]؛ لأنهم غلطوا في الخفى؛ لأن اللطيفة الخفية أعظم قدرًا من اللطيفة السرية، وأعلى مرتبة من اللطيفة الروحية، وأثبتوا الأبوة والأمومة والبنوة كما ذكرنا، ﴿وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً﴾ [آل عمران:67] بسيره المستقيم إلى عالم القلب، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:67] فيما رأى من الآيات الملكوتية المودعة في نفسه في ظلمة ليل القالب بقوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:76]؛ لأنه وصل إلى فاطر السماوات والأرض في عالم القلب، تبرأ من الأفلاك وتوجه بالكلية إلى فاطر الأرضين والسماوات، وقال في نهاية معراجه: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:79].

وأمر الله تعالى حبيبه المصطفى بأن يبتدي به في بداية معراجه ويزيد عليه بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:162-163]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ

---

(1) رواه مسلم بنحوه (15/ 415)، وأحمد (21/ 266).

وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾ [آل عمران:68]، ومن على أمته في كل يوم خمس أوقات بالصلاة، التي هي معراج أمته بقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:79]، ﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:162-163]، وذكرت حقيقة الصلاة التي كانت معراجًا في مدارج المعارج، فلا أكررها فإن كنت تشتهي مطالعتها فاطلبه وطالعه وأدِ حقه؛ لتصل إلى حظك المخفي الخفي المودع فيه.

اللهم اجعلنا موحدين قائمين بالقسط غير راضين إلى الباطل، الثابتين على الحق بمحمد حبيبك المطلق ﷺ، وصحبه وسلم والتابعين لهم بإحسان إلى اليوم الدين.

سورة الفلق

مختلف فيها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾ [الفلق: 1 - 5].

أيها المتعوذ من شر القوى القالبية والنفسية المردية المؤدية المعنوية، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق:1] إذا دخلت عالم القلب والنفس المظلمة بظلمات الهوى؛ يعني: استعذ برب الفلق وهو طلوع صبح القلب موافق النفس.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:2]، من القوى القالبية والنفسية في هذا العالم الظلماني الكثير المهالك، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق:3]؛ أي: من شر الظلماني الذي وقب عند اشتغال قوة من القوى إلى استيفاء شهواتها في عالمها بالهوى.

﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق:4]؛ أي: من شر الخواطر الطارئة على النفس من نفس الشيطان في عقد عقيدتها المستحكمة بهواها، المستودعة تحت حجر القالب في بئر طبيعتها.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:5]؛ أي: من شر قوة حسدية نفسه حسدت على القوة القلبية عند انبعاثها وقت طلوع الفلق، وهذه الاستعاذة واجبة على اللطيفة عند سلوكها ووصولها إلى أفق القلب في عالم النفس، وأيضًا واجبة على اللطيفة القلبية السالكية الواصلة إلى أفق السر في عالم القلب، وأيضًا واجبة على اللطيفة القالبية السائرة الواصلة إلى الروح في عالم السر، وأيضًا واجبة على اللطيفة السرية السائرة الواصلة إلى أفق الخفى في الروح، وأيضًا واجبة على اللطيفة الخفية بتجلي اللطيفة على لطيفة أنانيتها، فأما

استعاذة اللطيفة الخفية المنسوبة إلى محمد ﷺ يقول في هذا المقام: «اللهم إني أعوذ بك منك، اللهم أعذني من شري وشر ما يقوم بي، وأخرجني مني، وخذني عني»[1]، على متابعة من قال من كمال معرفته، فأما أنا فلا أقول إلا: اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

(1) رواه الحاكم في المستدرك (4/ 165)، والنسائي في الكبرى (1/ 452).

سورة الناس

مختلف فيها وآياتها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: 1 - 6].

أيها الهارب من شر أنانية نفسك الطالب أنانية حقك، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس:1] في عالم القلب؛ ليحفظك بربوبيته من ذنوب القوى القالبية، ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس:2] في عالم النفس يسلطك على جنود القوى النفسانية بسلطنة مكية، ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ [الناس:3] في عروجك عن سماء صدرك ليخلصك عن آلهة هواك [و] ألوهته ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ [الناس:4] الذي بواسطة هذه القوى [يلقي] ﴿الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس:4-5] على إلقاء الخواطر في صدورهم ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس:6]؛ أي: من القوى الخبيثة القالبية والنفسية[1].

---

(1) قال الشيخ روزبهان البقلي الورتجبي الشيرازي: بيَّن أن الوسوسة تأتي من الشيطان تارة بلا واسطة، وتارة بالواسطة؛ إذ لم يقدِر الملعون أن يوسوس في صدره من غلبة نور التوفيق والمشاهدة، وطهارة الكفر وصفاء الذكر، وعار عليه في مقام غراة بعض شياطين الإنس، ويدعوه بلسانه إلى بعض الشهوات أو البدع والأهواء، فيوقعه إلى الحجاب، فأمر الله حبيبه أن يستعيذ به من وسوسة شياطين الإنس والجن الذين وصفهم الله بقوله: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾، واحذر يا صاحبي من هذه الوساوس، واعرف شأنها وأصلها وفرعها، فإن الوساوس تأتيك في جميع المقامات، وفي بعض المواجيد والأحوال، فينبغي أن تعرف مكائده وأسلحته ومواقعه ووساوسه، واستعن بالله في جوابه وعلاجه؛ حتى تبلغ إلى مقام مشاهدة الحق بالحق، ويغني عنك بشريتك وأوصافها، ويكون نورًا بنوره، مقدّسًا بقدسه عن كل خاطرٍ وعارضٍ، فإنْ عرفت حقيقة ما ذكرتك فصرت إمامًا للمتقدين، وسراجًا للمقتبسين.

قال عمرو المكّي: الوسواس من وجهين: من النفس، والعدو، «فوسواس النفس»: بالمعاصي التي يوسوس فيها العدو كلّها غير طبعي، فإنّ النفس لا توسوس بها، أحدهما: التشكيك، والآخر: القول على الله بغير علمٍ، قال الله في وصف الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ

مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال يحيى بن معاذ: «الوسوسة»: بذر الشيطان، فإنْ لم تعطه أرضًا وماءً ضاع بذره، وإن أعطيته الأرض والماء بذر فيها، فسُئل ما الأرض والماء؟ فقال: الشبع أرضه، والنوم ماؤه.

وقال يحيى: إنما هو جسمٌ وروحٌ وقلبٌ وصدرٌ وشغافٌ وفؤادٌ، «فالجسم»: بحر الشهوات، قال الله: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾، و«الروح» بحر المناجاة، و«الصدر»: بحر الوسواس، قال الله تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ ٱلَّذِى فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾، و«الشغاف»: بحر المحبّة.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، و«الفؤاد»: بحر الرؤية، قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، و«التقلُّب»: بحر العمل. وقال سهل: «الوسوسة»: ذكر الطبع. وقال: إذا كان القلب مشغولاً بالله لم يصل إليه الوسواس بحالٍ. وقال عبد العزيز المكّي: يوسوس في فؤاد العامة، وقلوب الخواص لو دنا منها إبليس لاحترق.

صدق الشيخ فيما قال، ولكن في سر السر، وغيب الغيب، ونور النور، وسنا السنا، ولطف اللطف، وشهود الشهود، ودنو الدنو، ووصال الوصال، وبقاء البقاء وعيان العيان تكون قلوب العارفين والموحدين والمحبّين والمريدين والمؤمنين في قبض العزة متقلبة بين أصابع الصفة التي هي أنوار آزال الأزال، وآباد الآباد، طالبه يوصل الوصل، وعرفان العرفان، وحقيقة الحقيقة، كالفراش حول الشمع كمال شوقها الاحتراق بنيرانه، كذلك قلوبهم محترقة هناك بنيران الكبرياء، فانية في سطوات الجلال، باقية بسبحات الجمال، مصونة عن ذل الحجاب، محروسة عن طيران العذاب، كيف يخللها قتام الوسواس، فهواجس بالنفس، وحديث الناس، سبحان من صفاهم بصفاته عن كل كدور، وبرأهم بقدسه عن كل علة، الوسواس في الصدور، والقلوب في الحضور والنور والسرور، كيف يصل حركات الإنسانية إلى من استغرق في بحار الوحدانية، لا بأس بأن طوى على الصدور وسواس وهواجس من محل الامتحان، فإنّ الأرواح في يمين الرحمن، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، والحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة، ألا ترى كيف شكا عنه خواص الصحابة إلى حبيب الله وصفيّه صلوات الله وسلامه عليه ،فقالوا: «إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدُنا أن يتكلّم به»، فقال: أو قد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذلك صريحُ الإيمان».

وقال أبو عمرو البخاري: أصل الوسوسة ينتجها من عشرة أشياء:

أولها: «الحرص»: فقاتله بالتوكل والقناعة، والثانية: «الأمل»: فاكسره بمناجاة الأجل، والثالثة: «التمتع بشهوات الدنيا»: فقاتله بزوال النعمة وطول الحساب، والرابعة: «الحسد»: فاكسره برؤية العدل، والخامسة: «البلاء»: فاكسره برؤية المنة والعوافي، والسادسة: «الكبر»: فاكسره بالتواضع، والسابعة: «الاستخفاف بحرمة المؤمنين»: فاكسره بتعظيم حرمتهم، والثامنة: «حب الدنيا والمحمدة من الناس»: فاكسره بالإخلاص، والتاسعة: «طلب العلو والرفعة»: فاكسره بالخشوع، والعاشرة: «المنع والبخل»: فاكسره بالجود والسخاء، والحمد لله حمدًا لا انقطاع له ولا انتهاء، والصلاة والسلام على سيد الرسل وخاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه وسائر الأولياء، ما دامت الأرض والسماء.

واعلم أن الاستعاذة واجبة على جميع اللطائف في عروجهم على سماوات أطوار الغيوب خاصة اللطيفة القالبية والنفسية عند عروجها على سماء الصدر؛ لأن الشياطين يعرجون إلى أن يصلوا إلى سماء الصدر ليسترقوا السمع، أو يشق شق السالك المجذوب المقبول المردود إلى عالم القالب داعيًا أمته إلى الحق، أو يوسوس اللطيفة القالبية عند عروجها على سماء الصدور ودخولها عالم القلب؛ لئلا يتمتع بالعروج وسيولها بالأمنية الشهوية، ويعبدها محبة الهوى الردية، فإذا استعاذت اللطيفة بالرب صارت الاستعاذة كالشهاب الثاقب، ويحرق أجنحة الخواطر الشيطانية الصادة لها عن الردود إلى حضرة القابلية، ولا يمكن الشيطان أن يتجاوز عن سماء الصدر ببركة قوة النبوة المحمدية.

فيا أيها المحمدي، اجتهد في طلب اللطيفة الخفية المنسوبة إلى محمد المخصوصة بأحمد لتصل إليها في أفق المقام المحمود، وتتنعم فيها بمشاهدة المعبود، ولا يمكن لك طلب اللطيفة الخفية ما دام معك من دنياك شيء، أما سمعت أن عيسى عليه السلام كان نائمًا متكئًا على لبنة، فجاء الشيطان اللعين ووقف على رأسه، فلما أحس عيسى عليه السلام بمجيء اللعين هب من منامه وقال: ما جاء بك أيها اللعين إليّ، فقال: أخذت قماشتي فجئت أطلب القماش، فقال عيسى عليه السلام: وما قماشك؟ قال: هذه اللبنة التي وضعتها تحت رأسك، فأخذ روح الله اللبنة ورمى بها وجهه، فإذا كان حاله عليه السلام كذلك فما ظن أحد غيره بحاله مع وجود اشتغاله بماله ومناله وأهله وعياله، إن الشيطان يدعه أن يخرج على سماء الصدر أو يشتغل بالسلوك فلا يغرنك الغرور، ومعك من قماشه شيء يسير وهو الدنيا بأنك تسلك الطريق وتصل إلى عالم الحقيقة، ولو تجردت عن الدنيا بأسرها في مقام التجريد يمكن لك بعد ذلك السلوك، ولكن لا يمكن لك الوصول لطيفتك الخفية ما دام في باطنك شيء من المعاني الباطلة والقالبية والنفسية والقلبية والسرية والروحية والخفية فإذا أفردت نفسك في مقام التفريد يمكن لك بعد ذلك السلوك ولكن لا يمكن لك الوصول إلى لطيفتك الخفية ولكن لا يمكن لك مشاهدة الحق الأعظم ومعك الحقوق الحاصلة من تصفية اللطائف عن الأباطيل حتى صارت حقوقًا صرفة، فلما وجدت في مقام التوحيد عن الحقوق فيمكن لك مشاهدة الحق الأعظم ولكن لا يمكن لك الاطلاع على أسرار الذات الواحد كما هو حقها ما دام معك رؤية التوحيد فإذا جردت عن رؤية

التوحيد ووجدت في مقام الوحدة متمكنًا في مقام العبودية فيطلعك الله الملك المبين على أسرار ذاته المقدسة وصفاته المسبَّحة وأفعاله المنزهة وآثاره المتقنة المحكمة، ويجعلك محرمًا لأسراره وخازنا لأنواره ومظهرًا لآثاره.

اللهم لا تكلني إلي طرفة عين ولا أقل من ذلك يا رب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيهم وتابعي تابعيهم إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.



فهرس المحتويات

ᶜAYN AL-ḤAYĀT

by

ʿAlāʾuddawlah al-Simnāni

Edited by

Aḥmad Farīd al-Mizyadi

Volume VI

